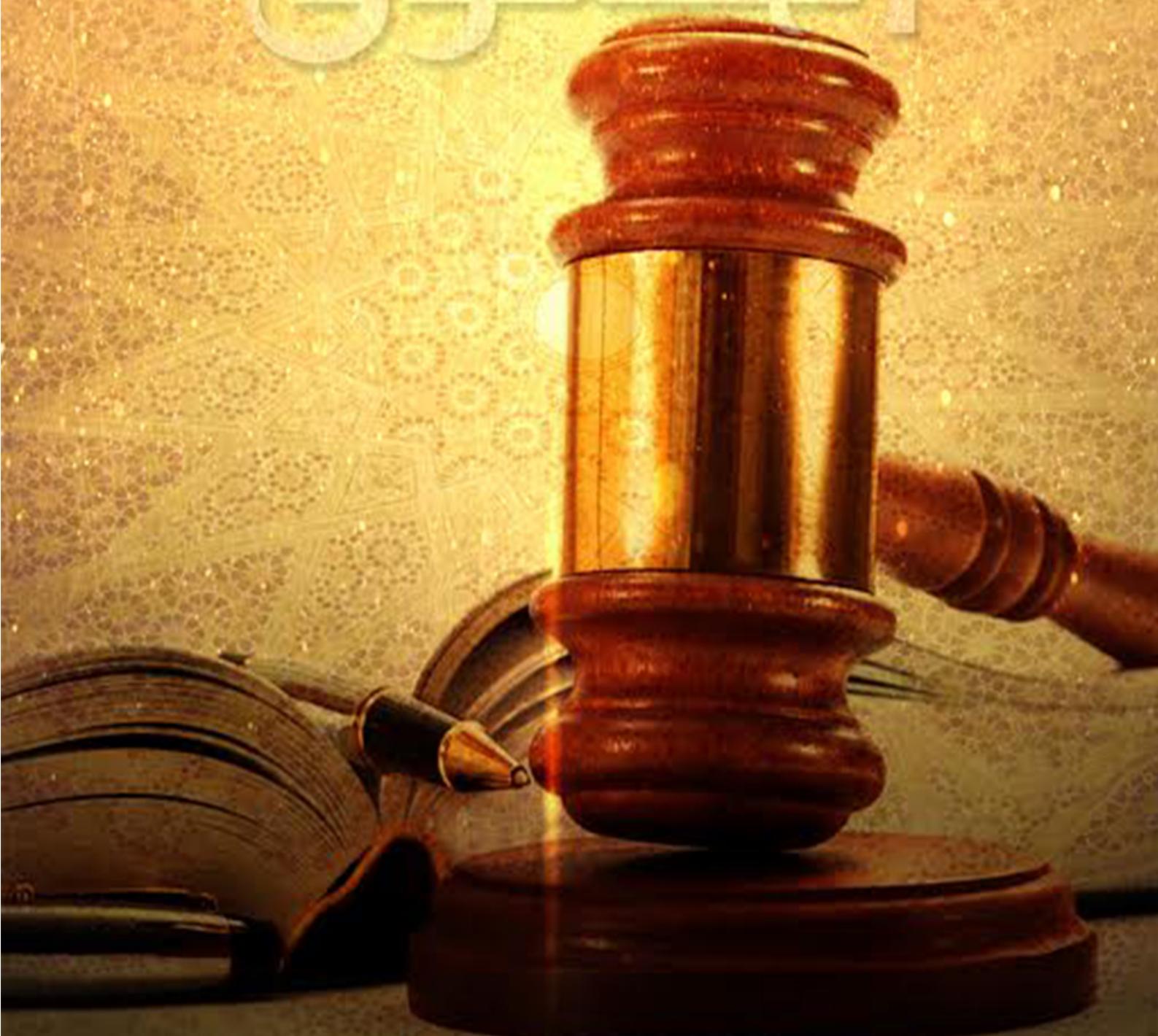


موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

الحقوق



مَوْسُوعَةُ النَّابُلْسِيِّ لِلْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لِفَضْيَلَةِ الدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ رَاتِبِ النَّابُلْسِيِّ

التَّرِيَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

الحقوق

الباب الأول : حق الزوج على الزوجة

١ - علاقة الرجل بزوجته وعدم الاختلاط

٢ - قوامة الرجل وحقوقه على زوجته

التربية الإسلامية - الحقوق - حقوق الزوج على الزوجة - الدرس (١ - ٢) : علاقة الرجل بزوجته وعدم الاختلاط.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-٠٨-١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحاديث نبوية في حقوق الزوج على زوجته

الحديث الأول:

ورد في هذا الباب حديثُ شريفٍ، فعَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[منفق عليه]

فتنتان لا قبل للإنسان بهما: المال والنساء

الإنسان أحياناً من أين يؤخذ ؟ إذا كان مستقيماً على أمر الله، أين تزل قدمه ؟ من أين يؤخذ ؟
كيف ينتكس ؟ كيف يُحجب عن الله ؟ كيف يتقهقر ؟ كيف يتراجع ؟ كيف يفقد اتجاهه إلى الله في
صلاته ؟ كيف يفقد إقباله على الله ؟ كيف يشعر أن عبادته تافهة لا معنى لها ؟ حينما تدخل في
حياته امرأة بطريق غير مشروع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْعَيْنُ تَرْتِي، وَالْقَلْبُ يَرْتِي، فَرِنَا الْعَيْنُ النَّظَرُ، وَرِنَا الْقَلْبُ التَّمَنِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكُ أَوْ يُكَذِّبُهُ))

[أحمد]

الإنسان قد يزني بعينه، وقد يزني بلسانه، وقد يزني بأذنه، وقد يزني بيده، وهذه المخالفات هي حجاب بين العبد وربه، بل لو سألنا إنساناً سؤالاً آخر: ما هي المزالق الخطيرة في طريق الإيمان؟ أغلب الظن أن عامة المسلمين لا يشربون الخمر، ولا يسرقون، ولا يقتلون، هذه الكبائر

التي ذكرها الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم وذكرها نبيه العظيم في سنته، هذه الكبائر يبتعد عنها معظم المسلمين، ولكن هذا المسلم من أين يؤتى؟ كيف ينتكس؟ كيف تُصبح صلاته جوفاء؟ كيف يُصبح صيامه لا معنى له؟ يؤتى من بابين كبارين، من باب النساء، ومن باب كسب المال، لو تتبع المعاصي وتكرارها، واتساع رُقعتها في ساحة النفس الإنسانية، لوجدت أن أكبر مساحةً يشغلها حبُّ المال، وحبُّ النساء، لذلك أكبر مزالق الإنسان من جهة المال ومن جهة النساء، بل إنَّ النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف يجعل المرأة أكبر خطرٍ على الإنسان، بمعنى أن تعصي الله بها، أية شهوةٍ أودعها الله في الإنسان، جعل لها طريقاً مشروعًا، جعل لها قناعةً نظيفةً، ربنا سبحانه وتعالى يقول:



﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُغْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِزَكَاءٍ فَاعْلَوْنَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفِرْوَاهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَكَّتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْوَمِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *﴾

(سورة المؤمنون)

أي معتقدون، وإنه لعوانٌ أن تنظر إلى امرأة لا تحلُّ لك، وعدوانٌ أن تُثير معها حديثاً، عداونٌ أن تلتطفُ في مُحاديتها، هذا الذي يقطع عن الله عزّ وجلّ، فحين نقُع عينك على امرأة لا يحلُّ لك أن تنظر إليها، وتستمرى هذه النظرة، هنا بدأ الحجاب، هذه هي تعليمات الصانع، ما من جهةٍ مؤهلةٍ أن تُقدم لك التعليمات الصحيحة إلا الصانع، لقول الله عزّ وجلّ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾

(سورة البقرة)

أي أن التعليمات النافعة لهذه الآلة من الصانع،

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾

(سورة البقرة: من الآية ١٤٧)

والنبي عليه الصلاة والسلام أرسله خالقنا العظيم ليُبين لنا تعليمات التشغيل لهذه الآلة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

لابد من هامش الأمان بين العبد والمعصية

في بعض الأيام نظره، إذا لم يغضّ الإنسان بصره كانت النّظرة سبيلاً إلى أكبر معصية، لذلك ربنا عزّ و جلّ في بعض الآيات يقول:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

(سورة البقرة: من الآية ١٨٧)

وفي آياتٍ أخرى يقول:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٢٩)

لماذا مرّة:

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

ومرةً:

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

هذا نوعٌ من المعاصي فيها جذبٌ، فكلّ معصيةٍ تجذب إلّيها بداعٍ من شهوةٍ أودعها الله في الإنسان، هذه المعصية يجب أن تدع بينك وبينها هامش أمان، لا بدّ من أن تدع بينك وبينها هامش أمان حتى تتجوّل منها، لذلك جاءت الآية:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

تيار فيه ستة ألف فولط، هذا التيار حوله ساحة مغناطيسية عرضها ستة أمتر، فأيّ إنسان دخل إلى هذه الساحة جذبه هذا التيار، وأحرقه، فإذا علمت أن هذا التيار خطر، وأن حوله ساحة مغناطيسية لا تدخل إلى هذه الساحة، لأنك إذا دخلتها جذبتك هذه الساحة إلى التيار فاحتقرت معصية النساء من هذا النوع، تحتاج إلى هامش أمان، طريقٌ موبوء لا تمشي فيه، صديقٌ مُغرّمٌ

بالزنى لا تُصاحبِه، ولا تجلس معه، ولا تستمع إليه، قصّة ماجنة لا تقرأها، لقاءٌ مُختلط لا تأته،
هذا هو هامش الأمان، لأنَّ الله عزَّ و جلَّ يقول:



﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾

ولا تقربوا، أيْ يجب أن تدع بينك وبين
الزنى هامش أمان، نظرةً، فابتسمةً،
فموعدٌ، فلقاءً.

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى
الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

ضع في ذهنك أن المرأة في الحرام لغمٌ مُتجّر، ربّما أطاح بيديك، ربّما أطاح بصلاتك، ربّما
أطاح بوجهك إلى الله عزَّ و جلَّ، ربّما أطاح بقربك من الله عزَّ و جلَّ، أنت ذُقت طعم القرب -
المشكلة هنا - إذا ذاق المؤمن طعم القرب حافظ على هذه الصلة مهما بلغ الثمن، أما إذا لم يذق
طعم القرب، يرى أنَّ أوامر الدين عبئاً عليه، يرى أنَّ الدين ثقيل، يرى أنَّ الدين حرمان، لكنه إذا
ذاق طعم القرب من الله عزَّ و جلَّ فمن أجل الحفاظ على هذا القرب يضحى بكلِّ غالٍ و رخيص،
ونفسٍ ونفيسٍ.

أحياناً يوضع الإنسان في موقفٍ حرجٍ، هذا الموقف يقتضي أن يُصافح، النبي عليه الصلاة و
السلام يقول:

((إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ))

[أحمد عن أميمة بنت رفيقة]

أيّهما أغلى عليك اتصالك بالله أم أن تتجوّل من انتقاد بعض المُنتقدين،

﴿أَتَخْشَوْنَاهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾

القضية قضية موازنة، كلمة "الله أكبر" تعني: أنك إذا رأيت أنَّ الله أكبر من كلِّ شيء، من كلِّ
هدف، من كلِّ غاية، عندئذٍ تتضبط على أمر الله، حديثٌ يدعو إلى الوقف والتأني.

علاقة اتباع الشهوات بإضاعة الصلاة

ربنا عز و جل ماذا قال عن المسلمين في آخر الزمان؟ قال:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾

(سورة مريم: الآية ٥٩)

لماذا أضاعوا الصلاة؟ لأنهم اتبعوا الشهوات، لماذا اتبعوا الشهوات؟ لأنهم أضاعوا الصلاة، هناك علاقة ترابطية، تارة تكون إضاعة الصلاة سبباً لاتباع الشهوات، وتارة يكون اتباع الشهوات سبباً لإضاعة الصلاة، وربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً﴾

حينما يتبعون الشهوات يُضيّعون الصلاة، و حينما يُضيّعون الصلاة يتبعون الشهوات، هذا كلام الخالق، هذه قوانين حتمية الحدوث،

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً﴾

اتباع للشهوات، إضاعة للصلاحة، تحمل البغي والعدوان، والغي والضلالة.

أحياناً ندخل إلى محطة وقود، يوجد مكان لوضع إعلان، يمكن كتابة كلمات عديدة في هذا الإعلان، لو فرضنا كتب في هذا الإعلان: يرجى أن تقف في الدور، ممكن، لو كتب في هذا الإعلان: يرجى المحافظة على نظافة المحطة، كذلك إعلان مقبول، لكن هذا الإعلان ليس خطيراً، أما إذا كتب على هذا الإعلان: منوع التدخين، التدخين شيء مصيري قد يحرق المحطة كلها، فهذا إعلان من نوع خاص، قد نكتب مكان هذا الإعلان ألف إعلان، كلها لا تقدم ولا تؤخر، لكن إذا كتبنا في هذا الإعلان: منوع التدخين، فإن هذا الإعلان متعلق بمصيري هذه المحطة، وربنا عز وجل في القرآن حينما يقول لك:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

(سورة النور: من الآية ٣٠)

لا خيار للمؤمنين أمام الله ونهيه

هذا أمر يُقدم و يؤخر، أمر مصيري، أمر يتعلّق بإقبالك على الله، إما أن تقبل إذا طبقته، وإما أن تقطع إذا خالفته، وكل أمر في القرآن، وكل نهي في القرآن هما أمر ونهي مصيرييان، يحدّدان مصير علاقتك بالله عز وجل، لأن الآية الكريمة تقول:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٦)

أنت لك الخيار في المباحثات، بين هذا البيت وهذا البيت، بين هذه الفتاة وهذه الفتاة، تخطب هذه أو تلك، بين أن تعمل بهذه الوزارة أو بهذه الوزارة، بين أن تكون موظفاً أو تاجرًا، بين أن تمضي أسبوعاً في هذا المصيف أو في هذا المصيف، هذا الخيار، لكنك إذا عرفت الله عز وجل فليس لك خيار فيما أعطى الله فيه حكماً

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

الآن بعض أنواع اللباقة والذوق الاجتماعي أن تُرحب بامرأة، أن تستقبلها في البيت، ولو أن الزوجة غائبة، لباقة، تقول: هذه اخت زوجتي، هذه بنت عمّي، هذه بنت خالتى، معقول أن أردها، مثلاً، هذه اللباقة، والذوق الرفيع في معاملة النساء، هذا قد ينتهي بالإنسان إلى القطيعة عن الله عز وجل، هذه مُجاملة يُروج لها إبليس، لكن المؤمن وقف عند حدود الله، الحال ما أحلت، والحرام ما حرمت، فإذا أحب المؤمن أن يحافظ على هذه الصلة بينه وبين الله، فليحفظ حدود الله، وإذا هان الله على الناس هان الناس على الله، يقول لك: الماء قليل، والأسعار مرتفعة، وهناك ضائقة أحياناً، هذا كلام يُترجمه القول الشهير: هان الله عليهم فهانوا على الله، وهؤلاء لا يُبالون أحياناً أن هذا الأمر يجوز، أو لا يجوز، أو حرام، حلال، مسموح، أو غير مسموح، فيه معصية أو ليس فيه معصية، قال له: يا رسول الله عظني وأوجز، فقال عليه الصلاة والسلام:

((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ))

[ورد في الأثر]

قال بدوي للنبي عليه الصلاة والسلام: عظني وأوجز، وفي حديث آخر عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسألك عنه أحداً بعدك، قال: قل:

((آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ))

[مسلم]

قال أريد أخف من ذلك - هذه ثقيلة - فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا: فَاسْتَعِدْ لِلْبَلَاءِ))

إذا تعاملت مع الله بقواعد واضحة ترتاح وتُريح، ربنا عز وجل إما أن تأتيه طائعاً أو أن يسوقك إليه بالسلسل، سلاسل المصائب، فإما أن تأتيه طوعاً، مبادرة، رغبة، طمعاً، شوقاً، و إما أن يؤتى بك إليه على أثر مشكلة، على أثر مرض، على أثر ضائقة، على أثر ضغط، فالبطل هو الذي يأتيه طائعاً:

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾

(سورة فصلت: الآية ١١)

لأن الله خلقنا ليُسعدنا، هذا كلام قطعي، فإما أن تقبل أن تسعده باختيارك، وإما أن تُساق إلى هذه السعادة بشكل أو بآخر، لذلك الآية الكريمة:

﴿ لِّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٨٤)

إذا وجد مرض نفسي، إن أبديته أو أخفيته تُحاسب عليه، كيف المُحاسبة؟

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٨٤)

إن أقبلت عليه طواعية يغفر لك، وإن أدرست عنه، تؤتي إليه من خلال مضائقه فعندئذ يغفر لك أيضاً لكن على أثر عذاب لا على أثر إقبال، المغفرة: إما أن تكون على أثر إقبال أو على أثر عذاب.

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٨٤)

يقول لك الطبيب: إما أن تستعمل الدواء أو أن نجري لك عملية، الآن الدواء مُجدٍ، لكن بعد فترة لا بد من عمل جراحي، أنت مُخَيَّر، فالإنسان يجب أن يقبل بالدواء قبل أن يعالج بالجراحة، فإذا انطلقت من حبك لذاته، إذا انطلقت من حرصك على سلامتك، إذا انطلقت من رغباتك في كمال وجودك، فيبقاء وجودك، فأطع الله عز وجل، لأنه:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٧١)

الفائز بين مقاييس القرآن ومقاييس البشر

انظر إلى نظر الناس الآن، يقولون لك: هذا فلان هنئاً له، عنده أرض ارتفع سعرها ثمانين ضعفاً، قيم الناس المال، فمن حاز المال بحجم كبير وجهد يسير، الناس يرمونه بأبصارهم، وإذا اشتري الإنسان بيته خاماً مريحاً في موقع ممتاز، زينه تزيينات رائعة، أيضاً الناس يهنئونه، ويُثنون على شطارته وعلى ذوقه.

وإذا تقلد الإنسان منصباً رفيعاً، أيضاً يهنئونه، وإذا أُنجب أولاداً مُتوفّفين في مقياس الدنيا يُهناً، هذه مقاييس البشر.

لكنَّ البطل هو الذي يبحث عن مقياس الله عزٌّ و جلٌّ، مقياس الله عزٌّ و جلٌّ شرحه الله في القرآن الكريم، قال:



﴿ وَمَنْ يُطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٧١)

هل أنت مؤمن بهذا المقياس.

أضرب مثلاً للتقرير: لو أن صديقاً لك
كان على مقعد الدراسة معك، وعمل
بعملٍ حرٍّ فأصبح يملك ألفاً لافواً،

الفائز بمقاييس القرآن

بل ألف الملايين، وهو مُتفلت من أمر الله، وأنت مستقيم على أمر الله، ولا تملك إلا قوت يومك،
هل تشعر بأنك محروم؟ أو بأن هذا الصديق تفوق عليك، وفاز عليك؟ إن شعرت هذا فأنت لا
تعيش هذه الآية، قد تفهمها، ولكن لا تعيشها، قد تفهم معناها، ولكن لا تعلقها، لا تعقل الآية إلا إذا
عشتها، المؤمن الحق: يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار، المؤمن الحق يقول:
ليس في الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني، ولو كان طعامه خشناً، ولباسه خشناً،
هذا الإيمان، الإيمان أن تسع في معرفة الله، أن ترى أن الهدى هو كل شيء، وأن الدنيا كلها لا
تعدل عند الله جناح بعوضة، وأن الله عزٌّ و جلٌّ إذا تجلّى على قلب الإنسان نسي الدنيا وما فيها،
ولا تنس خطبة النبي عليه الصلاة والسلام:

((إنَّ هذِه الدُّنْيَا دَارَ التَّوَاء لَا دَارَ اسْتِوَاء))

[ورد في الأثر]

الدنيا لا تستقيم لأحد

سبحان الله ! لا تستقيم الدنيا لإنسان، يأتيه المال ويفقد الطمأنينة، تأتيه الطمأنينة ويفقد المال، يأتيه
المال والطمأنينة ويفقد الزوجة الصالحة، تأتيه الزوجة الصالحة ويفقد الأولاد الأبرار، يأتيه أولاد
أبرار وليس له دخل يكفيهم، يأتيه دخل يكفيهم وأولاده أشرار، كل شيء على ما يرام لكن صحته

معلولة، إنَّ هذه الدنيا دار التواء -هكذا النبي قال - لا دار استواء، لا تستوي، مُحال أن تستقيم لك الأمور كلها، رُكِبت على النَّقْص، رحمةٌ بنا لأنَّه لو تمت لكرهت لقاء الله عزَّ وجلَّ، لرُكِبت إليها، لو جاءت الأمور كما تشتهي فهذه أكبر مصيبة، يقول الله عزَّ وجلَّ: عبدي، خلقت لك ما في السَّماوات والأرض، ولم أعي بخلقهنَّ، أفيعيبني رغيفٌ أسوقه إليك كلَّ حين، وعزتي وجلالي، إنَّ لم ترض بما قسمته لك، فلأَسْلَطَنَّ عليك الدنيا، الدنيا تأتيك من كلَّ جهة، فلأَسْلَطَنَّ عليك الدنيا ترکض فيها رکض الوحش في البرية، ثمَّ لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، و كنت عندي مذموماً، أنت تريده، وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريده، وأنَّ لم تسلم لي فيما أريد، أتعبنك فيما تريده، ثمَّ لا يكون إلا ما أريد

إذا كان الإنسان مُحرفًا، غارقاً في المعاصي، وتأتيه الدنيا من كلَّ جهة، هذه ليست نعمة، ولكنها نعمة:

﴿ وَنَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾

(سورة الدخان: الآية ٢٧)

هذه ليست نعمة، و لكنها نعمة، يقول ابن عطاء الله السكندري: " ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك "، أحياناً يمنعك، فإذا منعك عن الدنيا تتجه إليه فتسعد بقربه، فيكون الخلاص بالحرمان من الدنيا، وقد تأتي الدنيا كما تريده ف تكون حجاً بينك وبين رب العزة:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنِ النِّسَاءِ))

[منقى عليه]

هذا أول باب خطر، في بعض المرات فلان لا يأتي إلى الدرس، فما هو السبب؟ زار أقرباءه فالتقى بإحدى قريباته اللاتي لا ينبغي أن يراهننَّ، من حيثٍ إلى حيثٍ تعلق بها، قام ليُصلِّي فرأى في نفسه تكاسلًا، شعر بالمخالفة والمعصية، استمراً هذه العلاقة وذلك التكاسل حتى انقطع عن الله عزَّ وجلَّ، حالات كثيرة جدًا سبب انقطاع الإنسان عن الله، ون مجالس العلم أحياناً، أنه وقع في مُخالفة متعلقة بالنساء، ولو على مستوى النظر، أو مستوى الكلام، أو مستوى الحديث، حتى على هذا المستوى هذه معصية تقطع عن الله عزَّ وجلَّ.

الحديث الثاني:

بشرارة قالها النبي عليه الصلاة و السلام للنساء كافةً، أو للنساء المؤمنات، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أَيْمَأْ امْرَأٌ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

[الترمذى عن أم سلمة]

لأن رضا الزوج ربع دين المرأة، عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إِذَا صَدَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قَيْلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَئْ))

[أحمد]

طاعة الزوج في المعروف سبب دخول الجنة

فطاعة الزوج وإرضاؤه فيما لا يُغضب الله عز وجل، هذا يكفي كي تدخل المرأة الجنة، وقلما تجد رجلاً راضياً عن زوجته كل الرضى، ولو تعلم المرأة حق الزوج ما قعدت ما لم يحضر طعامه أو غذاؤه، لكن طبعاً الزوج المؤمن، لأن الزوج المؤمن يعرف حق المرأة أيضاً. هذا الحديث رواه الترمذى، وقال حديث حسن.

الحديث الأول متفق عليه، وهو أعلى درجة من الصحة، ما انفق عليه الشیخان الإمام البخاري والإمام مسلم، وهذا الحديث كأنه ضوء أحمر خطر، اجعل هذا الحديث بالقلم الأحمر:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنِ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

وجوب اتخاذ الأسباب لاتقاء فتنة النساء

فإنسان يستعين بغض البصر، يستعين بترك الأماكن الموبوءة، يستعين بترك رفقاء السوء، بترك الحفلات المختلطة، بترك مكان فيه امرأة لا تخشى الله عز وجل، بقطع العلاقة مع كل قريبة لها تطاول من حيث الاختلاط مع الرجال، هذا كلّه من أجل الحفاظ على الدين

والحمد لله رب العالمين

التربيـة الإـسلامـية - الحـقـوق - حـقـوق الـزـوـج عـلـى الـزـوـجـة - الدـرـس (٢ - ٢) : قـوـامـة الرـجـل وـحـقـوقـه عـلـى زـوـجـتـه.

لـفـضـيـلـةـ الـدـكـتـورـ مـحمدـ رـاتـبـ النـابـلـسـيـ بـتـارـيخـ ١٩٨٩-٠٨-٢٠

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ

آية قـرـآنـيةـ أـصـلـ فـيـ حـقـوقـ الزـوـجـينـ

نـتـنـقـلـ أـيـهـاـ الإـخـوـةـ فـيـ رـيـاضـ الصـالـحـينـ إـلـىـ بـاـبـ جـدـيدـ،ـ هـوـ الـبـاـبـ الـخـامـسـ وـالـثـلـاثـونـ،ـ وـعـنـوانـ الـبـاـبـ:ـ حـقـ الزـوـجـ عـلـىـ الـمـرـأـةـ،ـ وـكـمـاـ هـيـ عـادـةـ الـإـمـامـ النـوـويـ مـؤـلـفـ الـكـتـابـ – رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـىـ – حـيـثـ يـبـدـأـ الـبـاـبـ بـآيـةـ قـرـآنـيـةـ مـتـعـلـقـةـ بـأـحـادـيـثـ هـذـاـ الـبـاـبـ،ـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ:

﴿ الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَاتِنَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفَظَ اللَّهُ ﴾

(سورة النساء: الآية ٣٤)

١ - لا خـيـارـ لـمـؤـمـنـ أـمـامـ أـمـرـ اللـهـ وـنـهـيـهـ

الـحـقـيـقـةـ أـنـ الـإـنـسـانـ أـمـامـ كـتـابـ اللـهـ جـلـ وـعـلاـ،ـ وـأـمـامـ سـنـةـ رـسـوـلـ اللـهـ لـهـ مـوـقـفـ،ـ هـذـاـ الـمـوـقـفـ مـوـقـفـ التـعـبـدـ،ـ هـذـاـ أـمـرـ إـلـهـيـ،ـ أـنـتـ مـخـيرـ فـيـ أـمـورـ الـدـنـيـاـ ؟ـ كـمـؤـمـنـ مـخـيرـ أـنـ تـسـكـنـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ،ـ أـوـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ،ـ أـنـ تـنـزـوـجـ هـذـهـ الـمـرـأـةـ أـوـ تـلـكـ الـمـرـأـةـ،ـ أـنـ تـعـمـلـ عـمـلـاـ حـرـاـ أـوـ عـمـلـاـ وـظـيفـيـاـ،ـ لـكـنـاـكـ كـمـؤـمـنـ صـادـقـ إـذـاـ كـانـ هـنـاكـ أـمـرـ فـيـ الـقـرـآنـ فـإـنـهـ:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٥)

إـذـاـ وـجـدـ تـوـجـيهـ قـرـآنـيـ،ـ حـكـمـ رـبـانـيـ،ـ أـوـ أـمـرـ،ـ أـوـ نـهـيـ،ـ فـيـ كـتـابـ اللـهـ وـاصـحـ الدـلـالـةـ،ـ قـطـعـيـ الثـبـوتـ،ـ قـطـعـيـ الدـلـالـةـ،ـ فـأـنـتـ كـمـؤـمـنـ لـيـسـ لـكـ خـيـارـ،ـ فـرـبـنـاـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ هـوـ الـصـانـعـ،ـ وـهـوـ الـذـيـ صـمـمـ نـظـامـ الزـوـاجـ،ـ هـذـاـ الزـوـاجـ أـوـ هـذـهـ الـأـسـرـةـ لـهـاـ نـظـامـ،ـ مـنـ لـوـازـمـ نـظـامـهـاـ أـنـ لـابـدـ لـهـاـ مـنـ قـائـدـ،ـ وـالـسـؤـالـ الـآنـ:ـ لـمـاـذـاـ يـعـصـيـ النـاسـ رـبـهـمـ ؟ـ وـالـلـهـ هـذـاـ سـؤـالـ مـهـمـ،ـ مـعـظـمـ النـاسـ غـارـقـونـ فـيـ الـمـعـصـيـةـ،ـ هـنـاكـ تـوـجـيهـاتـ قـرـآنـيـةـ،ـ هـنـاكـ تـوـجـيهـاتـ نـبـوـيـةـ لـاـ أـحـدـ يـقـيـمـ لـهـاـ وـزـنـاـ،ـ أـيـ يـنسـاقـ وـرـاءـ نـزـوـاتـهـ وـشـهـوـاتـهـ،ـ وـسـاعـةـ يـقـودـهـ الـهـوـيـ،ـ وـسـاعـةـ تـقـودـهـ الـمـصـلـحةـ،ـ وـسـاعـةـ يـقـودـهـ الـنـقـلـيدـ الـأـعـمـىـ،ـ أـمـاـ

أن يتحرك الإنسان وفق أمر الله تماماً، أو ينتهي عما نهى الله عنه تماماً فهذا يحتاج إلى شيء آخر.

الحقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعا إلى الله في مكة بقي ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى معرفة الله، بعدها نزل التشريع، فكان الطريقة المثلثة أن تعرف الأمر أولاً، ثم الأمر ثانياً، فإذا كان أمر الله بين يديك في الكتاب والسنة، ولم تعرف الأمر معرفة كافية يسهل عليك أن تختلف أمر الله عزّ وجلّ، يسهل عليك أن تعصيه، يسهل عليك ألا تنتهي عما عنه نهاك، لأنّه مجموعة أوامر في الكتاب والسنة، لكنك إذا عرفت من هو الله عزّ جلّ ماذا يعني أن تعصيه؟ إذا عرفت ما عند الله من إكرام، ما عند الله من عقاب، إذا عرفت الله حق المعرفة، أي أن يقطع الجسم إرباً إرباً أهون من أن تختلف أمر الله عزّ وجلّ.

٢ - لا بد للزواج أن يكون مبنياً على شرع الله

لذلك الزواج في الإسلام هو شيء رائع جداً، لكن إذا كان الزواج في جو من عدم التطبيق من أمر الله عزّ وجلّ يغدو جحيناً، لأن الزوجة تتبعي حظ نفسها، والزوج يتبعي حظ نفسه، وكلّاهما وقد تتصادم هذه الحظوظ، ومن تصادمها تأتي المشكلات يأتي الشقاقي، والنفاق يأتي الخصومات، لذلك شيء مهمٌ جداً أن تعرف من هو الأمر، كما قال سيدنا بلال: <> لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت <>.

٣ - في الحياة ثواب

في بالي مقدمة قبل أن أمضي في شرح هذه الأحاديث المتعلقة بحق الزوج على المرأة، هناك أشياء ثوابت في الحياة، فهذا الكون أليس كوناً عظيماً؟ أي لو نظرت إلى المجرات لهاك هذا النظر لرأيت الأرض وما حولها من كواكب سيارة لا تعدو نقطة في فراغ، وهذه المجرات التي تزيد على مليون مليون مجرة، وفي كل مجرة ما يزيد على مليون مليون نجم، والمسافات بين النجوم لا يعلمها إلا الله، وهي مسافاتٌ خيالية، هذا الكون بمجراه، بكازاراته، بمذنباته، هذا الكون بما فيه من آياتٌ دالةٌ على عظمة الله لمن سخره الله عزّ وجلّ؟

أليس هناك آياتٌ في كتاب الله محكماتٌ تؤكد أن الله عزّ وجل سخر هذا الكون للإنسان؟ بلا شك إطلاقاً وبكل تأكيد الكون مسخر للإنسان، والدليل:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

(سورة الجاثية: من الآية ١٣)

٤ - مَاذا عليك أن تقدمه مقابل تسخير الله الكون لك ؟

فإذا كان هذا الكون كله مسخراً لي كإنسان، ماذا يُطَلِّبُني الله عزّ وجلّ؟ يجب أن يكون هناك مطالبة بقدر هذا التسخير، فإذا أعطينا إنساناً أعلى راتب في الدولة، معنى هذا أنه هناك مسؤوليات كبيرة أمامه، إذا أعطينا ميزات كبيرة جداً، معنى هذا أن مقابل هذه الميزات مسؤوليات، هذه النقطة الدقيقة، أي أن هذا الكون كله بما فيه، فكم من أنواع الأشجار؟ وكم من أنواع الأزهار؟ وكم من أنواع الأطياف؟ وكم من أنواع الأسماك؟

هذا الجسد بما فيه من أجهزة، من عضلات، من قلب، من رئتين، بما حولك من بيئه، ومن ظروف، من سماء، من هواء، من ماء، من بحار، من نجوم، من أطياف، هذا الكون كله مسخراً للإنسان، ماذا يقتضي هذا التسخير؟ أن تعبد الله عزّ وجلّ، إذاً: أنت مقابل هذا الكون العظيم مكلفٌ أن تعرفه معرفةً عظيمة، وهذه المعرفة العظيمة من لوازمه أن تطيعه طاعةً تامة، ومن نتائج هذه الطاعة التامة أن تسعد في الدنيا والآخرة، أي أن الهدف الأكبر من خلق السماوات والأرض، ومن خلق الإنسان هو أن يُسعدك في الدنيا والآخرة، هذا هو الهدف الأكبر، ولكن هذه السعادة لا متناهية، وهي تحتاج إلى عملٍ طيبٍ جداً منه وطاعةً وبذلٍ، هذا العمل الطيب يحتاج إلى معرفة طيبة، وهذه المعرفة الطيبة تحتاج إلى كون عظيم، هذا الكون العظيم هدفه أن تعرف الله من خلاته، هذه سلسلة؛ كونٌ معجز، إذا تأملت فيه عرفت أن هناك إلهاً عظيماً لا حدود لعظمته، وأنه سخر لك هذا الكون لتعرفه ولتحبه، فإذا عرفته حق المعرفة أطعنه حق الطاعة، إذا أطعنه حق الطاعة سعدت بهذه الطاعة في الدنيا والآخرة.

لذلك عندما يمرُّ معك أمرٌ، الآن أنت كزوج أو كزوجة إذا مر أمرٌ قرآنٌ فالقضية خطيرةً جداً، هذا الأمر تنفيذٌ جزئيٌّ لما يتوجب عليك تجاه خالق الكون الذي سخر لك الكون كله، هذه هي العقدة، فأنت تجد إنساناً لا يبالي بأمر الله عزّ وجلّ، الله هين عليه، وأمره هين، ومعصيته هينة، ومخالفة أمره هينة، وأن يخرج حدوده، فهذا شيءٌ سهلٌ بسيط، يقول لك: لا تدقق، ولا تعتقد، والله غفور رحيم، ونحن عبيدٌ لحسان، ولسنا عبيدٌ لامتحان، والله عزّ وجلّ لا يضع عقله بعقانينا ويحاسبنا، فهذا كلام الجهلة، لكن ربنا عزّ وجلّ حينما خلق هذا الكون من أجلنا، فهو ينتظر

منا أن نعرفه معرفةً صحيحةً، وينتظر منا أن نشكره، فإذا عرفناه، وشكراً ناه فمن لوازم المعرفة والشكر الطاعة التامة، الطاعة التامة تنتهي بالسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، من هنا جاء توجيهه عزّ وجلّ:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(سورة النساء: من الآية ٣٤)

٥- قوامة الرجل على المرأة

أي أن هذه الأسرة كسفينة ومركبة لها قائد واحد، لابد من أحد الطرفين أن يكون هو القائد، فربنا عزّ وجلّ قال:

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

(سورة النساء: من الآية ٣٤)

لقد جعل الله عزّ وجلّ الرجل متكاماً مع المرأة، فالرجل والمرأة متساويان في التكليف وفي التشريف، في التكليف؛ أي كلاهما كُلُّه بمعرفة الله عزّ وجلّ، وفي طاعته، وفي التقرب منه، والرجل كالمرأة في التشريف، أما التكليف في بقية التكاليف فهما مختلفان كالجهاد والجماعات وغيرها.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاسِعِينَ وَالْخَاسِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٥)

إلى آخر هذه الآيات، أي من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى فاستجاب لهم ربهم:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى﴾

(سورة آل عمران: من الآية ١٩٥)

٦- الرجل والمرأة: أوجه التشابه والاختلاف

المرأة والرجل متساويان في التكليف وفي التشريف، لكن هناك بون شاسع بين بنية المرأة وبنية الرجل، المرأة لها بنية نفسية، ولها بنية جسدية، ولها بنية عقلية، تتناسب مع أعظم وظيفة خلقها الله من أجلها وهي رعاية الأطفال، والرجل له بنية عقلية خاصة، وله بنية نفسية خاصة، وله بنية جسمانية خاصة، تتناسب مع دوره في الأسرة لكسب الرزق، وإدارة دفة هذه السفينة، ولا تخاذل

القرار لبعد الرؤية، إذًا هناك تكامل، فربنا عز وجل اختار الرجل على علم وعلى تصميم دقيق ليكون هو قائد هذه الأسرة، إذًا:

﴿الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

الرجل عقله يغلب عاطفته، الرجل بعد نظره أشد من بعد المرأة في النظر، المرأة تنظر إلى ما يحيط بها، تنظر إلى المظاهر بشكل يلفت النظر، لكن الرجل ينظر إلى حقيقة الحياة، فلا تعنيه المظاهر بقدر ما تعنيه جوهر الحياة، وليس هذا انتقاداً من المرأة، فالمرأة لها دور، والرجل له دور، وكل منها مكانة عند الله، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما قال للمرأة:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

فوالله هناك امرأة صائمة قائمة مطيبة لزوجها تعدل ألف رجل، ألف بل عشرة آلاف، أو مئة ألف، فالقضية عند الله بالاستقامة والعمل:

﴿الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

أي أن الرجل له القوامة، وله الإدارة، وله الإشراف، وله القرار، وله القيادة، إلا لو كان هو قد تخلى عن القيادة لزوجته مثلاً، تدخل هي على محل قبله، وتتكلم، وهو يبقى ساكتاً، هو لدفع الثمن، هناك حالات هو يتخلى عن دوره، وهذا بحث ثانٍ، أما ربنا عز وجل فقد صمم الأسرة بنظام فقال:

﴿الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

يروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه في إدارته لشؤون الرعية اتخذ قراراً من أحد الأشخاص، يبدو أن زوجته رضي الله عنها سألته في ساعة سرور أن هذا الرجل ما شأنه؟ سؤال فقط، ولماذا فعلت معه هكذا؟ وهي لم تتدخل في شؤونه، ولم تطلب منه توقيف هذا القرار، ولم تطلب منه اتخاذ قرار آخر، ولم تطلب العفو عنه أبداً، بل إنما سألته: ما شأن هذا الرجل؟ وما كان منه رضي الله عنه إلا أن قال لها: < يا أمة السوء، وما شأنك أنت بهذا؟ >< وما علاقتك أنت بهذا الأمر، خليفة المسلمين يسمح لامرأة أن تتدخل بشؤونه؟ امرأة على العين والرأس، ولها مكانة عظيمة جداً عند الله، لكن في دائرة اختصاصها، لذلك: " رحم الله عبداً عرف حده، فوقف عنده، ولم يتعد طوره ".

إذا:

﴿فَضَلَّ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

هنا بمعنى أن الله آتى الرجل قوة في العضلات، قوة في الجسم، وآتاه قوة في العقل، وآتاه قوة في العقل على حساب العاطفة، لأن بعض المواقف يقتضي القسوة أحياناً، بعض المواقف تقتضي الجرأة، المرأة بحكم عاطفتها الغالبة قد لا تستطيع أن تقف موقفاً متيناً من قضية معينة.

٧- التعليل القرآني لقوامة الرجل على المرأة

الآن:

﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

ربنا عز وجل ذكر تعليلين.

أول تعليل:

﴿بِمَا فَضَلَّ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

والتعليق الثاني: بما أنفقوا من أموالهم.

٩- من صفات المرأة الصالحة

الآن:

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَاتِنَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾

(سورة النساء: الآية ٣٤)

أي طائعات، هذه المرأة الطائعة حافظة للغيب، أي تحفظ نفسها في غيبة زوجها، تحفظ نفسها وماليه، أي أن أعلى صفة في المرأة أنها إذا غبت عنها حفظك في نفسها وفي مالك، في نفسها أي لا تسمح لأحد أن ينظر إليها، ولا أن يكلمها كلاماً:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقُولِ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٢)

هناك نساء في غيبة أزواجهن يفتحن الباب لإنسان طرق الباب، ويحدثن هكذا بطلاقة، ولا يتحفظن باللباس أمامه، يفتحن الباب على مصراعيه باستهتار، فهذه لم تحفظ نفسها، وهذه كأنها تدعوا الناس إليها، وهذه كأنها على وشك أن تخون زوجها، لكن المرأة المؤمنة:

﴿ حَافِظَاتُ الْغَيْبِ ﴾

لذلك في المغرب عادات طيبة جداً، إذا طرِقَ الباب فتعيد الطرق على الباب من الداخل، أي نحن هنا فتكلم ما تريده، أما أهلاً وسهلاً، تفضل الآن ستأتي، ارتاح، وادخل لقدم لك فنجان قهوة، هذه ليست مسلمة، فالمرأة المسلمة تحفظ نفسها في غيبة زوجها، لذلك عن ابن عباس قال: جاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِنَّ عِنْدِي امْرَأَةً هِيَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَهِيَ لَا تَمْتَعُ يَدَ لَامِسٍ، قَالَ: طَلَقُهَا...))

[النسائي]

هذه المرأة التي لا تحفظ نفسها في غيبة زوجها لا تؤمن، وهناك مفهوم عند النساء خاطئ، أنها شريفة، ولا أحد أن يستطيع أن يكلمها، ولا أحد يستطيع أن يتطاول معها، لكنها تظهر هكذا على الشرفات من غير احتياط، ومن غير تستر، هذه التي تُبرز مفاتنها للناس ليست شريفة بالتأكيد، هذه التي تعرض مفاتنها على الناس باستهانة هذه ليست مسلمة، وإن صلت، وصامتت، وزعمت أنها مسلمة، فالمرأة المسلمة:

﴿ حَافِظَاتُ الْغَيْبِ ﴾

أي تحفظ نفسها في حضرة زوجها، وفي غيبة زوجها، وتحفظ ماله، أي أن البخل في هذا الموطن من صفات المرأة الفاضلة، لأن هذا المال مال زوجها هو الذي ينفق:

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

هذه المودة بين الزوجين، لذلك الوصية المرأة الثابتة لابنتها: " يا بنتي، خذِي عنِي عشر خصال تكن لك ذخراً وأجرًا، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتقدُّم بموضع عينه، والتَّعهد لموضع أنفه؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتتغیص النوم مبغضة، وإياك والفرح إن كان تَرَحاً، والترح إن كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكثير، ولا تعصي له أمراً، ولا تُفْشِي له سراً، إنك إن عصيت أمره أو غرت صدره، وإن أفشلت سره لم تأمني غدره..." إلى آخر الوصية.

المرأة:

﴿ حَافِظَاتُ الْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(سورة النساء: من الآية ٣٤)

هذا معنى الآية الكريمة:

﴿الرَّجَلُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

فإذا هو كان أقل منها ورأعاً، وأقل منها علماً، وأقل منها بُعد نظر، ولم ينفق من ماله عليها شيئاً، والله هي القوامة عليه، فإذا كان هو أعلى منها في الورع والعلم والتقوى والصلاح وأنفق من ماله عليها ملك القوامة، فإن لم يفعل كانت هي التي تنفذ أمرها، وهو لا يغير جواباً.

آحاديث نبوية في حقوق الزوجين

أول حق للزوج على المرأة كما قال عليه الصلاة والسلام:

الحديث الأول:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضِبًا عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

[متفق عليه]

هذا الحديث متافق عليه أي رواة البخاري ومسلم، والحديث واضح، وفي رواية للبخاري ومسلم أنه:

((إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

أي أن الزواج أساسه هذا اللقاء بين الزوجين، فإذا ابتعدت عن زوجها، وهجرت فراشه لعنتها الملائكة حتى تصبح طوال الليل.

يتقرع من هذا الحق أنه لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد، طبعاً صيام النفل، أما صيام الفرض فلا تستأننه، صيام الفرض لا يحتاج إلى إذنٍ قط لأنه:

((لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ))

[أحمد عن ابن مسعود]

مهما يكن هذا المخلوق، كأب يقول لابنه: برضاي عليك طلقها، ما هذا؟ تطليقها ظلم، فهي زوجة فاضلة، أي رضا هذا؟

((لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ))

حيث ما كان الأمر مخالفًا لأمر الله عندئذ الرضا والغضب يستويان.

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره))

[متفق عليه]

ما معنى شاهد؟ أي مقيم في البيت، أما لو أنه مسافر فلها الحق أن تصوم صيام النفل من دون إذنه، أما إذا كان شاهداً أي مقيماً فإنه سوف يجيء الظهر إلى البيت.

((ولا تأذن في بيته إلا بإذنه))

أي أن تأذن لرجل أو امرأة بدخول البيت من دون إذنه فهذا لا يجوز، دخول الأشخاص إلى البيت يحتاج إلى إذن الزوج، لو فرضنا الزوج أعطى تعليمات: لا أسمح لك أن يدخل بيتي ابن عمك، هذا طبعاً لا يجوز بغيابه، فتدخله وتقول: والله جاء من سفر فاستحبب منه، فهذا كلام فارغ هذا، هذا البيت له قيادة، والقيادة بيد الزوج فإذا منعها من مخالفه أمر الله عز وجل يجب أن تتمتع، وإذا منعها من ألا تخالف أمر الله عز وجل يجب أن تتمتع.

الحديث الثالث:

و عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أيا امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة))

[سنن الترمذى، وقال حديث حسن]

أي أن زوجها المؤمن راض عنها، أي أنها تقوم بحقه قياماً تماماً؛ ترعى أولادها، وترعى حقوقه، وترعى حاجاته، إذاً وفرت لهذا الزوج الطمأنينة، وفرت له راحة البال، وفرت له الراحة النفسية، جعلته ينطلق في عمله، جعلته ينتج، جعلته عضواً نافعاً في المجتمع، أما هذا الإنسان القلق في بيته فطوال الليل مشاحنات وبغضاء، هذا إذا انطلق إلى عمله لا ينتج، لأنه شارد البال، فهذه المرأة التي توفر لزوجها الراحة النفسية وطمأنينة بهذه امرأة شريكه في الأجر، يقولون: " ما من عظيم إلا وراءه امرأة " ، لكن امرأة صالحة، وهذا الكلام له معنى مقبول، أن الإنسان عندما انطلق في العمل الصالح، وعندما انطلق في خدمة المجتمع معنى ذلك أن باله مرتاح، قال الله عز وجل:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَّهُمْ ﴾

(سورة محمد)

من وفر له هذه الراحة؟ أنا عندما أقرأ كتاباً أعزب، لأن أكثر الكتب يهدى المؤلفون الكتاب إلى زوجاتهم، والله معهم حق، فقد يكتب: إلى التي وفرت لي هذا الجو، وهو جو التأليف، إلى التي وفرت لي هذا العمل العلمي الهادئ، وإذا كان طول النهار في مشاكلات بينه وبينها فلا يوجد تأليف، يتوقف التأليف، يجب أن يكون هناك هدوء، وراحة بال، وسلامة، ومواعدة، وشعور متبادل بمعرفة قدر الآخر، فهذا الذي يقوله عليه الصلاة والسلام:

﴿ (إِيمَانًا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ) ﴾

المشكلة هي إذا أرادت المرأة أن ترضي ربها بخدمة زوجها، وإذا أراد الرجل أن يرضي ربه بخدمة زوجته، هذا هو الوضع الأمثل، أي أنه حينما تُعامل إنساناً لذاته قد لا يستحق، هناك أزواج لا يستحقون معاملة طيبة، وهناك زوجات لا تستحق إداهن المعاملة الطيبة، فإذا أراد الزوج أن يعاملها على عملها، أو أرادت هي أن تعامله على عمله وقع الخصام والشقاق، لكن إذا أراد الزوج أن يتقرب إلى الله بالإحسان إليها، وإذا أرادت هي أن تقرب إلى الله بالإحسان إليه، نشأت السعادة الزوجية، لذلك أي زواج يبني على طاعة الله يتولى الله التوفيق بين الزوجين.

بالمناسبة، وهذه الكلمة عابرة قد لا تكون لها علاقة متينة بالدرس، لكن أحب أن أقولها، غض البصر من قبل الزوج ومن قبل الزوجة له دور كبير في التفاهم الزوجي، لأن عندما يرى الله عز وجل هذا المؤمن يغض بصره عن الحسنات في الطريق خوفاً من الله عز وجل، فأول مكافأة له أنه يوفق بينه وبين زوجته، تجد أن هذا الزوج يحب زوجته، وهي كذلك، فغض البصر من قبل الزوج ومن قبل الزوجة له دور في توفير السعادة الزوجية، وهذا الشيء مهم جداً، لأن ربنا عز وجل يقول:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

(سورة النور)

أي إذا ظنت أيها الرجل أنك إذا نظرت إلى المرأة الأجنبية، وتمليت من محسنها هو أزركي لك، فأنت مخطئ، خالقك مربيك، ومسيرك يقول لك:

﴿ ذَلِكَ أَزْكَ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾

أي أكثر راحه لك، والمكافأة سريعة في نفس اليوم، أحياناً تكون المكافأة بعد شهر، المكافأة في نفس اليوم، حيث أن كلما بالغت في غض البصر وجدت في البيت السعادة الزوجية، والحقيقة أن

السعادة الزوجية شيء مهم جداً، فإذا كان الإنسان مرتاحاً في بيته فإنه يمكن أن ينطلق في عمله ويدفع، أما إذا كان في بيته معذباً، وفي بيته نك ومشاحنة انعكس ذلك سلباً على حياته العملية، فمن الحكمة البالغة أن الإنسان يحسن معاملة زوجته، قال ربنا عز وجل:

﴿وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء: من الآية ١٩)

الحديث الرابع:

أمر إلهي، الله عز وجل يأمرك أن تعاشرها بالمعروف، واستوصانا بالنساء خيراً، استوصانا بالضعيفين المرأة واليتيم، استوصانا بالنساء، فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[سنن الترمذى]

((ما أكرمنهن إلا كريم، ما أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، يغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، لا أن أكون لئيناً غالباً))

[ورد في الأثر]

فلذلك المؤمن ينبغي أن يفعل ذلك.

((أَيْمًا امْرَأٌ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

والله من بعض السنوات كنت حاضراً في تعزية في حي الميدان، وبحسب معلوماتي أن الزوجة توفيت عن ثمانين عاماً، والزوج عمره خمس وتسعون سنة، فوجدته يبكي بكاء مرأ، في هذا السن يبكي، وعندما انتهت التعزية بدأ الحاضرون يواسونه فقال: "ولم لا أبكي؟ والله عشت معها خمسة وأربعين عاماً ما نمت ليلة واحدة وأنا غاضب عليها".

يقول لك رجل آخر: "والله لا يوجد يوم انبسطت معها"، حتى اتفق أحدهم مع زوجته فقال لها: يوم للخصام ويوم للراحة، في يوم الراحة قالت له: "غداً الخصومة، فحضر نفسك.

((أَيْمًا امْرَأٌ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))

الحديث الخامس:

عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قَبْلَ لَهَا: ادْخُلِي
الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[مسند أحمد]

أي أن طاعة الزوج رب دينها.

الحديث السادس:

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجُهُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِنِيهِ، قَاتَلَكَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا
هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا))

[سنن الترمذى]

لا يجوز إغاظة الزوجة

((لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا))

سبحان الله ! أنا أعجب أشد العجب كيف أن زوجاً أحياناً يتمنى أن يغيظ زوجته ؟ ينطلق بشكل واضح ومركز كي يغطيها، وكيف أن امرأة تفكر في أن تغrieve زوجها ؟ هذا الوضع مرضي، لأنه خلاف الآية الكريمة:

﴿ وَمَنْ أَيَّاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم: من الآية ٢١)

انظر إلى تصميم ربنا عز وجل، التصميم أن تسكن إليها، وأن تكون بينك وبينها المودة والرحمة، هذا تصميم ربنا، ما الذي يحدث ؟ تزيد أن تغrieveه ؟ يوم الجمعة الغسل بأصعب وضع، مع توجيهات أن ضايقيه، هذا منتهي الحمق، ومنتهي الغباء، ومنتهي البعد عن الله عز وجل، لا يصح لامرأة أن تغrieve زوجها، ولا يصح لزوج أن يغطي زوجته، يقع خدام، ويقع سوء تفاهم، هذا شيء طبيعي، لكن لا ينطلق الإنسان من خلاف عفوی إلى خلاف مقصود، لا ينطلق من خلاف عفوی إلى خلاف مركز.

النصيحة الأولى:

والنصيحة التي أقدمها لكل أخ، طبعاً لا يوجد زوجين من غير مشكلة إطلاقاً، هذا كلام غير واقعي، فهذه النفس غير هذه النفس، لها طلب، وهذا الطلب هو لم يوافق عليه، فصارت المشاحنة، أي أن هذا الشيء لابد منه.

فَعَنْ أَنَّسٍ قَالَ :

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحَّفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ التِّي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحَّفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحَّفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحَّفَةِ، وَيَقُولُ : غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَيَ بِصَحَّفَةٍ مِّنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحَّفَةَ الصَّحِيحةَ إِلَى الَّتِي كُسِّرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))
ومرة كسرت صحنها، جاءها طعام من عند ضرتها فكسرت الصحن، والنبي عليه الصلاة والسلام عاتبها.

وسيدنا عمر جاءه شخص يشكو امرأته فسمع صياحاً فرجع، فسمع صوت طرق الباب، ذهب فرأى شخصاً راجعاً، فناداه، وقال له: <تعال، لماذا جئتني؟ فقال له: جئتك أشكو مما أنت منه تشكوا ><.

هذا شيء طبيعي، ولكن الإنسان لا ينطق من إغاظة الزوجة، فهذا لا يجوز، وهي بالمقابل لا تطلق من إغاظة زوجها فتكون قد خالفت الآية الكريمة، خالفت نص القرآن الكريم.

النصيحة الثانية:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِّنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

تكون عندك فتنشأ مشكلة، أول كلمة يطردها إلى بيت أهلها، وفي بيت أهلها تغذية، هناك خالتها وعمتها، وابنة خالتها وأختها الصغيرة، وأختها الكبيرة، فيقولون لها: ماذا تريدين منه، وأنت تستحقين أحسن منه؟ كان الأمر بسيطاً جداً، ويحل في يوم أو يومين، الآن وصل الأمر إلى

الطلاق، وعندما لا يخبرونه بعد جمعة أو جمعتين يمتلك من الغيظ لأنه لم يخبرها، وهذه حلقة مفرغة ومضحكة، هي تنتظر أن يتصل بها، وهو ينتظر أن تتصل به، وكل واحد منها ركيه الشيطان، وأخذ منه كل مأخذ، وابتعد عن الآخر، أليس الأحسن أن تبقيها عندك في البيت وثاني يوم تصالحون؟ وأنا أعني ما أقول بالضبط، أن أكبر مشكلة بين الزوجين تنتهي بعد أيام نهاية طبيعية إذا بقىت الزوجة في بيت زوجها، وأصغر مشكلة بين زوجين قد تنتهي بالطلاق إذا خرجت من بيت زوجها، فاللاب العاقل لا يستقبل ابنته وهي غضبي، بنفس الليلة يحل الموضوع، يرجعها إلى بيت زوجها ويصالحهم، ولا يطمعها، يقول لها: صدر البيت لك، كلي واركلي السفرة برجلك، هذا الكلام كله سخيف، أنا سمعت أن السلف الصالح إذا كانت ابنته غاضبة من زوجها، فيتفق مع الأم؛ اليوم تعزلي البيت، وغداً تعملني محنة، وثاني يوم نعمل لك مشكلة، حتى تجد هذه الابنة أن بيت زوجها أفضل من بيت أهلها، فهناك آباء عقلاً جداً، إذا رأوا أن البنت حرت، ويوجد خصام فيريها معاملة فاسدة، ويريها اشتراكاً، ويريها الخشونة في المعيشة، وأعمال مُرْهقة، وخ GAMMAM Mُفْتَل، وتمثيلية بالخصام، كي تكره الابنة أن تأتي إلى بيت أهلها، وهذه هي الحكمة.

وهناك آباء يطمئنون بناتهم، يقولون لها: ماذا تريدين منه اتركيه، غيظيه، هكذا حتى يقع الطلاق، وبعدها تقع المشكلة، فهذا كله من معاناة المجتمع المسلم، وهناك جهل كبير جداً.

أحياناً تجد أمّا لا ترضى إلا وأن تبقى مسيطرة على ابنتها بعد الزواج، تجعل حياة ابنتها حسماً بيدها، هذه أم؟ لذلك: عن أسماء بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

((قَمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَةٌ مَنْ يَدْخُلُهَا الْفُقَرَاءُ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ مَحْبُوسُونَ، إِلَّا أَهْلَ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَّ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَوَقَتْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَةٌ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ))

[أحمد]

يجب أن يأخذ الرجل احتياطاً، الحق هو أن تقف على الحق تماماً، إذ:

((لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَاتَتْ زَوْجَهُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِيَهُ، قَاتَكَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا))

لم يقل أحد الصحابة عندما طلبت منه زوجته ما فوق طاقته، قال لها: <> اعلمي يا أمّة الله، أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إداهن على الدنيا لغلب ضوء وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحي بك من أجلك أهون من أن أضحي بهن من أجلك <<.

هذه المرأة يجب أن تعرف حجمها وحدها.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[صحيح مسلم]

أي أن المرأة أكبر مأخذ للشيطان، وإن إيليس طلاع رصاد.

وما هو من فخوهه – عنده شباك كثيرة، فخوخ جمع فخ – وما هو من فخوهه بأوثق لصيده في الرجال من النساء ".

إن أضخم فخ عنده للرجال النساء، فليتق الله الإنسان، وليبتعد عن مواطن الشبهات.

والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني : حق الزوجة على الزوج

- ١ - حق الإنفاق عليها وحقها بعدم الإساءة لها وحسن المعاشرة
- ٢ - حقها في هدایتها ورعاية دينها وأخلاقها

التربيـة الإسـلامـية : الحـقـوق - حـقـ الـزـوـجـة عـلـى الـزـوـج - الـدـرـس (١ - ٢) : حـقـ الإنـفـاق عـلـيـها وـحـقـها بـعـدـ الإـسـاءـة لـهـا وـحـسـنـ الـمـاعـشـة.

لـفـضـيـلـةـ الدـكـتـورـ مـحمدـ رـاتـبـ النـابـلـسـيـ بـتـارـيخـ ١٩٨٩ـ ١٠ـ ٨ـ

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ

الـأـصـلـ فـيـ الـعـلـاقـاتـ الـزـوـجـيـةـ الـمـوـدـةـ وـالـرـحـمـةـ

لـكـنـ الـحـيـاةـ الـزـوـجـيـةـ حـيـاةـ مـصـيرـيـةـ،ـ
يـعـنـىـ ؛ـ أـنـكـ إـذـاـ رـزـقـتـ مـنـ هـذـهـ الـزـوـجـةـ
بـأـوـلـادـ فـإـنـ الـفـرـاقـ يـعـنـىـ تـشـرـدـ الـأـوـلـادـ،ـ
فـلـهـذـاـ كـانـ النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ
حـرـيـصـاـ حـرـصـاـ لـاـ حدـودـ لـهـ عـلـىـ أـنـ
يـكـونـ الـوـفـاقـ بـيـنـ الـزـوـجـيـنـ تـتـفـيـداـ
الـمـخـطـطـ إـلـهـيـ الـذـيـ يـبـدوـ مـنـ قـوـلـهـ
تعـالـىـ :



الـفـرـاقـ بـيـنـ الـزـوـجـيـنـ تـعـنـىـ التـشـرـدـ لـلـأـوـلـادـ

﴿ وَمَنْ آتَيْهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾

(سورة الروم: الآية ٢١)

إـنـ الـأـصـلـ فـيـ الـعـلـاقـاتـ الـزـوـجـيـةـ الـمـوـدـةـ وـالـرـحـمـةـ،ـ هـذـاـ هـوـ التـخـطـيـطـ إـلـهـيـ هـذـاـ هـوـ الـوـضـعـ
الـطـبـيـعـيـ،ـ هـذـهـ هـيـ الصـحـةـ الـنـفـسـيـةـ بـيـنـ الـزـوـجـيـنـ،ـ فـلـوـ أـنـ بـيـنـ الـزـوـجـيـنـ مشـاحـنةـ أوـ بـغـضـاءـ،ـ أوـ
جـفـاءـ،ـ إـنـ هـذـاـ حـالـةـ مـرـضـيـةـ تـقـضـيـ الـمـعـالـجـةـ.

حـرـصـ النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ عـلـىـ سـلـامـةـ الـحـيـاةـ الـزـوـجـيـةـ

إـنـ النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ حـرـصـاـ مـنـهـ،ـ وـقـدـ أـنـبـأـنـاـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ بـأـنـهـ حـرـيصـ عـلـيـناـ.

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(سورة التوبـةـ:ـ ١٢٩ـ)

من حرصه صلى الله عليه وسلم على أن يكون في كل بيت مسلم، أن يكون في كل بيت من بيوت المسلمين سعادة مظلة، من حرصه هذا عليه الصلاة والسلام وجهنا توجيهات كثيرة فيما يتعلق من حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها.

الحقيقة أن الأزواج دائمًا يتحدثون عن حقوق الزوج على زوجاتهم، هذا من قبيل أن الأحاديث في مصلحتهم، ولكن لكل حق واجب، فإذا كنت تعترض بما قاله النبي عليه الصلاة والسلام من حق على أمرأتك، فيجب أيضًا أن تلقي أذنًا صاغية، أن تصيغ السمع إلى الأحاديث الأخرى التي تتحدث عن حق الزوجة على زوجها، كما أنك تبدي اهتمامًا بالغاً بالأحاديث التي تتعلق بحق الزوج على زوجته يجب أن تلقي بالاً، وأن تصيغ السمع، وأن تلقي أذنًا مصغية لحقوق الزوجة على زوجها، والبحث قد لا يكفيه درس واحد، لكن نبدأ هذا الموضوع في هذا الدرس، وعلى الله التوفيق.

واجبات الزوج نحو زوجته: الاطعام والكسوة

الحديث الأول:

الاحسان في الكسوة والطعام



النبي عليه الصلاة والسلام بين في بعض الأحاديث الشريفة أن أول حق للزوجة على زوجها أن يحسن إليها في كسوتها، وطعامها هذا الحق الأول. عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ:

((تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوُهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ...))

[أحمد]

لكن العلماء قنّوا أن هذا الإحسان في الكسوة وفي الطعام يجب أن يكون في الحدود المعتدلة،
تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْنُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾

(سورة الإسراء: ٢٩)

الإنفاق له حد معتدل، إذا زاد عن هذا الحد انقلب إلى الضد، وكان الفساد في الأرض.

لا لإرضاء الزوجة بمعصية الله

في الحديث إشارة خطيرة جداً، هؤلاء الذين يتحملون معصية ربهم من أجل إرضاء زوجاتهم ما
قرؤوا هذا الحديث، ما كلف الشرع أن تطعمها طعاماً لا تستطيعه، أن تطعمها إذا طعمت، إذا
طعمت فأطعمها، أما إذا لم تقدر أن تأكل ما تشتهي فلا عليك شيء، لذلك كانت الصحابيات
الجليلات يخاطبن أزواجهن قبل أن يغادرن أزواجهن البيت، تقول له: يا فلان، نصبر على الجوع،
ولا نصب على الحرام.

إن أي إنسان يقول لك: أنا أفعل هذا من أجل زوجتي، من أجل أولادي، من أجل أن أرضيها،
يجب أن أحصنها، يجب أن أرضيها لا، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: أن تطعمها إذا طعمت،
يعني لا ينبغي للزوج أن يأكل ما لذا وطاب، وأن يجعل طعام زوجته في مستوى أدنى، أن
يطعمها إذا طعم، أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت.

((وَلَا تَضْرِبُ الْوَجْهَ))

لأن الله سبحانه وتعالي كرم الإنسان في وجهه، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن ضرب
الوجه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((وَلَا تَضْرِبُ الْوَجْهَ))

وإذا ذكر الله فامسكوا ولا تضربوا وجهه، ولا تقبّح بالكلام، هذا من حقها عليك:

((تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوُهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبُ الْوَجْهَ، وَلَا تُقْبِحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي
الْبَيْتِ))

يجب أن تبقى في البيت، لأنها إذا بقى في البيت فالقضية سهلة الحل، أما إذا انطلقت إلى بيت أهلها، طرحتها من البيت فالأمر ينفاق، وقد ينتهي إلى الطلاق.

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعْتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾

إذاً: الله عز وجل أمر الزوج أن ينفق على زوجته بقدر ما أعطاه الله، إذا وسع الله عليه ينبغي أن يوسع على عياله، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس من وسع الله عليه ثم فتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعْتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾

(سورة الطلاق: من الآية ٧)

الحديث الثاني:

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت))

[أبو داود وأحمد]

يعني يكفيه هذا الإثم العظيم أن يضيع من يقوت، هؤلاء عيالهم من لهم؟ ليس لهم إلا الزوج، فإذا ضيع هذا الزوج من يقوت فقد ضيع أهله، وقد أgrav; لهم إلى التطلع إلى غيره، وقد حملهم على بغضايه، وقد حملهم على كراهيته، لذلك العاقل إذا آتاه الله مالاً.

﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعْتِهِ﴾

من غير إسراف، ولا تبذير، ولا مخيلة.

الإمام مسلم في صحيحه روى حديثاً



عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ ...))

[مسلم]

وفي رواية أَحْمَدُ عَنْ يَهُرِيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةِ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهُ أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

[أَحْمَد]

أي في عتق رقبة، ودينار تصدق به على مسكين، باب ثالث ودينار أنفقته على أهلك، من منكم يظن أو يتوقع أي هذه الدنانير الأربع هي أفضل عند الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام:

((أَعْظَمُهُ أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

الدينار الذي أنفقته على أهلك، لماذا ؟ لأنك إذا أنفق دينارا في سبيل الله، ربما أنفق غيرك هذا الدينار، إن لم تتفق أنت أنفق غيرك، وإذا أنفق دينار في عتق رقبة ربما أعنقتها غيرك، وإذا أنفقت دينار على مسكين ربما أنفقه عليه غيرك، ولكنك إذا امتنعت على إتفاق المال على أهلك فمن ينفق عليهم ؟ من لهم غيرك ؟

أعيد عليكم رواية الحديث: روى الإمام مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده، واللفظ له:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةِ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهُ أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

فهنيئاً للذي يسعى، ويجد، ويكتد، وينفق على أهله، هذا نفقة هي عند الله أفضل من الأنواع الثلاثة التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث.

الحديث الثالث:

وفي حديث آخر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((أَوْلُ مَا يُوَضَّعُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ نَفْقَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ))

[الجامع الصغير عن جابر]

يجب أن تعلم الزواج جملة وتفصيلاً إنما شرع الله عز وجل من أجل أن يكون لك فرصة لعمل صالح تتقرب به إلى الله عز وجل، كيف أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض معيش، وأبواب لكسب الرزق، هل رفع الحرارة، الحر باب من أبواب كسب الرزق، معامل المكيفات، معامل المراوح، المرطبات، هذا كله، هذا باب كبير من أبواب كسب الرزق، والبرد أيضاً باب من أبواب كسب الرزق، وطول الشعر باب من أبواب كسب الرزق، والمرض باب من أبواب كسب الرزق، وجرثومة تصيب بعض النباتات بباب من أبواب كسب الرزق، مهندسون، وأخصائيون، وأدوية، ومرشات، واستيراد بضاعة، وتحويل ثمن البضاعة و... كله بسبب هذه الجرثومة التي خلقها الله من أجل أن تكافحها.

ربنا عز وجل جعل في الأرض أبواب للرزق لا تعد ولا تحصى، وفي المقابل جعل أبواب للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى، إن من أعظم هذه الأبواب موضوع الزواج والأسرة، جهده في عمله كسب الرزق.

((من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفور له))

[الجامع الصغير عن المقدام بن معدى كرب]

من أجل أن تنفق على زوجتك وعلى أولادك، من أجل أن يجعلهم يطمئنون إليك، ويلتفتون إليك، هذا كله من العمل الصالح.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أول ما يوضع في ميزان العبد نفقة على أهله))

[الجامع الصغير عن جابر]

الزوج الصالح الذي يكسب مالاً حلالاً ينفق على أهله، يلبى لهم حاجاتهم، التدفئة، الأثاث المعقول، اللباس المعقول، الطعام المعقول، أنا أقول: المعقول من دون إسراف، ولا تبذير، ولا مخيلة، الشيء المعقول.

الحديث الرابع:

لا زلنا في الحديث عن حقوق الزوجة، عن العرّباض بن سارّيَة قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنَ الْمَاءِ أَجِرٌ))

[أحمد]

هذا تشجيع للزوج أن يقيم مودة بينه وبين زوجته، من خلال أن يرعاها، وأن يحفظها، وما إلى ذلك.

وفي حديث آخر:

((وَأَنْ يَضْعُرُ الرَّجُلُ الْلَّقْمَةَ فِي فِمْ زَوْجَتِهِ هِيَ لَهُ صَدْقَةٌ))

[ورد في الأثر]

والعلماء قالوا: إن الزوج يجب أن ينفق على زوجته الموسرة، هذا حق، وإن كانت موسرة غنية، أو فقيرة، هذا ليس من شأنك، وإذا طابت لك عن شيء فكله هيئاً مريئاً، والعلماء قالوا: يسمح للزوجة أن تدفع زكاة مالها لزوجها الفقير، لكن الزوج لا يحق له أن يدفع زكاة ماله لزوجته، لكن الزوجة الموسرة يمكن أن تدفع زكاة مالها لزوجها.

الحديث الخامس:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي مسعودٍ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ))

[البخاري]

صدقة بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

ما هي أفضل الصدقات؟

مثلاً: زوجته بحاجة إلى معطفٍ في الشتاء، معطفها السابق لا يليق، يجعلها تشعر بأنها وضعية، فاشترت لها معطفاً يتاسب مع دخلها، ومع مستواها، إن هذا الذي تفعله يُعدُّ عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نصِّ هذا الحديث صدقةً، وأعود وأكرر: من دون إسرافٍ، ولا تبذيرٍ، ولا مخيلة، العلماء فرقوا بين الإسراف والتبذير، فالإسراف في الحلال، والتبذير في الحرام، والمخيلة هي الكِبر، أن تُطلع الناس على ما عندك من أجل أن يجعلهم يتصالرون، هذا أحد أنواع الفساد. والإمام مسلمٌ في صحيحه أيضاً يروي حديثاً عن ثوبانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابِّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[مسلم]

إذا كان أخوك المؤمن بحاجة إلى شيء، هذا عمل طيب جداً، لأن المؤمن له مكانته، له كرامته، له مروءته، له حياؤه، له خجله، فإذا لبّيت له حاجته، وحفظت له ماء وجهه، وكفته عن السؤال، هذا عمل عظيم، فأفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله.

ألا تعلمون أن إنفاق المال على الزوجة أحد أسباب القوامة عليها، لقول الله عز وجل:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾
(سورة النساء: من الآية ٣٤)

الإنفاق من مقتضيات قوامة الرجل على المرأة

أحد أسباب القوامة على زوجتك أنك تنفق عليها، فلو أنك امتنعت من الإنفاق عليها، شعرت أنك لا تنفق عليها، وأنك تضيّن بمالك عليها، وعندئذ تستعصي عليك، وتبتعد عن تنفيذ أمرك، وقد تعصي، وقد تستفزك، لأن أحد أسباب القوامة أن تنفق على زوجتك، لذلك الزوجة التي لها دخل - لا أقول: مطلقاً - في الأعم الأغلب، التي تشعر باستقلاليتها عن زوجها كثيراً ما تُسيء مُعاملته، تقول لك: أنا أُنفق على نفسي.

بالمناسبة ؛ أنت إذا طلبت من الله الرزق، لا تزيد أن يأتيك رزقك عن طريق زوجتك، أطلب من الله أن يكون الرزق عن طريقك وحده، هذا من فضل الله عز وجل، إذا قسم الله لك رزقاً حلالاً يكفيك، ويكتفي أهلك كان أكثر عوناً لك على إدارة هذه الزوجة.

العلماء يقولون: يسقط هذا الواجب - الإنفاق على الزوجة واجب - إذا فوتت الزوجة على زوجها الهدف من الحياة الزوجية، وحينما تفوت الزوجة على زوجها الهدف الكبير من الحياة الزوجية يسقط حقها في الإنفاق عليها.

مثلاً: إذا امتنعت عنه، هو لماذا تزوج؟ من أجل أن يُحسن نفسه، فإذا امتنعت عنه سقط حقها في الإنفاق عليها، وإذا هجرت بيته، وذهبت إلى بيت أهلها يسقط حقها في الإنفاق عليها، وإذا خرجت من البيت من دون إذنه يسقط حقها في الإنفاق عليها، لذلك المحاكم الشرعية تُعدّ هذا

نشوزاً من الزوجة، لا تستحق النفقة إلا إذا دعيت إلى بيت زوجها، فإذا أبى يسقط حقها في الإنفاق عليها.

الحديث السادس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((أفضل الصدقة ما ترك غنى))

[البخاري]

أي ما جعلت الذين تتفق عليهم في غنى.

((وابداً بمن تَعُولُ))

تقول المرأة لزوجها: إما أن تطعمني، وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني، واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني؟.

هذا الذي يدخل على زوجته أو على عبده أو على أولاده، هذا عند الله آثم إنما كبيراً، تقول له الزوجة: أطعمني أو طلقي، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني؟

الحقيقة أن بعض الفقهاء استبطوا من هذا الحديث أن المرأة يجوز لها أن تطلب الفراق من زوجها إذا لم ينفق عليها، لعنة عدم الإنفاق، وعلماء آخرون آثروا أن تصبر المرأة على زوجها، فلا يعقل أن تأخذ خيره حين كان دخله كبيراً، وأن تطلب الفراق منه إذا كبا به جواده، أو ضفت قواه، أو قل رزقه، ليس هذا من الوفاء، لذلك الأرجح أن تصبر المرأة على زوجها، لأن هذه بنتاك.

وقد أجاز العلماء أن تستقرض المرأة من أجل أن تأكل الأكل الأساسي الضروري على ذمة زوجها إذا امتنع من أن ينفق عليها، فإذا يسر الله له وفي هذا الدين، لقول الله عز وجل:

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرْهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَإِنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(سورة البقرة: الآية ٢٨٠)

ويقول الله عز وجل:

﴿سِيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ حُسْنِ يُسْرًا﴾

(سورة الطلاق: الآية ٧)

الشيء الذي أحب أن أقوله لكم: الإنفاق يجب أن يكون باعتدال في المسكن والملابس والمطعم والمشرب.

بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام فاطمة الزهراء جاءت أباها، طلبت منه خادمة تعينها على عمل البيت، فعلى أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحاح، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سببي، فانطلقت فلم تجد، فوجدت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وقد أخذنا مصالحتنا، فذهبت لِلقوم، فقال: على مكانكما، فقعد بيتنا حتى وجدت برداً قد ميئه على صدرني، وقال:

((أَلَا أَعْلَمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمْنَا ؟ إِذَا أَخْذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكْبِرَا أَرْبْعَا وَثَلَاثِينَ، وَتُسْبِحَا ثَلَاثَا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمِدَا ثَلَاثَا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ))

[البخاري ومسلم]

النبي الكريم ما أحب خادمة لابنته فاطمة، هذا من باب الاعتدال.

الحقيقة هذا كله عن الإنفاق على الزوجة، هذا أول حق من حقوق الزوجة على زوجها، أن يحسن إليها في مطعمنها ومشربها وكسوتها، وأن يطعمها إذا طعم.

واجبات الزوج نحو زوجته: حسن المعاملة والعشرة

لكن الحق الثاني: والذي يبدو لي أخطر من الأول، لأنّه ما من بيت إلا والطعام والشراب متوافر فيه - في الأعم الأغلب - ولكن المشكلة الآن في إساءة المعاملة، الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول في آية مكملة واضحة صريحة لا تحتمل التأويل:

﴿وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْنُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

(سورة النساء: من الآية ١٩)

عن عمرو بن الأحوص أنه شهد حاجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر، ووعظ، فقال:

((أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدُكُمْ - العوان: جمع عانية أي ضعيفة، المرأة في الأصل ضعيفة - ليس تملكون منها شيئاً غير ذلك، إلّا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجرون في المضاجع، وأضربونهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلَا تبعوا عليهن سبيلاً...))

ما دامت هذه الزوجة لم تقترب الفاحشة، وهي تحفظ نفسها، وتُطبع زوجها، وتُصلّى خمسها، وصوم شهراً، هذه زوجةٌ يجب أن ترعاى حقوقها.

قال بعضهم: إنَّ المرأة التي تحبس نفسها على راحة زوجها حتى تكون لديه كالأسير، خروجها بإذنه، كلُّ علاقتها منضبطة بموافقته، إذاً: هي كالأسيرة، مقابل أنها أُسيرةٌ عنده ينبغي أن يغمرها بالعطف والمودة، واللطف والإحسان، ما دامت عندك أُسيرة فيجب أن تعاملها معاملةً تتسيّها أنها أُسيرة.

معنى المعاشرة بالمعروف

هذا من معاني:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

العلماء فسّروا المعروف تفسيرات كثيرة:

المعنى الأول:

من هذه التفسيرات: العفو والمسامحة، هناك زوج لا يغفر، استرضي ولم يرض، اعتذرَت له، توسلتُ إليه، رجته، هو حقود، إن كنتَ حقوداً، إن لم تسامح، إن لم تغفر، فأنت عاصٍ لله عزٌّ وجلٌّ في نصِّ هذه الآية.

المعنى الثاني:

من معاني:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

نسيان الهفوات، وترك تتبع العثرات، هذا من معاني:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

المعنى الثالث:

من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

العقوبة على قدر الذنب تماماً، تأدبياً لا انتقاماً، أحياناً أزواج يستخدمون سلطتهم استخداماً تعسفيأً لسبب تافه، لذنب صغير، لهفةٍ يحلف عليها بالطلاق و يطردها من البيت في منتصف الليل، لا، لا يجوز هذا، أساساً الحمقى لهم ردود فعلٍ عنيفة جداً، رد الفعل عنيف لا يتاسب مع الفعل، أما الموقفون في حياتهم الموصولون بالله، يُلقي الله في قلوبهم الحكمة، فلا يُعاقب إلا بقدر الذنب، والنبي إذا كان أعرض عن زوجاته، فإذا كنت زوجاً ناجحاً جداً يجب أن يكون إعراضك عن زوجتك أكبر عقابٍ تعاقبها به، الإعراض فقط، أما السباب والشتائم فإنك ستتلقى المثلث، ليس هذا من الحكمة، وليس من المعروف والإحسان، ولا من هذه الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة التي توصي الرجال بالنساء.

المعنى الرابع:

لكن أجمل تفسير لهذه الآية: ليست المعاشرة بالمعروف كفٌ للأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، لذلك تروي القصص أن رجلاً عنده زوجة سيئة جداً، فقيل له: طلقها يا أخي، قال: والله لا أطلقها فأغشّ بها المسلمين، قد أطلقها، ويأتي إنسان يتزوجها، إن فعلت هذا غششتُ بها المسلمين، فصبرَ الزوجة على زوجها أو صبر الزوج على زوجته بابٌ من أبواب الجنة، هذه الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء، منزلٌ ترَح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فـيأخذُ ليعطى، ويبتلي ليجزي.

إذاً: ليست المعاشرة بالمعروف كفٌ للأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، في بعض الأيام يختلُّ توازن الزوجة، فتكلّم بكلامٍ منه ما يُسمع، ومنه ما لا يُسمع.

النبي عليه الصلاة والسلام هو المثل الأعلى، فعنْ أنسٍ قالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ التِّي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ

في الصّحّفة، ويَقُولُ: عَارَتْ أَمْكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

[الخاري]

هو قدوتنا، لا تصدق أن إنساناً لا يوجد بينه وبين زوجته بعض المشكلات، هذه سُنة الله في الخلق، ليتحسن عفوك وحلمك، وحكمتك وصبرك، واتزانك وضبط نفسك، النبي عليه الصلاة والسلام كان قدوةً لنا، فكان يقف موقف الحليم الرحيم من زوجاته، لا تصدق أن النبي الكريم عنده زوجات لم يسمع منها كلمة، بل كانت زوجاته يُرجعن له الكلام، وبهجزها إلى الليل أحياناً، وكان يحلم عليهم، هكذا ورد في السيرة.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام ينزل إلى مستوى زوجاته، إلى مستوى عقولهنّ، وقد ذكرت لكم من قبل كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام تسبق مع زوجته عائشة فسبقته لأنها شابة، بعد سنوات تسبقها فقل: هذه بنتك، تعامل، هذه بنتك.

النبي عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، فإذا كنت مرحاً، وكنت لطيفاً، وكنت لين العريكة مبتسمًا، والله هذا شيء جميل، هذه أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

المعنى الخامس:

من حُسن المعاشرة التي أمر الله بها أن تنظر إلى مزاياها إذا نظرت إلى مساوئها، لا يوجد إنسان كامل، وهناك أزواج يركّزون على المساوئ فقط، بعض العيوب في شكلها، بعض العيوب في أخلاقها، في طباعها، لكنها حسان، عفيفة، شريفة، نظيفة، مطوعة، يتجاهل ميزاتها، ويرى أخطاءها، ليس هذا من حُسن المعاشرة.

المعنى السادس:

من حُسن المعاشرة إذا نظرت إلى عيوبها، أو إلى بعض عيوبها، انظر إلى مزاياها أيضاً، هذا هو العدل والإنصاف، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام، عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرَ))

قال تعالى:

﴿كَرِهُتُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرُهُوَا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة النساء: من الآية ١٩]

قد لا يعجبك شكلها، لكن قد تُعجب لك أولاد أذكياء، موقفين، قد تكون الزوجة طيبة، قد تكون صبورة، قد تكون متواضعة، طلباتها معقولة، لو أنك تزوجتها كما تريد لأنك تعبت من تبعاً لا حدود له، فالله عز وجل هو الحكيم، هو اختارها لك، اختياره، ألا ترضى باختياره؟.

المعنى السابع:

من حُسن معاشرة الزوجة - هذه كلها معاني حُسن المعاشرة - أن لا تُنسِي الظن بها، هناك أزواج عندهم سوء ظن، طبعاً سوء الظن ضروري وغير ضروري، ضروري إذا شكت بشيء، إنسان نبهك: انتبه، في منزلك حركة غير طبيعية، لا أنا حَسَن الظن بزوجتي، فأنت إذا أجبت، إذا كان هناك ملاحظات، دلائل، ريب، فيجب أن تُنسِي الظن وأن تبحث، لكن عندما لا يوجد أي دليل على وجود خطأ، ولا يوجد لفت نظر، عندها نهانا النبي عليه الصلاة والسلام عن أن لا تُنسِي الظن بالزوجة، لأن إساءة الظن بالزوجة يُحطّمها، يُفقدها معنوياتها، فنهى النبي عليه الصلاة والسلام عن سوء الظن بها، وأن يتبع زوجها عوراتها.

مثلاً: دخل إلى البيت فجأةً من دون أن يطرق الباب، جاء من سفر فداحم البيت مُداهمةً فجأةً، هذا يعني أنه يشك بها؟

هذا يفعله من يُنسِي الظن بزوجته، فالنبي كان إذا قدم من سفر أعلم أهله قبل أن يدخل البيت، هكذا علّمنا النبي عليه الصلاة والسلام، الآن هناك هاتف، أخبرهم من المطار أنك وصلت، أمّا المُداهمة، والمُفاجأة فتعني أنك تشک بها، لذلك ورد في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال:

((نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ أَهْلَهُ لَيْلًا))

[البخاري]

أن يطرق أهله ليلاً يتخونهم - كأنه يتخونهم - أو يطلب عثراتهم، لأن هذا يوفر الأمان للزوجة والسلام، ويوفر لها كرامتها وموذتها معك.

كل هذه المعاني مُستتبطة من آية واحدة:

﴿وَعَشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

ربما كان هذا الحق أبلغ من حق الطعام والشراب، لا يوجد بيت ليس فيه طعام وشراب، والزوجة تأكل طعاماً خسناً، ولا تحتمل أن تُسيء الظن بها، تأكل طعاماً خسناً، ولا تحتمل أن تكون فاسياً معها، تأكل أخشن الطعام، ولا تحتمل أن تهجرها، لذلك حُسن العشرة مع الزوجة ربما كان مقدماً على واجب الطعام والشراب.

و هناك حقوق كثيرة للزوجة، لأنه كما قلت في بداية الدرس: الأزواج يطربون طرداً لا حدود له لحقوق الزوج على زوجاتهم، يقول لك اللهم صلّ عليه... هكذا قال... هكذا قال... اصبر، هناك أحاديث أخرى، كما أن لك عليها حق، لها عليك حق، والإنسان إذا عرف ما له وما عليه وأعطى كل ذي حق حقه، ساد السلام في البيت.

بقي علينا نماذج من مواقف النبي عليه الصلاة والسلام، الآن ننتقل إلى السيرة المتعلقة بهذا الموضوع.

نماذج نبوية في معاملة الزوجة

الحديث الأول:

عن عائشة قالت:

((لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحِبْشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ بِحِرَابِهِمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَرُنِي بِرِدَائِهِ أَنْظُرْ إِلَى لَعِبِهِمْ))
[منقى عليه]

تطيبينا لخاطرها.

الحديث الثاني:

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ – يَعْنِي بِالدُّمْى – عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبُنَّ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقْمِنُ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبُنَّ مَعِي))

[متفق عليه]

هناك من يتزوج بنتاً صغيرة، فتقول له: أريد لعبة، اجلب لها لعبة، وحل المشكلة، فالسيدة عائشة تقول:

((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ – أَيْ بِلَعْبِ الْأَطْفَالِ – عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبُنَّ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقْمِنُ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبُنَّ مَعِي))

فالنبي يسمح لهم فليعبن معي، بموافقتها، هذا تطيب لخاطرها، فإذا كانت زوجتك صغيرة، وطلبت منك شوكولا مثلاً فلماذا الانزعاج؟ حنت إلى طفولتها، هكذا فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرِيدُهَا فِي سِنِّ صَغِيرَةٍ وَعَقْلٍ كَبِيرٍ.

الحديث الثالث:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيِّ غَضِيبَيِّ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَنْ أَينَ تَعْرَفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَا إِذَا كُنْتُ عَنِي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّي مُحَمَّدٌ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيِّ غَضِيبَيِّ قُلْتَ: لَا وَرَبِّي إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ – أَيْ هَذَا الْأَمْرُ صَحِيحٌ – وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجَرُ إِلَّا اسْمَكَ))

[متفق عليه]

الحديث الرابع:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَيَّ النِّسَاءَ، تَعْنِي فِي مَرَضِهِ فَاجْتَمَعْنَ فَقَالَ:

((إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْوِرَ بِيَمِّكُنَّ، فَإِنْ رَأَيْتُنَّ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَكُونَ عِنْدَ عَائِشَةَ فَعَلْتُنَّ، فَأَذَنَ لَهُ))

[أبو داود]

انظر إلى الأدب، ما رضي أن يبقى عند عائشة إلا بعد أن جمع نساءه كُلُّهنَّ، واستأذنُهنَّ في ذلك، لأنها لها حق.

الحديث الخامس:



عن الأسود بن يزيد سأله عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: ((كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج))

[البخاري]
كان إذا فرغ كان في خدمة أهله - أي يُساعدهم في أعمال البيت - من دون

أن يشعر أنه مُهان، كان في مهنة أهله، فكان يطلب شاته، ويكتُسُ أرضه، ويخصِّف نعله، وكان في مهنة أهله.

الحديث السادس:

فَعَنْ أَنَّسٍ قَالَ:

((كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانقلقت - أي انكسرت - فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: غارت أهلك، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحتها، وأمسك المكسورة في بيته التي كسرت))

[البخاري]

كان عادلاً، تلك أرسلت صحنًا جديداً فكسرت، فأرسل لها صحنًا بدلاً عنه.

كان عليه الصلاة والسلام لا يسمح لزوجةٍ من أمهات المؤمنين بأن تقول عن الأخرى من زوجاته كلمة نقص في مجلسه، لا يسمح أبداً، هناك شخص يسمح لزوجته الأولى أن تتكلم عن الثانية، يقول لها: والله معك حق، ثم يذهب مساءً إلى البيت الثاني فتكلم زوجته الثانية عن الأولى، فيُصغي لها، النبي عليه الصلاة والسلام لا يسمح لزوجةٍ من أمهات المؤمنين بأن تقول عن الأخرى من زوجاته كلمة نقص في مجلسه،

الحديث السابع:

عن عائشة قالت: حكىتُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً فقال:
((ما يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رجلاً، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفَيَّةَ امْرَأَةٌ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَذَا، كَانَهَا تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمْزَجَ))
[الترمذى]

الحديث الثامن:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقْيِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَرُلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))
[البخاري]

الحديث التاسع:

وفي رواية عن سَمْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدِ إِقَامَةَ الضَّلَعِ تَكْسِرُهَا، فَدَارِهَا تَعْشُ بِهَا))
العملية تحتاج إلى مُداراة.

الحديث العاشر:

وفي روايةٍ أخرى في الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
((الْمَرْأَةُ كَالضَّلَعِ، إِنْ أَقْعَنْتَهَا كَسَرَتْهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عَوْجٌ))

الحديث الحادي عشر:

و في روايةٍ لمسلم عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عَوْجٌ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تُقْيِيمُهَا كَسَرَتْهَا وَكَسَرُهَا طَافَهَا))
[مسلم]

الحديث الثاني عشر:

في ختام هذا الدرس، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((خيَارُكُمْ خيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ))

[ابن ماجه]

قصة وعبرة: أشكو مما منه تشكو

بقيت قصة قصيرة: كان أعرابي يعاتب زوجته، فعلا صوتها صوته، فسأله ذلك منها، وأنكره عليها، ثم قال: والله لا شكونك إلى أمير المؤمنين عمر، وما أن كان بباب أمير المؤمنين ينتظر خروجه حتى سمع امرأة أمير المؤمنين تستطيل عليه، وتقول له: إنّك الله يا عمر فيما ولاك، وساكت لا يتكلّم، فقال الرجل في نفسه و هو يهم بالانصراف: <إذا كان هذا هو حال أمير المؤمنين، فكيف حالى أنا؟، وفيما هو كذلك خرج عمر، ولما رأه قال: ما حاجتك يا أخا العرب؟ فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، جئت إليك أشكو خلق زوجتي، واستطالتها عليّ، فرأيت عندك ما زهّدني إذ كان ما عندك أكثر مما عندى، ففهمت بالرجوع، وأنا أقول: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته، فكيف حالى؟ قال، فتبسم عمر رضي الله عنه وقال: يا أخا الإسلام، إني احتملتها لحقوق لها علىّ - إني احتملتها، أنا قادر أن أكون لثيماً، وأن أحظّها، ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لثيم، يغلبن كلّ كريم ويغلبهن لثيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً لا أن أكون لثيماً غالباً - قال له: يا أخا العرب، إني احتملتها لحقوق لها علىّ، إنّها طبّاخة لطعامي، خبازة لخبزى، مرضعة لأولادى، غاسلة لثيابى، وبقدر صبرى عليها يكون ثوابى، ألا يكفى هذا الكلام من سيدنا عمر؟ وبقدر صبرى عليها يكون ثوابى >>.

وللبحث بقية في درس قادم

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية : الحقوق - حق الزوجة على الزوج - الدرس (٢ - ٢) : حقها في هدایتها ورعايتها دینها وأخلاقها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١٠-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أيها الإخوة المؤمنون، لازلنا في حقوق الزوجة على زوجها، ويبدو أن الإنسان إذا أدى ما عليه من حقوق وجد الطريق إلى الله سالكاً، فأيّ نقصير أو أيّ مخالفة إنما هي عقبة في الطريق إلى الله، فإذا أديت ما عليك من حقوق لزوجتك أو لأولادك أو لجيرانك، أو لمن حولك، لعل الله سبحانه وتعالى بتأدية الحقوق يزيل كل العقبات التي في طريق الإنسان إلى الله عز وجل.

معنى حسن المعاشرة

تحدثت في الدرس الماضي عن حق الزوجة في الإنفاق عليها، وقد تحدثت أيضاً عن حقها في حسن المعاشرة، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا في القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء: من الآية ١٩)

وقد تحدثت حول هذه الآية كثيراً، و لعل من أبرز ما كان الحديث عنه في هذه الآية أن حسن المعاشرة لا تعني أن تمتلك عن إيقاع الأذى بها، بل تعني أن تحمل الأذى منها، وشنان بين الفهمن والموقفين، إذا تحدثنا عن حقين من حقوق المرأة على زوجها.

وقد قلت أيضاً: إن الإنسان يحلو له أن يبحث عن حقوقه، وعن واجبات الآخرين له، ولكن البطولة أن تبحث أيضاً عن واجباتك تجاه الآخرين، والبطولة أيضاً أن تبحث عن حقوق الآخرين التي تطالب بها يوم القيمة.

من حقوق الزوجة على الزوج: حفظ الدين والسلوك وحسن التوجيه

الحق الثالث من حقوق الزوجة: أن تحافظ على دينها، وأن ترعى سلوكها، وأن تحسن توجيهها، لأن الأزواج في هذه الأيام ما دامت الزوجة تروق له، وتقدم له خدمات جيدة ، نظيفة ، مرتبة ، تعرف ما ينبغي أن تفعله الزوجة ، فهذا في المرتبة الأولى، أما أمر دينها فهي المثلث الثاني، إذا خرجت بطريقة لا ترضي الله يتتساهم ، إذا استقبلت الرجال يتتساهم ، وهذا لا يرضي الله يتتساهم ، لكنه قد لا يتتساهم في أمر يمس علاقته بها، أو نصيبيه منها، هذه المرأة إذا تركتها مع رقة في دينها، وتقدير في معرفة ربها، وضبطها في النواحي المادية، هذه لها حق عليك كبير يوم القيمة، وربما صدق على هذا الزوج أن هذه المرأة تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أدخل زوجي قبلي ، لأنه لم يوجهني ، ولم يبصرني ، ولم يعرفني ، ولم يأخذ بيدي إليك.

طبعاً ما من زوج إلا ويهم بسلامة جسم زوجته، ويخشى عليها من الأمراض، لأنه هو سيدفع الثمن، فأيّ مرض عضال يصيبها هو وحده سيدفع الثمن باهظاً، لذلك ترى معظم الأزواج حريصين حرصاً لا حدود له على صحة زوجاتهم، وعلى سلامه أعضاء زوجاتهم، وعلى رفاهية زوجاتهم، هذا الحرص يجب أن يقابله حرص آخر على سلامه دين زوجتك، وعلى حسن معرفتها بالله، وعلى حسن علاقتها بالله... وإن كنت تخونها، هي شريكه حياتك، لماذا هي شريكك في الطعام، في المسكن، وفي نصيبيك منها؟ وليس شريكك في معرفة الله؟ وليس شريكك في فهم القرآن الكريم؟ وليس شريكك في التفقة في سنة رسول الله؟

لذلك فهذا الذي يهمل دين زوجته، ويهمل معرفتها بالله، ولا يعلق أهمية على تعليمها العلم الشرعي، لا يقيم وزناً لفهمها لدينها، هذا مقصراً أشد التقصير في حقها، هذا كلام طيب ومقنع، ومنطقي ومحقق.

الأدلة القرآنية على وجوب حفظ الزوج دين الزوجة

ولكن أين الدليل؟ وكما عودتكم ما من إنسان بعد النبي عليه الصلاة والسلام يقبل منه أن يقول كلاماً بلا دليل، كلام طيب، ولكن هل له دليل؟ نعم:

الآية الأولى:

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

(سورة التحريم: من الآية ٦)

﴿قُوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

أي: أنت مأمور أن تقى نفسك نار جهنم، ومأمور أيضاً وفي الدرجة نفسها، وبالمستوى نفسه أن تقى أهلك نار جهنم، وكيف تقى أهلك، والأهل هم الزوجة والأولاد؟

تقىهم بتوجيههم، بتعريفهم، بارشادهم ومراقبتهم، ومحاسبتهم.

شيء آخر، ولعله مهم جداً، وهو أن الله سبحانه وتعالى جعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فأنتولي أخيك المؤمن، فإذا رأيت منه اعوجاجاً أو انحرافاً، أو تقسيراً أو مخالفة، أو معصية فلا بد من أن تتصحه، ولا بد من أن توجهه، ولا بد من أن تأخذ بيده، ولا بد من أن تعاونه، لماذا لأنه أخوك في الله، وله حق عليك، فإذا كان المؤمنون بعضهم لبعض أولياء، وكل واحد منهم له حق على الآخر، فمن باب أولى أن يكون الزوج وزوجته من أول من تطبق عليهم هذه الآية.

الآية الثانية:

يقول الله عز وجل:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءِ بَعْضٍ﴾

(سورة التوبه: من الآية ٧١)

ما معنى:

﴿بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءِ بَعْضٍ﴾

أي: إذا كنت راكباً سيارة، وأمامك أخ يركب مرتبة، وشعرت أن هناك بوادر احتراق بالسيارة، وصاحبها لا يدرى، أنت كأخ له، أنت كمؤمن، وهذا الذي أمامك مؤمن أكبر حق له عليك أن تتبهه أن تلتف نظره، والأصح من هذا أنت مكلف بأي إنسان، الخلق كلهم عباد الله، وأحبهم إلى الله انفعهم لعياله، ولكن الحديث هنا عن المؤمنين لسبب، وهو أن غير المؤمن لا يستمع إليك، فلو رأيت إنساناً في الطريق يعصي الله، يشرب الدخان في رمضان، فربما لو نصحته أسمعك كلاماً لا يرضي، وهذا ليس هو المقصود، فالحديث هنا عن المؤمنين، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءِ بَعْضٍ﴾

فأنتولي أخيك، وأخوك وليك، من كان منكم أكثر علماء، وأقرب إلى الله، وأكثر ورعاً وفهمًا
فلينصح الأخ الآخر.

إذاً المؤمنون بعضهم لبعض نصحه متوادون، والمنافقون بعضهم لبعض غشّه متحاسدون، كما
قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمنون بعضهم لبعض نصحه متوادون، ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعض
غشّه متحاسدون، ولو اقتربت منازلهم))

[ورد في الأثر]

وقد مر بنا قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءِ بَعْضٍ﴾

ولكن ما معنى: بعضهم أولياء بعض؟

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(سورة التوبه: من الآية ٧١)

إذا كان أخيك المؤمن له حق عليك؛ أن تتصحّه، له حق عليك، أن ترشده، له حق عليك، أن
تأخذ بيده، له حق عليك أن تبصره، وأن تدور بصيرته، فهذه شريكة حياتك، هذه التي نذرت
نفسها لخدمتك، هذه التي حبست نفسها من أجلك، هذه التي شاركتك في الضراء والسراء، أليس
لها حق عليك أن تأخذ بيدها إلى الله عز وجل؟ أليس لها حق أن تعرفها أمر دينها، أن تبصرها
سنة النبي عليه الصلاة والسلام، أن تصلح اعوجاجها، وأن تقيم انحرافها، من باب أولى، إذا كان
أخوك المؤمن العادي له حق عليك بهذه زوجتك، لذلك إن شئت على قوله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

(سورة التحريم: من الآية ٦)

وإن شئت على قوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءِ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

الآن من أقوال النبي عليه الصلاة و السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((رَحِيمُ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبْتُ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِيمُ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))

[أبو داود، النسائي، ابن ماجه]

شيء رائع جداً فوق مستوى الروعة أن ينهض الرجل ليصلِي قيام الليل، وأن يقيم زوجته معه.

((رَحِيمُ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبْتُ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِيمُ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))

هذه المشاركة.... فقد تكون الزوجة أكثر نشاطاً من زوجها، وقد يكون الزوج أكثر نشاطاً من زوجته، فلا بد من التعاون، لا يقل قدرك، ولا يقل من شأنك أن توقف زوجتك على الصلاة، وهذا شيء لطيف.. إما أنت وإما هي، فأنت تشتهي زوجتك بالطعام، فالذي ذاق حلوة الطاعة، وحلوة القرب ألا يشتهي زوجته بهذا القرب ؟

هذا هو حق التوجيه والإرشاد ، حق التعريف بالله عز وجل، وحق أن تأخذ بيدها إلى الله. مما روی أن امرأة قالت لابنتها يوم زفافها وزوجها يسمع: يا آبا أمية، ما أوتي الرجل شرا من المرأة المدللة – فوق الحدود – فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب ، ثم التفت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة .

لذا فإن قال بعض الأزواج تحت غطاء " يجب أن تأخذ بيدها إلى الله " : يجب أن نكرمها، فيعطيها شيئاً يفوق الحد المعقول، فتستطيل على الناس، وتتغقر عليهم، وتوقع في قلوبهم اللوعة...لا:

لكل شيء إذا ما تم نقصان

وقد قال تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَقْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾

[سورة الإسراء: الآية ٢٩]

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

((اخشوشنوا، وتمعددوا، فإن النعم لا تدوم))

[الجامع الصغير عن ابن أبي حارث]

فإن الإنسان يجب أن يعود أهله على الأحوال كلها.

الحق الرابع للزوجة على الزوج: التزين لها

الحق الرابع للزوجة على زوجها أن يتزين لها كما تتزين له، فهذا أمر الشرع، فكما أنك تريد أن تظهر لك بمظاهر حسن فهي إنسان أيضاً تمنى أن تكون أنت في مظهر مقبول، ومظهر حسن، والدليل قوله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة: من الآية ٢٢٨)

إنها درجة القوامة.

أنت امرأة إلى سيدنا عمر بن الخطاب، وزوجها أشعث أغبر، فقالت: يا أمير المؤمنين، لا أنا ولا هذا، خلصني منه، فنظر إليه عمر، وكان لما حا فطنا، فعرف ما كرهت منه، فأشار إلى رجل، وقال له: اذهب بهذا، وحمله، وقلم أظافره، وخذ من شعره، واتتني به، فذهب، و فعل ذلك، ثم أتاه به، فأؤمأ عمر إليه، أن يأخذ بيدها فقالت: يا عبد الله، سبحان الله ! أبين يد أمير المؤمنين تفعل هذا ؟ فلما عرفته أنه زوجها ذهب معه، قال عمر رضي الله عنه: هكذا فاصنعوا لهن، فإنهن يحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزينن لكم.

فهذه القصة تبين أن للزوجة حقاً في أن يتزين لها زوجها، والنبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً أشعث الشعر، فقال:

((احلق، فإنه يزيد في جمالك))

[ورد في الأثر]

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((من كان له شعر فليكرمه))

[أبو داود]

والنظافة من الإيمان، فالمؤمن نظيف ؛ نظيف في أخلاقه، نظيف في البدن، نظيف في الملبس، وسيدنا على كرم الله وجه يقول: < إن الله يكره من عباده القاذورة.

و يقول ابن عباس: < إِنِّي أَبْسُ، وَأَتَجْمَلُ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ >.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف بريح المسك إذا مر.

وكان يقول:

((إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَاتِكُمْ شَامَةً فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفْحَشَ))

[أحمد عن أبي الدرداء]

والنبي عليه الصلاة والسلام كان له ثياب خاصة جديدة يلبسها في أيام الجمع، وإذا حضرته الوفود، وقد كانت عليه قومه تقلع ذلك.

فالمؤمن يحتاج إلى ثوب نظيف أنيق، والمؤمن يمثل الدين الإسلامي، أنت على شغرة من شعر الإسلام فلا يؤتين من قبلك.

يقول أبو الحسن: " هيئة الرجل لامرأته مما يزيد في عفتها ."

فتراك في مظهر حسن ، نظيف ، شعرك مرجل ، فهذا مما يصونها ، و يجعلها تعتر بك ، و تعف عن الآخرين .

الحق الخامس للزوجة على الزوج: عدم الزهد فيها وهجر مضعها

الحق الخامس من حقوق المرأة على زوجها: ألا يزهد بها، وألا يهجر مضعها.

فهذا الذي قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، هذا عاقبه الله عز وجل بأنه حرمتها عليه ما لم يضم ستين يوما، أو يطعم ستين مسكينا، فكما أن له عنده حاجة فلها عنده حاجة، ومن الظلم أن تتجاهل حاجتها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ :

((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَرْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَخْبَرُوا كَانُوهُمْ تَقَالُوْهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

قد غُفرَ لَه مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخَرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصْلَى اللَّيلَ أَبْدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبْدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَّا وَكَذَّا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا خَشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَنْقَاكُمْ لَهُ، لَكُنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَصْلَى وَأَرْقَدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُنْتِي فَلَيْسَ مَنِّي))

[منفق عليه]

فأي منهج يطبقه المسلم خلاف هذا المنهج فإنه يخالف به سنة النبي الكريم، فأولئك الذين تركوا الزواج نهائياً، أو تركوا العمل، هؤلاء قد خالفوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فسنة النبي تتضمن لك أن تصل بها إلى أعلى مستوى، فقد كان له زوجات كثراً، وكان يطوف عليهم جميعاً، فعن عائشة قالت:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدُلُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلَكَ فَنَا تَلْمِنُنِي فِيمَا تَمَلِكَ وَلَا أَمْلَكُ))

[الترمذى]

وفي عهد عمر بن الخطاب أتت امرأة إليه وقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي قوام، فقال سيدنا عمر: بارك الله لك في زوجك، فقالت: إن زوجي قوام، وإنني أكره أن أشكوه، فكان عند سيدنا عمر صاحبي اسمه كعب الأنصاري فقال: إنها تشكو زوجها، فقال عمر: هكذا فهمت من كلامها؟ فإذا فهمت هكذا فاحكم بينها وبينه، فقال كعب: علي بزوجها، فأ-tone به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، فقال: أفي طعام أو شراب؟ قال: لا، فقالت المرأة، وقد صاغ أحد الشعراء شكواها بآيات شعرية:

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الْحَكِيمِ رَشَدُهُ الْهَى خَلِيلِي عَنْ فَرَاشِي مَسْجِدِهِ
زَهَدَهُ فِي مَضْجِعِي تَعَبَّدَهُ فَاقْضِ القَضَا كَعْبٌ وَلَا تَرَدَهُ
نَهَارٌ وَلِيلٌ مَا يَرْقَدُهُ فَلَسْتُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ أَحْمَدُهُ

قال زوجها:

زَهَدَنِي فِي فَرْشَهَا وَفِي الْحِجَلِ أَنِّي امْرُؤٌ أَدْهَلْنِي مَا قَدْ نَزَلَ
فِي سُورَةِ النَّحْلِ وَفِي السَّبْعِ الطَّوَالِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَخْوِيفِ جَلَلِ
فَقَالَ لِهِ الْقَاضِي كَعْبٌ:

إِنْ لَهَا حَقًا عَلَيْكَ يَا رَجُلَ نَصِيبُهَا فِي أَرْبَعِ لَمَنْ عَقِلَ
فَأَعْطُهَا ذَاكَ وَدْعَ عَنْكَ الْعِلْمِ

أي أن الله عز و جل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورابع، فكل ثلاثة أيام تعبد بها ربك، ولها الليلة الرابعة ، فقال عمر: والله ما أدرني من أي أمريك أعجب، فمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما ، اذهب فقد وليناك قضاء البصرة.

الحق السادس: إرشادها إلى الخير وإبعادها عن الشر وصيانتها نفسها

ومن حق الزوجة على زوجها أن يرشدتها إلى طريق الحق، وأن يبعدها عن مواطن الشر. ومن حقها عليه أن يأمرها بأن تصون نفسها، فمثلا: هناك شرفة في المنزل، خرجت الزوجة إليها بملابس البيت، و لمارة ينظرون، فلم يتتأثر الزوج، فرأته ساكتا، فاستمرت، و إذا رأته تساهل استمرأته، فمن حقها عليك أن تأمرها أن تستر نفسها، فلو لم تفعل لحوسبت حسابا شديدا، والدليل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلَّذِيْنَ وَلِبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْعِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَاهِلِيَّةِ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفُنَ فَلَا يُؤْدِيْنَ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٥٩)

و قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْ جَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْ الصَّلَاةَ وَآتِيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطْعِنْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية ٣٣)

يعني هذا أن المركز الأساسي أن تبقى في البيت لتقدم للمجتمع أكبر خدمة، فما من وظيفة أخطر من أن تربى أولادها، تماما كالطيار الذي لا بد من التزامه بغرفة القيادة لحفظه على أرواح الركاب، فالبيت مركز قيادة المرأة، ويقول النبي عليه الصلاة و السلام:

((أيمًا امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معى في الجنة))

[جامع الصغير عن أنس]

((أي احلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل
الجهاد في سبيل الله))

[كنز العمال عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

و هذا لنساء الرسول صلى الله عليه و سلم، فإذا كان نساؤه قد فررن في بيوتهن، وهن المحسنات النقيات الطاهرات فلأن يكون هذا الأمر موجها لنساء المؤمنين من باب أولى. وهذا مبدأ في الفقه، وقاعدة أساسية.

مثلا: قوله تعالى:

﴿فَلَا تَقْلِلْ لَهُمَا أُفِّ﴾

(سورة الإسراء: من الآية ٢٣)

فمن باب أولى أن يكون الضرب ممنوعاً.

و قوله تعالى:

﴿لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾

(سورة التور: من الآية ٣١)

إذ أن هناك مشية للمرأة تلفت النظر، وهذه مشية المرأة مأمورة أن تبتعد عنها، كما أن هناك ثيابا ذات ألوان زاهية، وكذلك هناك أحذية ذات صوت يلفت نظر الرجال إليها، وأشد من ذلك كله أن تكون متعطرة، فإذا خرجت المرأة متعطرة لعنتها الملائكة حتى تعود، فكل شيء يلفت نظر الرجال إلى المرأة محرم بشكل قطعي.

أحيانا تهمل المرأة زينتها في تصاييق زوجها، وقد يصل الأمر إلى الطلاق، فالمندب هو الرجل، إذ يجب أن يأمرها أن تصلح من هيئة زينتها، ويجب أن يدقق عليها، فقد تكون صغيرة لا تعلم، أو لا تفهم، أو لا تبالي، فإذا استمرأت إهمال زينتها، وانزعج منها من دون أن يعرفها، ومن دون أن يلفت نظرها، ثم اتخذ منها موقفا صارما، وأرسلها إلى بيت أهلها من دون أن تعلم السبب فهو آثم، لذلك يجب أن يذكرها بواجبها تجاهه، ومن أولى هذه الواجبات أن تكون حسنة المظهر أمامه من أجل أن تعفه عن النظر إلى الحرام، ألم يقل النبي عليه الصلاة و السلام

((يَا مَعْشِرَ الشَّبَابِ، مَنْ أَسْتَطَاعَ الْبِاعَةَ فَلْيَتَرْوَجْ، فَإِنَّهُ أَغْنَى لِلْبَصَرِ، وَأَحْسَنَ لِلْفَرْجِ...))

[متفق عليه]

فهذا هو الهدف الأول من الزواج للمؤمن، أن يكون عفيفاً عن الشهوة، فإذا أهملت نفسها، وأهملت ثيابها، وأهملت زينتها، ثم كرهها، وأبغضها، وطردتها فقد أخذها على غرة، إذ يجب أن يتبهها، وأن يلفت نظرها، وأن يأمرها، وأن يدقق عليها لكي تبقى على مستوى طموحه، والدليل: عن جابر بن عبد الله قال:

((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ فَلَمَّا قَفَلْنَا كُنَّا قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرِ لِي قَطْوَفٍ، فَلَحِقْتُ رَاكِبًا مِنْ خَلْفِي فَنَحَسَ بَعِيرِي بِعَزَّزٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَسَارَ بَعِيرِي كَاحْسَنَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنَ الْإِبْلِ، فَالْتَّفَتْ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: أَتَزَوَّجْتَ؟ قَلَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أَبْكِرًا أَمْ شَيْبًا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ شَيْبًا، قَالَ: فَهَلْ أَبْكِرًا تُتَابِعُهَا وَتُتَاءِبُكَ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ فَقَالَ: أَمْهُلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لِيَّا، أَيْ عِشَاءً، لَكِيْ تَمْتَشِطَ الشَّعْثَةُ، وَتَسْتَحِثُ الْمُغَيْبَةُ))

[منفق عليه]

فلم يرض النبي صلى الله عليه وسلم أن يباغت الزوج زوجته إذا كان مسافراً، فقد تكون غير مستعدة لاستقباله، وقد تكون هيئتها دون الوسط، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا ألا نأتي من السفر إلى البيت مباشرة، فلا بد من إعلام الزوجة بأنك قد حضرت من أجل أن تأخذ المرأة من شعرها، ومن زينتها، ومن هيئتها، هذا من السنة النبوية. فقال:

((أَمْهُلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لِيَّا، أَيْ عِشَاءً، لَكِيْ تَمْتَشِطَ الشَّعْثَةُ، وَتَسْتَحِثُ الْمُغَيْبَةُ))
قد لا يترك الزوج لزوجته وقتاً لتعتني بنفسها، وهنا تظهر المشكلة، فلا بد من أن ترضيه، ولا يوجد وقت لترضيه، فلا بد من أن تتجاهل بعض الوقت حتى تكون كما يريد، فعن ابن عباس رضي الله عنهم قال:

((لَعَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[البخاري]

ويتبادر إلى الذهن هنا أن تتكلم المرأة كالرجال، أو أن ترتدي لباساً مما يرتديه الرجال عادة، أضف إلى هذا إذا أهملت المرأة زينتها، وأثرت الخشونة على النعومة والرفقة، فقد تشبهت بالرجال، لذلك فقد أمر النبي النساء بالتزين حتى لا يتسبحن بالرجال في الخشونة والشدة.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((كَانَتْ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونَ تَخْتَصِبُ، وَتَتَطَبِّبُ، فَرَكَّتْهُ، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقُلْتُ لَهَا: أَمْشَهِدْ أَمْ مُغَيْبٌ؟ فَقَالَتْ: مُشَهِّدٌ كَمُغَيْبٍ، قُلْتُ لَهَا: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: عُثْمَانُ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَلَا يُرِيدُ النِّسَاءَ، قَالَتْ عَائِشَةَ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَلَقَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانَ، أَتُؤْمِنُ بِمَا نُؤْمِنُ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَسْوَةٌ مَا لَكَ بِنَا... فَاصْنَعْ كَمَا نَصْنَعْ))

[أحمد]

فاعتى بزوجته، وأعطها حقها، فجاءت الزوجة في اليوم الثاني إلى السيدة عائشة، وقالت: لقد أصابنا ما أصاب النساء، فإهمال الزوجة مسؤولية.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

((أَنَّهَا اشترَتْ نُمُرُقَةً – وسادة – فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ هَذِهِ النُّمُرُقَةِ؟ قُلْتُ: اشترَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدُ عَلَيْهَا، وَتَوَسَّدُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيِوْا مَا حَلَقْتُمْ، وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ))

[منفق عليه]

ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان المصور ينحت الصنم، وكان الصنم يعبد من دون الله، ومن معاني التصوير النحت، وهو التجسيم، وقد كان الناس يعبدون هذه الأصنام من دون الله، فلذلك سداً للذرائع قال النبي الحديث الشريف:

((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ))

[منفق عليه عن ابن مسعود]

الحق السابع: الغيرة على الزوجة

ومن حق الزوجة على زوجها أن يكون غيوراً عليها، إذ إن هناك بعض الأزواج ليس لديهم الغيرة على زوجاتهم، اذهبوا وحدك، تعالى وحدك، عند الطبيب وحدها، عند البائع وحدها، ومن حق الزوجة أن يغار عليها، وأن يوجهها إلى ما يحفظ عليها شرفها وشرفه، ولكن ليس معنى هذا أن يشنط الزوج في الغيرة عليها، فالشطب في الغيرة مرض فلا بد من غيرة سوية، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أَتَعْجِبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَاللَّهُ لَنَا أَغْيِرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيِرُ مِنِّي، وَمَنْ أَجْلٍ غَيْرَةُ اللَّهِ حَرَمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))

[منفق عليه عن المغيرة]

فالغيرة مطلوبة، ولكن هناك غيرة سوية، وغيرة مرضية، والنبي عليه الصلاة والسلام فصل،
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ، فَأَمَّا مَا يُحِبُّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّبِّيَّةِ، وَأَمَّا مَا يَكْرَهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِبِّيَّةِ))

[ابن ماجه]

فهناك غيرة يحبها الله ورسوله، وهناك غيرة يكرهها الله ورسوله.

فأما ما يحب الله فالغيرة في الربية، مثلاً: أنت ارتبت، جاعتك معلومات مقلقة، شعرت أن هناك تصرفات غير صحيحة، تدعوا للشك، فما دام دخل الريب إلى قلبك فالغيرة الآن يحبها الله ورسوله، وأما الغيرة التي يكرهها الله ورسوله فالغيرة من غير ربية، فليس هناك دليل، ولا داع، ولا عbara، ولا أي شارة، ولا تصرف مقلق، والأمور كلها طبيعية، فالآن إذا غرت بهذه الغيرة يكرهها الله ورسوله.

هناك حالات كثيرة اطاعت عليها لغيره في غير موضعها تسبب نفور الزوجة، وهناك غيرة من الزوجة في غير موضعها تسبب نفور الزوج، إذ أن هناك زوجات غيورات، فزوجة مؤمنٍ إذا تأخرت: أين كنت؟ ومع من كنت؟ وزوجها مؤمن، فمع من سيكون؟ مع رفقاء، أو في شغلها، أو قد يكون هو أيضاً فيسألها: هل دخل أحد في غيابي؟ ما هذا الكلام؟ فغيرة من دون ريب، من دون سبب، من دون دليل، من دون إشارة، من دون تنبية، من دون لفت نظر، هذه غيرة يكرهها الله ورسوله، أما الغيرة مع الريب، مع تصرف مشبوه فمطلوبة.

مثلاً: دخلت البيت، اضطربت، تسألها: لماذا هذا الاضطراب؟ باب أغلق فجأة... شيء خرج... شيء دخل، في مثل هذه الحالات لا بد من أن تكون غيوراً.

بالمناسبة، إن كل إنسان لا يتفقه في الدين يدفع الثمن باهظاً، والله قبل خمسة عشر عاماً في هذا المسجد عقب خطبة أمسكتي رجل من يدي، وقال: أريد أن أحذث بحديث خطير، فقلت له: تفضل، فقال: لقد اكتشفت اليوم أن زوجتي تخونني مع جار لنا منذ سنين، فسألته: ما السبب؟ فقال: لنا جار، ومرة زارني، فناديتها يا أم فلان تعالى فاجلسني معنا، هذا فلان مثل أخيك، فجهله بالشرع دفع ثمنه باهظاً، لذلك حضور مجالس العلم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام حتم

واجب على كل مسلم، إذاً أن هناك قواعد خطيرة جداً، فالاختلاط طريق إلى الزنى، فإنسان رأى في هذه الزوجة ما ليس عند زوجته فمال إليها، ومالت إليه، أغراها وأغرته، ومن وراء ظهر الزوج فعلوا الفاحشة، وكل إنسان يخالف الشرع يدفع الثمن باهظاً.

مثلاً: يقول أحدهم: جاءنا خاطب شاب راق مؤدب، فيسأل: هل عقدتم العقد؟ فيجيب بأن العقد ليس ضرورياً، وأمامنا وقت، يدخل ويخرج الخطيب، ثم يختفي وينتفخ البطن، وكل إنسان يخالف الشرع يدفع الثمن باهظاً، هذه غيره يحبها الله ورسوله، وأما الغيرة التي يبغضها الله ورسوله فهي الغيرة من دون ريب

دفع الزوج مواطن الريبة أمام الزوجة لاتقانها عن نفسها

و هناك شيء آخر، إذا كنت مأشيا مع زوجتك، وكنت تتظر إلى النساء من حولك، أو أن امرأة زارت زوجتك، فاستقبلت ورحت، ونظرت، فأنت قمت بعمل خطير، فزوجتك رأتك، وأنت تخالف الشرع، فأنت الآن تعطيها مبرراً لتعاملك بالمثل، فإذا رأتك في عفة وفي حشمة، وفي ورع وفي غض بصر اقتدت بك، وهنا نتذرب قول سيدنا موسى:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾

[سورة القصص: من الآية ٢٣]

فهل هناك في اللغة العربية بأكملها عبارة أشد اختصاراً، وأكثر جدية، وأقطع لكل تعليق من هذه؟ قالنا:

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة القصص: من الآية ٢٣]

و مرة أخرى:

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْرِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

[سورة القصص: من الآية ٢٥]

فلم تقل له: أبي يدعوك، وسكتت، فسألها: لماذا؟ وهذا حتى لا يكون هناك حوار مباشرة،

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْرِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

انتهى الأمر بكلمة.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾

[الأحزاب: من الآية ٣٢]

فلا كلمة زائدة، مثلاً: سعرها كذا، ادفعي، وامشي، فإذا قالت: نحن جيرانك، فقد أصبح هناك حوار لا مبرر له، قال تعالى:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[الأحزاب: من الآية ٣٢]

فحتى على الهاتف كلمة فقط، مثلاً: فلان موجود؟ لا، بلغوه أن فلانا قد اتصل به، انتهى، دق الباب، فلان موجود؟ لا، تفضل، هذا كلام مخالف للأصول، فالإنسان يجب أن يتعلم كيف يتكلم، وهذا الذي يقول عنه النبي عليه الصلاة والسلام فعليه أن يكون عفيفاً أمام زوجته، وأمام الله، فحين يكون عفيفاً على مرأى منها يعلمها أن تكون عفيفة مع غيره، مع البائع، مع الشاري، مع أي إنسان، أما إذا هو أخذ، وأعطى في الكلام، وكان لطيفاً جداً، وكانلينا في الكلام، ونظر، وأدار حديثاً ممتعاً ومازحاً مع امرأة لا تحل له على مرأى من زوجته، فكانه يعطيها مبرراً لتشطط في الحديث.

ومن حق الزوجة على زوجها أن يأمرها بالصلاوة، وأفضل شيء أن يصلوا سوية، ففي البيت الزوجة مع الأولاد، أصبحت الصلاة صلاة جماعة، فتوضوا، وصلوا جماعة، فمن حقها عليه أن يأمرها بالصلاحة، وأداء الفرائض لقوله تعالى:

﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِنَتَّقُوْيَ﴾

[سورة طه: الآية ١٣٢]

لذلك ورد في بعض الأحاديث أن الزوجة تتعلق يوم القيمة برقبة زوجها، وهي تقول: يا رب، خذ لي حقي من زوجي، لأنه كان يراني أفعل كذا وكذا من الموبقات فلم ينهني، وكان يراني أبتعد عن كذا وكذا من الخيرات وأداء الصلوات فلم يأمرني، يا رب، خذ لي حقي من زوجي. إن الإنسان إذا لم يفعل فسوف يحاسب عن زوجته حساباً عسيراً.

الحق الثامن: عدم التحدث عن الأسرار الزوجية

شيء آخر، لا يجوز، ولا بأي شكل من الأشكال، ولا بأي تلميح أو تصريح، لا يجوز تحت طائلة أشد العقوبات أن يتحدث الزوج عن أسرار الحياة الزوجية للناس، فهذا الذي يفعل ذلك لا يغار على عرضه، ما كان بين الزوج والزوجة يجب ألا يعلمه إلا الله، فالنساء في بعض المجالس يتحدثن عن أزواجهن، وعن أسرار الحياة الزوجية، والزوج أحياناً يتحدث عن زوجته، وأسرار

العلاقة الزوجية، هذا الذي يفعل هذا فاقد للمرءة، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمون الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث))

[مسند أحمد]

و عن أبي سعيد الخدري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيمة الرجل يُفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم يتشرّس رهانها))

[مسلم]

ولكن هذا لا يدخل في نطاق السؤال: هل صار العرس؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام سأله أبا طلحة، فقال: أعرستم الليلة؟ ولم يقصد النبي إلا أن يسأله: هل دخل بامرأته؟ فهذه ليس لها علاقة بالعلاقة الزوجية.

الحق التاسع: عدم تكليف الزوجة بعمل فوق طاقتها

ومن حق الزوجة على زوجها ألا يكلفها عملاً فوق طاقتها، فهناك أحياناً زوج يضع برنامجاً لتنظيف البيت غير معقول، ويحاسب حساباً شديداً، فالتدقيق سهل، والفحص سهل، أما الإنجاز فيتطلب جهداً كبيراً، فإذا كان لديها أولاد، وعندها عمل كبير، وأنت تحاسبها: لماذا لم تفعلي كذا؟ ولماذا لم تفعلي؟ فهذا خلاف الشرع، إذ لا يحل للزوج أن يكلف زوجته فوق استطاعتها، فقد تكون الأوامر في ذاتها مشروعة، ولكنها لظروف الزوجة تصبح غير مشروعة، حالة الدورة الشهرية، حيث تكون المرأة ضعيفة، فيكلفها فوق طاقتها، ويحاسبها، وكأنها شديدة عتيدة، فهذا أيضاً مخالف للشرع، والنبي عليه الصلاة والسلام أوصى ألا يكلف الإنسان خادمه فوق طاقته، فلأن يمتنع أن يكلف الإنسان زوجته فوق طاقتها من باب أولى.

السيدة فاطمة رضي الله عنها اشتكت إلى أبيها صلوات الله وسلامه عليه ما تلقى من مشقة الخدمة، فأمرها عليه الصلاة والسلام أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فهذا إشارة إلى أن من واجب الزوجة أن تقوم بخدمة زوجها، وبينها بالمعقول، إلا أن الرأي الدقيق أنه إذا كان هناك مودة ومحبة ترتفع التكفة، إذ إن الزوجة قد تعمل فوق طاقتها اختياراً وبمبادرة منها، والزوج يعين زوجته، فمادام هناك محبة وألفة وإخلاص فكل شيء يحل

هذه بعض حقوق الزوجة على زوجها، والإنسان كلما أدى الحقوق كلما اقترب من خالقه، وكلما
شعر أن الطريق إلى الله سالك.

والحمد لله رب العالمين

الباب الثالث : حق الآباء على الأبناء

٠١ - أهمية وحكم بر الوالدين

٠٢ - أمثلة عن العقوق

ال التربية الإسلامية - الحقوق - حقوق الآباء على الأبناء - الدرس (١-٢) : أهمية وحكم بـ
والدين .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١٠-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدرس:

أيها الإخوة المؤمنون... لا زلنا في الحديث النبوى الشريف، ولا زلنا في موضوع الحقوق والواجبات، وقد مضى درسان أو أكثر في الحديث عن حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها، واليوم ننتقل إلى حقوق الآباء على الأبناء، ومن ثمّ – إن شاء الله تعالى – نتحدث عن حقوق الأبناء على الآباء.

مفهوم العدل والإحسان:

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

(سورة النحل: آية ٩٠)

العدل قسري، والإحسان طوعي:

أي أن أداء الحقوق لا بدّ من أن تفعله، أيها المؤمن، أما أن تحسن، فهذا بحسب رغبتك وإمكاناتك وطموحك في القرب من الله عزّ وجلّ، فالحديث في الحقوق والواجبات لا يتعلّق بما هو طوعي، بل يتعلّق بما هو قسري، إلا أن المؤمن مأموم بالإنصاف كما هو مأموم بالعدل. أضرب على هذا مثلاً للتوضيح:

لو أنك بعت بضاعةً وكان البيع وفق الشّرع تماماً، وتم الإيجاب والقبول، وعلم الثمن، وعلمت حالة البضاعة، وقبضت الثمن، وسلمت البضاعة، وكان الرضا، وكان الشهود.. هذا بيع شرعي، بيع ملزم، فلو أن أحد الطرفين امتنع عن دفع بقية الثمن، ورفع الآخر أمره إلى القاضي، فالقاضي يلزم الممتنع.. هذا هو العدل.

لكن هذا الشاري إذا جاءك، ورجالك أن تلغي له هذه الصفقة، وبين لك العذر، وأنت تستطيع أن تفعل هذا من دون أن تصاب بالضرر، وفعلت هذا، فهذا من قبيل الإحسان.



﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعِدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

(سورة النحل: آية ٩٠)

لذلك: فالقضايا فيما بين الناس، إن لم

تحلّ وفق قواعد العدل؛ حلّت وفق قواعد الإحسان، ولا سيما بين الزوجين، بين الجارين، بين الأخوين، بين الشركين، إما أن تحكم قواعد العدل، وأنعم بها من قواعد، وإما أن تحكم قواعد الإحسان، وهي تتسع لما ضاقت عنه قواعد العدل، فهذه الآية لو طبقها الناس لأغلق قصر العدل أبوابه:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعِدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

(سورة النحل: آية ٩٠)

إذاً: إذا صاق العدل اتسع الإحسان، والعدل قسري، والإحسان طوعي.

العدل وأداء الحقوق:

درس اليوم والدروس التي سبقته، والدروس التي تلحقه إن شاء الله تعالى، كلها متعلقة بالعدل وأداء الحقوق، ولا بدّ من أداء الحقوق، والنبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المروي عن عمرو بن خارجة قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

((إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ، إِلَّا لَا وَصِيَّةٌ لَوَارِثٍ))

حديث حسن، أخرجه الترمذى والنسائى

ولن يكون الطريق إلى الله سالكاً إلا إذا أعطيت كلّ ذي حقّ حقّه، لن تشعر أن الله راضٍ عنك إلا إذا أعطيت كلّ ذي حقّ حقّه، فالزوجة لها حق، والأم لها حق، والأخ له حق، والأخت لها حق، والابن له حق، والبنت لها حق، والجار له حق، وكلّ من يتصل بك له حق، وإن الله ليسأل العبد عن صحبة ساعة.

حقوق الآباء على الأبناء:

أيها الإخوة الكرام... الدرس في الحديث الشريف، ولكن الموضوع متعلق بحقوق الآباء على الأبناء، ومادام في القرآن آية كريمة تتعلق بحقوق الآباء على الأبناء، فلا بد من أن تقدم هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(سورة الإسراء: آية ٢٣)

معاني كلمة (قضى) في القرآن الكريم:

ما معنى " قضى " ؟

كلمة " قضى " تنقلنا إلى موضوع دقيق، وهو أن الكلمة – في القرآن الكريم – قد ترد بمعنى كثيرة، والسياق وحده يحددها، فمثلاً:

قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(سورة الإسراء: آية ٢٣)

أي: (أمر) ، كلمة قضى في هذه الآية تعني أنه أمر، أي أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمن.. أمر الإنسان ألا يعبد إلا الله وبالوالدين إحساناً.
آية ثانية:

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمٍ ﴾

(سورة فصلت: آية ١٢)

معنى قضاهن، أي: (خلقهن).

قال تعالى:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾

(آية ٧٢ سورة طه)

حينما خاطب السحرة فرعون، أي بمعنى: (احكم بأي حكم).

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانٌ ﴾

(سورة يوسف، آية ٤١)

أي: (فرغنا منه).

﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(آية ٣٥ سورة مريم)

هذا بمعنى: (أراد) .

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(آية ٤٤ سورة القصص)

يعني: (إذ عهدا)

كلمة (قضى) تأتي مرةً بمعنى أمر، ومرةً بمعنى خلق، ومرةً بمعنى حكم، ومرةً بمعنى فرغ، ومرةً بمعنى أراد، ومرةً بمعنى عهد..

إذًا: من السذاجة أن تظن أن الكلمة القرآنية لها معنىً واحد، فحيث ما جاءتأخذت هذا المعنى الواحد، فالقرآن واسع البيان، وسياق كل آية هو الذي يحدد معناها.

عطف الشيء على الشيء في القرآن الكريم:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(سورة الإسراء: آية ٢٣)

في الآية دقة بالغة، أنا ماذا أقول حينما أعطف شيئاً على شيء؟ أقول: اشتريت أرضاً وبيتاً، اشتريت مركبةً فخمةً ومركباً في البحر، اشتريت كتاباً ثميناً ومجلداً، لكن ليس من طبيعة العرب أن يعطفوا شيئاً متلاوين، هل يعقل أن نقول: اشتريت أرضاً وملعقةً؟ هذا غير مألف، اشتريت بيتي فهماً ودفعت ثمنه مبلغاً طائلاً واشتريت معه سكيناً، لا يوجد تناسب.. فلمجرد أن الله سبحانه وتعالى عطف الإحسان للوالدين على عبادة الله عزّ وجل، فالإحسان للوالدين شيءٌ عظيم عظيم عظيم، قرنه الله عزّ وجل بعبادته:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(سورة الإسراء: آية ٢٣)

آية ثانية، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَّهُمْ ﴾

(آية ٥ سورة محمد)

صلاح البال، راحة البال، الطمأنينة، الرضا، الاستسلام لله عزّ وجل..

بيت ليس فيه مشكلات، ليس فيه منغصات، فيه سلم، فيه مودة، فيه محبة، صلاح البال رفعه الله إلى مستوى الهدى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَّهُمْ ﴾

(آية ٥ سورة محمد)

العطف يقتضي التناسب، لمجرد أن الله سبحانه وتعالى، عطف الإحسان إلى الوالدين، على عبادة الله عزّ وجل، معنى ذلك أن الإحسان إلى الوالدين شيءٌ عظيمٌ عظيمٌ عظيم، يرتفع إلى مستوى عبادة الله عزّ وجل.

شيء آخر:

في حقوق الآباء على الأبناء، في آيةٍ ثانية، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيهِ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

(آية ١٤ سورة لقمان)

دائماً الأحكام تحتاج إلى ثبات، والثبات أساسه التكرار، لو أن الله سبحانه وتعالى في آيةٍ واحدة قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله عزّ وجلّ، هذه آيةٌ، لكن لا نعلم ما إذا كانت قاعدة، فحينما تأتي آيةٍ ثانية تقرن ضرورة شكر الله عزّ وجلّ بضرورة شكر الوالدين إذاً يستتبع من تكرار هذا المعنى أن هناك قاعدةً ثابتةً ألا وهي أن بر الوالدين شيءٌ يرقى إلى مستوى عبادة الله عزّ وجلّ:

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيهِ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

(آية ١٤ سورة لقمان)

وفي صحيح البخاري:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال:

((الصلاة لم يقاتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله))

من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذى والنمسائى

فأحب الأعمال إلى الله: الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله

بعض معاني بر الوالدين:

من معاني بر الوالدين:

١ – عدم التسبب في سبّهما:

ألا يتعرض الإنسان لسبّهما إطلاقاً.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إن من الكبائر: شتم الرجل والديه، قال: وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسبُ الرجل أباً
الرجل وأمه، فيسبُ أباًه وأمه))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى

الكبائر التي نهى عنها القرآن الكريم:

الكبائر مهلكة تستحق دخول النار ، فهذه الكلمات التي يعتادها السوقة من الناس في سبِّ الوالد، إذا اعتادها الإنسان الحق بآبيه سبباً لا يعذر ولا يحصى، وهذا من الكبائر كما قال عليه الصلاة والسلام.

في هذه المناسبة، أحد العلماء واسمه "أبو طالب المكي" رحمه الله تعالى، أحصى الكبائر التي وردت في كتاب الله فقال:

"أربعةٌ في القلب: الشرك بالله تعالى، والإصرار على معصية الله تعالى، والغنوط من رحمة الله تعالى، والأمن من مكر الله تعالى.

وأربعةٌ في اللسان: شهادة الزور، وقذف المحسنات الغافلات المؤمنات، واليمين الغموس، والسحر.

وثلثةٌ في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا.

واثنتان في اليدين: وهمما القتل والسرقة.

واثنتان في الفرج: وهمما الزنا واللواط.

وواحدةٌ في الرجل: وهي الفرار من الزحف.

وواحدةٌ في جميع البدن: وهي عقوق الوالدين".

أربعةٌ في القلب، وأربعةٌ في اللسان، وثلاثةٌ في البطن، واثنتان في اليدين، واثنتان في الفرج، وواحدةٌ في الرجل، وواحدةٌ في جميع البدن.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال
((أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ - ثَلَاثًا - قَلْنَا: بَلِيْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ
الوَالِدَيْنِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَقُولُ الزُّورِ - وَكَانَ مَتَّكِنًا فِي جَلْسٍ - فَمَا زَالَ يَكْرَرُهَا حَتَّى قَلَّ
لِيَتَهُ سَكَتَ))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذني

"الإشراك بالله" كلمة مطلقة، والمطلق على إطلاقه، أي يشمل الشرك الخفي، والشرك الجلي، أن تقول: زيد وعبد وفلان أزعجني، وفلان أعطاني، وفلان حرمني، وفلان وعلان، وفلان وفلان، هذا كلّه شرك.

قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

(آية ٢١٣ سورة الشراء)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس))

حديث صحيح، أخرجه البخاري والترمذى والنمسائى

((إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيمة، الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، والفرار

في سبيل الله يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحسنة، وتعلم السحر وأكل الربا، وأكل

مال اليتيم))

من حديث صحيح لغيره، أخرجه النسائي ومالك والدرامي والطبراني وابن حبان وعبد الرزاق

والحاكم وابن خزيمة، عن عمرو بن حزم رضي الله عنه.

عقوق الوالدين من الكبائر:



هذه الأحاديث كلها مفادها أن "عقوق الوالدين من الكبائر".

كيف أن الله سبحانه وتعالى أمرك بالإحسان إليهما، وقرن الإحسان إلى عبادته، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أمرك أن تشكرهما وقرن شكرهما إلى شكره، كذلك عقوق الوالدين جعله الله

في مستوى الشرك، الإشراك بالله وعقوق الوالدين صنوان.

ولا بد من اجتناب الكبائر.

والأية التي تعرفونها جميعاً هي قوله تعالى:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾

(سورة النساء، آية ٣١)

تحريم عقوق الأمهات على وجه الخصوص:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَيْكُمْ عَقُوقَ الْأَمَهَاتِ،
وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ. وَكَرْهٌ لَكُمْ
قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ
الْمَالِ))

من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود



خصوصية بر الأم

حديثٌ لطيفٌ، خصّ الأمهات لعظم فضلهن على الأبناء، ومعنى "منعوهات" منع أداء الحقوق، وأخذ المال بالباطل، و "قيل وقال" الكلام الذي لا طائل منه، و "كثرة السؤال" في المسائل التي لا حاجة لك بها.

((طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس))

من حديث رواه البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنته ضعفاء

و "إضاعة المال" إِنْفَاقَهُ إِسْرَافًا وَتَبْذِيرًا.

بعض الأحاديث الزاجرة عن عقوبة الوالدين:

عن ابن عمر، رضي الله عنهمَا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيمة..))

أي أكبر عقوبة يعاقب بها الإنسان يوم القيمة أن يحرم من النظر إلى وجه الله الكريم، والدليل قوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

(آية ١٥ سورة المطففين)

((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيمة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاوه، وثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه، والديوث، والرجلة))

حديث أخرجه البزار في مسنده، ورجاله ثقات

و "الرجلة" هي المرأة المسترجلة التي تتشبه بالرجال، أي الفاجرة.
الأحاديث المتعلقة بعقوق الوالدين لا تعد ولا تحصى.

((أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا وآكل
مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يقال للعاق: اعمل ما شئت فلن يغفر لك.

((ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف))

حديث رواه الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه، و في سنته رجل ضعيف

وورد أيضاً:

((ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً: عاقٌ، ومنانٌ، ومكذبٌ بالقدر))

حديث رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما رجل متزوج وفي الآخر رجل ضعيف

هذا كله متعلق بعقوق الوالدين لعظم حقهما على الإنسان:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(سورة الإسراء: آية ٢٣)

الآن نتابع بعض التفصيلات المتعلقة بغير الوالدين:

٢ – عدم مخالفة الوالدين في المباحات:

من عقوق الوالدين أن تختلف الأبوين في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن من برهما أن توافقهما في أغراضهما ؛ فإذا أمرك الأب أمراً لا يتعلق بمعصية الله عزّ وجلّ وجب عليك أن تنفذه، إلا إذا كان معصية، لقاعدة الشهير:

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط

بعض قواعد بــ الوالدين التي نصّ عليها العلماء:

بعض العلماء قالوا:

– "إذا أمر الوالد بالمباح صار في حق الولد مندوباً"

أي ينتقل أمر الأب إلى ابنه في المباح إلى مستوى المندوب، إذا أمرك بشيء مباح أصبح في حقك مندوباً،

– "إذا أمر الوالد بالمندوب، أصبح في حق الولد تأكيداً في ندبته"

— "الأبوان لا يأتمان إذا منعا ابنهما من الحج"

إذا كانا في مرضٍ عضال وفي حاجةٍ ماسةٍ إليه، ومنعاه من الحج على أن يحج في العام القادم لا يأتمان، لأن بعض العلماء يرى أن الحج على التراخي لا على الفور، وبعضهم يرى الحج على الفور، إذا كان هناك مرضٍ عضال وحاجةٍ ماسةٍ وهناك احتمالٌ كبيرٌ أن يموتا في غيبة ابنهما، فالأولى أن يبقى معهما ولا يأتمان إذا منعاه من الحج.

— "لا يحل للابن أن يسافر سفراً فيه خطر إلا بإذنها"

لا يحق للابن أن يسافر سفراً فيه خطر إلا بإذنها، هذا ما ورد في شرح بعض الأحاديث، وما لا خطر فيه، فيحل للابن أن يسافره من دون إذنها، من هذا السفر الذي لا خطر فيه، السفر في طلب العلم.

— "لا يجوز للمصلي إذا دعته أمه أو غيرها أن يقطع صلاته"

لقوله صلى الله عليه وسلم:

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

سبق تخرجه

تصلي في غرفة وأمك تناديك أو أبوك في غرفة ثانية، بعض العلماء يقول: "لا يجوز للمصلي أن يقطع صلاته إجابةً لنداء أمه"، لأن حفظ الله عزّ وجلّ آكد من حقوق الأبوين، لكن العلماء يستحبون أن يخفف من صلاته فيقرأ سورة الإخلاص، مادام أحد أبويه يناديه أن يقرأ سورة قصيرة، أما إذا شرع في سورة طويلة وتابعها فهو الآن مخالف، لك أن تقرأ سورة قصيرة كي تجيب أمك أو أباك في الوقت المناسب.

— "إن الصلاة إذا كانت نفلاً، وعلم تأدي الأب أو الأم بترك إجابتها فلما أن تقطع صلاتك النافلة لتجيب أمك أو أباك إذا كان في عدم الإجابة أذى لها".

إذا أمه مقيمة وتحتاج إلى أن تغير جلستها، انتهي السيروم مثلاً، متالمة من قضية، نادتك وأنت في صلاة النفل، فبعض العلماء أجازوا أن تقطع صلاتك كي تجيب نداء أمه أو أبيك.

أما إذا ضاق الوقت وكانت الصلاة فرضاً فلا عليك ألا تجيب، عند المالكية "إجابة الوالد في النافلة أفضل من التمادي فيها"

— "يجب أن تدع أي صلاة ولو كانت فرضاً إغاثةً لملهوف" كأن يكون الابن قريباً من المدفأة، أو الابن نائماً يكاد أن يقع من فوق سرير عالي وقد يرتج دماغه، أي أن هناك قضية خطيرة، فيجب أن تقطع الصلاة إغاثةً لملهوف، أو لغريق أو لحريق،

أو إجابةً لنداء أحد الأبوين بلا استغاثة في النفل، أي في صلاة النفل لك أن تقطع الصلاة لأي نداء منهما.

ظلم الوالدين للولد لا يرفع وجوب برّهما:

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهم:

((لا يكون لرجل أبوان فيُصبح محسناً إلا فتح له باب إلى الجنة، ولا يُمسى وهو محسن إلا فتح له بباب من أبواب الجنة،...، فإن كان واحداً فأصبح محسناً فتح له باب من أبواب الجنة، ولا يسخط عليه أحدهما أو واحداً منها فيرضي الله عنه حتى يرضي قيل: وإن كان له ظالماً؟
قال: وإن كان له ظالماً))

من حديث موقف، أخرجه مسدد بن مسرهد في مسنده بإسناد مختلف فيه
أي حتى لو أوقع الأب ظالماً بالابن، لكن العلماء استدركا وقالوا: "إن ظلماء في الدنيا لا في الآخرة"، أي إذا كان الأمر متعلق بالدين، فعندئذ: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".
أما إن ظلماء في الدنيا ويحتمل هذا الظلم، الأولى ألا يغضبهما، هكذا قال العلماء الظلم في الدنيا
إذا كان محتملاً، فال الأولى أن ترضيهما.

حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، منْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَاحَابِيْ؟ قال: أَمْكَ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أَمْكَ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أَبُوكَ))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم

أي: حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب

الإمام مالك جاءه رجل وقال له: إن أبي في بلد السودان، وقد كتب إلي أن أقدم عليه، وأمي
تمنعني من ذلك، فماذا أفعل؟

الإمام مالك بحسب علمه قال: "أطع أباك ولا تعصِّ أمك". ففهم من هذا القول: أن حق الأب
وحق الأم سواء.

لكن أكثر العلماء على أن حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب.

تخاصم أبو الأسود الدؤلي مع امرأته إلى القاضي، على غلامٍ لهما منه، أيهما أحق بحضانته؟ فقالت المرأة: "أنا أحق به لأنني حملته سعة أشهر، ثم وضعته، ثم أرضعته، إلى أن ترعرع بين أحضاني كما تراه مراهقاً". فقال أبو الأسود أمام القاضي: "أيها القاضي حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، فإن كان بعض الحق على، فلي الحق كله أو جله". فقال القاضي: "أجيبي أيتها المرأة عن دفاع زوجك"، قالت: "لئن حمله خفيفاً، فقد حملته ثقيلاً، وإن وضعه شهوةً، فقد وضعته كرهًا". فنظر القاضي إلى أبي الأسود وقال له: "ادفع إلى المرأة غلامها، ودعني من سجوك".

يبدو أن حق الأم يزيد على حق الأب.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

((أن امرأة قالت يا رسول الله، ابني هذا كان بطيء له وعاء، وثديي له سقاء وحجر يله حواء، وإن أباها طلقني وأراد أن ينزعه عنى، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت أحق به ما لم تنتحي))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه

أي: إذا تزوجت فهو أحق به منك.

العلماء قالوا: "الأم أحق بحضانة ولدتها إلى سبع سنين، إن كان ذكرأ، وإلى تسع إن كانت أنثى، إلا أن يرى القاضي استمرار حضانة الأم فيزيد سنتين لكليهما". هذا الحكم الشرعي.

٣- الآثار الطيبة لبر الوالدين:

مما يتعلق ببر الوالدين أن العارف بالله الشهير أبي يزيد البسطامي رحمه الله، أراد أن يذهب إلى بغداد لطلب العلم وكان غلاماً يافعاً، فأعطته أمه أربعين ديناراً هي ميراثه من أبيه، وقالت له: "ضع يدك في يدي وعاهدني على التزام الصدق فلا تكذب أبداً، فعاهدتها على ذلك وخرج مع قافلةٍ ي يريد بغداد لطلب العلم، وفي أثناء الطريق خرج اللصوص، ونهبوا كل ما في القافلة، ورأوا البسطامي رث الثياب فقالوا: يا غلام هل معك شيء؟ قال: معي أربعون ديناراً، لأنه عاهد أمه على الصدق، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه، وراحوا إلى الكهف الذي كان به كبيرهم ينتظر ما يأتون به، فلما رآهم قال: هل أخذتم كلَّ ما في القافلة؟ قالوا نعم: إلا غلاماً سألناه عما معه فقال: معي أربعون ديناراً فتركتناه احتقاراً لشأنه، ونظن أن به خيلاً في عقله، قال: علىَّ به، فلما حضر بين يديه، قال: هل معك شيء؟ قال: نعم معي أربعون ديناراً، قال: أين هي؟ فأخرجها وسلمها له، فقال كبير اللصوص: ألمجنون أنت أيها الغلام؟ كيف تخبر عن نقودك

وتسلمها باختبارك ؟ قال له: لما أردت الخروج من بلدي، عاهدت أمي على الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي أبداً، عندئذٍ صعق كبير اللصوص، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، أنت أيها الغلام تخاف أن تخون أمك ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله، ثم أمر كبير اللصوص برد جميع ما أخذ من القافلة وقال: يا غلام أنا تائبٌ على يديك .

فإذا كان هناك مثل هذا اللص فلا عليكم فأعطيوه النقود، فقال من معه: " كنت كبيرنا في قطع الطريق، واليوم أنت كبيرنا في الطريق إلى الله ".

٤ – عدم ارتباط وجوب البر بإسلام الوالدين:

وعندنا قضية أخرى متعلقة ببر الوالدين:

الشيء الأساسي أن العلماء قالوا: " لا يختص ببر الوالدين، بأن يكونا مسلمين " يعني أحياناً شابٌ يتعلم الدين في المسجد، ويرى أن آباء دينه قليل، فيتهمه بالفاظ كبيرة ويسيء العلاقة مع أبيه.

استمعوا إليها الإخوة: لا يختص بـبر الوالدين بأن يكونا مسلمين، فلو كانوا مشركين فأنت ملزم بـبرهما، فكيف إذا كانوا مسلمين ولكنهما مقصرين ؟ أحق لك أن تتهماهما في دينهما ؟ أحق لك أن تغاظ عليهمما القول ؟ أحق لك أن تكون عنيفاً معهما ؟ يقول الله عزّ وجل:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرُجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(آية ٨ سورة المتحنة)

إذا كان الله سبحانه وتعالى لا ينهانا عن الذين لم يقاتلونا في الدين أن نبرّهم، فلأن نبرّ والدينا من باب أولى.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: ((قدّمتُ على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: ' قدّمتُ على أمي وهي راغبة، أفصلُ أمي ؟ ' قال: ' نعم، صلي أمك ' . زاد في رواية، فأنزل الله فيها: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ }))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي بن سلول، وهو في ظل أجمة فقال:
" قد غَبَّ علينا ابن أبي كبشة " فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: " والذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب، لئن شئت لأتريك برأسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ولكن بر أباك وأحسن
صحته))

حديث حسن، أخرجه البزار وابن حبان والحاكم
أدأ أعداء النبي، رأس المنافقين، أمر النبي عليه الصلاة والسلام ابنه أن يبره.. هذا هو الشرع،
هذا هو الدين، هذا هو الإسلام.

٥ – بر الوالدين مقدم على الجهاد الكفائي:

في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:

((جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد، فقال: " أَحِيْ وَالدَّاك ؟ " ،
قال: نعم، قال: " فَفِيهِمَا فَجَاهَد "))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنمسائى

وفي رواية أخرى:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، قال:

((جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: جئتُ أبَايُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبْوَيِّ
يَبْكِيَانِ، قَالَ: ' فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا '))

حديث صحيح، أخرجه أبو داود والنمسائى

ترون من هذه الفقرة عظم بر الوالدين.

وفي الأثر:

((نومك مع أبيك يضاحكك ويلعبنك أفضل من الجهاد معى))

فهذا كله يؤكّد بر الوالدين.

٦ – عدم التسبب في بكائهم حزناً وضيقاً:



قال العلماء:

– " من أبكى والديه كان عاقاً ."

كتاب الحقوق - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

من أحزن والديه فقد عقهما

حدثته حديثاً عن الله فبكى، هذه ليس لها علاقة، حدثته بقضية، رفضت له طلب أو رجاك بشيء فأنت لم تستجب، رجاك أن تكون مع أخيك فانفصلت عنه، أي أنه طلب منك طلباً معقولاً، فأنت امتنعت فبكى الأب، فالعلماء قالوا: "بكاء الوالدين من عورتهم" طبعاً هذا القول مأخوذ من الأثر:

((بكاء الوالدين من العورات))

وفي أثر آخر:

((من أحزن والديه فقد عورتهما))

٧ – مواصلة أحباب وأصحاب الوالدين:

من بر الوالدين صلة أهل ودهما، فعن ابن عمر، رضي الله عنهم، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إنَّ مِنْ أَبْرَّ الْبَرِّ صَلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدَ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُولَّى))

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى

بعد أن يولي – أي يموت – الأب، من هم أصدقاؤه؟

إخوانه الذكور، أخواته الإناث، أقرباؤه، أصدقاؤه، أصحابه..

((إنَّ مِنْ أَبْرَّ الْبَرِّ صَلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدَ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُولَّى))

سبق تخرجه

والحديث الشهير الذي تسمعونه مني،
عن أبيأسيد الساعدي رضي الله عنه،
قال:



الولد الصالح صدقة جارية

((بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بنى سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبي شيء أبرهما به من بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهم والاستغفار لهم، وإنفاذ عهودهما،

((وإكرام صديقهما، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قبلهما))

الحديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في المستدرك

النبي صلى الله عليه وسلم، كان يهدي لصديقات خديجة اللحم بعد موتها برأًّا بها، ووفاءً لها وهي زوجته فما ظنك بالوالدين ؟

عن أبي بردة رضي الله عنه قال :

((قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، فقال لي: تدري لم جنتك ؟ قلت: لا، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده "))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه أبو يعلى

كان لابن عمر رضي الله عنهم حمار يتراوح عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار، إذ مر به أعرابي، فقال: ألسن ابن فلان ؟ قال: بلـي، فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا، والعمامة، وقال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت ترَوْحَ عليه وعمامة كنت تشـدـ بها رأسك. فقال: إني سمعت رسول الله صلـى الله عليه وسلم يقول:

((إن من أبـرـ البرـ صـلـةـ الرـجـلـ أـهـلـ وـدـ أـبـيهـ بـعـدـ أـنـ يـوـلـيـ))
وإن أباـهـ كـانـ وـدـأـ لـعـمـرـ.

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذـي

٨ – الدعاء لهمـا بعد موتهـما:

الشيء المعروف عندكم جميعاً، أن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاثة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلـى الله عليه وسلم قال:

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينفعـ بهـ، أو ولـدـ صالح يدعـوـ لهـ))

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذـي و النسائي



فالولد الصالح الذي يدعـوـ لهـ هذا صدقة جارية، إذاً حق الأبـ عظيمـ، أيـ أنـ الإنسانـ إذاـ ربـيـ ابـنـاـ صالحـاـ وـدـعاـ لهـ منـ بـعـدـ فإـنـ كلـ أـعـمـالـهـ الصـالـحةـ منـ بـعـدـ تسـجـلـ فيـ صـحـيفـةـ الـأـبـ، لـذـكـ قالـ عليهـ الصـلاـةـ وـالـسـلامـ:

((أفضلـ كـسبـ الرـجـلـ وـلـدـهـ))

من حديث رواه الطبراني وفي سنته رجل مختلف فيه

السيوطني الشهير مصنف الأحاديث له أبيات يعدد فيها الصدقات الجارية أخذًا عن السنة النبوية المطهرة يقول:

إذا مات ابن آدم جاء يجري عليه الأجر عند ثلاثة عشر
علوم بثها ودعاء نجل وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغر وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي إليه أو ابتناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم فخذها من أحاديث بشعري

سئل أحد العلماء: "كم يدعو الإنسان لوالديه، أفي اليوم مرة، أم في الشهرة مرة، أم في السنة؟
قال: تدعوه له مع كل صلاة، خمس صلوات، أي خمس مرات في اليوم.

قال بعض التابعين: "من دعا لوالديه خمس مرات فقد أدى حقهما في الدعاء لأن الله تعالى يقول:
﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾"

(آية ١٤ سورة لقمان)

فالصلاحة شكر، وشكر الوالدين مع الصلاة... إذاً خمس مرات، هذا هو الاستنباط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول:
باستغفار ولدك لك))

حديث رجاله رجال الصحيح غير واحد وقد وثق، أخرجه الطبراني والإمام أحمد

٩— رضا الوالدين سبب للنجاة من النار :

آخر قصة في الدرس:

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال:

((كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه. قيل له: قل لا إله إلا الله: فلم يستطع، فقال: "كان يصلي؟". فقال: نعم: فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: "قل: لا إله إلا الله". فقال: لا أستطيع. قال: "لم؟". قال: كان يعق والديه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أحيه والدته؟". قلوا: نعم. قال: "ادعوها". فدعوها فجاءت، فقال: "هذا ابنك؟". فقالت: نعم. فقال لها: "أرأيت لو أجبت ناراً ضخمةً فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقتنا بهذه النار، ألسنت تشفعين له؟". قالت: يا رسول الله إذاً أشفع. قال: "فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه". فقالت: اللهم إني

أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ". فقال لها ف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحمد لله الذي أنقذ بي من النار ")

حديث رواه الطبراني وأحمد وفي سنته رجل متزوج

هذا عمل صالح: أن توقف بين أمٍ وبنها، وبين أخٍ وأخيه، وبين أبٍ وأبنه، وبين جارٍ وجاره. النبي عليه الصلاة والسلام على عظم شأنه وعلى عظم قدره حمد الله عزّ وجل على أن مكنته من أن ينقذ هذا الشاب من النار، حيث جاء بالأم وأقنعها أن تعفو عنه، فماذا كان يفعل معها؟ وكان هذا الشاب كما ورد في كتب الحديث يؤذي أمه، ويؤثر عليها زوجته وللحديث بقية في الدرس القاسم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

لـفـضـيـلـة الـدـكـتـور مـحـمـد رـاتـب النـابـلـسـي بـتـارـيخ: ١٩٨٩-١٠-٢٩

بـسـم اللـه الرـحـمـن الرـحـيم

يـجـب أـن يـعـين الـآبـاء أـبـنـاءـهـم عـلـى بـرـهـم:

أـبـهاـ الإـخـوـةـ المـؤـمـنـونـ... لـازـلـناـ فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـ حـقـوقـ الـآبـاءـ عـلـىـ الـأبـنـاءـ،ـ وـلـكـ هـنـاكـ مـلـاحـظـةـ أـرـيدـ أـنـ أـصـعـهـاـ بـيـنـ أـيـدـيـكـمـ،ـ هـيـ أـنـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ الـمـتـعـدـدـةـ،ـ وـالـأـحـادـيـثـ الـشـرـيفـةـ الـكـثـيرـةـ،ـ التـيـ تـحـضـ الـأـبـنـاءـ عـلـىـ أـنـ يـكـوـنـواـ بـأـبـائـهـمـ،ـ هـذـهـ الـآـيـاتـ وـالـأـحـادـيـثـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـحـمـلـ الـآـبـاءـ عـلـىـ أـنـ يـكـوـنـواـ فـيـ مـسـتـوـىـ الـأـبـوـةـ الـمـطـلـوبـ،ـ مـادـامـ رـبـنـاـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ يـحـضـ الـأـبـنـاءـ عـلـىـ أـنـ يـكـوـنـواـ بـأـبـائـهـمـ،ـ فـالـآـبـاءـ يـجـبـ أـنـ يـكـوـنـواـ فـيـ مـسـتـوـىـ الـمـطـلـوبـ،ـ فـقـدـ وـرـدـ فـيـ الـأـثـرـ:

((رـحـمـ اللـهـ وـالـدـاـ أـعـانـ وـلـدـهـ عـلـىـ بـرـهـ))

وـوـرـدـ أـيـضـاـ:

((مـأـكـلـ مـنـ مـالـ اـبـنـهـ فـيـأـكـلـ بـالـمـعـرـوفـ))

يـعـنيـ:ـ رـبـنـاـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـيـ آـيـاتـ كـثـيرـةـ وـأـحـادـيـثـ كـثـيرـةـ،ـ يـحـضـ الـأـبـنـاءـ عـلـىـ بـرـ آـبـائـهـمـ،ـ فـيـنـتـظـرـ مـنـ الـآـبـاءـ أـنـ يـكـوـنـواـ مـثـالـيـنـ فـيـ مـعـالـمـةـ أـبـائـهـمـ.

أـفـضـلـ الـبـرـ بـالـوـالـدـيـنـ،ـ مـتـىـ يـكـوـنـ،ـ وـأـيـنـ يـكـوـنـ:

رـبـنـاـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـيـ الـآـيـةـ الـتـيـ بـدـأـنـاـ شـرـحـهـاـ فـيـ الـدـرـسـ الـمـاضـيـ يـقـولـ:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكُمُ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تَقْلِلْ لَهُمَا أُفْ وَلَا تَتَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

(٢٣ سـوـرـةـ الـإـسـرـاءـ:ـ آـيـةـ)

تشتد حاجة الآباء إلى البر عند كبر سنهم:

الحقيقة أن الأب الشاب اليقظ الوااعي هو في غنى عن ابنه، ليس في هذا شك، ولكن متى تشتد حاجة الأب إلى ابنه ؟ إذا بلغ من الكبر عتيًا، إذا تقدمت به السن، إذا ضعف بصره، إذا انحني ظهره، إذا خارت قواه، إذا ضعفت ذاكرته، إذا كلت يده، إذا أصبح عبئاً على ابنه، يكون الأب في أشد حالات



تشتد حاجة الآباء للبر عند الكبر

ال الحاجة إلى ابنه إذا تقدمت به السن، وإذا وقف كسبه، وإذا أصبحت حاجاته كثيرة، وأدويته كثيرة، ومطالبه كثيرة، وله أبناء في أوج شبابهم، وفي عنفوان رجولتهم.

لذلك ربنا عز وجل أشار في هذه الآية إلى الكبر:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقْلِلْ لَهُمَا أُفْ وَلَا تَتَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

(٢٣) سورة الإسراء: آية

بر الوالدين يكون في بيت الولد لا في مأوى العجزة:



وأشارت الآية أيضاً في كلمة (عندك)

إلى المعنى التالي :

الابن أحياناً يكون أبوه قد تقدمت به السن ولكنه يقطن عند أخيه، فيزوره من حين إلى آخر، ويقدم له واجبات الخضوع والمحبة ويجلس قليلاً وينصرف، أما عبء الأب فهو على

الأخ الثاني، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يشير إلى أن حقوق الآباء تشتد ويعظم أجرها إذا بلغ من الكبر عتيًا وكان (عندك) في البيت، أي: كنت أنت ترعاه.

فبعض الدول الغربية تفتخر بأن لديها مأوى للعجزة، أي أن هذا الإنسان إذا تقدمت به السن التحق بها المأوى، قد يقدموا له كل شيء، أطيب الطعام، وكل الخدمات الصحية ولكن لا يستطيعون أبداً أن يقدموا له المحبة، ولا العطف، ربما كانت سعادة الأب أن يمتنع نظره بأولاده، فإذا زوجوه في مأوى العجزة، وتخلوا عنه، وأنفقوا عليه الأموال الطائلة، فوالله قد فعلوا في حقه جريمة لا تغفر.

لذلك، الإسلام يوجد فيه نظام التضامن الاجتماعي، أي أن كل أسرة متضامنة متكاملة فيما بين أفرادها، فلو تقدمت بالأب السن، لو ضعف بصره، لو خارت قواه، لو أصبح عاجزاً، إنه بين أولاده، بين بناته، بين أقربائه، هذا الذي ينسيه ألمه، فإذا زوج في مأوى العجزة، فقد العطف، فقد الحنان، فكيف إذا كان هذا المأوى فيه القسوة وفيه الضرب وفيه الإيذاء بالكلام؟

سمعت قصة امرأة لها أموال طائلة أكثرها غير منقول؛ أي حوانيت وأبنية وبيوت وأراضٍ ومزارع، تقدمت بها السن، وفقدت حركتها، أودعها أولادها في مأوى العجزة، لأن زوجاتهم أبین أن يخدمنهما، فحينما رأت نفسها في مأوى العجزة وأن أولادها الذين ربتهن تخلوا عنها، استدعت الكاتب بالعدل، وكتبت للجمعيات الخيرية كل أموالها، عقاباً لهؤلاء الأولاد الذين كفروا فضل أمهم عليهم.

لذلك:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُولْ لَهُمَا أَفِّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

(٢٣ سورة الإسراء: آية)

روى الترمذى، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:
 ((رَغْمَ أَنْفِ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبْوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ))

قال الراوي: وأظنه قال:

((أو أحدهما))

من حديث صحيح، أخرجه الترمذى

أي: أن تكون باراً بأبيك وقد تقدمت به السن، وقد ضعف بصره، وقد خارت قواه، وقد ضعفت ذاكرته، وقد فقد ضبط نفسه، بأن يبقى عندك معززاً مكرماً مخدوماً، فهذا العمل من الأعمال التي يستحق عليها الإنسان كل إكرام في الدنيا قبل الآخرة، وما رأيت إنساناً موفقاً في حياته إلا بسبب

وجيهٍ من بره بوالديه، فمن كان له أبٌ حيٌ فليغتنم هذه الفرصة، إنها فرصة العمر، فرصة لا تعوض، وكذلك الأم.

دور اللسان والكلام في ميدان البر بالوالدين:

من ذلك:

كلمة (أَفْ) ومعانيها السيئة:

قال تعالى:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ﴾

(سورة الإسراء، آية ٢٣)

الأَفْ: اسم فعل مضارع، أي أتضجر، وهي من الكلام الرديء الخفي، فحتى لو رأى الابن من أبيه شيئاً لا يتحمل، لا ينبغي أن يقول له: أَفْ، كل ما يُضجِّر ويستثقل ويقال له أَفْ، إن كان من الأَب، لا ينبغي أن يقول الابن هذه الكلمة لأبيه، ورد في الأثر:

((لَوْ عَلِمَ اللَّهُ مِنَ الْعَوْقُوقِ شَيْئاً أَقْلَ مِنْ أَفْ لِذِكْرِهِ))

يعني أقل شيء في العقوبة أن تقول:
أَفْ، وهو زفير بصوت مسموع، وهو
تضجر. ولو علم الله من العقوبة شيئاً
أرداً من أَفْ لذِكْرِهِ، فليعمل البار ما شاء
أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق
ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة.



لكن إياكم أن تتوهموا أن البار بوالديه

لو عصى الله عزَّ وجلَّ فإنه يدخل الجنة هذا ليس مقصوداً من هذا الكلام.
كلمة أَفْ - بالتعريف الدقيق - رفض للأَب، رفض لنعمته وجود لتربيته، ورد للوصية التي
أوصانا الله بها بحق الآباء، وهذا معنى الكلمة أَفْ، والدليل هو قول الله عزَّ وجلَّ على لسان سيدنا
إِبراهيم حيث قال لقومه:

﴿ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(آية ٦٧ سورة الأنبياء)

يعني أنا أرفضكم بسبب كفركم، وأرفض عبادتكم، وأرفض موضوع عبادتكم.

ما يساوي كلمة (أَفْ) من ردود الأفعال القبيحة:

العلماء قالوا: " مجرد النظر إليهما بغضب يعتبر عقوبةً "



يعني إذا نظر إلى أبيه بعبوس، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما بَرَّ أَبَاهُ مِنْ سَدَدَ إِلَيْهِ الْطَّرْفَ
بِالْغَضْبِ))

الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط، وأحد رجاله متروك بل إن إغلاق الباب بعنفٍ من العقوق النظر بغضب للأبوين من أشكال العقوق أيضاً، وهو يساوي أَفْ .

ووضع الإناء بعنف من العقوق.
أحياناً يغضب الآباء، فيقود سيارته برعونة ليعبر عن غضبه من أبيه، هذا أيضاً من العقوق، وفي الأثر:

((لَمْ يَتْلُ الْقُرْآنَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ، وَلَمْ يَبْرُرْ وَالَّذِي هُوَ مِنْ أَحَدِ النَّظَرِ إِلَيْهِمَا فِي حَالِ الْعَقُوقِ أُولَئِكَ
بِرَاءَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ))

القول الكريم واجب في حق الوالدين:

قال تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

(آية ٢٣ سورة الإسراء)

﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَفِيرًا ﴾

(آية ٢٤ سورة الإسراء)

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَهْدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُولْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

(٢٣) سورة الإسراء: آية

النهر: يعني الزجر والغلظة.

وقل لهم قولاً كريماً: يعني قولاً ليناً طيفاً، يا أبناه، يا أماه، من غير أن يسميهما أو يُكنيهما، يعني لو أن الأب اسمه سعيد وكنيته أبو أحمد، الأولى أن تخاطبه بأن تقول له: يا أبتي، يا أبي، يا أبناه، وهذا أولى من أن تقول: يا أبي أحمد.

أنا مرة اصطحبت أحد الإخوة في مسجدنا لعند ابنه لقضية، فلما دخل عليه، ناداه ابنه بـكنيته لثلا يشعر أحد أنه أبوه، وقال: اجلس هنا يا أبي فلان، وأبوه شخصية مرموقة، لكنه ما أراد أن يُعرف الناس أن هذا والده.

لذلك الأولى أن يناديه بكلمة يا أبناه، يا أبي، يا والدي، من غير أن يسميهما باسمهما أو أن يناديهم بـكنيتهما، وابن المسمى يفسر قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

(٢٣) سورة الإسراء: آية

قال: " القول الكريم كما يخاطب العبد سيداً فطاً غليظاً "، أي كان عبداً مذنبًا يخاطب سيداً فطاً غليظاً فإنه ينطاف، ويرجو، ويتصرّع، ويتحبّب، ويتسلّ.

بعض الآداب الواجبة في حق الوالدين:

من بر الوالدين، ألا يرفع الابن يديه إذا كلّمهما، أي أنه لا يشير بيديه حين يتكلّم معهما، فيرفع يده ويخفضها، لأن حركات اليدين في أثناء الكلام استخفاف بالأب، لذلك من بر الوالدين ألا يرفع الابن يديه في أثناء مخاطبته أمه أو أباه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ومعه شيخ فقال له: " يا فلان من هذا معك ؟ ".

قال: أبي. قال: " فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستتب له "))

الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا اثنين فيهما كلام

لا تستتب له: أي لا تكون سبباً في سبه، هذا من أدب النبي عليه الصلاة والسلام
ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ما من مسلم يصبح ووالداه عنه راضيان إلا كان له بابان من الجنة، وإن كان واحداً فواحد،

وما من مسلم يصبح ووالداه عليه ساخطان إلا كان له بابان من النار، وإن كان واحداً فواحد))

الحديث أخرجه ابن أبي عمر في مسنده، بإسناد ضعيف جداً

إِذَا عَقَ وَالْدِيَهُ فَأَبْوَابُ النَّارِ مَفْتُوحَةٌ لَهُ، وَإِذَا بَرَّ وَالْدِيَهُ فَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ مَفْتُوحَةٌ لَهُ.

الولد وما يملك ملك لأبيه:

تروي كتب السيرة أن رجلاً جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله إن أبي قد أخذ مالي، فقال عليه الصلاة والسلام:



الولد وما يملك ملك لأبيه

((اذهب فأتنى بأبيك))

شيءٌ دقيق جدًا، إنسان شكا لك على إنسان، فمادام يتكلم وحده سيتكلم ما يحلو له، سيخفي بعض الحقائق، سيرز

بعض الحقائق، سيبالغ ببعض الحقائق، لكن إذا قلت له اذهب وأتنى به، أنا أؤكد لكم أن تسعه ألعشر ما كان ينوي أن يقوله سوف يسكت عنه، إذا أحضرت المתחاصمين مع بعضهما أمامك، فإن تسعه ألعشر ما ينوي أحدهما أن يقوله في غيبة الآخر سوف يسكت عنه، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا قال:

((اذهب فإتنى بأبيك))

اسمع من الطرف الآخر، قال سيدنا سليمان:

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(آية ٢٧ سورة النمل)

ترى، استمع من الطرف الآخر، حق الدفاع مشروع، قال له:

((اذهب فأتنى بأبيك))

روت كتب السيرة أن سيدنا جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

((إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه))

أي أن الشيخ في طريقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام كان يحدث نفسه، وكل واحد منا إذا كانت عنده مشكلة، فإنه يمشي وهو يحدث نفسه، هذا حديث النفس، يبدو أن هذا الشيخ لشدة ألمه من

ابنه كان يحدث نفسه شعراً، فسيدنا جبريل جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن الشيء الذي قاله في نفسه..

((فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " ما بال ابن يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال: سله يا رسول الله، هل أنفقته إلا على إحدى عماته أو خالتة أو على نفسي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلتة في نفسك ما سمعته أذناك ". فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزدنا بك يقيناً، لقد قلت شيئاً في نفسي ما سمعته أذناي فقال: " قل وآتانا أسمع " قال: قلت:

غدوتك مولوداً ومنتك يافعاً تعلّم بما أجنني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبْتُ لسقمك إلا ساهراً أتململُ
كأني أنا المطروقُ دونك بالذِي طرقتَ بهِ دوني فعuni تهملُ
 تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
 فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدي ما كنت فيك أو عمل
 جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المفترض
 فليتاك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
 تراه معداً للخلاف كأنه بردٍ على أهل الصواب موكل

قال: حينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال:

((أنت ومالك لأبيك))

القصة أخرجها الطبراني عن جابر بن عبد الله، ولها شواهد مختصرة رجالها رجال الصحيح النبي صلى الله عليه وسلم بكى، وأمسك الآباء من تلابيبه وقال: أنت ومالك لأبيك، من أنت ؟ ما أنت إلا حسنة من حسنات أبيك.

حدود البر بالوالدين:

لكن بر الوالدين له حدود، لو أن الأم أو الأب أمرك أن تكفر بالله أو أن تكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، ماذا تفعل ؟ الله سبحانه وتعالى علمنا فقال:

﴿ وَصَّيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدِيهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَتَبَيَّنُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(سورة العنكبوت: آية ٨)

قصة سيدنا سعد رضي الله عنه مع أمه، قال: " كنت باراً بأمي فأسلمت، فقالت: لتدع عن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتغير بي، ويقال لك: يا قاتل أمه. وبقيت يوماً أو يومين لا تأكل ولا

تشرب، فقلت: يا أماه لو كانت لكِ مائة نفسٍ، فخرجتَ واحدةً تلو أخرى، ما تركت ديني هذا، فكلي إن شئت أو لا تأكلني".

يعني في موضوع الإيمان بالله، وموضوع طاعة الله، يتوقف هنا رضا الأم والأب "فكلي إن شئت أو لا تأكلني"، لكنها أكلت، فلما رأت ذلك أكلت، ونزل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهَكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾
(سورة لقمان: آية ١٥)

بعض الأحكام المتعلقة ببر الوالدين:

بعض الأحكام الشرعية المتعلقة في هذا الباب:

١ - طاعتها تكون في ميدان المباحثات لا في المعاصي:

طاعة الآباء لا تراعى في ركوب الكبيرة أو ترك الفريضة، هذا الحكم الشرعي المستتبط من هذه الآية، هذا شيءٌ مقطوعٌ به، وتلزم طاعتها في المباحثات، الأشياء المباحة يلزمك أن تطاعتها فيها، ويستحسن ترك المندوبات من أجلهما، مثل ذلك:

الأكل على الطاولة، وأبوك يغضب بسرعة، وأنتم في شهر رمضان، وترى أن تصلي أنت وزوجتك وأولادك المغرب قبل الإفطار، والأب يحب أن يأكل مع الأذان، فإن تصلي قبل الإفطار هذا مندوب، فإذا تركت الصلاة قبل الإفطار، وصليتها بعد الإفطار إرضاءً لأبيك وحفظاً على أعصابه فإن هذا مطلوبٌ منك، فهذا ترك المندوبات، أما في المباحثات فأنت ملزمٌ بطاعتها، وفي ارتكاب الكبائر أو ترك الفرائض لست ملزماً بطاعتها، أما إذا رأيت أن ترك بعض المندوبات مما يريحهما فلا عليك إذا فعلت هذا من أجلهما، هذا هو الحكم الشرعي.

٢ - طاعتها مقدمة على الجهاد الكفائي إن لم يأذنا:

كذلك ترك الجهاد الكفائي، الجهاد الكفائي إذا قام به البعض سقط عن الكل، يعني إذا الإنسان تطوع في الخدمة العسكرية، فالتطوع يحتاج إلى إذن الوالد، أما الخدمة الإلزامية فلا تحتاج، الجهاد العيني هذا ليس بإذن من الوالد، ترك الجهاد الكفائي من أجلهما، أو الإقدام عليه بإذنهما.

٣- يجوز ترك الصلاة النافلة من أجل إجابة الوالدين:

تحدثنا في الدرس الماضي عن إجابة الأم في الصلاة، فإذا أمكنك أن تعبد الصلاة وكانت في حاجة إليك لا عليك أن تدع الصلاة من أجلها.

كمال طاعات سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً:

((من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر الصديق: أنا، قال: " فمن تبع منكم اليوم جنزة " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: " فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: " فمن عاد منكم اليوم مريضاً " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اجتمعن في رجل إلا دخل الجنة "))

حديث صحيح، أخرجه مسلم

يعني سيدنا الصديق كان سباقاً؛ في بر الوالدين، وفي إطعام الطعام، وفي رد السلام، وفي تشيع الجنائز..

بر الوالدين من صفات الأنبياء:

لا تنسوا أن الله عز وجل نوح بالأنبياء الكرام وبرهم بآباءهم، فقال متكلماً عن سيدنا يحيى:

﴿ وَبِرًا بِوَالِدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَصِيًّا ﴾

(سورة مريم، آية ١٤)

وعن سيدنا عيسى:

﴿ وَبِرًا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيًّا ﴾

(آية ٣٢ سورة مريم)

وعن سيدنا يوسف:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾

(سورة يوسف: آية ١٠٠)

وعن سيدنا إسماعيل:

﴿ يَا أَبَتِ افْعُلْ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

(آية ١٠٢ سورة الصافات)

تروي بعض الكتب - من باب التفصيات - أن سيدنا إسماعيل عليه السلام قال: " يا أبت إذا أردت ذبحي، فاشدد وثافي لئلا يصيبك شيء من دمي فينقص أجري، وإن الموت لشديد ولا آمن

أن أضطرب عنده إذا وجدتُ مسنه، فأشد شفروتك حتى تُجهز عليّ، فإذا أنت أضجعتي لتبخني فاكبني على وجهي، فإني أخشى إن أنت نظرت إلى وجهي أن تأخذك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك، وإن رأيت أن تردد قميصي إلى أمي، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عن فافعل، قال إبراهيم: نعم العون يا بني أنت على أمر الله.

ما هذا الإبن؟ .. نعم العون يا بني أنت على أمر الله، ثم إنه هم بالتنفيذ، فتلهم للجبين ليذبحه فنودي:

﴿ وَنَادَيَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (*) قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

(آية ١٠٥، سورة الصافات)

وافتدي بكبش عظيم، وجده إبراهيم على مقربي منه فنبحه.

يعني نحن جميعاً نرى القضية سهلة، افتدي بكبش عظيم، هذا متى عرفته أنت؟ بعد أن افتدي، أما حينما أمره الله بذبح ابنه هل كان يعلم أن هناك حل لهذه المشكلة؟

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾

(آية ١٠٦، سورة الصافات)

الآثار الطيبة لبر الوالدين:

منها:

الاتجاء إلى الله ببر الوالدين ينجي من الكروب:

النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتفق عليه – أي اتفق عليه الشیخان، البخاري ومسلم، وهذا أعلى مستوى من الأحاديث الصحيحة – عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم...))

كل واحد منا وقع في مشكلة أو في ورطة، أو لاح له شبح خطر، أو لاح له شبح مصيبة، كمرض عضال لا سمح الله، أو دمار للمال فجأة، إذا وقع أحد في مشكلة كبيرة جداً، لا ينام لها الليل، فالسنّة النبوية أن تدعوا الله بصالح عملك.

حدثني رجل كان من تجار الأغنام التقى به وكان عمره يزيد على التسعين عاماً، وقال لي: "إبني خرجت لتنوّي من الفحص الطبي وكانت النتيجة سليمة مائة بالمائة"، أي أنه لا يشكوا شيئاً وهو في التسعين، وقد أقسم لي أنه لا يعرف الحرث بكل أنواعه، وكان باراً بواليه، فقال لي: "

كنت في البداية مرةً، وامرأة راودته عن نفسه، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، والشترى قطبيعاً من الغنم وسار به، فأدركهم العطش إلى درجة أنه وأغنامه أصبحوا على وشك الموت، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنني عفت عن هذه المرأة خوفاً منك فرج عننا. هذه سنة، يعني إذا أحب الله عزّ وجلّ أن يمتحن إنساناً، وضعه في ورطة، أو في مشكلة.. الطريق انقطع، عطش شديد، مرض شديد، مشكلة كبيرة، شبح إتلاف المال كلّه، فعليه أن يدعو الله بصالح عمله، يا رب إن كنت تعلم أنني فعلت هذا العمل من أجلك وحالصاً لك لا أبتعي به شيئاً فأنقذني من هذه الورطة، هذه هي السنة.

((قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كباران، وكنتُ لا أَغْبُقُ قبلهما أهلا ولا مالا ..))
الغبوق: معناه شرب الحليب مساءً

((فنَّأَى بي طَلَبُ شَجَرٍ يَوْمًا، فَلَمْ أَرْجُ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ..))
أي عدت إلى البيت فإذا هما نائمان

((فَحَلَبْتُ لَهَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتَهُمَا نَائِمِينَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبُقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَبَثْتُ وَالْقَدْحُ
عَلَى يَدِي أَنْتَظِرْتَهُمَا، حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ..))
لا يشرب قبلهما حتى استيقظا من نومهما

((فَاسْتِيقْظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرَّجْ عَنِّي مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ
هَذِهِ الصَّرْخَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً لَا يُسْتَطِيعُونَ الْخَرْوَجَ ..))

لكنها ترحزرت

((قال النبي صلى الله عليه وسلم: قال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إليّ،
فأرددتها على نفسها، وامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين ..))
أي: فقر شديد

((فجاءوني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلّي بيني وبين نفسها، فعلت، حتى إذا
قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفاض الخاتم إلا بحقه، فتحرّجت من الواقع عليها، فانصرفتُ
عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاً وجهك
فأفرج عن ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها))

((قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء، وأعطيتهم أجرهم، غير
رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فتمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاعني بعد حين، فقال:
يا عبد الله، أدر إلى أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر، والغنم، والرقيق،
قال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كلّه، فاستفاه، فلم يترك منه

**شيئاً، اللهم فإن كنتْ فعلتْ ذلك ابتغاء وجهك فافرُج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة،
فخرجوا يمشون))**

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

يعني إذا الإنسان وقع في شدة، فعليه أن يدعو الله بصالح عمله.

دُعَوَةُ الْأَبِ لابنه، دُعَوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ:

وعن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ، لَا شَكَّ فِي إِجَابَتِهِنَّ: دَعَوَةُ الْمُظْلُومِ، وَدَعَوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعَوَةُ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ))

حديث حسن، أخرجه الترمذى

وفي الأثر:

((أَرْبَعَةٌ دُعَوَتْهُمْ مُسْتَجَابَةٌ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالرَّجُلُ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهَرِ الْغَيْبِ، وَدَعْوَةُ الْمُظْلُومِ، وَرَجُلٌ يَدْعُو لَوْلَدِهِ))

بر الوالدين سبب لمغفرة الذنب، وزيادة في العمر والرزق:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال:

((أتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا كَبِيرًا، فَهَلْ لِي مِنْ تُوبَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَكَ وَالدَّانِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ أَلَكَ خَالَةً؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ فَبِرْهَا إِذَا))

حديث صحيح، أخرجه الترمذى والإمام أحمد وابن حبان والحاكم

وهذا حديث لطيف، يعني إذا كان إنسان توفيت أمه وله حالة ف بالإحسان إلى الحالة بمثابة الإحسان إلى الأم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مِنْ سُرِّهِ أَنْ يَدْلِي لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُزَادُ فِي رِزْقِهِ فَلَيْبِرُ وَالْدِيَهُ وَلَيُصْلِي رَحْمَهُ))

حديث أخرجه أحمد في مسنده، ورجاله رجال الصحيح

وقال عليه الصلاة والسلام:

((مِنْ بَرِّ وَالْدِيَهِ طَوْبَى لَهُ، زَادَ اللَّهُ فِي عُمْرِهِ))

الحديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه

وعن ثوبان رضي الله عنه ن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب بصبيه))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم

ثلاثة أحاديث عن أن بر الوالدين يزيد في العمر وفي الرزق.

بشاره للمقصرين كي يتداركوا:



ورد في الأثر:

((إن العبد ليموت والداه أو أحدهما
وإنه لهم لعاق فلا يزال يدعوا لهما
ويستغفر لهم حتى يكتبه الله باراً))

هذه بشاره، فلو أن أباً مات غاضباً
على ابنه، فهذا الابن العاق دعا لوالديه
واستغفر لهما وفعل الأعمال الصالحة من زار قبر والديه ودعا لهما كتب باراً
من أجلهما، ربما كتبه الله باراً ولو
مات أبوه غاضباً عليه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول:
باستغفار ولدك لك))

حديث رجاله رجال الصحيح غير واحد وقد وثق، أخرجه الطبراني والإمام أحمد عن أبي هريرة

وفي الأثر:

((من زار قبر أبيه أو أحدهما في كل جمعة غفر الله له وكتب باراً))

بعض القصص المتعلقة بموضوع بر الوالدين:

بقي علينا بعض القصص المتعلقة بهذا الموضوع:

١ - كما تدين تدان:

قبل: كان رجل يطعم والده المُسن طعاماً في إناءٍ من الخشب – الآن يوجد كأس من البلاور وكأس من الإستاللس، فيريد الوالد كأس من الماء فيعطيه ابنه كأس الإستاللس لأنها لا تنكسر – فكان هذا

الرجل يطعم والده المُسن في إِناءٍ من الخشب، فسأله ولده عن السبب في هذا، الابن الصغير سأله أباه: لماذا تطعم جدي في هذا الإناء الذي هو من الخشب؟ فقال له: لأنني إذا أطعمنته في إِناءٍ صينيٍ أو من الزجاج كسره، فقال له ابنه: إذاً يا أبت سأحتفظ لك بهذا الإناء الخشبي حتى أقدم لك طعامك فيه عندما تكون في سن جدي، فعند ذلك انتبه الوالد وأدرك أن ما يفعله الآن مع والده سي فعله ابنه معه، وتاب إلى الله من هذا الذنب.

أقل استهانة أحياناً تهين الأب، لأن يقدم له فنجاناً فيه عيب، ويقول: خذ اشرب بلهجة المتنمر، أو كأس متسخة فيحزن الأب، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: ((بروا آباءكم تبركم أبناءكم، وعفوا تعف نساؤكم))

الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر

۲- پشتکی امه وینسی فضلها:

قبل: ان **حلاً شكا الى** نبي سوء خلق أمه، فقال:

((لم تكن أمك سيئة الخلق حين أرضعتك حولين كاملين ؟ ولم تكن سيئة الخلق حين أسرتها الليل ، ولم تكن سيئة الخلق حين رعتك ، لقد جازيتها بهذا ؟))
هذا الذي يذم والديه ليس مؤمناً .

٣ - الولد ملك لأبيه:

ولد اشتکى إلى النبي عليه الصلاة والسلام أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسألة، فلعله قال: يا رسول الله إن ابني وهو صغير كان ضعيفاً وأنا قوي، وكان فقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، والليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني يدخل علي بماله، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وقال للولد:

((أنت ومالك لأبيك))

من حديث صحيح، أخرجه ابن ماجة عن حابي بن عبد الله

٤ - آداب بعض النسوة

— قيل لعمر بن ذر: كيف كان بر ابنك؟ قال: "ما مشيت نهاراً إلا ومشي خلفي، ولا ليلاً إلا مشي، أمامي، ولا رفيق، سطحأ وأنا تحته".

— قيل لعلي بن الحسين: أنت من أبى الناس بأمك، ولكن لماذا لا تأكل معها؟ قال: " والله أخاف أن تمتد يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها ".

يعني: قطعة من اللحم في الصحن وهي عينها على هذه القطعة، فإن أكلتها أنا أكون قد عققتها... كانوا إلى هذا المستوى.

— أبو يزيد البسطامي رحمة الله قال: " كنت ابن عشرين سنة، فدعوني أمي لتمريضها ذات ليلة فأجبتها، فجعلت يدي تحت رأسها، والأخرى أمسد يدها بيدي، وأقرأ (قل هو الله أحد) فخدرت يدي، فكبت أفقد قوة اليد، فقالت: اليد لي وحق الوالدة الله ".
هذا من بره لأمه.

٥- ترجو هي حياتك، وترجو أنت موتها:

ورجل قال لسيدنا عمر: " إني أخدم أمي كما كانت تخدمني في الصغر فهل قمت بحقها؟ فقال: لا، إنها كانت تخدمك وهي تتمنى لك الحياة، وأنت تخدمها وأنك تتمنى لها الموت ". وبعبارة أخرى أو مذهبة: (أن يخفف الله عنها).

٦- الأم الصابرة المحتسبة:

كان رجل يجلس إلى، فبلغني أنه نزل به الموت وإذا أم عجوز كبيرة جعلت تنظر إليه حتى غمض وعصّب وسُجِّي، فقالت: رحمك الله يا بني لقد كنت بنا بارأً، وعلينا شفوفاً رزقنا الله عليك الصبر، فقد كنت تطيل القيام وتكثر الصيام، فلا حرَّمَكَ الله ما أملت من رحمته، وأحسن عنك العزاء، ثم نظرت إلى وقالت: لو بقي أحد لأحد لبقي النبي عليه الصلاة والسلام لأمته.

كل حال يزول، لذلك يقال للميت كما في الأثر: " رجعوا وتركوك وفي التراب دفونوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت ".

وأخيراً:

من خلال هذه الآيات والأحاديث والتعليقات والأحكام الفقهية والقصص يتبيّن لنا أن بر الوالدين باب كبير من أبواب الجنة.

((رَغْمَ أَنْفِ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبْوَاهُ الْكَبِيرِ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ. قَالَ الرَّاوِيُّ: وَأَظْنَهُ قَالَ: أَوْ أَحَدُهُمَا))

من حديث صحيح، أخرجه الترمذى

فمن كان له أب على قيد الحياة أو أم، أو من كان له أب وأم، فليغتنم هذه الفرصة، لأن الله عزّ وجل أمرنا أن نحسن إلى الوالدين وقرن هذا الأمر بعبادته..

والحمد لله رب العالمين

الباب الرابع : حقوق الأبناء على الآباء

- ١ - حسن اختيار أمه - حسن اختيار اسمه - تربيته صغيراً - التعود من الشيطان
- ٢ - تأديبه بالأدب الإسلامي - وصايا لقمان لابنه
- ٣ - تعليمه للقرآن والرمادة والسباحة وإطعامه حلالاً
- ٤ - العدل في العطاء والوصية

التربية الإسلامية - الحقوق - حقوق الأبناء على الآباء - الدرس (٤ - ١) : حسن اختيار أمه
- حسن اختيار اسمه - تربيته صغيراً - التعوذ من الشيطان.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١١-٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان الدرس :

أيها الأخوة المؤمنون، في الدرس الماضي أنهينا بفضل الله عز وجل حقوق الآباء على الأبناء، وها نحن أولاء في هذا الدرس ننتقل إلى موضوع آخر متمم للأول، ألا وهو حقوق الأبناء على الآباء، لأن كل حق يقابله واجب، وكل واجب يقابله حق، فما دام للأباء حقوق على الأبناء، لا بد من أن يكون للأبناء حقوق على الآباء، والحديث الشريف الذي تعرفونه جميعاً:

(رحم الله والدًا أعن ولده على بره))

موضوع حقوق الزوج على الزوجة، وحقوق الزوجة على الزوج، وموضوع حقوق الآباء على الأبناء، وحقوق الأبناء على الآباء، هذه موضوعات دقيقة جداً، لأنه ما من واحد من الأخوة الحاضرين إلا وتمسه هذه الموضوعات، فإذا أديت ما عليك من حقوق صار الطريق إلى الله سالكاً، وإذا كان هناك تقصير، أو مجازة، أو جنوح، أو مخالفة، أو إساءة كانت هذه الأعمال حجاباً بين العبد وبين ربه، والحديث الذي تعرفونه أيضاً جميعاً، هو أن الإنسان قد يستحق النار يوم القيمة، فيقف بين يدي الله عز وجل ويقول:

((يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي))

وهذا الطفل الذي شب على الانحراف، وشجعه أمه الجاهلة على ذلك، وكبر وارتكب جريمة، استحق عليها الإعدام، قبيل إعدامه طلب أن يلتقي أمه - هكذا الصحيح أكثرهم يقول : أن يلتقي بأمه، فلما جاء له بأمه، قال: مدي لسانك كي أقبله، مدّت لسانها فعضّه وقطعه، وقال: لو لم يكن هذا اللسان مشجعاً لي على الجرائم ما فقدت حياتي:

إهمال تربية البنين جنائحة عادت على الآباء بالولايات

إذاً الحديث النبوي الشريف:

(رحم الله والدًا أعن ولده على بره))

هو عنوان هذا الموضوع: حقوق الأبناء على الآباء.

ما حقوق الأبناء على الآباء؟ :

١- أن يحسن الأب اختيار الزوجة :

يا أيها الأخوة الأكارم، جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ابنه، وأنبه على عقوقه لأبيه، فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوقٌ على أبيه؟ قال: بلى، فقال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلّمه الكتاب -القرآن- فقال الابن: يا أمير المؤمنين، إنه لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمحوسى، وقد سماني جعلاً -أي خنفساء- ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل، وقال له: أجئت تشكو عقوق ابنك؟ لقد عوقته قبل أن يعُقَّك، وأسألت إليه قبل أن يسيء إليك.

هذا النص أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلّمه القرآن، فإذا أهمل الأب هذه الأشياء، يكون قد عقَّ ابنه قبل أن يعُقَّه ابنه، ويكون الأب قد أساء إليه قبل أن يسيء الابن إلى أبيه. فأول واجبٍ على الآباء تجاه الأبناء: أن يحسن الأب اختيار الزوجة، إن هذا الواجب يسبق وجود الولد، الواجب الأول بل هو أخطر واجب إنه يسبق وجود الولد، وهو: أن يحسن اختيار أمه.

صفات الزوجة الصالحة :

النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((خير فائدة أفادها المرء المسلم بعد إسلامه امرأة صالحة، تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا

أمرها، وتحفظه في غيبتها في ماله ونفسها))

فأشمن شيءٍ أن تحسن اختيار الزوجة، ينبغي أن تكون الزوجة صالحة:

((تسره إذا نظر إليها -أي أنها نظيفة- وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في غيبتها في ماله

ونفسها))

وفي حديثٍ آخر: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

((يا رسول الله، أي النساء خير؟ قال: التي تسُرُّه إذا نظرَ))

في هذا الحديث ليس فيه كلمة إليها، أي إذا نظر إلى غرفة النوم تسره، منظمة ومرتبة والملاعة نظيفة، وإذا نظر إلى المطبخ تسره، وإذا نظر إلى أولاده تسره، وإذا نظر إلى البيت إجمالاً تسره، أي أنها تقوم بواجبها خير قيام، أي تحسن تبعل زوجها.

والنبي -عليه الصلاة والسلام كما تعرفون- يقول:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من وراعك من النساء: أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك كله))

يعني الجهاد في سبيل الله.

((تسره إذا نظر، ولا تعصيه إذا أمر، ولا تخالفه بما يكره في نفسها وماله))

هذه صفات الزوجة الصالحة، لأن اختيار الزوجة الصالحة أول واجب على الآباء تجاه الأبناء الذين سوف يأتون إلى الدنيا.

وفي حديث آخر: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال:

((قال عليه الصلاة والسلام :

تنكح المرأة على إحدى خصال؛ لجمالها، ومالها، وخلقها، ودينها، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك))

[أخرجه أحمد في مسنده]

وفي حديث آخر: عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، رواه البخاري ومسلم، يقول عليه الصلاة والسلام :

((تنكح المرأة لأربع؛ لمالها، ولخلقها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يدك))
أي إن لم تفعل ما نلت إلا التراب، والتراب شيء لا قيمة له إطلاقاً، إذا جهت، وتحمّست ، وانقضضت، وأمسكت بشيء فإذا هو تراب، يقال: تربت يمينك؛ أي لن تأخذ شيئاً، لم تقل شيئاً، لم تخلق في هذا الزواج.

انظر ما قاله العلماء :

العلماء قالوا: يستحب أن تختر امرأة تسررك إذا نظرت إليها.

هذا من السنة، لكن العلماء أيضاً، ومنهم الماوردي يقول: كره العلماء أن يختار الإنسان امرأة ذات جمال بارع، لأنها متبعة إلى أقصى الحدود، فإنها تر هو بجمالها، وتحب أن ينظر الناس إليها، وربما تعاند زوجها، وربما تتفق من أوامر الشرع تقلت البعير.

لذلك هذا رأي بعض العلماء: أنه يجب أن تختار زوجة تسرك إذا نظرت إليها، أما أن تختارها فائقة فاقنة، فهذا ربما عاد عليك بالمتاعب التي لا حصر لها.

ما مضمون هذه الأحاديث؟ :

في حديث آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:
((من تزوج المرأة لجمالها أذله الله .))

- هي تر هو عليه بجمالها، وهو يتضاغر أمام هذا الجمال، فكانها هي الآمرة الناهية، وكأنها هي القيمة، وكان لها القوامة، لذلك:-

من تزوج المرأة لجمالها أذله الله -أي لجمالها فقط- ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة،

((فعليك بذات الدين تربت يدك))

لكن لو أنك تزوجت امرأة غنية، وطابت لك عن بعض مالها، فهذا يأكله الزوج هنيئاً مريئاً، كما قال الله عزّ وجل في القرآن الكريم :

﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَيْئًا مَرِيئًا﴾

[سورة النساء الآية: ٤]

والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((إياكم وحضراء الدمن.))

- الدّمَنْ جمع دِمْنَة وهي المزبلة، وحضراء الدمن أحياناً تبت نبتة في هذه القمامات، فإذا هي نصرة، لأنها كلها سراد، هذه سماها النبي -عليه الصلاة والسلام- حضراء الدمن، قال عليه الصلاة والسلام - :

إياكم وحضراء الدمن، فقيل: وما حضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسنة في المنبت السوء ((البيئة سيئة، البيئة غير إسلامية، البيئة غير دينية، متقللة، الجو العائلي جو مريض، الجو العائلي جو غير صحي، الشاعر الحكيم قال:

ليس الجمال بآثوابٍ تُرثينا إن الجمال جمال العلم والأدبِ

Hadith 'Ahr: رواه سيدنا أنسٌ، عن النبي -عليه الصلاة والسلام- :

((من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلةً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرًا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، ويحسن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه))
والنبي -عليه الصلاة والسلام- كان إذا حضر عقد قرآن، يقول:

((بارك الله لكما وعليكمما وفيكمما))

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: لا تزوجوا النساء لحسنهن))

إذا ذكرت كلمة حُسن أو جمال، المقصود الجمال وحده؛ أي أنك آثرت الجمال على الدين، هناك رقة في الدين وتتفوق في الجمال، آثرت الجمال على الأخلاق، هناك شراسة في الأخلاق، ورقة في الدين، وتتفوق في الجمال، فالأمر فيه نذر السرّ، إذا ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- كلمة الجمال أو الحُسن، فالمعنى المقصود به من آثره على بعض الشروط الأخرى.

هكذا قيل :

يقولون: إن واحداً وضع عشرة شروط: أول شرط الجمال، ثاني شرط الكمال، الثالث الغنى - المال - الرابع الحسب، الخامس النسب، السادس الثقافة، السابع إلى أن صاروا عشرة ، أرسل والدته فلم يجد، فتخلى عن شرط، عمل جولة ثانية بعد سنة فلم يجد فتخلى عن شرط ثانٍ، عمل جولة ثالثة فلم يجد فتخلى عن شرط ثالث، بعد عشر سنوات بقي على شرطٍ واحد: وهو أن يعثر على امرأة ترضى به، فعلى المرأة إلا يعقد الأمور كثيراً.

((لا تزوجوا النساء لحسنهن فحسنهن أن يرديهن .

-أي جميلة وجاهلة، حسنها يرديها، يجعلها تستعلي عليه، لا يحتملها زوجها فيطلقها، وهذا يحصل دائماً، استعلاؤها على زوجها يحملها على أن تكون فظةً معه، وقد لا يتحمل الزوج هذا، فيكون الفراق والشقاق، إذا:-

لَا تزوجوا النساء لحسننْ فعسى حسننْ أَن يرديهنْ، وَلَا تزوجوهنْ لِأَمْوَالهُنْ فعسى أَمْوَالهُنْ
أَنْ تطغىهُنْ -المال يطغي- وَلَكُنْ تزوجوهنْ عَلَى الدِّينِ، وَلَأْمَةٌ خِرْمَاءٌ -أَيْ أَذْنَاهَا مُشْرُومَةٌ-
سُودَاءٌ ذَاتِ دِينٍ أَفْضَلُ))

هذا ما أمر به النبي :

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالبأءة -أي بالزواج- وينهى عن التبئث نهياً شديداً، ويقول :
((تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيمة))
النبي -عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق، وحبيب الحق- اختار لنا هذين الشرطين: الودود
الولود.

أي ما من طبع أبغض عند الرجل في المرأة من أن تكون لثيمة، أو قاسية، أو متکبرة، أو لها
لسان سليط، أو مستعلية.

النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((تزوجوا الودود -تحب زوجها، تتحبب إليه، ترضيه، تؤثره على كل شيء، هذه الودود-
الولود -لأنها إذا أنجبت لك طفلاً، ملأ هذا الطفل البيت أنساناً ولطفاً، ومحبةً واشتياقاً، ومتنا
العلاقة بين الزوجين- .

تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيمة))

إرشاد نبوى :

وقال عليه الصلاة والسلام:
((عليكم بالأبكار، فإنهن أعزب أفواها .

-أي كلامها لطيف، وليس كلامها بكلمتين، قالت عن زوجها الأول: المرحوم ما كان يفعل
هذا، المرحوم ما كان يفعل هذا، وفي هذا تنعيم لزوجها الحالي- .

عليكم بالأبكار، فإنهن أعزب أفواها -أي كلامها لطيف- وانتق أرحاماً، وأرضي باليسير))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

هذا كله من حقوق الأبناء على الآباء، أي ليحسن الأب اختيار الزوجة الصالحة.

((الدنيا متع وخير متاعها المرأة الصالحة))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والنمسائي في سننه]

هذه سنة الأنبياء :

أراد ابن عمر -رضي الله عنه- ألا يتزوج، فقالت له أخته حفصة: أي أخي لا تفعل، تزوج فإن ولد لك ولد فماتوا كانوا لك أجرًا، وإن عاشوا دعوا الله عز وجل لك. لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إِنَّمَا ماتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْ أَكْثَرَ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُتَفَقَّعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُونَ لَهُ))

الأنبياء العظام -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- كلهم تزوجوا، قال الله عز وجل :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾

[سورة الرعد الآية: ٣٨]

الأنبياء تزوجوا، الزواج لا يتعارض مع الدين بل هو في خدمة الدين:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَدَّةَ وَرَزْقَكُمْ مِّنَ الطَّيَّابَاتِ﴾

[سورة النحل الآية: ٧٢]

من فضل الله على الإنسان :

من فضل الله على الإنسان أن جعل له زوجة، وجعل له منها أبناء، ورزقهم من الطيبات. هناك أب ذكر لأبنائه فضلهم عليهم، فقال:

وأول إحساني إليكم تخيري لمajدة الأعراق بادِ عفافها

هذا هو الحق الأول: حق ابنك عليك أن تحسن اختيار أمه.

٢- التعود بالله من الشيطان قبل اللقاء الزوجي :

الآن الحق الثاني: التعود بالله من الشيطان قبل اللقاء الزوجي.
لأن في هذا الموضوع أحاديث كثيرة، وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام، لكن هناك سؤال دقيق: كلما سألني سائل حول التعود، قال: إنني تعودت بالله فلم يحصل ما أريد؟ وأرد عليه قائلاً: ربنا عز وجل قال:

﴿وَإِمَّا يُنْزَغَنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ﴾

[سورة فصلت الآية: ٣٦]

يقول لك: استعذت بالله ولم يحصل شيء، مما جدوى هذه الاستعاذه؟.

في الجواب عن هذا نقول: إن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم :

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ﴾

[سورة فصلت الآية: ٣٦]

السميع باستعاذه، والعليم لما في قلبك، استبط العلماء من هذه الآية: أن الاستعاذه باللسان لا قيمة لها، ولا تكفي، ولا جدوى منها، ما لم يكن القلب في أعماقه متوجهًا إلى الله بالاستعاذه، فلذلك:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

[سورة الناس الآية: ٦-١]

-قل أعود- لا تقبل هذه الاستعاذه، ولا تجدي، ولا تقطع ثمارها، إلا إذا كانت نابعةً من قلبك، بالدليل: أن الله سبحانه وتعالى ختم الآية، فقال:

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ﴾

[سورة الأعراف الآية: ٢٠٠]

سميع لهذه الاستعاذه، ولكن يعلم أن قلبك ليس في مستواها، فإذا اتجه الإنسان إلى الله عزّ وجلّ بكليته مستعيذًا، لا بدّ من أن ينجيه من كل مكروه، هذا شيء ثابت.

هذا تفسير بعض العلماء لهذه الآية :

الله عزّ وجل قال :

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية: ٦٤]

فالمشاركة في الأولاد: أن الزوج الذي ينسى أن يستعيذ بالله قبل اللقاء الزوجي، قد يشركه في هذا اللقاء الجن، وعندئـلـ يأتي الابن شريراً مخيفاً، هذا تفسير بعض العلماء لهذه الآية.

لو أن أحكم ولد لم يضره، ما معنى لم يضره؟ :

النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما روى البخاري ومسلم، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طرق كثيرة -أي صار هذا حديثاً متواتراً معنويـاً- أنه قال: ((لو أن أحكم إذا أتـيـ أهـلـهـ قالـ: بـاسـمـ اللـهـ، اللـهـمـ جـبـنـاـ الشـيـطـانـ، وجـبـ الشـيـطـانـ مـا رـزـقـنـاـ، فـقـضـيـ بـيـنـهـمـاـ وـلـدـ، لـمـ يـضـرـهـ))

أي الشيطان لم يضر هذا الولد. هذا الحديث واضح .

الإمام الداودي قال: معنى لم يضره؛ أي لم يفتنه عن دينه إلى الكفر .

وليس المراد أن هذا الابن مقصومٌ عن المعصية، فالقضية سهلة، إذا كان الواحد قد سمي، فهل يأتيه ولد صالح عالمٍ جليل؟ لا، بل إن العلماء يقولون: ليس معنى هذا أنه يصبح مقصوماً عن المعصية، ولكن لم يضره الشيطان فيهوي به إلى الكفر، إذا كان قد استعاد الزوج بالله من الشيطان الرجيم قبل اللقاء الزوجي.

توجيه نبوي :

وكلكم يعلم: أن الإنسان إذا دخل بيته ولم يسلم، قال الشيطان لأخوانه: أدركتم المبيت في هذا البيت -الليلة هنا، طول الليل مشاكل- فإذا جلس إلى الطعام ولم يسم، قال الشيطان لأخوانه : وأدركتم العشاء -كذلك وعند العشاء، يشبع الجماعة- فإذا دخل ولم يسلم، وجلس إلى الطعام ولم يسم، قال الشيطان لأخوانه: أدركتم المبيت والعشاء معاً.
أي أنكم الليلة نومكم هنا والعشاء كذلك جاهز.

إذاً خلاصة التوجيه النبوي: أن الإنسان عليه أن يسلم إذا دخل إلى بيته قائلاً: السلام عليكم، وعليه أن يسمى إذا أكل، عندئذٍ يجنبه الله الشيطان في علاقاته وفي طعامه.

٣-أن يتخير له اسماء ذكرأً كان أو أنثى :

الواجب الذي يلي هذا الواجب هو :أن يتخير له اسماء حسناً ذكرأً كان أو أنثى .
ففي الحديث الشريف:

((إنكم تدعون يوم القيمة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم))

[أخرجه أبو داود في سننه]

هكذا قال عليه الصلاة والسلام، بعضهم يسمى ابنه جعيفص مثلاً، ما هذه جعيفص؟ عبد الرحمن، عبد اللطيف مثلاً، عبد الله، حسن، حسين كذلك، هناك أسماء كثيرة جداً، أسماء إسلامية، وأسماء أخلاقية، من ذلك اسم مجيب أحياناً، واسم همام، لدينا أسماء كثيرة فيها معنى الشجاعة وغيرها.

طبعاً سبب هذه الأسماء القبيحة جهل قائم بالأهل، إن سمّاه اسمًا قبيحاً يعيش ولا يموت كما يزعمون، يسميه فلفل، فجلة، خيشة، جدي، في أسماء أخرى أيضاً، هذه الأسماء يتوهم الآباء أنها

نقى ابنهم من الأمراض ومن الموت، هذا كله كلام فارغ ولا أساس له من الصحة ، هذه أسماء مزارية بأصحابها.

وهناك أسماء مستوردة؛ ميمي، وشونو، وسونا، وفيبي، وشوشو، هذه أسماء لا تليق بالمسلم أساساً، لا تسمى اسمًا خشنًا ولا اسمًا مستورًا، نريد اسمًا إسلاميًا، والآن لدينا الكثير من الكتب بالأسواق، وعندنا معاجم حوالي أربعة أو خمسة آلاف اسم مرتبة ترتيباً جيداً، اقتنِ كتاباً منها، فاختيار الاسم شيء مهم جداً، هذا الاسم سوف يكون علمًا على هذا الابن، في حله وترحاله، في علاقاته، في حركاته وسكناته، في نشاطاته.

ما أحب الأسماء إلى الله؟ :

النبي -عليه الصلاة والسلام- عن ابن عمر -رضي الله عنه- وفيما رواه الإمام مسلم يقول: ((إن أحب أسمائكم إلى الله عزّ وجلّ؛ عبد الله وعبد الرحمن))

وكان عليه الصلاة والسلام إذا لم يعرف اسم إنسان، قال له:

((ادن مني يا عبد الله))

هذا اسم يطلق على الكل: يا عبد الله.

وعن جابرٍ -رضي الله عنه- قال:

((ولد لرجلٍ منا غلام فسمّاه القاسم، فقلنا: لا نُنكِّي أبا القاسم ولا كرامة -رسول الله أبا القاسم- فأخبَرَ النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال: سَمِّ ابنك عبد الرحمن))

أحياناً يكون بالأسرة رجل وقرر وله قيمته يسمونه باسمه، وهذا الابن أحياناً يشذ، ينحرف، يتعرض لدعاء سوء من الأهل، فتصير هذه مشكلة، فيفضل إذا كان في الأسرة إنسان وهو عميد الأسرة له قيمته، فلا تعمل إحراجات وتسمى الصغير باسمه.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- لم يرض، قال له:

((سمه عبد الرحمن))

والنبي أمرنا في حديثٍ آخر رواه أبو داود:

((تسموا بأسماء الأنبياء))

[أخرجه أبو داود والنسانى في سننهما]

((أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سندهما]

إبراهيم، سيدنا إبراهيم:

((تَسْمُوا بِاسْمَاءِ الْأَبْيَاءِ، وَاصْدِقُهَا حَارِثٌ وَهُمَامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمَرَّةٌ))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سندهما]

هذه عادة النبي عليه الصلاة والسلام :

وكان عليه الصلاة والسلام يبدل الأسماء. أحياناً هذا الكلام أسوقه للمعلمين، إذا عندك طفل له اسم لا يليق، أنت بدل له اسمه أثناء العام الدراسي في تعاملك معه، لا أقول بالسجلات فلها وضع آخر، وقت تقديم الشهادة تأخذ اسمه الصحيح، لكن أثناء التعامل اليومي أطلق عليه اسمًا لطيفاً، ينتعش فيه هذا الطفل.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- قال: عن سعيد بن المسيب بن حزن، أعطيه الحُزُن، والحزن هو المعروف، معروف عند الجميع، وهو ما يعتري النفس من ألم ...

﴿وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة النمل الآية: ٧٠]

الحزن والحزن بمعنى واحد، لكن الحزن الأرض الوعرة.

قال عليه الصلاة والسلام:

((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلَاثًا، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

الحزن الأرض الوعرة، أما الحزن والحزن بمعنى واحد وهو الألم النفسي.

فعن سعيد بن المسيب بن حزن، عن أبيه، أنه جاء النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال:

((ما اسمك؟ قال: حزن، فقال: أنت سهل، قال: لا أغير اسمًا سماّنيه أبي، فقال بن المسيب فيما بعد: فما زالت الحزونة فينا بعد))

أي غلظ الوجه وشيء من القساوة.

النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول لك: أنت سهل، وهو يقول: لا اسمي حزن ويرفض تسمية النبي.

قال: فما زالت الحزونة فينا بعد.

والحزنة غلظ الوجه وشيء من قساوة القلب.

امرأة اسمها عاصية سماها النبي جميلة، لماذا عاصية؟.

ما اسمك؟ قالت:

((أنا عاصية، فقال لها: بل أنتِ جميلة))

وامرأة اسمها برة فقال عليه الصلاة والسلام:

((أنتِ زينب))

الأنسب أن يختار الإنسان اسمًا مناسباً، والذي أعرفه أن الإنسان له الحق أن يبدل اسمه، فإذا لم يرق له اسمه الذي سماه به أبوه، فله الحق أن يبدل اسمه حتى في قيود الدولة وسجلاتها، هذا من حقوق الأبناء على الآباء.

قف هنا :

الحقيقة: الأسماء القبيحة أسبابها عادة قبيحة، وعقلية قبيحة، وتصور قبيح، إذ يزعم الجهلة أن هذه الأسماء القبيحة تقي صاحبها من الضرر، والهلاك، والموت، والآفة، والمرض، والحق أنه لا يقي الإنسان إلا الله عزّ وجل، لكن النبي قال:

((العين حق، إن العين -أي عين الحسود- تضع الجمل في القدر، والرجل في القبر))

المحسود الغافل عن الله عزّ وجل تؤثّر فيه عين الحسود، أما المحسود المُقبل على الله لا تؤثّر فيه عين الحسود .

وللتعرّف موضع آخر إن شاء الله، التعلّم بالله من الحسد وغيره يحتاج إلى موضوع تفصيلي نتحدث عنه في وقتٍ آخر .

إليكم ما ورد عن الغزالى في رياضة الصبيان :

نختار أيضاً من حقوق الأبناء على الآباء ما ورد في كتاب إحياء علوم الدين عن رياضة الصبيان:

فاعلم أن الطريق في رياضة الصبيان -والقصد هنا بالرياضة هي التربية- من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقشٍ وصورة، وهو قابل لكل ما نُقش، ومائلٌ إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُودُ الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُودُ الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له، وقد قال الله عزّ وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[سورة التحریم الآية: ٦]

إذا كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فلأنه يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته عن نار الآخرة
بأن يؤدّيه ويهدّيه -الكلام للإمام أبو حامد الغزالى- ويعلّمه محسن الأخلاق، ويحفظه من قُرَاءَ
السوء، ولا يعوده التتّعُّم، ولا يحبّ إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيّع عمره في طلبها إذا كبر،
فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه، إلا
امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، إذا وقع عليه نشوء
الصبي انعجنت طينته من الخبث، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث، قال: فإذا رأى فيه مخايل
التمييز -صار مدركاً- فينبغي أن يحسن مراقبته ..

((لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وراقبه سبعاً، ثم اترك حبله على خاربه))

إليكم ما ورد عن الغزالى فى رياضة الصبيان :

١- أن يعلمه الحياة :

هَدْيَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَيْكُمْ وَبِشَارَةٌ تَدْلِيْلٌ عَلَى اعْتِدَالِ الْأَخْلَاقِ وَصَفَائِ الْقُلُوبِ.

٢- أن يعلمه الأدب في الطعام :

وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام، فينبغي أن يؤدب فيه، فلا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه: بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، فقد ورد عن عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنهما- قال: كنت غلاماً في حجر النبي -عليه الصلاة والسلام-، وكانت يدي تطيش في الصحفة -أي يأكل من كل الأطراف- فقال لي النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((يا غلام، سَمِّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيْمِنِكُ، وَكُلْ مَا يُلْيِكُ))

[آخر جه البخاري و مسلم في الصحيح، وأبو داود و الترمذى في سننهما، ومالك في الموطأ]

وأن يعوده ألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه، ولا إلى من يأكل، وأن يسرع في الأكل، وأن يجيد المضن، وألا يولي بين اللقم، ولا يلطخ يديه ولا ثوبه، وأن يعود

الخبز القفار في بعض الأوقات -من حين لآخر خبز فقط، هذا توجيه الإمام الغزالى - وأن يعود في بعض الأوقات الخبز القفار حتى لا يصير الإدام حتماً.

-هذا مصدق قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((اخشوشنا فـإن النعم لا تدوم))

ويقبح عنده كثرة الأكل، ويمدح عنده الصبي المتأنّب القليل الأكل، وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام، وقلة المبالغة فيه، والقناعة بالطعم الخشن أي طعام كان.

-ابن المقفع له صديق قال عنه: من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني، صغر الدنيا في عينيه، فكان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد.

٣-أن يحبب إليه الثياب البيضاء دون الملون :

قال:- وأن يحبب إليه الثياب البيضاء دون الملون، والإبرسيم -أي المعرق- فإن هذا من شأن النساء والمخنثين، وإن الرجال يستنكفون منه، ومهما رأى على صبي ثوباً من إبرسيم أو ملون، فينبغي أن يستكره ويزمه.

٤-أن يحسن تأدبيه :

وإن الصبي إذا أهمل من ابتداء نشأته، خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذاباً، حسوداً، سروقاً، نماماً، لوحراً، ذا فضول، وضحك، وكيداً، ومجانة -أي من المجنون-، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشغل في المكتب؛ فيتعلم القرآن، وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار وأحوالهم، ليغرس في نفسه حب الصالحين، ويحفظ من الشعر والنشر الأدبي ما يقوم لسانه، ويجعله محباً للغة العربية وعاشقها.

٥-أن تنتهي عليه إذا رأيت منه خلقاً حميداً :

قال:- فإذا ظهر على الصبي خلقاً جميلاً و فعل حموداً، فينبغي أن يكرّم عليه -يجب أن تنتهي على ابنك إذا رأيت منه خلقاً حميداً، أمانة، وفاء، صدقـاً- ويجازى عليه لما يفرح به، وأن يُمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرّة واحدة، فينبغي أن يتغافل عنه.

-غلط غلطة ننتقده انتقاداً صارخاً أمام الناس على غلطة واحدة، لا، فهذا لا ينبعي أن نفعله، وكما جاء في وصية الغزالى: فإذا خالف ذلك في بعض الأحوال مرّة واحدة، فينبغي أن نتغافل

عنه، وأن لا نهانٍ ستره، وألا نكاشفه، ولا يظهر له أنه يتغاضر على أحدٍ مثله، أي أن التغافل على أخطاء قليلة حكمةٌ تربويةٌ، أما إذا عاد ثانيةً يُعاتب عتاباً رقيقاً فيما بينك وبينه، ويقال له: إياك أن تعود إلى ذلك مرّةً ثانية.

قال-: ولن يكون الأب حافظاً مع ابنه هيبة الكلام، فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوّفه بالأب، وتزجره عن القبائح.

٦-أن يمنع الابن من النوم نهاراً فإنه يورث الكسل وألا يمنع منه ليلاً :

-قال-: وينبغي أن يمنع الابن من النوم نهاراً، فإنه يورث الكسل، وألا يمنع منه ليلاً، ولكن يُمنع الفرش الوطئية حتى تتصلب أعضاؤه -الفرش الوثير المريحة هذه تعوده النوم-، وينبغي أن يمنع من كل فعل يفعله خفيةً، فإنه لا يخفى إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا تعود ترك فعل القبيح تعود شيئاً طيباً، ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل، ويعود ألا يكشف أطرافه، وألا يسرع في المشي، وألا يرخي يديه، بل يضمهمما إلى صدره.

٧-أن يمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبوه :

ويُمنع أن يفتخر على أقرانه بشيءٍ مما يملكه أبوه -أبي كذا، أبي عنده بيته، سيارته، حاجته- أو بشيءٍ من مطاعمه وملابسها، أو أدواته، بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره، ويُمنع أن يأخذ من الصبيان شيئاً بطريق الحيلة، بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء والدناة في الأخذ، وإن كان الأخذ من أولاد الأغنياء لؤمٌ وخسّة، فإن الأخذ من أولاد الفقراء يعلم الطمع والمهانة والذلة -على الحالتين- وأن يُقبح عند الصبيان حب الذهب والفضة والطعم فيهما.

٨-أن يعود ألا يبصق في مجلسه وألا يتمخض ... :

ويُعود ألا يبصق في مجلسه، وألا يتمخض، ولا يتثاءب بحضوره غيره، وألا يستدير غيره ، وألا يضع رجلاً فوق رجل، وألا يضع كفه تحت ذفنه، ولا يعتمد رأسه في ساعده، فإن هذا دليل الكسل، ويعلم كيفية الجلوس، ويمنع كثرة الكلام، ويمنع أن يبتدىء بالكلام، ويعلم ألا يتكلّم إلا جواباً، وبقدر السؤال، ويعلم حسن الاستماع من هو أكبر منه سنًا، وأن يقوم لمن هو أكبر منه سنًا، ويتوسيع له في المكان، ويُمنع من لغو الكلام والفحش، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيءٍ من ذلك.

٩-ينبغي ألا يكثر الصراخ والشغب إذا ضربه المعلم ولا يستشعف بأحد بل يصبر :

وإذا ضربه المعلم ينبغي ألا يكثر الصراخ والشغب -هذه الزعبرة- ولا يستشعف بأحد بل يصبر، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤديه، وكل من هو أكبر منه سنًا من قريب أو أجنبي، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم، وأن يترك اللعب بين أيديهم.

هذا فصل ورد في إحياء علوم الدين عن رياضة الصبيان - تأديب الصبيان - وهو فصلٌ تربويٌ مهمٌ جداً، إذا أخذ الأب به، وإذا طبقه بقدر إمكانه، ولكن الظروف صعبة جداً، أي قبل أن تستطيع أن تؤثر بابنك هناك ألف مؤثر آخر، كما قال الله عزّ وجلّ:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾

[سورة الروم الآية: ٤١]

فأرجو أن يكون هذا الكلام واقعياً، لكن قبل سنواتٍ طويلة، قبل مئات السنين، كان الجو جواً صحياً، والأخلاق هي السائدة، والحكمة هي المسيطرة .

في درس آخر إن شاء الله :

وفي درسٍ آخر -إن شاء الله- هناك واجباتٌ كثيرة هي على الآباء تجاه أبنائهم؛ تعليم القرآن، وتعليم السباحة، والرمادية، وركوب الخيل، والختان، والأذان في أذنه، وتحنيكه، والعقيقة. أشياء كثيرة -إن شاء الله- نأخذها في الدرس القادم تتنميًّا لموضوع حقوق الأبناء على الآباء :

((ورحم الله والداً أعن ولده على بره))

والحمد لله رب العالمين

ال التربية الإسلامية - الحقوق - حقوق الأبناء على الآباء - الدرس (٤ - ٢) : تأديبه بالأدب الإسلامي - وصايا لقمان لابنه.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١١-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تمة حقوق الأبناء على الآباء :

٥- أن يعلم الأب ابنه القرآن الكريم :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا في موضوع حقوق، ولا زلنا في موضوع حقوق الأبناء على آبائهم، وقد تحدثت في الدرس الماضي عن بعض هذه الحقوق، وفي هذا الدرس نتابع الحديث عن هذه الحقوق .

فمن هذه الحقوق: أن يُعلّمُ الأب ابنه القرآن الكريم، هذا حق الابن على أبيه.

فقد ورد في حديثٍ شريفٍ، رواه البيهقي، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((حق الولد على الوالد: أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمایة، وألا يرزقه إلا طيباً))

هذا الحديث الذي رواه البيهقي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد في الجامع الصغير في الجزء الأول .

لماذا وجه النبي أبناء أمته ليتعلموا القرآن الكريم؟ :

أيها الأخوة الأكارم، القرآن الكريم لماذا وجهنا النبي -عليه الصلاة والسلام- كي نعلمه لأبنائنا؟ لأن القرآن الكريم منهجٌ تفصيليٌ للإنسان، تعليمات الصانع، فـأية حركةٌ في مضمونها وفي شكلها تكون خارج هذا الكتاب، فهي حركةٌ ليست مجده بل إنها مؤذية، أي أن الله سبحانه وتعالى خلقَ الخلقَ وخلقَ الخلقَ وفقَ سننِ ثابتة، وخلقَ الإنسانَ وفطَرَه على فطرةِ ثابتة، وربنا سبحانه وتعالى نظمَ تنظيمًا دقيقًا علاقَةَ الإِنْسَانِ بأخيهِ الإِنْسَانِ، فما دامَ الإِنْسَانُ وفقَ هذَا المنهجَ فعملَه ينجح، فإذا خرجَ عن هذَا المنهجَ فلا بدَّ من أن يشقي.

والمقولَة التي تعرفونها جميعاً هو أنه: ما من مشكلةٍ على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهجه الله، وما من خروج عن منهجه الله إلا بسبب جهل به، إذاً كل مصيبةٍ، كل مشكلةٍ: أساسها الجهل وعلاجهما العلم، والقرآن الكريم كتاب الله عز وجل، فيه هذا كتاب مقرر ، فيه تعليمات

الصانع، فمن أخذ به فقد أمسك مفتاح النجاح، ومن أهمله فقد جانب النجاح، ومن هنا قال الله عزّ وجل:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيْرًا﴾

[سورة مريم الآية: ٥٩]

وقد لقي المجتمع الذي جعل هذا المنهج وراء ظهره وانغمس في شهواته، لقي هذا المجتمع الغيّ كما وعد الله عزّ وجل .

من هذه الأهداف التي يستفيد بها الطفل من تعليم القرآن الكريم :

إذاً في تعليم الابن القرآن الكريم، هناك أهداف لا تعدّ ولا تحصى، أول هذه الأهداف: أن القرآن الكريم فيه النُّظم التي لا بدّ من تطبيقها في الحياة، فربنا عزّ وجل في هذا الكتاب ذكر أشياء، وسكت عن أشياء، وأقرّ بعض الأشياء، وبعض الأشياء تركها مَرَنَة، فالشيء المَرَن هو الذي يمكن أن يتطور وفق الزمان والمكان، والشيء الذي بَتَ القرآن فيه، هو الشيء الذي لا علاقة له لا بالمكان ولا بالزمان ولا بالبيئة، والشيء الذي سكت عنه القرآن الكريم، هو الذي لا يتعلق بسعادة الإنسان ولا باتصاله بخالقه.

فحينما يعلم الأب ابنه كتاب الله عزّ وجل، يكون قد أدى ما عليه من حقوق تجاه الدين.

ملاحظة مهمة جداً :

لكن هنا ملاحظة مهمة جداً: يربى الأب ابنه، فهذا عمل يختلف اختلافاً كلياً عن أي عمل آخر، فمثلاً:

أن تمسك بقطعة خشب وتتجّرّها وفق ما تريده، فهذا أمر سهل لأن قطعة الخشب مطواة لك، فأنت تفعل بها ما تشاء؛ تقطعها، تتجّرّها، تصلّها بأختها، ولكن الابن له اختيار مستقلّ عن أبيه، فكأنّ الأب مطالب أن يبذل العناية الكافية، ولكن ليس على الأب أن يحقق النتائج المرجوة في ابنه، فهذا فوق مقدور الإنسان، لأن الله عزّ وجل ضرب بسيدنا نوح مثلاً، ابن سيدنا نوح، ومن هو سيدنا نوح؟ نبيٌّ كريم، قال:

﴿يَا بُنَيَّ ارْكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَأَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَهَلْ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾

[سورة هود الآية: ٤٢-٤٣]

وبعد بضع آيات قال:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ الْبَيْتَ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ
وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَّ
غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة هود الآية: ٤٥-٤٦]

أنا ذكرت هذا الكلام حتى يبذل كل أب أقصى جده في تربية ابنه، ولكن أحياناً مع بذل غاية الجهد وأقصى العناية والتوجيه، فالابن قد يأخذ موقفاً آخر لأن الابن مخرب، من هنا قال الله عزّ وجل للنبي -عليه الصلاة والسلام-:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٧٢]

وهذه آية ثانية في الموضوع ذاته:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة القصص الآية: ٥٦]

وآية ثالثة :

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾

[سورة هود الآية: ٨٦]

وآية رابعة :

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسِيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّ وَكَفَرَ﴾

[سورة العاشية الآية: ٢١-٢٣]

فعلى الإنسان أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح، هذا الكلام أريد أن أذكره، لئلا يتلألأ أب بذل قصارى جده في تربية ابنه، وفي تعليمه، وفي إرشاده، وفي توجيهه، فرأى هذا الأب ابنه في طريق آخر، وفي وادٍ آخر، ولم يستجب له، النجار علاقته بقطعة الخشب شيء، والأب علاقته بابنه شيء آخر، لو أن عنابة الأب وحدها كافية لهداية الابن، لما نشأ ابن عاقٌ عند أب مؤمن.

انظر إلى هذا التشبيه البليغ :

ولكن كما يمسك الطبيب مريضاً، فيبذل الطبيب قصارى جده في معالجته، وتشخيص دائه، ووصف الدواء المناسب، ثم تنتهي مهمة الطبيب عند بذل العناية، ولذلك أجمع الفقهاء على أن أجرة الطبيب ليست من المعاوضات، ما هي المعاوضات؟ .

أي حينما تشتري بيتك تدفع العوض، تستلم المبيع وتدفع الثمن، فهذا عقد معاوضة، الإيجار والبيع وما شاكل ذلك، ولكن أجرة الطبيب والمحامي سماها العلماء جعللة؛ أي أن الطبيب يستحقها لا

عند شفاء المريض ولكن عند بذل العناية الكافية، يأكل الطبيب أجرته حلالاً مائة في المائة إذا بذل العناية الكاملة للمريض، أما أن يشفى المريض أو أن لا يشفى فهذا شيء آخر بتقدير الله وبعلمه.

إذاً: شأن الأب كشأن الطبيب، هناك بعض المهن تكون العلاقة خاللها بينك وبين الإنسان الآخر علاقة عناية وبذل جهدٍ ليس غير، لكن بالمقابل هناك أخطاء كثيرة عند الأبناء سببها تقصير الآباء، وكل إنسانٍ يعلم بالضبط ما إذا كان قد بذل العناية القصوى أو لم يبذل، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿بِلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَذِيرَةً﴾

[سورة القيمة الآية: ١٤-١٥]

الأب يعرف، إذا كان انحراف ابنه أو تقصيره بسبب تقصير الأب أو إهماله، أو بسبب إصرار الابن على اختيارٍ معين، هذا الشيء يعلمه الأب وحده دون غيره، فلذلك المسؤولية تنتهي حينما تبذل قصارى جهودك مع ابنك، وإذا أكرم الله عزّ وجل أحد الآباء بابن طيّع بار، فأنا أتصحّ نصيحةً غالبيةً أن يسجد الله عزّ وجل، ويشكّر الله على هذه الموهبة.

وصية لكل أبي أكرمه الله بولد صالح :

أقول: على هذه الهبة، لأن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾

[سورة العنكبوت الآية: ٢٧]

وهبنا، ومعلوم لديكم أن الهبة بلا مقابل، فإذا كان عند إنسان ابن صالح مؤمن، دين، مطوع، بار، فهذا من فضل الله عليه، وأنا أتصحّ مرة ثانية إلا يعزّوا هذا إلى تربيته، ولا إلى ضبطه، ولا إلى توجيهه، ولا إلى حزمه، ولا إلى شدته، يجب أن يعزّوا هذا لفضل الله وحده، فكم من أبي منحرفٍ، سيءٍ، ضالٍ، مضلٍ، جاءه ابن صالح كأنه ملك؟ وكم من أبي مؤمنٍ مستقيم، جاءه ابن منحرف؟

فهذا الحال جزء منه، داخل باختيار الإنسان، وجزء آخر داخل بتقدير الله عزّ وجل، ولذا أتصحّ أن يتأدّب الإنسان مع الله عزّ وجل، فإذا عزّوت هذا إليك، إلى قدراتك، إلى حزمك، إلى خبراتك في التربية، وهذا من الضلال ومن الشرك.

إذاً:

((حق الولد على الوالد: أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرمادية، وألا يرزقه إلا طيباً))

هذا الفرق الدقيق بين الإنسان الذي أكرمه الله بالعلم وبين الإنسان الذي بقي جاهلاً :

الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- يقول: ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، فهو نورٌ يهتدي به الحائر.

أي كما تعلمون مني سابقاً: أن هذه القيم التي يتفاوض الناس بها في الدنيا، القوة، الغنى، الوسامية، الجمال، الذكاء، الصحة، هذه القيم قد رفض القرآن الكريم أن يعتمدتها قيماً مُرجحة، إلا قيمة واحدة هي قيمة العلم والعمل به، فلذلك قال الله عزّ وجل:

﴿فُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر الآية: ٩]

وقال الله عزّ وجل :

﴿وَقُلْ رَبِّ رِزْنِي عِلْمًا﴾

[سورة طه الآية: ١١٤]

والفرق الدقيق الدقيق بين الإنسان الذي أكرمه الله بالعلم، وبين الإنسان الذي بقي جاهلاً هو فرق كبيرٌ جداً فهما لا يستويان، فلذلك على الأب أن يحرص على تعليم ابنه في الدرجة الأولى المنهج الإلهي الدقيق.

فمرة ثانية، وثالثة، ورابعة: إذا كانت لديك آلة معقدة جداً، غالباً ذات نفع عظيم جداً، وأنت حريصٌ عليها حرصاً بالغاً، إذا كنت حريصاً عليها، وإذا كان ثمنها باهظاً، وإذا كان نفعها عظيماً، مما عليك إلا أن تقرأ كتاب التعليمات المرافق لهذه الآلة وإلا خسرتها.

والقرآن الكريم في جوهره تعليمات الصانع لهذا الإنسان الأول، لذلك إذا جاء الأب بابنه وأحضره ليعلمه القرآن الكريم؛ ليعلمه تجويده، ليعلمه تفسيره، ليعلمه أحكامه، ليعلمه إعجازه، هذا الوقت الذي يبذله الأب، أو يمضي الأب في تعليم ابنه القرآن الكريم، هو توظيف الموقف واستثمارٌ له، وليس تضييعاً كما يتوهם جهلة الناس.

ما قصة هذه المقوله: يا فلانة فرطنا بالذهب واتبعنا الفحم؟ :

أعرف أباً بلغ من نجاحه في الدنيا مرتبةً عاليةً جداً، فقد نجح في تجارته وفي صناعته إلى درجة أن تفرد في الشرق الأوسط في صناعةٍ معينة، فحاصل بها قصب السبق ودخلت عليه الأموال بغير حساب، ولكنه أهمل أولاده، نشروا على المعاصي، والانغماس في الشهوات، قُبِيلَ وفاته قال

لزوجته باللغة الدارجة: يا فلانة فرطنا بالذهب واتبعنا الفحم، لأنه هذه الأموال الطائلة سوف تغدو بين أيدي أبناء فسقة منحرفين، فعرف هذه الغلطة الكبيرة.

من هنا سيأتي معنا: أن خير كسب الرجل ولده؛ أي مهما بذلت من وقتٍ، من جهدٍ، من تعليمٍ، من توجيهٍ، من حلمٍ، من صبرٍ، من خسارةٍ، إذاً أمكنك أن تصل بهذا الابن إلى الطريق الصحيح، فأنت الرابح الأكبر. بعض الأبيات الشعرية اللطيفة :

بالعلم تحيا نفوسٌ قط ما عرفت
من قبل ما الفرق بين الصدق والميَّنِ
العلم للنفس نورٌ يُسْتَدلُّ به
على الحقائق مثل النور للين

-الميَّنِ: هو الكذب.-

ولولا العلم ما سعدت نفوسٌ ولا عرف الحال من الحرام
فبالعلم النجاة من المخازي وبالجهل المذلة والر GAM

تعليق على هذه القصة :

أنا مرّة ضربت لكم مثلاً: عامل في بعض المطارات أثناء تنظيف الطائرة، رأى غرفة العجلة - والطائرة وعندما تكون جاثمة، فإن عجلاتها على الأرض، فوق العجلة غرفة كبيرة، حينما تُقلع الطائرة، فإن هذه العجلة تُرفع من قبّل الطيار، من أجل لا يعيق حجمها حركة الطائرة - هذا العامل نظر إلى هذه الغرفة رآها واسعة، قال: لم لا أقبع بها، وأنقل من مطار إلى مطار، بلا أجور، وبلا رسوم، وبلا جواز سفر، وفي ذاك البلد أعمال كثیر جداً؟ فصعد إلى هذه الغرفة، فلما أفلعت الطائرة، اضطر ربان الطائرة - حسب تعليمات القيادة - أن يرفع العجلة للغرفة المخصصة بها، فابتعدت جوانب الغرفة عن بعضها لتأخذ العجلة مكانها، فسقط هذا الإنسان على أرض المطار من على ارتفاع ثلاثة متر، فمات فوراً.

هذه قصة أعلق عليها أهمية كبرى، ما الذي قتل هذا الإنسان؟ جهله، هل كان يريد أن يموت؟ لا والله، كان يظن أنه ذكي جداً، وأنه سوف يوفر رسوم السفر، ورسوم الخروج، وجواز السفر، وينتقل بلا قيود ولا شروط إلى بلد آخر، ولكن لو عرف أن هذا المكان مكان لا بدّ من أن يموت الإنسان فيه إذا دخله، لما ألقى به وأوردها حتفها.

هذا أعدى أعداء الإنسان :

قال لي واحد: لو كان في الغرفة مكان ثابت وغير متحرك ليبقى فيه الإنسان، لمات بسب البرد، إذ تبلغ الحرارة في الجو خمسين تحت الصفر فيما يموت برداً، إذَا: أعدى أعداء الإنسان هو الجهل، فإذا علمت ابنك القرآن الكريم، الإنسان العالم إنسان ثمين جداً، هل هو شخصية فذة؟ والجاهل مهما ارتفع قدره في الدنيا، هذا ارتفاع هوانِي لا قيمة له، مهما انفخ جبيه، هذا غنى لا قيمة له، لأن الله عز وجل قال:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

[سورة طه الآية: ١١٤]

وسيدنا علي -كرم الله وجهه- يقول: العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكي على الإنفاق.

ورطة وقع بها هذا الزوج :

وأنا أذكر أخاً قبل اثنتي عشرة سنة، بعد خطبة الجمعة سألني سؤالاً و الدموع من عينيه تسيل: إن زوجته خانته، وله منها خمسة أولاد، وهو في بحبوحة، يسكنها بيته فخماً، وهو يعجب لماذا حدث هذا؟ ماذا يفعل؟ أيطلقها؟ أيسكت عنها؟ أيعفو عنها؟ تكلم والبكاء والدمعة تترافق من عينه والألم يعتصر قلبه، قلت: كيف حصل هذا؟ قال لي: من سنتين تقريباً وأنا لا أدرى، مع من؟ مع جارنا، لكن كيف تعرف على زوجتك؟ قال لي: والله أنا السبب، فقد طرق علينا الباب ذات مرة زائراً فأمرتها أن تجلس معنا، وكان الحريق المدمر من تلك الشرارة الواهية.

فهذا الزوج لو كان يحضر مجالس العلم، ولو عرف الحرام من الحلال، وأن هذا يجوز وهذا لا يجوز ما وقع في هذه الورطة، فلما يترك الإنسان نفسه بلا علم، يدفع الثمن غالياً في تجارته، في بيعه، في شرائه، في زواجه، في أولاده، في صحته أحياناً.

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم. فالله عز وجل كرم الإنسان بالعلم، فإذا أهمل العلم وقع ضحية الجهل، وليس العار أن تكون جاهلاً، ولكن العار كل العار أن تبقى جاهلاً.

هذا الأصل في بعثة النبي :

إذا أحببت إيضاحاً أكثر: فما من قصة تصل إلى أذنيك إن حلّتها، ترى أن هذا الطلاق، وأن هذا الإفلاس، وأن هذا المرض العضال -أحياناً أقول أحياناً- وأن هذا الخلاف الزوجي، وأن هذه

الجريمة، وأن هذه المشكلة، وأن هذه الفضيحة، وأن هذه الفتنة سببها معصية، وأن هذه المعصية سببها الجهل، لذلك: العلم نور وهدى.
اللهم صل علیه قال:

((إنما بعثت معلماً))

بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- في أصلها بعثة تعليم.

حقيقة مسلم بها :

وبالمناسبة: يا أخواني، الإنسان يحب ذاته، هذه حقيقة مسلمة بها، والمطلب الثابت للإنسان في كل مكان وفي كل زمان: السلامة والسعادة، ولو سألت خمسة آلاف مليون من البشر واحداً واحداً: ماذا تريد؟ يقول لك: السلامة من كل مرض، من الفقر، من الخوف، من الشقاق الزوجي، من الضعف، من الذل، من أن فقد حرتي، وأتمنى البحبوحة في المال، والسعادة الزوجية، و... إلخ: أنا أستطيع أن أقول: إن المطلب الثابت لكل إنسان في كل مكان وزمان هو السلامة والسعادة، والسلامة والسعادة لا تكونان إلا إذا سرت على منهاج الله:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىِي فَنَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه الآية: ١٢٣]

هذا كلام ربنا، والله الذي لا إله إلا هو، لزوال الكون -لا أقول الأرض بل الكون- أهون على الله من أن كون هذا الكلام غير صحيح:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىِي فَنَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه الآية: ١٢٣]

لا يضل عقله ولا تشقي نفسه.

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىِي فَأَخْوَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ٣٨]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل الآية: ٩٧]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه الآية: ١٢٤]

﴿قَالَ رَبِّي لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ تُنْسَى﴾

[سورة طه الآية: ١٢٥ - ١٢٦]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة الجاثية الآية: ٢١]

وهكذا

هذه علاقة الإنسان بالقرآن الكريم :

إذا علمتَ ابنَ القرآنَ فقد علمتهِ منهجَ الحياةِ حقيقةً، والقرآنَ ليسَ وردةً تترىْنَ بها، أنا تعلمتَ القرآنَ، وأنتَ إذا تعلمَتَ القرآنَ تعلمتَ أهمَّ شيءٍ في حياتِكَ، تعلمتَ المنهجَ.

مرةً ضربتُ مثلاً: كمبيوتر ثمنهِ ثلاثةَ ملليوناً لتحليلِ الدمِ، وكلَّ كبسة زرٍ أجرها ألفَ ليرة، وينتظرُ مائةَ زبونٍ بالدورِ، نقطةَ دمٍ تضعُها وتكتسِّ زرًا يعطيكَ أربعةً وعشرينَ تحليلاً بكبسة زرٍ واحدةً، وكلَّ نتيجةً مسجلةً على الورقِ، هكذا حاسوبٌ، وعندكَ مائةَ زبونٍ ينتظرونَكَ، وكلَّ زبونٍ بالفَلَلِ، مائةَ ألفَ كلَّ يومٍ، مبلغٌ ضخمٌ، هذا الحاسوبُ اشتريناهُ، لكنَّ حدثَ خطأً هو: أنَّ الشركةَ نسيتَ أنْ تبعثَ لنا كتيبَ التعليماتِ، إنَّ شغلتَهُ من دونِ تعليماتٍ تخربهُ، وإنَّ خفتَ عليهِ عطلَتَ المائةَ ألفَ دخلهِ كلَّ يومٍ، يا ترىَ أليسَتَ هذهَ التعليماتُ أهمَّ منَ هذا الجهاز؟ إنَّ استعملتهِ بلا تعليماتٍ خربَتهُ، وإنَّ خفتَ عليهِ فلم تستعملهُ، جمدَتْ ثمانَهُ وفانَّتْ ربحُهُ وغيرُهُ، إذَا: يمكنَ أنْ تركبَ الطائرةَ وأنْ تدفعَ عشراتَ الألوفِ كي تحصلَ علىَ هذهَ التعليماتِ.

إنَّ القرآنَ الكريمَ في علاقتهِ بالإنسانِ لأخطرِ منَ هذهَ التعليماتِ؛ أخطرُ بكثيرٍ وأهمُّ، كيفَ تعيشُ؟ كيفَ تفكِّرُ؟ كيفَ تعتقدُ؟ كيفَ تقفُ؟ كيفَ تصلي؟ منَ تصلِّ؟ منَ تقطعُ؟ منَ تعطي؟ منَ تمنعُ؟ كيفَ تتعاملُ معَ شهواتِكَ؟ هذهِ الشهوةُ مسموحٌ بها، هذهِ ممنوعةٌ، هذهِ محرمةٌ، هذا مكرُوهٌ، هذا محرّمٌ، هذا واجبٌ، هذا مباحٌ، هذا فرضٌ، فالإنسانُ بلا علمٍ بهيمةٌ، وإنَّ كانتَ الكلمةَ قاسيةً: بهيمةٌ، وأنا أقولُ: دابةٌ فلانةٌ، دابةٌ جموحٌ، فلانةٌ، هكذا الإنسانُ بلا علمٍ، لذلكَ:

((طلبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))

[أخرجَهُ ابنُ ماجهَ في سنّةٍ]

أيَّ علىَ كلِّ شخصٍ، أيَّ علىَ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ بالتعريفِ الدقيقِ .

وصف للقرآن الكريم من قبل إنسان غير عربي :

هناكَ إنسانٌ وصفَ القرآنَ الكريمَ وهوَ ليسَ عربيًّا، لكنَّ هؤلاءَ الذينَ يؤمنونَ ب الدفاعِ قناعتهمِ وسلامةِ فطرتهمِ فقط، يفعلونَ المستحبلاتِ.

قالَ هذا الإنسانُ العالمُ الدكتورُ: إنَّ القرآنَ الكريمَ هوَ بمثابةِ ندوةٍ علميةٍ للعلماءِ، ومعجمٍ لغةٍ للغوينَ، ومعلمٍ نحوِ لمنْ أرادَ تقويمَ لسانِهِ، وكتابٌ عروضٌ لمحبِّ الشعرِ وتهذيبِ العواطفِ، ودائرةً معارفٍ للشرايعِ والقوانينِ، وكلَّ كتابٍ سماويٍ جاءَ قبلَهُ لا يساويُ أدنى سورَةً من سورَةِ في حُسنِ المعانيِ وانسجامِ الألفاظِ، ومنْ أجلِ ذلكَ نرىَ رجالَ الطبقةِ الراقيةِ منَ الأمةِ الإسلاميةِ يزدادونَ تمسكاً بهُ، واقتباساً لآياتِهِ، وبينُونَ عليها آراءَهمِ كلَّما ازدادوا رفعَةً في القدرِ ونباهةً في

الفكر.

أي أنه كتاب شامل، فدائماً ضع الفرق بين القرآن وبين كلام البشر، ادخل لمكتبة، فلو أن فيها مائة ألف مجلد، كل هذه المجلدات من تأليف البشر، والإنسان يخطئ ويصيب، ففي كل منها تجد الخطأ والصواب، لكن كلام الله عزّ وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لذلك: دخل إنسان إلى مكتبة في إيطاليا، فلفت نظره القرآن الكريم مترجمًا، فسأل صاحب المكتبة: من مؤلف هذا الكتاب؟ فقال له: خالق الكون، وهو مغنٍ شهير، فاشترى الكتاب وقرأه مترجمًا، ويبدو أنه آمن به، الآن هذا المغني الشهير من المؤمنين المتفوقين، ترك الغناء وصار يشتري كل تسجيلاته ليحرقها، يشتريها بماله، بثروته الطائلة، وهو حالياً يعيش في لندن. فهذا كلام الله عزّ وجل، منهجك في الحياة، إنسان بلا منهج كالبهيمة.

دعوة عامة :

فإننا نرحب بكل أخ عنده ابن حريص عليه، ونحن عندنا معهد تحفيظ القرآن الكريم،طبعاً تحفيظه، وتجويده، وتعليم أحكامه أحياناً، وشيء من علومه وتقسيمه، كذلك درس التفسير، هذا درس مهم جداً، لماذا هو مهم؟ هذا منهجنا في الحياة، فهل هناك عمل أخطر وأهم وأعظم من أن تتعلم المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه؟.

فقد يقول أحدهنا: الفصل شتاء فإلى أين نذهب لنهر فالليل طويل؟ درس التفسير جيد، نذهب ونسمعه عقب صلاة العشاء، لا، ليس هذا الموضوع بل الموضوع أخطر من ذلك، لا لأن الفصل شتاء، فهذا صار ذبوباً شتوياً، بل لأن هذا منهج منهج بالحياة، فإذا عرفت ما هو التوكل؟ ما هو الصدق؟ ما هو اليقين؟ ما هو التوحيد؟ ما هو الشرك؟ فقد عرفت الخير والإيمان حقاً.

هذه أشياء خطيرة جداً تدخل في صميم حياة كل إنسان، لذلك حضور مجلس علم هو الأجدى، وليس قوله: اليوم عندي فراغ وليس لدي ما يشغلني، أو أن أقول: أنا مشغول لا أقدر أن آتي، موضوع أن تكون مشغولاً أو غير مشغول، الفصل شتاء، والليل طويل، لا يوجد شيء يشغلني، هذا كله مرفوض، ما من عمل أعظم من أن تتعلم منهج الحياة وهو القرآن.

ولابنك محل آخر عندنا، لدينا معهد يعلمه التجويد مبدئياً، يعلمه التحفيظ، مع شيء من أحكام القرآن، وشيء من العقيدة، يعلمه شيئاً من السنة أحياناً، فلذلك على الإنسان أن يحرص على ذلك، عندنا لكل المستويات، عندنا ابتدائي، وإعدادي، وثانوي .

٦-أن يعلمه السباحة :

الحق الآخر: أن يعلمه السباحة.

أحياناً باللغة أنت تذكر الجزء وتريد الكل، مثلاً: الفقراء والمساكين، العلماء قالوا:

إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

كيف؟ أي أن الله عزّ وجل إذا قال: للفقراء والمساكين، معناها: أن الفقراء هم الذين لا يجدون حاجتهم، دخل أحدهم أقل من حاجته، أما المساكين فهم الذين لا يستطيعون العمل، أو هم بلا أعمال، إذا اجتمعا افترقا، ولكن إذا افترقا اجتمعا، فإذا قال ربنا عزّ وجل: للفقراء؛ أي للفقراء والمساكين، إذا قال: للمساكين؛ أي للفقراء والمساكين، حيثما اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- عندما قال في حديثٍ رواه البيهقي:

(أن يعلمه الكتاب والسباحة)

أنا أعتقد أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يقصد بالسباحة مدلولها بالذات، بل مدلول السباحة عموماً، لأنها تحرّك كل عضلات الجسم، فكانه لما ذكر هذا النوع من الرياضة، وأراد به كل أنواع الرياضة، فقد يكون الإنسان بمكان لا يوجد فيه أنهار أو مسابح إطلاقاً، كما هو الحال في بعض القرى، إذاً صار المقصود من السباحة هنا، أي يجب أن ينشأ ابنك في بيئته الجسمية نشأة قوية، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُضَعِّفِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

لكن روعة الحديث: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قيد القوة بالإيمان، لأن القوة وحدها شيءٌ خطير، شيءٌ مخيف، شيءٌ مدمر، أما المؤمن القوي، لم يقل: القوي، بل المؤمن القوي، لأن الإيمان فيه ضوابط:

الإيمان قيدُ الفتاك ولا يفتاك مؤمن.

المؤمن القوي، والإنسان -كما قال سيدنا علي، هذا كلام واقعي وخطير- أعظم نعمةٍ تمتلكها ما هي؟ نعمة الإيمان.

من الذي يتمتع بنعمة الأمان حسراً؟ :

فسيدنا عمر إذا أصابته مصيبة، كان يقول: الحمد لله إذ لم تكن في ديني ...
أي أن أعظم نعمة ألا تكون واقعاً في الكبائر، ألا تكون ذا مال حرام، ألا تكون مصلحتك لا ترضي الله عزّ وجل، ألا يكون في بيتك منكر لا تستطيع أن تزيله، هذه أكبر مصيبة، بل هي مصيبة المصائب، فإذا كان الإيمان، ما هي أكبر نعمة بعد الإيمان؟ أكبر نعمة -أقول وأعني ما أقول- هي الصحة، فما قيمة المال من دون صحة؟ لكن ما هي أكبر نعمة بعد الصحة؟ أن تكون

مكتبياً، لذلك: الإيمان والصحة والكافية إذا توافرت لك، فالدنيا كلّها لا تعدل شيئاً أمامها، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((منْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سَرْبِهِ، مُعَافٍ فِي جَسَدِهِ - الْآمِنُ أَيْ مُطْمَئِنٌ إِلَى رَبِّهِ - عِنْدُهُ قُوَّتْ يَوْمِهِ، فَكَانَمَا حَيَّزَ لِهِ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا))

[أخرجه الترمذى في سننه]

فالإنسان متى يطمئن؟ هل يطمئن إنسان عاصٍ؟ أبداً فهو في قلق، لا يطمئن إلا المؤمن، والدليل:

﴿فَإِيَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٨١-٨٢]

هذه آية قرآنية، أي لا تتمتع بنعمة الأمان حسراً إلا المؤمن.

متى يقذف الله في قلب العبد الخوف؟ :

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعبُ﴾

[سورة الحشر الآية: ٢]

أقوى إنسان في الأرض، أغنى إنسان في الأرض، إذا أشرك، قذف الله في قلبه الخوف، وقد ذكرت هذا في درس الشرك، كيف أن أصحاب أموال الطائلة إذا اعتمدوا على أموالهم فهم معذبون، كيف؟ لأن الله عزّ وجل يقول:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية: ٢١٣]

لكن كيف يعذّب هذا الغني؟ هذا الغني يعذّب بخوف فقد المال، هذا عذاب، وإذا فقده يعذّب بفقدده، فهو إن كان معه المال معذّب بخوف فقده، وإن فقده معذّب بفقدده، في كلا الحالين هو معذّب، لذلك: أعظم نعمة أن تكون مؤمناً:

آمناً في سربه.

إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصحابه المؤمنين.

فالسكينة هي الطمأنينة:

((منْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سُرْبِيهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ - صَحَةٌ - عِنْدَهُ قُوَّتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا))

[أخرجه الترمذى في سننه]

توجيه نبوى :

إذاً صحة الجسد شيءٌ مهمٌ، والحقيقة: أن الجسد مطيتك إلى الله عز وجل، فمن الناس من يقول: يا أخي إن العمر محدود، وهذا صحيح، لكن هل من الممكن لأحد الناس أن يعيش ثلاثةً وثلاثين عاماً مسطحاً على ظهره أو واقفاً على قدميه؟ العمر هو العمر، لكنك إذا اعتنى بصحتك، بين أن تعيش هذا العمر في راحةٍ وطمأنينة، لأنه جسمك مطيتك، الإنسان بالصحة يعمل، ويدرس، ويدعو إلى الله عز وجل، ويكسب المال، ويفعل كل شيء، أما إذا تعطلت صحتك، فإنك تتغطى عن العمل بسبب المرض، فالقضية خطيرة جداً، أي أن العناية بالصحة، أريد أن أقول شيءٌ يلي الإيمان في الأهمية، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((علموا أولادكم الكتاب والسباحة))

المقصود بالسباحة؛ أي الرياضة، فالإنسان بطعامه، بشرابه، وبكل أموره، يجب أن يكون دقيقاً، وإلا فالخسارة محققة.

أحد أسباب سرطان الفم :

سمعت من يومين أن سرطان الفم أسبابه -هذه نصيحة للأخوان- إذا كان لديك سن انكسرت ولم تقلعها، إذا وجد نتوء حاد بالفم والإنسان بداع الفضول يبدأ بسانه ليحكه، هذا التخريش أحد أسباب سرطان الفم، إذا انتبه الإنسان لهذه النقطة، فإنه لن يترك شيئاً من النتوءات الحادة بفمه، لأن الحركة الدائمة مع النتوء الحاد يسبب تخريشاً، هكذا سمعت من طبيب يقول، فالعلم مهم حتى في صحتك، هناك مواد مؤذية، ومواد مخرضة، ومواد كيميائية، وأصبحت إذا تراكمت، تسبب أمراضاً معينة، فالإنسان قبل أن يأكل، قبل أن يشرب، قبل أن يتحرك، قبل أن يفعل هذا كله، عليه أن يكون واعياً من أجل سلامته.

نصيحة :

وقد يُبهر البعض فيقول: جهاز يسخن الأكل خلال ثوانٍ، هذا الجهاز أساسه تحرير الخلايا، يا ترى: هل أنت متأكد مائة بالمائة أنه لا خطر منه؟ لا تعرف، تضع الطعام في صحن بارد، واللحمة مثل الحطبة، وخلال ثوانٍ يصبح اللحم مثل النار، والصحن بارد، يتعرض الطعام لإشعاعات تحرر الخلايا وتتسخنه، هذا إنجاز حضاري عظيم، لكن يا ترى: هل نحن متأكدون أن

هذا الإنجاز الحضاري ليس له مضاعفات ثانية؟ لا نعرف، لذلك على الإنسان أن يبقى طبيعياً في شؤونه، فكل إنجاز حضاري قد يكون له أخطار كبيرة تكتشف بعد سنوات من وجوده، فأنا ليس عندي معلومات دقيقة حول هذا الموضوع، ولكن مجرد استبطاع عام، فقد يكون هناك شيء ضار، هذا الطعام الذي تم تحضيره بثوانٍ حسب الظاهر؛ أنه إنجاز سريع، تسخين سريع.

حوار جرى بين فيلسوف وملح :

قالوا: إنَّ فيلسوفاً من كبار الفلسفه ركب سفينة، فالتقى بملاح على ظهر السفينة، فسأله عن درجة علمه: ما معك من شهادات؟ هذا الملاح قال له: والله لا أعرف شيئاً، قال له : إنك لا تتفع مطلقاً لأنك لا تعرف شيئاً، ما قيمتك بالحياة ألم تدرس أبداً؟ فقال له الملاح: يا مولاي أتعرف السباحة؟ قال: لا إنها لا تجدي نفعاً، واتفق بعد زمنٍ يسير أن حدث هياجٌ واضطرابٌ عظيمٌ في البحر، حتى أشرفت السفينة على الغرق، فدنا الملاح من هذا الفيلسوف العظيم، وقال: يا سيدي إننا هالكون لا محالة، فهل تعرف السباحة؟ فقال الفيلسوف: والله لا مفر لي من الموت، ولا حيلة بيدي، فقال الملاح: ادعُ معارفك وعلومك لعلها تنجيك، فقال الفيلسوف: إن معارفي لا تنجي من الغرق، فقال الملاح: أما أنا فأعرف السباحة، وهي تنجي من الغرق بإذن الله، رغم أنك قلت لي قبل قليل: أنها لا تجدي نفعاً، وها أنت الآن تعرف أنها تجدي حقاً.

وبينما هما يتكلمان، لطمت الأمواج السفينة فقلبتها، وسقط من فيها في الماء، فأمسك الملاح الفيلسوف بإحدى يديه وسبح بالأخرى حتى نجا كلاهما، فقال الفيلسوف: صدقَ من قال: علمك بالشيء خيرٌ من الجهل به .

هذا إنسان نافع :

المؤمن -شيء عالٍ- إن كان يسبح، وكان جسمه قوياً، وهو ذو مصلحة، بيده مهنة، يقول أحدهم: أنا كهربائي، أنا خياط، أنا مزارع، شيء رائع جداً.

فسيدنا عمر يقول: إني أرى الرجل ليس له عمل يسقط من عيني.

وقال سيدنا علي: قيمة الرجل ما يحسن.

لذلك: المؤمن الذي بيده حرفة، مصلحة، تجارة، صناعة، حرفة، خدمات، دارس، مدرس، طبيب، مهندس، خياط، نجار، حداد، فهو إنسان نافع، إذاً تعلم للأخرة، وتعلم مصلحة للدنيا، واجمع بينهما، و... .

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا واقبح الكفر والإفلاس في الرجل

إذاً: السباحة بمعنى مطلق القوة؛ القوة الجسمية، الرياضة البدنية.

لكن بالمناسبة: الآن لا بد من التحفظ، فأذركم بالحكمة الثانية: دع خيراً عليه الشر يربو .
لو فرضنا أنني أردت أن أعلم ابني السباحة، والسباحة فيه كشف للعورات، أو على شاطئ فيه نساء كاسيات عاريات، هذه سباحة ولكن معها فساد كبير.

وعندنا قاعدة فقهية تقول: درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

أي أنك إذا علمت ابنك السباحة، وفسدت أخلاقه من جراء ذلك، وانجرف إلى شهواتٍ محرمة،
وضييع دينه ودنياه وأخرته، ماذا تجديه السباحة؟.

أريد أن أعلم ابني اللغة الإنكليزية مثلاً، قالوا لي: أفضل شيء ابعثه إلى بريطانيا، إذا لم يقم لدى
أسرة قد اخالط بأفرادها شهراً بكماله، وصار لديه براتيك -محادثة- فإنه لا يتقوى، شيء جميل،
بعث ابنه إلى مجتمع فاسد منحرف، الزنا في هذا المجتمع كشربة الماء، شاب في مقبل حياته
مثل الوردة، تضنه في أسرة فيها صبايا وفتيات، والأب منحرف، والأم منحرفة، رجع الابن يُتقن
البراتيك ولكنه رجع زانياً، فما قولك؟ أي براتيك هذا؟ .

دع خيراً عليه الشر يربو .

درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

أحياناً تكون مصلحة تجارية رائجة جداً، لكن في السوق فيه فساد كبير، والربح ثلاثة بالمائة،
وكل يوم رواج وبيع، لكن كل العلاقة مع النساء، علاقة صارخة مع النساء، الإنسان يصبر يوماً،
يومين، شهراً، ثم بعد ذلك يستسلم، بعد ذلك تزل قدمه:
درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

قاعدة أساسية، فإذا تحدثنا عن الرياضة والسباحة، فالحديث جميل بشرط ألا نضيع من أجلها
أخلاق أبنائنا، هذه قاعدة مهمة جداً، كشف العورات، الاحتكام، هذا كله يتناقض مع قواعد الدين.

في أحاديث أخرى :

((علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية))

والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول :

((ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذمي في سننهما]

وهذا من إعجاز النبي -عليه الصلاة والسلام-، فأحدث سلاح الآن أساسه دقة الرمي، والآن اسمع:
يقول لك الخبراء: الخطأ متر.

إن كان السلاح مدافع، وإن كان صواريخ، وإن كان صواريخ موجهة، وأي سلاح، قوة السلاح بدقة إصابته، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول :

((ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذني في سننهما]

هذا الحديث الشريف من أحاديثه التي تُتبئ عن نبوته صلى الله عليه وسلم .

علم يشجع هذا الحديث؟ :

ويقول في حديث آخر رواه أبو داود :
((ارموا واركبوا، ولأن ترموا أحب إلي من أن تركوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فقد كفر))

أي كفر هذه النعمة نعمة الرمي، طبعاً هذا كله من أجل إعداد العدة من أجل قتال الأعداء .

النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يشجع أبناء المسلمين على الرمي :

فعن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- قال:

((مر النبي -عليه الصلاة والسلام - على قوم ينتضلون؛ -أي يستabقون في الرمي- فقال: ارموا بني إسماعيل، فإن أبياكم كان راماً، ارموا وأنا مع بني فلان -فريقيان انضم النبي لأحد الفريقين، وقال: ارموا أنا مع بني فلان- فامسكت أحد الفريقين بأيديهم -الفريق الثاني توقف عن الرمي - فقال عليه الصلاة والسلام: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: يا رسول الله كيف نرمي وأنت معهم؟ -فهل نتسابق مع قوم أنت معهم!! لا يعقل هذا؟ إنه منتهى الأدب، كيف نرمي وأنت معهم؟ - عندئذ قال عليه الصلاة والسلام: ارموا وأنا معكم جميعاً))

أي أنا مع الفريقين فتنافسوا. هذا من تشجيعه صلى الله عليه وسلم للرمي .

إليكم تفسير القرطبي لهذه الآية :

وفي حديث آخر رواه الطبراني :
كل شيء غير ذكر الله فهو لهؤلؤ أو سهؤ :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٥]

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاسِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٦-٣]

فسر القرطبي هذه الآية: بأن اللغو هو كل ما سوى الله هو لغو، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((كل شيء غير ذكر الله فهو لهو أو سهو، إلا أربع خصال؛ مشي الرجل بين الغرضين - بين الأهداف أي تعلمه الرمي - وتأديبه فرسه، وملاعتته أهله، وتعليم السباحة))

أي إذا قعد الإنسان مع أولاده، فليس هذا لهواً، فقد كان النبي يمشي على يديه ورجليه ويركب الحسن والحسين على ظهره.

من الأشياء التي إذا فعلها المؤمن لا تعد في حقه لهوا :

ويقول:

((نعم الجمل جملكما، ونعم العدalan أنتما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

النبي - عليه الصلاة والسلام - كانت بنت صغيرة جارية تأخذ بيده وتقوده حيث شاءت، فإذا الإنسان دخل بيته أحداً، صار هذا القائم واحداً من أهله، داعب أولاده، أدخل على قلوبهم السرور، كن بساماً، كن ضحاكاً، هذا ليس من اللهو، لأن هؤلاء لهم حق عليك، والرجل العظيم هو عظيم خارج بيته، أما إذا دخل بيته فهو إنسان عادي بين أهله.

المشي بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعتته أهله، وتعليميه السباحة.

٧-ألا يرزقه إلا طيبا :

الآن: الحق الثالث: ألا يرزقه إلا طيباً.

والمراد بالرزق الطيب الكسب الحلال، ومعنى ذلك: أن يتحرى الحال في تجارته، وأن يؤدي الأعمال بإتقان، قضية دقيقة جداً، فإذا كنت صانعاً صاحب مهنة، وطلبت أجراً لهذا العمل مبلغاً معادلاً جداً ومناسباً، لكن الأداء مستوى منخفض، هذا الأجر الذي تأخذه أجر حرام، هذا مثل بسيط:

قريب لي اضطر إلى أن يكسر كل البلاط، بلاط رخام إيطالي بالحمام، كسرناه كلها، السبب: أنبوب الماء الساخن ينحصر بالإسمنت مع خوابير، وينحصر بالجصين، فيه يحف سريعاً، بين أن يضع الخوابير حتى يحصر الأنبوب، ويوضع له إسمنت، وينتظر خمس ساعات لكي يجف،

وبين أن يضع قطعة من الجبصين بعد خمس دقائق جفت فثبتت، الجبصين يأكل الحديد أكلًاً فخلال عدة سنوات يحدث ثقب كبير قدر الباهم في الأنوب، فهذا مبلط بالرخام، والحمام قد بسيراً ميك، والملك أحسن كساءه، وقد دفع دم قلبه بهذه الكسوة، وأنت لكي تختصر خمس ساعات، ثبت الأنابيب بالجبصين، فماذا حصل؟ بعد خمس سنوات الحيطان سال الماء عليها، فاضطر صاحب المنزل لإصلاحها لتكسير كل الرخام، نتيجة إهمال مقصود من قبل العامل، ولذلك الأجر الذي يأخذه صاحب المهنة، إذا أهمل مهنته أو أساء أو أداها أداءً منخفضاً، هذا الأجر حرام، سرقة، ولذلك: فإن كان العمل جزءً من الدين.

قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتلقنه))

يقول بعضهم: أنا صلاتي متقنة، وأنا أقول: إذا لم يكن عملك متقن، فكل صلاتك ليست لها قيمة، لأن الدين في التعامل.

قال له: هل عاملته بالدرهم والدينار؟ هل حاكته؟ هل جاورته؟ قال: لا، قال: إذاً أنت لا تعرفه. فالدين لا يبدو في الصلاة والصوم والحج والزكاة، الدين يبدو في أداء العمل، العمل المتقن، فبالمهن كلها هناك أشياء مخيفة جداً.

أحدهم باع طقم كنبة، جاء لبيت الذي اشتراه ضيف، فمن أول يوم قعدوا نزل، سارع لعند البائع قائلاً: نزل، قال له: يمكن أنكم قعدتم عليه، استعملته؟ فلماذا اشتراه؟ هل اشتراه ليقف بجانبه أم ليقعده عليه؟.

إذاً الكسب الحلال، ومعنى الحال: أن يتحرى الحال في تجارته، وأن يؤدي أعماله بإتقان، حتى يكون كسبه حلالاً.

هذا العدوان على الكسب :

الآن بالتصريح، يقول له: هذه البضاعة متينة، قل له الحقيقة: هذه بضاعة درجة ثانية، هذه ليست أصلية، هذه فيها خيط تركيبي، يقول لك: صوف مائة بالمائة، وثمنها ثلاثة ليرة، والحقيقة: إذا كان صوفاً مائة بالمائة ثمنها ألف ومئتا ليرة، لماذا تكذب عليه؟ فهذا خيط تركيبي، عند الغسيل يشلف، قل له: هذا خيط تركيبي، هذا سعره، لا يوجد منها صوف مائة بالمائة كله كلام فارغ، والمشتري معه هذا المبلغ، فقمع أنه صوف مائة بالمائة فاشتراه، لو قلت له: هذا تركيبي، لما اشتراها، فأنت أخذت من تعبه، هذا اسمه عدوان على الكسب.

وهنالك كسب الكسب: أنت اعديت على كسب الإنسان، أخذت من كسبه الحال كسباً حراماً، طبعاً إذا بَيْنَ الْبَائِعِ فَلَا مَانِعُ، وأصبح ليس بغاش، فلو قلت للمشتري: هذا قماش درجة ثانية، هذا ينكمش، هذا خشب نوع ثانٍ، هذه طاولة مصنوعة من نشار، يطنها لاتيه، يضع لها برغي، يغوص كل البرغي، ينساها تحت المطر فيزيد سمكتها، قل له: هذه نشاره وليس لاتيه ، بَيْنَ لَهُ، وَضَيْحَ لَهُ .

قال عليه الصلاة والسلام:

((من أصاب مالاً في مهاوش -أي بالهيلمة- أذهبه الله في نهابر))

يذهب المال نهيباً، كيف يأتي المال يذهب.

حديث ورد في الجامع الصغير :

((من أصاب مالاً في مهاوش، أذهبه الله في نهابر))

هذا الغش :

قال لي: تعاملت مع واحد أربع أو خمس سنوات، أشتري بوراً على أساس أنه أجنبى، والسعر ثلاثة أمثال، فظهر لي أنه يعطيني بلوراً وطنياً، يستظف بعض الألواح، ويعطيني على أساس أنها من صنع أجنبى بثلاثة أمثال السعر، وإذا أذن المؤذن للظهور يذهب أول واحد للجامع:

((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))

((مَنْ غَشَنَا فَلَيْسَ مِنَّا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذى في سننه]

انظر الفرق: من غشنا ومن غش؛ من غش مطلقاً، لو غشت مجوسيأً فلست من أمة محمد، ليس من غشنا، بل مطلق الغش ليس منا.

قال:

((الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثُ أَغْيَرَ، يَمْدُدُ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرُبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبُسُهُ حَرَامٌ، وَغَذِيَّ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكِ!؟))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذى في سننه]

((يَا سَعْدَ، أَطْبِ مَطْعَمُكَ تَكُنْ مُسْتَجَابُ الدُّعْوَةِ))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير]

معنى الغش: -وهذا بحث طويل -إن شاء الله- تعالجه- الغش بالوصف، إن قلت أجنبى وهو وطني فهذا غش، إن قلت من نوع أول، وهو من النوع الثاني فهو غش، إذا وصفته وصفاً وهو

على وصف آخر فهو غش، إن كنت أعطيته وزناً أقل من وزنه، ونوعاً أقل جودة من نوعه، إن حددت له وقتاً أبعد من الوقت المطلوب، وفوت عليه ربحاً كثيراً، فكل هذا من أنواع الغش، إذا أديت عملاً أداء لا إتقان فيه فهو غش، وهذا أيضاً يسبب الكسب الحرام.

من وحي الشيطان :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من سعى على عياله من حِلَّهُ، فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف،
كان في درجة الشهداء))

وفي الأثر أنه:

((من لم يبال من أين مطعمه، لم يبال الله عزّ وجل من أي أبواب النيران دخل))
هذه كلمة: حط بالخرج؛ هذه كلمة الشيطان، ومثلها كلمة: لا تدقق، ضعها بذمتي، هذا كلام
فارغ، ومن وحي الشيطان.

لم قدم الله الأكل الحلال على العمل الصالح؟ :

كلكم يعلم: أن أكل لقمة من حرام يجرح العدالة، تطفيئ بتمرة يجرح العدالة.
الإمام ابن حنبل -رضي الله عنه- له صديق اسمه يحيى بن معين، له معه صحبة طويلة، الإمام
أحمد -رحمه الله تعالى- هجر صديقه سنوات طويلة، لأن صديقه قال: إني لا أسأل أحداً شيئاً
ولو أعطاني الشيطان شيئاً لأكلته، -هكذا قال له صديقه-، فحينئذٍ غضب ابن حنبل حتى اعتذر
يحيى، وقال: " كنت أمزح، فقال: " تمزح بالدين؟! أما علمت أن الأكل من الدين؟!!
بل هو أخطر ما في الدين، قدمه تعالى على العمل الصالح.

في قوله تعالى في سورة المؤمنون الآية الحادية والخمسون:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٥١]

الله عزّ وجل قدم الأكل الحلال على العمل الصالح؛ أي أن عملك الصالح من دون أن تأكل مالاً
حلالاً لا قيمة له..

﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٥١]

إذاً: العمل الصالح ليس مجدياً إلا إذا كان كسب المال في الأصل حلالاً .

أبناء أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- كانوا يوصون أباهم قبل أن يذهب إلى العمل، يقولون له: اتق الله فينا ولا تعد علينا إلا بالحلال، فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على عذاب الله.

في درس قادم إن شاء الله :

إن شاء الله في الدرس القائم نتابع حقوق الأبناء على آبائهم، واعتقد أن هذه الموضوعات تمس كل إنسان منا، وهي مهمة جداً، لأنها ما من إنسان إلا وله أب أو ابن، فليعرف إذا كل واحد منهم ما له وما عليه .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - الحقوق - حقوق الأبناء على الآباء - الدرس (٣ - ٤) : تعليمه للقرآن والرمادة والسباحة وإطعامه حلالاً.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١١-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من حقوق الأبناء على الآباء أيضاً :

٤- أن يُؤدب الأب ابنه بالأدب الإسلامي :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا في موضوع حقوق الأبناء على آبائهم، وربما كان هذا الدرس هو الدرس الأخير في هذا الموضوع.

من حقوق الأبناء على آبائهم: أن يُؤدب بالأدب الإسلامي.

كل دين، أو كل مذهب، أو كل مبدأ، أو أية حضارة هي مجموعة أفكار، ومجموعة قيم، ومجموعة أخلاقيات، وقد يعبر عنها بالأدبيات، الإسلام له أفكاره، وله قيمه، وله آدابه.

هناك آداب الاستماع، آداب الحديث، آداب الطريق، آداب طلب العلم، آداب تلقين العلم، هناك آداب الزوج مع زوجته، آداب الزوجة مع زوجها، آداب الجار مع جاره، في الإسلام بعامة وفي السنة المطهرة وخاصة موضوع كبير ويحتل مساحة كبيرة: إنه موضوع الآداب.

فالابن فضلاً عن أن الأب ملزم عن أن يعلمه مبادئ الإسلام، وأن يعلمه قيم الإسلام، عليه أن يؤدب به بأدب الإسلام.

إليكم توضيح هذه الحقيقة :

ومرة ثانية أوضح حقيقة دقيقة جداً هي: أن الأب دوره دور الطبيب، عليه أن يبذل قصارى جهده، أما أن يكون تحقيق النجاح محاسباً عليه، فهذا شيء فوق طاقته، لأن الله عزّ وجلّ خاطب النبي - عليه الصلاة والسلام وهو سيد المربيين، وإمام المعلمين، وسيد العلماء، وسيد الأنبياء، وأخشى خلق الله -، قال:

﴿يَسْ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَكَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٧٢]

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَقِيقَةٍ﴾

[سورة هود الآية: ٨٦]

﴿فَذَكَرَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسِيْطِرٍ﴾

[سورة العاشية الآية: ٢١-٢٢]

سيدنا نوح -عليه وعلى نبيه أفضل الصلاة والسلام- كان من أنبياء الله عز وجل، ومع ذلك لم يتمكن أن يلقن العلم الشريف لابنه الذي هو من صلبه.

أقول هذا الكلام لأن موقف الأب يجب أن يكون دقيقاً جداً، لو أنه أهمل فهو محاسب على إهماله، لو أنه عجز عن تحقيق الهدف الذي أراده الله من الإنسان في ابنه، نقول له: إن هذا العجز لست محاسباً عليه، لأن الطبيب عليه أن يبذل قصارى جهده وليس عليه ضمان الشفاء، هذه حقيقة مسلمة بها لا تقبل الأخذ والرد.

ما دور الكلام في نقل الآداب وما دور الكلام في نقل القيم؟ :

فعلى الأب أن يؤدب ابنه بالآداب الإسلامية، ولكن وهذه كلمة صريحة: ما دور الكلام في نقل الآداب؟ ما دور الكلام في نقل القيم؟ .

إن دور الكلام دور ضئيل جداً، محدود جداً، ولكن يكفي أن يتأنب الأب بالأدب الإسلامي، وأن يكون في بيته مسلماً صادقاً، يكفي أن يصدق ليعلم أبناءه الصدق من حيث لا يشعر ولا يشعرون، لمجرد أن يكشف الابن أن الأب يكتب على أميه، وأن الأم تكذب على الأب، وأن الأخ يكتذب على أخيه، هذا اسمه كذب ممارس، الواقع فيه كذب، فالابن يتعلم من الواقع أضعاف ما يتعلم بالتلقين، من هنا قالوا:

لغة العمل أبلغ من لغة القول.

المسلمون في أندونيسيا أسلموا لا عن طريق الدعوة؛ ولكن عن طريق الممارسة، عن طريق المعاملة .

قصة إسلام هذا الرجل :

في موسم الحج الماضي، حدثني أخ كريم فقال لي: التقى برجل من أوروبا، هو في عرفات يدعو ويبيكي، مظاهره ينبيء عن أنه ليس عربياً، وليس من بلاد الشرق الأوسط، فلما سأله، عرف أنه من دولة في قلب أوروبا، أول سؤال يخطر في باله: كيف أسلمت؟ أو لماذا أسلمت؟ فكانت الإجابة في منتهى البساطة :

إن طالباً مسلماً سكن في بيته، هذا الطالب رأه مثلاً أعلى في الاستقامة؛ عفةً ما بعدها عفة، صدقً ما بعده صدق، جديةً ما بعدها جدية، انصباطٌ، صلاةً، ذكرٌ، عبادةً، من حيث لا يشعر، هذا الطالب ترك أبلغ تأثيرٍ في هذا الإنسان، وكان إسلام هذا الرجل على يد هذا الطالب، وجاء إلى بلاد الحجاز ليؤدي الفريضة.

كلمة أقولها من القلب :

إذًا: هذه الكلمة أقولها من القلب: الإسلام الآن لا يحتاج إلى كلام، الكلام ولا سيما في هذا العصر، هناك منه طوفان، أو هناك طوفان، أي من الكلام، الكتابات، المقالات، الكتب، التسجيلات، الخطاب، المحاضرات، الندوات بلغت من الكثرة، والعمق، والتفنّن، والتنوع، والقدرة على التأثير الحد الأقصى، وما لهؤلاء الناس لا يرتدون، ولا يؤثرون فيهم هذا الكلام؟ لأن لغة العمل أبلغ من لغة القول .

ما الذي فصل الإسلام عن الحياة؟ :

أنا أقول لكم هذه الكلمة: "بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء".
الآن لا يؤثر في أخيك، ولا في جارك، ولا في زميلك، ولا في صديقك، ولا في أي إنسان تلتقي به، لا يؤثر فيه دقة الفكرة ولا دليلها، بل يؤثر فيه الموقف الإسلامي؛ أن تكون صادقاً، أن تكون منضبطاً، أن تكون عفيفاً، أن تكون سخياً، أن تضع المادة تحت قدمك من أجل مبدئك، أن تكون عند وعدك، عند ما تقول، فإذا كان هذا هو الطريق الوحيد لنشر الدين في الأوساط، فإن يكون الطريق الوحيد لتلقين أولادك: فمبادئ الإسلام وقيمته وآدابه من باب أولى، لذلك قبل أن تقول لأولادك: عد للاف وللمليون، هل أنت في مستوى هذا القول؟ إن دعوتهم إلى الصدق فهل أنت صادق؟ إن دعوتهم إلى أن يفعلوا كذا وكذا فهل تسبقهم أنت إلى فعل كذا وكذا؟ هذه الإزدواجية في شخصية الإنسان هي الطامة الكبرى في هذا العصر، هناك شرخ كبير بين ما تعتقد، وبين ما تؤمن به، وبين ما تدعوه إليه، وبين ما تمارسه في حياتك اليومية، هذا الشرخ الكبير، هذه الهوة الكبيرة، ففصلت الإسلام عن الحياة .

ما تسمعه في المسجد، ما تسمعه من خطيب المسجد، كلام طيب مائة في المائة، ولكن ما تراه في الحياة اليومية شيء آخر مختلف كل الاختلاف، لذلك الكلمة الفصل، والكلمة الصادقة: إذا أردت أن تربى أبناءك على أي شيء، لا تنتظر أن يكونوا كما تريده، إن لم تكن أنت كما يريد الإسلام، إذا كنت أنت عاجزاً عن أن تكون صادقاً، فأولادك أعجز عن الصدق منك، إذا كنت أنت عاجزاً عن أن تضبط شهوتك، يكفي أن يراك ابنك تستقبل امرأة لا تحل لك؛ قريبة أو صديقة، أو، أو، ويكتفي أن ينظر إليك، وأنت تدير معها حديثاً لطيفاً، وأنت تماماً عينيك منها، أي كلام

تقوله لابنك عن غض البصر، وعن العفة، وعن كلام لا قيمة له إطلاقاً، يجب أن يرى الابن من أبيه الصدق، العفة.

قف هنا :

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((الإسلام عفيفٌ عن المحارم، الإسلام عفيفٌ عن المطامع))

إذا أردنا أن نوسع الدائرة فهذا ممكن، دعونا من تربية الأبناء ووسعوا الدائرة إلى الدعوة إلى الله، لن تستطيع أن تؤثّر في إنسان كائناً من كان، إن رأى هذا الإنسان مسافةً بين أقوالك وأفعالك، الكلام سهل، لذلك قال بعض الأدباء:

إن أكثر الناس يستطيعون الحديث عن المُثل العليا، ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوها.

أي لك أن تقول: هذه حقوق الأم، ولكن البطولة أن تعرف هذه الحقوق وأنت متزوج، حينما تصطدم أمك مع زوجتك، تقف مع من؟ تقف مع مبدئك أم مع شهوتك؟ تقف مع مصلحتك العاجلة أم مع مصلحتك الآجلة؟.

كيف أؤدب ابني بالأدب الإسلامي؟ :

لذلك هذه الكلمة لا بد منها تقديمها لهذا الموضوع الدقيق؛ أي يا رب كيف أؤدب ابني بالأدب الإسلامي؟ يجب أن تكون أنت مسلماً، يجب أن يكون هذا البيت إسلامياً، يجب ألا تعد وعداً إن لم تكن متأكداً من أن توفيه، الطفل يصدق كل ما تقوله له، لقد وعدته بمكافأة إذا نجح ، وهذا هو الذي قد نجح أين المكافأة؟ هو لا يعرف أنك لا تملك مالاً ولكن يعرف أنك وعدته، أنت أبوه وهو يظن كما يقولون: المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شيء قدير، هكذا تظن المرأة وابنها في وقت واحد، فإذا كنت لست متأكداً من قدرتك على أن تفي بوعدك فلا تعد؛ أي علم ابنك قدسيّة الكلمة.

مشكلة :

أنالاحظ ملاحظة هي مشكلة؛ على مستوى الأقارب، على مستوى الأصحاب، الأصدقاء، على مستوى الجيران، على مستوى العلاقات اليومية، تطلب طليباً: أنا بحاجة لهذا الشيء، تجد أربعة أو خمسة اندفعوا اندفعاً عجيباً لتقديم خدماتهم، تنتظر يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، بل يمضي أسبوع واثنان وثلاثة ولا تجد استجابةً لهذا الطلب، فلماذا؟

هذا الذي قال لك: أنا سأفعل هذا، هذا كلام، أما وعد الحر دين، أنت ابق صامتاً، الصامت في سلام، والمتكلّم إما له أو عليه، أنت إذا كنت لست متأكّداً من قدرتك على أن تفي بما وعدت فابق صامتاً، فهذا أشرف موقف تقفه.

أحياناً الأخ يزور أخته، تشكو له بعض ما هي بحاجةٍ إليه، فيقول لها: هذه اتركيها لي، وهذه على عيني، الأخت تصدق، وتنظر الأسبوع والأسبوعين، والشهر والشهرين، ولا من مجيبٍ، ولا من سميعٍ، ولا من قريبٍ، فهذه المشكلة أن الوعود كثيرة، التبجّح كثير، التوجيه كثير، الوعظ كثير، ولكن التطبيق قليل، فلذلك قبل أن تفعل شيئاً:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم؟
ابداً بنفسك فانهها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لاتنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
هذه أبياتٌ بلية.

ما هو الفرق الجوهرى بين دعوة الأنبياء وبين دعوة الدعاة؟ :

والآن يطالعنا سؤال دقيق: ما هو الفرق الجوهرى بين دعوة الأنبياء -عليهم صلوات الله- وبين دعوة الدعاة؟.

الفرق الجوهرى هو: أنك لن تجد في حياة النبي أي مسافة بين ما يقول وبين ما يفعل، هذا هو ملخص ملخص الملخص، إذا أردت أن تؤثر في الناس فكن في مستوى دعوتك، إذا علمت الناس السنة طبقها قبل أن تعلّمهم إياها، إذا علمت الناس أدب التواضع كن متواضعاً، إذا علمت الإنسان أدب إنكار الذات أنكر ذاتك أولاً، إذا علمت الناس أدب التوكل توكل أنت قبلهم، إذا علمت الناس أدب السخاء كن سخياً قبل أن تعلّمهم السخاء، هذا إذا فعلناه رضي الله علينا جميعاً، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكُنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))

[أخرج البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى في سننهما، ومالك في الموطأ]

الأبوة مسؤولية :

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:
((أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم))

[أخرجه ابن ماجة في سننه]

سبحان الله! هناك جبّة جبّلها الله عزّ وجل في قلب كل أب، هذه الجبّة هي الحرص على أولاده، ولكن المشكلة أنك تحرص على أولادك من زاوية نظرك، من وجهة نظرك، فالآب الذي لا

يعرف الله عزّ وجلّ يحرص على مستقبل أولاده وفق تخطيطه هو، هذا الذي يسميه الناس ضالٌّ مُضلٌّ، يحب أن يكون أولاده أحراراً في أعمالهم، وفي حركاتهم، وفي سكناهم، ولا يتأثر كثيراً إذا رأى انحرافاً، لا بدّ من أن يكون ابنه كذا وكذا، لذلك تعلم الأب فرض عينٍ قبل أن يُعلم، الأبوة مسؤولية.

فكل إنسان يتزوج ينجب أولاداً، هذا في مقدور أي إنسان؛ جاهل، عالم، عظيم، تافه، أخلاقي، لا أخلاقي -أمر واضح- كائن مع كائن ينجبان مولوداً، ولكن الأبوة في الإسلام مسؤولية قبل أن تكون مُتعة، مسؤولية كبيرة، هذا الذي أنجبته له حقٌّ عليك.

لماذا جعل النبي الدرهم الذي تتفقه على عيالك خيراً من أي درهم آخر؟ :

النقطة التي ذكرتها لكم في الدرس السابق: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لماذا جعل الدرهم الذي تتفقه على عيالك خيراً من أي درهم آخر؟ لأن إنفاق المال على الفقراء مثلاً قد تتفق عليهم أنت وهناك آخرون ينفقون عليهم، أي هو باب من أبواب الخير، إن امتنعت أنت عن الإنفاق تقدم غيرك، ولكن رعاية الأولاد، هؤلاء الأولاد إن تخليت أنت عنهم من لهم؟ ليس لهم أحد، من هنا كان الدرهم الذي تتفقه على عيالك أو على أولادك خيراً من أي درهم آخر، كما قال عليه الصلاة والسلام في مقدمة هذا الموضوع.

فكرة مهمة جداً :

والحديث الثاني: عن أبيوب بن موسى، عن أبيه، عن جده، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

(ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن))

معنى نحل؛ أي أعطى.

قلت لكم سابقاً فكرةً مهمةً أعيدها مرة ثانية:

الله سبحانه وتعالى جعل في الأرض معيش، معنى معيش: أي جعل في الأرض أبواباً لكسب الرزق، كل واحد له حرفة؛ هذا مدرس والتريض باب لكسب الرزق، هذا محامٌ والمحاماة باب لكسب الرزق، هذا موظف، هذا صاحب مهنةٍ يدويةٍ -حرفةٍ يدويةٍ-، كل إنسانٍ يعيش من عملٍ والناس في أمس الحاجة إليه، وهذا تصميم الله عزّ وجلّ، فالإنسان يُقنِّ عالماً واحداً، وهو بحاجة إلى آلاف الآلاف الخدمات وال حاجات، الحياة تقوم على العلاقة المتبادلة ، كذلك ربنا سبحانه وتعالى

جعل في الحياة الدنيا أبواباً للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى، الأسرة أحد أكبر هذه الأبواب؛ أي يكفي أن تكون زوجاً مثالياً، أن ترعى زوجتك، أن تحملها على طاعة الله، أن تعرفها بأمر آخرتها، أن تعطيها سؤلها بالمعقول من دون شطط، من دون إسراف، من دون تبذير، من دون مباهاة، أن تكفيها مؤنثها، أن تطمئنها لا أن تهددها بالطلاق صباح مساء، يكفي أن تبث في قلبها الأمان والطمأنينة، وأن تطعمها مما تأكل، وأن تلبسها مما تلبس، وأن توفر لها توقيراً يليق بها كزوجة شريكة حياة، هذا باب كبير من أبواب العمل الصالح.

أولادك يكفي أن تحرص على مستقبلهم، يكفي أن تحرص على هدایتهم، يكفي أن تسعي لتنشئتهم نشأة صالحة، بناتك يكفي أن ينشأن على طاعة الله ورسوله، يكفي أن تكون هذه البنت وفق ما أراد النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأن تبحث لها عن زوج مؤمن، فإن في هذا المسعى عملاً عظيماً هو مدخل لك على الله عزّ وجل.

إن الأبواب المفتوحة إلى الجنة لا تعد ولا تحصى فاسع إليها :

الآن أوسع الدائرة؛ حرفتك، عملك يكفي أن تتقنه، وأن تكون صادقاً فيه، وألا تخش به المسلمين، وأن تمارسه وفق الشرع، وأن تتبعني به خدمة المسلمين، حتى ينقلب هذا العمل إلى عمل صالح. فأحياناً الإنسان يتوجه أنه عدداً قليلاً من الناس فقط لهم عند الله مكانة كبيرة، أقول: إن هذا وهم، فحسب ظنه أن الذي يبني هذا المسجد، وهذا الداعية، وهذا الخطيب مثلاً فقط هم أصحاب الخطوة عند الله، لا، أنت أنت إليها الأخ الكريم بحرفتك، وعملك اليومي، وفي بيتك، ومع زوجتك وأولادك، وفي علاقاتك الاجتماعية إذا أوقعتها وفق منهج الإسلام، وضبطت عملك، هذه كلها أبواب لدخول الجنة، فهل من المعقول أن يكون كل الناس دعاة؟ لا، ولكن أنت صاحب مهنة، صادق، مستقيم، أمين، تتصح المسلمين، تتبعني بعملك هذا خدمة المسلمين، هذا باب كبير من أبواب دخول الجنة.

فأنا أريد أن أقول: إن الأبواب المفتوحة للجنة لا تعد ولا تحصى، وذو مكانة عند الله كثيرون.

عليك أن تمارس مع ابنك الصدق قبل أن تأمره بالصدق :

شيء آخر: عن عبد الله بن عامر -رضي الله عنه- هذا الحديث يؤكّد كل هذا الكلام الذي قيل قبل قليل - قال:

((جاء النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى بيتنا - يبدو أن بينهم قرابة - وأنا صبيٌّ صغير، فذهبت لألعاب، فقالت لي أمي: يا عبد الله تعالَ أعطيك، فقال عليه الصلاة والسلام: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: تمرًا، فقال عليه الصلاة والسلام: أما إنك لو لم تفعلي ذلك لكُتبت عليكِ كذبة))
فعليك أن تمارس مع ابنك الصدق قبل أن تأمره بالصدق .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

((أخذ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه
- أحياناً الألب لا يبالي ماذا يأكل ابنه؛ من طعام حلال، من طعام حرام، هذا الشيء يجوز أكله، أو
لا يجوز أكله؟ شاهد معه حاجة ليست له، فلم يسأله: من أين هي؟ هذا الذي لا يبالي، ربما
شجع ابنه على أكل مال حرام وهو لا يدرى -.)
قال عليه الصلاة والسلام لحفيده الحسن، وقد أخذ تمرةً من تمر الصدقة: كخ كخ - هذه الكلمة
فصحة وهي اسم فعل: ارم بها - أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]
هذه حرام، فإذا مرَّ الألب على بائع وأكل شيئاً من هذا المبيع وهو لا ينوي الشراء، على مرأى
من ابنه، صار عند ابنه شعار: ضع في الخرج، هذا شعار آخر: لا تدقق، أما إذا تعفَّف الألب
انتبه الابن، وصار لديه انضباط، لذلك مرَّ بنا سابقاً أنه:

من أكل لقمةً من حرام جُرِحَت عدالته.

تطفيفٌ بتمرة تجرح العدالة.

عندنا قاعدة شهيرة جداً: لا يستقيم الظلُّ والعودُ أ尤جُ.

أحضر عوداً أ尤ج وضعه في الشمس، هل يمكن أن يأتي ظلُّه مستقيماً؟ مستحيل، متى يستقيم
العودُ والظلُّ أ尤ج؟ والبيت الشهير الذي تعرفونه جميعاً:

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلُّهم الرقص

هل يعد هذا أياً؟ :

فالألب كما قلت لكم سابقاً: يكون ابنه في سن لا يُجدي معه إلا الملاعبة والمداعبة.
((لاعب ولدك سبعاً .

- طفل صغير، هذا الذي يستيقظ ليضرب ابنه ضرباً مبرحأ، إذا بك في الليل وأيقظه، وعمره سنتان، هذا ليس أباً، هذا الإنسان ليس في مستوى أن يكون أباً لولد، من عام لسبعة أعوام، هذا الطفل الصغير يحتاج إلى إپناس، يحتاج إلى ابتسام، يحتاج إلى ملاعبة، يحتاج إلى أن تهبط إلى مستوى، يحتاج إلى أن تمضي معه فترة في تأليف قلبه، فالنبي على عظمة شأنه ، وعلى عِظم قدره كان يمشي على أربع، ويركب الحسن والحسين على ظهره، ويقول:

((نعم الحملان أنتما، ونعم الجمل جملكم))

((نعم الجمل جملكم، ونعم العدalan أنتما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

من كان له صبي فليتصابي له .

وكانت الجارية تأخذ بيد رسول الله -البنت الصغيرة جداً- وتمضي به حيث تشاء.

هذا سن تأديب الولد :

الآن:-

لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً)

من السابعة إلى الرابعة عشرة تأديب، تكلم الابن قليلاً خلاف الحق، أو أخذ ما ليس له، أو نظر نظرة غير مؤدبة، فيجب أن تؤديبه باستمرار، لكن ما هي المشكلة؟.

أنه أحياناً ألف إنسان ينظف، لا يستطيع أن يزيل أثر إنسان يوسيخ، فكيف إذا كان منظف واحد وألف موسيخ؟ اعكسوها، الإنسان أحياناً بحكم الفساد الاجتماعي العام، يجد مصدراً واحداً للتوجيه وألف مصدر للإفساد، على كلٍ؛ وأدبه سبعاً.

تتضمن وصية لقمان لابنه وهو يعظه هذه النصائح :

١-أن يتقى الله :

هناك وصية لسيدنا لقمان مأثورة عن هذا النبي الكريم، وهي من وصايا كثيرة أثرت عنه، وبعضهم يقول: هو ليسنبياً، على كلٍ؛ ورد ذكره في القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنْيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ﴾

[سورة لقمان الآية: ١٣]

قد تواجهك مرحلة لا تملك عندها إلا التوجيه الصحيح وأن تكون قدوةً، وعلى الله الباقي.
يابني، اتخد تقوى الله تعالى تجارتك، يأتوك الربح من غير بضاعة.

أول ملاحظة: استقيموا ولن تحصوا:

-استقم على أمر الله، واجعل تجارتك أن تكون مستقيماً على أمر الله، ولا تسأل عن كثرة الخير
الذي سيأتيك من كل جانب.-

٢-أن يحضر الجنائز :

النصيحة الثانية: يابني احضر الجنائز فإن الجنائز تذكرك بالآخرة.
الجنائز تذكر بالآخرة، فأحياناً الشباب في مرحلة من حياتهم، أسقطوا من حساباتهم كلّاً
موضوع الموت، أو موضوع مغادرة الدنيا، هناك مفاجآت، فكم من شابٍ مات في مقتبل العمر؟!
هذه الفكرة الخطأة أنا شاب الآن، هذا كلام غير صحيح، نسمع كل يوم بنعوات الشاب أو الشابة،
أو فلانة الوالدة مع ابنها، إذاً الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً. فالنصيحة الثانية: أن يتوجه
الشاب إلى أمر الآخرة.

٣-أن يستيقظ في وقت السحر :

يابني، لا تكن أعجز من هذا الديك الذي يصوت بالأسحار، وأنت نائمٌ على فراشك.
-أي في الصباح ساعة فيها من التجلي، وفي من البركات والخيرات لا يعلمها إلا الله.
(الَّوَيَعْلَمُونَ مَا فِي الْعُمَمِ وَالصُّبْحِ لَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبُّوا)

ربنا عزّ وجلّ في هذا الوقت يتجلّى على عباده، فلذاك هناك من يستيقظ ليأخذ من هذا التجلي
 شيئاً، وهناك من يمضي هذا الوقت نائماً.

على كلٍّ الله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القديسي :

((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: هَلْ مَنْ تَائِبٌ
فَأَتُوبُ عَلَيْهِ؟ هَلْ مَنْ مُسْتَغْفِرٌ فَأَغْفَرُ لَهُ؟ هَلْ مَنْ سَائِلٌ فَيُعْطَى سُؤْلَهُ؟ حَتَّى يَطْلَعَ الْفَجْرُ))

٤-أن لا يؤخر التوبة :

يا بني، لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.
لذلك مرّ معي أن من أدعية المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
هذا دعاء قرآني كان النبي -عليه الصلاة والسلام- كثيراً ما يتمثله.
وهناك شيء آخر هام جداً: "اللهُمَّ تبْ عَلَيْنَا مِنْ نَسْيَانِ التَّوْبَةِ، وَتَبْ عَلَيْنَا مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ".
نسيان التوبة ذنب يضاف إلى ذنب الذنب، وتأخير التوبة ذنب، أيضاً وبعض الشباب دائماً يردد:
أنا شاب، وغداً أتوب، وقد قال عليه الصلاة والسلام:
((ويحك! أو ليس الدهر كله غدا؟))
والقول الشهير: هلك المسوّفون -.

٥-أن لا يرغب في ود الجاهل :

يا بني، لا ترغب في ود الجاهل، فيرى أنك ترضى عن عمله.
إذا أثنيت على جاهل فكأنك تثني على جهله، من هنا الحديث الشريف:
((إن الله يغضب إذا مدح الفاسق))
إذا مدحت فاسقاً أمام ابنك، هو لا يصلني، يشرب الخمر، يا أخي لطيف، تقول عنه لابنك :
مهذب، لبق، ذكي، شاطر، فإلى أين أنت مندفع في ثائق الزائف؟ ابنك يصدقك، إذا خلعت على
هذا الإنسان العاصي لربه، المقترف للكبائر، ووصفته بكل صفات الأدب، والذكاء، واللطف، فهذه
مشكلة، يجب أن تskt، وإلا فإنك تكون قد وضعت ولدك في خصم المتناقضات ...:

((إن الله يغضب إذا مدح الفاسق))

يغضب، حينما تمدح الفاسق ماذا تفعل؟ تجعل القيم تضطرب في ذهن ابنك.

خطر يتسلب إلى الأبناء من هذه القصص فانتبه إليها :

لذلك: أحياناً في القصص والأعمال التي تجسد هذه القصص في بعض أجهزة اللهو، ما الذي يحصل؟ أن شخصيةً من الشخصيات يسبغ عليها كاتب القصة البطولة، الشهامة، المروءة، حب الآخرين، حب خدمة الناس، الصدق، الأمانة، كل الصفات البطولية تسقط على هذه الشخصية، ومع ذلك يشرب الخمر، ولا يأبه لأوامر الله عزّ وجلّ، إذاقرأ الإنسان هذه القصة، أو شاهدتها ممثّلةً، ماذا يحصل؟ هذه القيم تتسلّب إلى أعماقه، إلى عقله الباطن، فأخطر ما في القصة إذا أراد

الكاتب منها تدمير القيم هذا الخطر الماحق، إذ أن كل صفات البطولة يخلعها كاتب القصة على شخصية ما، وفي الوقت نفسه يظهر أن هذه الشخصية ليست منضبطة بأوامر الدين، في أعماق المشاهد أو القارئ، يتسرّب إلى عقله الباطن: أن البطولة ليس من مقوماتها معرفة الله ولا طاعته، بل إن المعصية من لوازم البطولة.

يكفي خطراً أن تبرّز امرأةً وتصفها بأنها دينةً، مع أنها ثرثارة، أو مهملة لأولادها، وأنها جاهلة، أو أن تظهر امرأةً متبرّجةً متفلّتةً من كل أدبٍ إسلامي على أنها امرأةٌ صالحة، وزوجةٌ ناجحة، صادقة، مربّية، مخلصة لأولادها، ترعى زوجها، مثل هذه المتناقضات في الأحكام، كمن أن تقضي على مجتمعٍ بأكمله، وتحيله إلى ضلال في السلوك والعقيدة، والضلالة ضياع وكفر، لذلك:

إذا قرأت أدباً، وشعرت أنه حرّك مشاعرك العليا وتفكيرك المرتفع، فأنت أمّا فنِ رفيع، فإذا لم يحرّك هذا الأدب إلا المبتذل من مشاعرك، والتافه من تفكيرك، فأنت أمّا فنِ رخيص، ويستطيع الكاتب الرخيص؛ كاتب القصة الرخيص، كاتب الشعر الرخيص، كاتب المقالة الرخيص، يستطيع إذا آتاه الله مقدمةً أدبيةً رائعةً أن يدمّر مجتمعاً بأكمله.

يجب أن تعرف ماذا يقرأ ابنك؟ إذا جئت بمطبوعات من المستوى الهازي إلى البيت، فتعلم أن هذا يقرأ من قبل الزوجة والأولاد، إذاً من أنت؟ أنت وعاء تفكيرك، تصوراتك محصلة ما يملاً في هذا الوعاء، وهذا الذي يعاشر رفاق السوء، هذا الذي يعاشر أنساناً متفلّتين من أوامر الدين، هؤلاء يبيّثون فيه فيماً أخرى غير قيم الدين، يبيّثون فيه عادات ليست إسلاميةً ، يبيّثون فيه مبادئ ليست إسلاميةً، لذلك أنت أو ابنك في النهاية وعاء، ماذا يصبّ في هذا الوعاء؟.

إذا كنت ممن يقرأ القرآن، ممن يقرأ سُنّة النبي العدنان، إذا كنت ممن يحضر مجالس العلم، إذا كنت ممكناً يقرأ كتاباً إسلامياً يغذي قلبه وعقله، فأنت في النهاية إنسانٌ مبدوك صحيح، قيمك صحيحة، وكذلك عاداتك وتقالييدك وأخلاقك، أما إذا سمحت لمُغذّياتٍ أخرى، لثقافاتٍ أخرى، للباطل المزين المزخرف أن يملاً بيتك، عن طريق كتاب، أو مجلة، أو قصة، هناك أثر للقصة لا يعرفه إلا المختصون، أن تقرأ ما تشاء هذا غذاء، حتى إن هناك دراسات -الآن- تؤكد: أن أكثر الجرائم التي يرتكبها الصغار، والراشدون، والراهقون، إنما هي مستقاةً بشكلٍ أو باخر مما يرونـه من خلال الأعمال الفنية التي تجسّد بعض القصص.

وقائع :

حدّثني رجل أثق به، فقال لي: في بعض القصص التي انقلبت إلى قصص مشاهدة، ثلاثة عشرة خيانة زوجيةً، لو أن شابةً رأت هذا العمل الفني، فإن الخيانة الزوجية لديها تصبح شيئاً بسيطاً جداً، يمكن أن تفعله المرأة انتقاماً من زوجها، أو تأدبياً لزوجها، أما المرأة المسلمة بينها وبين أن

تنزِّلِقُ في هذا العمل مسافتٌ لا يعلَمُها إِلا الله، بعِدَّةُ عنْهُ بعْدَ الأرضِ عَنِ السَّمَاوَاتِ؛ فَهذا الَّذِي تَقْرُؤُهُ، هَذَا الَّذِي تَسْمِعُهُ، هَذَا الَّذِي تَشَاهِدُهُ شَيْئًا أَمْ أَبْيَتْ، أَحَبَّتْ أَمْ لَمْ تُحِبْ، فِي النَّهَايَةِ هُوَ الَّذِي يَصْنُعُ عَقِيدَتَكَ، وَهُوَ الَّذِي يَصْنُعُ قَيْمَكَ، وَهُوَ الَّذِي يَصْنُعُ عَادَاتَكَ وَتَقَالِيدَكَ، فَالخَطَرُ يَأْتِي مِنْ هَذَا، اقْرَأُ الْقُرْآنَ فَهَذَا كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

[سورة فصلت الآية: ٤٢]

سم من أشد أنواع السموم فتكاً في هذه المجلة :

مرَّةً قرأتُ في مجلَّةٍ كَلْمَةً مَدَاهَا سَطْرٌ وَاحِدٌ، إِنَّهَا سُمٌّ مِنْ أَشَدِ أَنْوَاعِ السَّمَومِ فَتَكًا، قَالَ فَائِلُهَا: أَنْتَ أَخْلَاقِي لَأَنَّكَ ضَعِيفٌ، وَأَنْتَ ضَعِيفٌ لَأَنَّكَ أَخْلَاقِي.

بِلَاءً، أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، هَذَا يَدْعُوكَ مِنْ خَالِلَاهَا لِتَكُونَ لَا أَخْلَاقِيًا مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ قَوِيًّا، أَوْ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَأْخُذَ مَا تَرِيدُ، لَذِلِكَ لَا بَدَّ مِنْ مَقْصِّ بَيْدِ الْأَبِ، يَقْصُّ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ لَا يُعْجِبُهُ حَتَّى لَا يَقْرَأَهُ ابْنُهُ، إِذَا أَرْدَتَ أَنْ تَوْدِيَهُ أَدْبَارِ إِسْلَامِيًّا.

٦- تتمة ما تبقى من الوصية :

يَا بْنِي، اتقِ اللَّهَ وَلَا ترِي النَّاسَ أَنَّكَ تَخْشَاهُ لِشَيْءٍ مَا.
-فَأَحِيَا إِنْسَانًا لَا يَخْشَى اللَّهَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهِ، بَلْ إِنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ ابْتِغَاءَ أَلَا يَتَعَرَّضُ لِغَضْبِ النَّاسِ، هَذَا نُوْجٌ مِنَ الشَّرِّكَ.-

يَا بْنِي مَا نَدَمْتُ عَلَى الصَّمْتِ قَطُّ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ مِنْ فَضْلَةٍ كَانَ السُّكُوتُ مِنْ ذَهَبِهِ.
-لَأَنَّ الصَّامِتَ فِي أَمَانٍ أَوْ فِي سَلَامٍ، وَالْمُتَكَلِّمُ إِمَّا لَهُ أَوْ عَلَيْهِ.-
يَا بْنِي، اعْتَزلِ الشَّرَّ يَعْتَزلُكَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لِلشَّرِّ خُلُقٌ.

يَا بْنِي عَلَيْكَ بِمَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ، وَاسْتَمِعْ إِلَى كَلَامِ الْحَكَمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ بِنُورِ الْحَكْمَةِ، كَمَا يَحْيِي الْأَرْضَ بِوَابِ الْمَطَرِ، وَإِلَيْكَ وَالْكَذْبُ وَسَوْءُ الْخُلُقُ، فَإِنَّ مَنْ كَذَبَ ذَهَبَ مَاءَ وَجْهِهِ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقَهُ كَثُرَ غَمَّهُ، وَنَقْلَ الصَّخْرَ مِنْ مَوْضِعِهِ أَيْسَرُ مِنْ لَا يَفْهَمُهُ.

-عَنَّدَنَا بِالْلُّغَةِ مَصْطَلِحَانِ: الْفَهْمُ وَالتَّقْهِيمُ، الْفَهْمُ مَعْرُوفٌ، أَمَّا التَّقْهِيمُ هُوَ مَحَاوِلَةُ الْفَهْمِ، وَتَجَدُّ إِنْسَانًا لَا يُحِبُّ التَّقْهِيمَ، أَيْ لَيْسَ مَسْتَعِدًا أَنْ يَبْذُلَ أَيْ جَهْدٍ لِيَفْهَمَهُ، وَتَجَدُّ إِنْسَانًا لَا يَفْهَمُهُ وَلَكِنَّهُ يَتَقْهِمُ.-

يَا بْنِي، لَا تَرْسِلْ رَسُولًا جَاهِلًا، فَإِنَّ لَمْ تَجِدْ حَكِيمًا، فَكُنْ رَسُولَ نَفْسِكَ.
-أَحِيَا إِنْسَانًا يَكْلِفُ إِنْسَانًا بِمَهْمَةٍ، فَهَذَا إِنْسَانٌ يَشُوِّهُ سَمْعَتَهُ، يَسِئُ إِلَيْهِ الرَّسُولُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمَرْسُلِ، وَشَرْفُ الرَّسُولِ مِنْ شَرْفِ الْمَرْسُلِ.-

يا بني، يأتي على الناس زمان لا تقرّ فيه عين حليم.

-النبي -عليه الصلاة والسلام- تعجب من آخر الزمان، كيف أنه يدع الحليم حيران؟-.

يا بني، اختر المجالس على عينك، فإن رأيت المجلس يذكر فيه الله عزّ وجلّ، فاجلس معهم، فإنك إن تكن عالماً يزداد علمك، وإن تكن جاهلاً يعلمونك، وإن يطلع الله عزّ وجلّ عليهم برحمة تصبك معهم.

يا بني، لا تجلس المجلس الذي لا يذكر فيه الله عزّ وجلّ، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن غبياً يزدك غباءً، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخطٍ تصبك معهم.

-أي أن أجدى شيء لك: أن تحضر مجالس العلم التي تثق بها-.

يا بني، لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.

يا بني، إن الدنيا بحرٌ عميق وقد غرق فيه ناسٌ كثير، فاجعل سفينتك تقوى الله عزّ وجلّ.

يا بني، إني حملت الجندي والجند -الجند هو الصخر- فلم أحمل شيئاً أثقل من جاري السوء، وذقت المرارة كلها فلم أدق أشدّ من الفقر .

يا بني، لا تتعلم ما لا تعلم، حتى تعمل بما تعلم .

- من عمل بما علم ورثه الله علم من لم يعمل-.

يا بني، إذا أردت أن تؤاخِي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصافك عند غضبه وإلا فاحذر.

-فالبطولة أن تتصف الناس وأنت غضبان لا وأنت فرحان-.

يا بني، إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير أقرب من دارِ أنت عنها راحل.

يا بني، عود لسانك أن يقول: اللهم اغفر لي، فإن الله ساعاتٍ لا يُرد فيها الدعاء.

يا بني، إياك والدين، فإنه ذلٌّ في النهار، وهو في الليل.

هذه بعض الكلمات التي أشرت في الكتب القديمة عن سيدنا لقمان الحكيم.

على كلٍّ؛ إذا بلغ ابن الرجل السن التي يميز بها، فليس عليك إلا أن تتصلبه، هذا كل ما تملكه نحو ابنك.

علم يوجهنا هذين الحديثين؟ :

سيدنا ابن عباس -رضي الله عنه- قال:

((كنت خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً، فقال لي: يا غلام، إني أعلمك كلمات،

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسائل الله، وإن استعن فاستعن بالله،

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت
الصحف))

[أخرجه الترمذى فى سننه]

هذا أيضاً من توجيهه للأب لابنه، حديث رائع .

حديث آخر في توجيه الأولاد :

((احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإن
النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، إن مع العسر يسرا))

٧-أن يعوله حتى يبلغ الرشد :

الحق الذي قبل الأخير من حقوق الأبناء هو : أن يعوله حتى يبلغ سن الرشد.
أنا لست مجبوراً بك، لا إنك مجبور به، هذا الكلام الصحيح، أنت حينما أردت أن تكون زوجاً
وأباً، فلهؤلاء الأولاد حقوق عليك، لذلك :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قالا:

((قال عليه الصلاة والسلام -استمعوا جيداً:-

كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

مجبر فيه وزيادة .

الشيء الآخر: عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((أفضل دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه على ذاته في سبيل الله))

إذاً: أن تعوله حتى يبلغ سن الرشد ويستطيع الكسب.

بقي حقٌّ ليس في الوقت فسحةٌ كي نشرحه، وسوف أؤخره -إن شاء الله تعالى- إلى درسٍ قادم، لأنَّه من أعظم أبحاث هذا الموضوع أهميةً: إنه العدل بين الأولاد في العطاء والوصيَّة، وهذا الذي يقع فيه معظم الناس في تقضيل الذكر على الأنثى؛ في الوصيَّة، وفي الإرث، ويلجؤون إلى أساليب لا يرضها الله عزَّ وجلَّ في التهرُّب من إعطاء البنات حقَّهن، هذا الموضوع -إن شاء الله تعالى- نرجئه إلى درسٍ قادم، لنتنقل بعده إلى حق آخر من حقوق الإنسان مما له أو عليه.

والحمد لله رب العالمين

التربيـة الإسـلامـية - الحـقـوق - حـقـوق الـأـبـنـاء عـلـى الـأـبـاء - الـدـرـس (٤ - ٤) : العـدـل فـي الـعـطـاء وـالـوـصـيـة - قـصـة سـيـدـنـا سـالـم مـولـي أـبـي حـذـيفـة.

لـفـضـيـلـة الدـكـتـور مـحـمـد رـاتـب النـابـلـسـي بـتـارـيخ: ٢٦-١١-١٩٨٩

بـسـم اللـه الرـحـمـن الرـحـيم

من حـقـوق الـأـبـنـاء عـلـى الـأـبـاء أـيـضاً :

٨-الـعـدـل بـيـن الـأـوـلـاد فـي الـعـطـاء وـالـوـصـيـة :

أـيـها الـأـخـوـة الـمـؤـمـنـون، لـا زـلـنا فـي حـقـوق الـأـبـنـاء عـلـى الـأـبـاء، وـقـد وـصـلـنا فـي الـدـرـس الـمـاضـي إـلـى حـقـ جـديـد، إـنـه: الـعـدـل بـيـن الـأـوـلـاد فـي الـعـطـاء وـفـي الـوـصـيـة.

الـمـشـكـلة الـتـي يـعـيـشـها بـعـض الـمـسـلـمـين: هـو الفـصـل بـيـن الـعـبـادـات وـبـيـن الـمـعـامـلـات، فـإـذـا أـدـى صـلـواتـه الـخـمـس، وـصـامـ شـهـرـه، وـحـجـ بـيـت اللـه الـحـرـام، وـأـدـى زـكـاة مـالـه، يـظـن أـنـه قد أـدـى كـلـ شـيـء، أـمـا أـنـ يـأـتـي فـيـحـابـي ولـدـا عـلـى حـسـابـ ولـدـ، أـو يـعـطـي ولـدـا عـلـى حـسـابـ ولـدـ، فـيـظـن أـنـ هـذا مـنـ شـأنـه الـشـخـصـيـ، مـعـ أـنـ الـإـسـلـام نـظـامـ كـامـلـ كـلـ موـافـقـ إـلـيـهـ، سـوـاءـ أـكـانـتـ هـذـهـ المـوـافـقـ اـسـرـيـةـ، أـوـ فيـ عـلـمـهـ، أـوـ فيـ عـلـاقـتـهـ بـرـيهـ.

الـحـقـ الـأـخـيـر مـنـ حـقـوقـ الـأـبـنـاءـ عـلـىـ الـأـبـاءـ: الـعـدـلـ بـيـنـهـمـ فـيـ الـعـطـاءـ وـالـوـصـيـةـ .

ماـذـاـ يـتـضـحـ لـنـاـ مـنـ خـلـالـ هـذـاـ حـدـيـثـ؟ :

فـقـد وـرـدـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، أـنـ أـحـدـ أـصـحـابـهـ أـعـطـىـ أـحـدـ أـوـلـادـهـ عـطـيـةـ، وـأـرـادـ أـنـ يـشـهـدـ النـبـيـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ ذـلـكـ، فـسـأـلـهـ النـبـيـ الـكـرـيمـ:

((أَفَكُلُّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ؟ فَقَالَ هـذـاـ الصـحـابـيـ: لـاـ، فـقـالـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ: فـلـيـسـ يـصـلـحـ هـذـاـ - هـذـاـ عـلـمـ لـاـ يـصـلـحـ - وـإـنـيـ لـاـ أـشـهـدـ إـلـاـ عـلـىـ حـقـ))

وـفـيـ روـاـيـةـ:

((لـاـ أـشـهـدـ عـلـىـ جـورـ))

مـنـ خـلـالـ هـذـاـ حـدـيـثـ يـتـضـحـ: أـنـ الـذـيـ يـفـرـقـ بـيـنـ أـوـلـادـهـ فـيـ عـطـيـةـ، خـرـجـ عـنـ سـنـةـ النـبـيـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ - إـلـاـ فـيـ حـالـاتـ خـاصـةـ.

فأحياناً هناك أبٌ يزوج بناته الأربع، ثلاث بناتٍ منهن في وضعٍ ماديٍّ جيدٌ، بينما بنتٌ رابعة زوجها فقير، فإذا أعطاها في حياته شيئاً، فأعانها على صعوبات الحياة، وقد رضي بقية الأخوة، فهذا وضعٌ استثنائيٌّ، له عند الله حجّةٌ ومبرراتٌ، ولكن الأصل أن يعدل المسلم بين أولاده في العطية.

أمر من النبي موجه إلى الآباء:

روى البخاري ومسلم في صحيحهما، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:
(اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)

أمر:

اعدلوا بين أولادكم.

أمرٌ من النبي عليه الصلاة والسلام.

المشكلة: أن الإنسان أحياناً يظن أن هذا حديث شريف وقد مر به، قد قرأه، أو سمعه من مدرس، أو اطلع عليه، وهذا مجرد أمر:

﴿وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: ٧]

أي أن الله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض، هو الصانع، هو الخالق، بيده كل شيء، أعطاك أمراً واضحاً بيناً، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، يقول لك: اعدل بين أولادك، وتقول: هذا حديثٌ شريف، قرأته، واطلعت عليه، وقد مر بي، القضية أخطر من ذلك، إنه أمرٌ من عند النبي -عليه الصلاة والسلام-، الذي فوّضه الله عزّ وجلّ أن يشرع لنا:

﴿وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: ٧]

والنبي -عليه الصلاة والسلام- لم يشرع من عنده، إنما كما قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم الآية: ٤-٣]

اتقوا الله واعدلوا في أولادكم [أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى والنمسائى في سننهما، ومالك في الموطأ]

والحديث الآخر :

((سروا بين أولادكم في العطية - سروا: فعل أمر من التسوية- فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلك النساء))

وهذا الحديث أيضاً رواه الإمام الطبراني.

علم تحض هذه النصوص الصحيحة كما ذكرت آنفًا :

إذاً: حديث أول، وثانٍ، وثالث: يحضر المسلمين على أن يعدلوا بين أولادهم، والدين تطبق هذه السنة.

لعلك رأيته يصلى، قال: نعم، قال: أنت لا تعرفه.

هذه العبادات إن لم تكن مبنية على استسلام لأمر الله، وعلى طاعة له، وعلى انصياع كامل في كل ما أمر، وفي كل ما نهى، فهذه العبادات جوفاء لا تقدم ولا تؤخر ولا قيمة لها. النبي - عليه الصلاة والسلام - رفض أن يشهد على جور، حينما بلغه أن أحد أصحابه فضل ولدًا من أولاده على آخر، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يأمرنا أن نتقى الله، وأن نعدل في أولادنا، والنبي - عليه الصلاة والسلام - في حديث ثالث يقول:

((سروا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلك النساء))

هذه النصوص الثلاثة الصحيحة التي هي الأصل في العدل بين الأولاد .

دقة فيما قاله العلماء :

العلماء قالوا: يحرم على المرأة أن يوصي لأحدهم بأكثر مما يستحق شرعاً، أو أن يحرمه مما يستحق، أو أن يحرمه بعض ما يستحق.

يحرم؛ أي دخلنا في الحرمة، هناك حرمة، وهناك كراهة تنتزهية، وهناك كراهة تحريمية، وهناك أمر مباح، وهناك سنة غير مؤكدة، وسنة مؤكدة، وواجب، وفرض، أن تحرم أحد أولادك من حقه، أو من بعض حقه، أو أن تعطي أحد أولادك فوق حقه، فهذا مما يحرم شرعاً، وهذا الذي سيغادر الدنيا كيف سيلاقى الله عز وجل؟ يلقاه وقد ظلم أولاده، وقد فضل بعضهم على بعض، وقد حابى بعضهم على حساب بعض، إن هذا يزيد البعيد بعدها، قد يقول قائل: إن هذا الابن لا ييرني، إن هذا التصرف من قبل الأب، يزيد الابن بعيداً، وتنشأ عداوات بين الأخوة بعد الوفاة لا يعلمها إلا الله، لذلك الأولى أن تبقى على السنة، السنة منهج، طريق مستقيم، فالإنسان مهما اجتهد، وفكر، وتأمل، ليس أعظم فهماً من خالقه ومربيه الذي شرع له هذا الدين.

الآن عندنا نقطة دقيقة: و يجب أن يعطى أبناءه في الوصية مثل ما أخذه أحدهم زيادةً عنهم. فأحياناً ولد يأخذ نصيباً كبيراً من والده، بحكم كونه أكبر أولاده، فيزوجه، يشتري له بيته، ويغادر الدنيا، وعنه أربعة أولاد آخرون، هؤلاء سوف يقتسمون الإرث بالتساوي مع أخيهم الأكبر الذي أخذ هذه الدفعة الكبيرة، الأولى أن يسوّي بينهم في العطية، بمعنى أنه إذا أعطى الأخ الأكبر، فيجب أن يعطى كلّاً من الصغار بقدر ما أعطى الأكبر، هذا أيضاً حكم الله عز وجل، أي يجب أن يتم التوازن بين الأولاد في تقسيم الميراث.

شيء آخر: لا يحق للأب أن يعطي في وجوه الخير أكثر من الثالث، والثالث كثير. أي أنه إذا كان متوفياً لفعل الصالحات، فيدع ورثته عنده من بعده عالة يت肯فون الناس، وهذا لا يرضي الله عز وجل أبداً، لا يرضيه أبداً، فأحياناً يقول لك: يجب أن أوصي بثلث المال للمساجد، وقد ترك بيته واحداً، ويسكنه أولاده، فمن أجل أن توصي للمسجد فسوف ترغم أولادك على بيع هذا البيت، فإذا كان هناك بيت وحيد يأويهم، ففي مثل هذه الحالة لا ينبغي أن توصي لا للمسجد ولا لغيره.

((الآن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يت肯فون))

هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام، سواء في حياته، أو بعد مماته، فلا ينبغي أن يعطي أحداً فوق ما يستحق، ولا أن يحرم أحداً حقه ولا جزءاً من حقه، وإذا أعطى أحداً دفعة كبيرة، فينبغي أن تدخل هذه في حساب الإرث، أما أن تكون خارج الحساب، وهو أعطاه بيته وزوجه، وفتح له محلّاً، ثم توفي، وترك أربعة أولاد آخرين، مما تبقى لهؤلاء الخمسة، صار في تقואط كبير جداً، الأولى أن يكون لكل ولد حق معلوم، إلا أنه في حالات أخرى، قد يكون الأب يعمل مع والده، هذا له جهد نظير عمله، فمثلاً:

ولد في البيت لا يعمل، وولد يعمل، صار هناك تقואط كبير جداً، فإذا أخذ الذي يعمل نصيب الجهد، واقسم مع أخيه الباقين بالتساوي، ما تبقى فهذا أيضاً محض عدلٍ.

٩-أن تدخل السرور على أولادك :

الآن: من توابع هذا الحق: أن تدخل السرور على أولادك.
فقد ورد أن مر قوماً من الأعراب على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: تقبلون صبيانكم؟ قالوا: نعم، فقالوا: لكن والله لا نقبل، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:
((وما أملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة))

أي أن هناك عطاءً معنوياً، كان الحديث قبل قليل عن العطاء المادي، ولكن عندنا عطاء معنوي، فالابن أحياناً بحاجة إلى عطف، بحاجة إلى قلب كبير، بحاجة إلى اهتمام، أحياناً لمسة حنانٍ من الأب أو الأم تغنى عن آلاف الليرات، الإنسان مفتقر إلى العطف، لذلك هذا الذي ينشأ في حجر أمه وأبيه يكون في المستقبل متوازناً نفسياً، أما الذي ينشأ في بيت فيه خصومات، وفيه شقاق، وفيه طلاق، هذا الطفل ينشأ عنده خلل في عواطفه، فلذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- أشار إلى أن من واجبات الأب تجاه أبنائه: ليس أن يطعمهم، أو أن يسقيهم، أو يكسوهم فقط، بل هناك واجب آخر، وهو: أن يغمرهم بالعطف والحنان، الاهتمام بطعمه وبشرابه، وبغرفته، وب حاجاته، وبملابسه، هذا الاهتمام هو الذي يزرع العطف والحب في قلب الأبناء.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- حينما أنكر هذا الأعرابي تقبيل الولد، قال عليه الصلاة والسلام:

((وما أملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة))

ما خص به النبي -عليه الصلاة والسلام- البنات :

شيء آخر: النبي -عليه الصلاة والسلام- أراد أن يُخصّ البنات بشيء من العطف الزائد، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- نشأ في بيئه كانت البنت فيها مظلومة، ويكتفي أن تقرؤوا قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْمَوْعِدُةُ سُئِلتُْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتُ﴾

[سورة التكوير الآية: ٨-٩]

النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((أكرموا النساء فإنهن المؤنسات الغاليات))

((استوصوا بالنساء خيراً))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذني في سننه]

واستوصوا بالنساء خيراً: قالها كثيراً في حياته، فلذلك هناك أحاديث خاصة بالنساء.

اسمع أيها الأب :

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-:

((من عال جاريتن - أي ابنتين صغيرتين - حتى تبلغا، جاء يوم القيمة أنا وهو هكذا، وضم
أصبعيه كنایة عن قرب الجوار في الجنة))

طبعاً كل من عنده بنتان صغيرتان يرعاهما، لكنشرط أن ينشئهما تتشنة طاهرة، بشرط أن
ينشئهما على حب الله ورسوله، وعلى تلاوة كتابه، بشرط أن ينشئهما وفق الشرع، أما إذا سبب
أمرهما، وجعلهما تعيشان كما يعيش بقية الفتيات غير الملزمات، فهذا ما زاد عن أن أطعم هاتين
البنتين فقط، والحديث الذي تعرفونه سابقاً:

أن البنت إذا نشأت نشأة منحرفة بتشجيع من أبيها، أو بغلة منه، أو بإهمال لها، ورأت مصيرها
في النار، تقول:

((يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي))

لقد كان هو السبب، فذلك الأبوة مسؤولية.

((من عال جاريتن حتى تبلغا، جاء يوم القيمة أنا وهو هكذا، وضم أصبعيه كنایة عن قرب
الجوار في الجنة))

انتهز هذه الفرصة أيها الأباء :

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

((جاءت امرأة ومعها ابنتان لها تسألني أي شيء، فلم أجده عندي شيئاً .

- انظر بيت سيدنا رسول الله، سيد الخلق، حبيب الحق،نبي هذه الأمة، ليس في بيته إلا تمرة واحدة - .

فلم أجده عندي شيئاً غير تمرة واحدة أعطيتها إياها، هذه الأم أخذتها فشققتها بين ابنتيها ولم
تأكل منها شيئاً، فدخل عليه الصلاة والسلام على أثر ذلك، فحدثه حديثهما، فقال عليه الصلاة
والسلام:

من ابتلي - أي من كان له بنت - من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

في روایة:

((من ابتلي - أنه بلاء وليس مصيبة، البلاء من معانبه الامتحان - من هذه البنات بشيء، أو من ابنتي - من البنوة؛ أي من كانت له بنت من هذه البنات - من هذه البنات بشيء، كن له سترا من النار))

هذا الحديث وحده يكفي كي يدفع الآباء إلى الإحسان إلى بناتهم، فعلل الله سبحانه وتعالى يرحمنا جميعاً بالإحسان إلى أولادنا وبناتنا.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((من كانت له ثلات بناتٍ ينفق عليهن حتى يَبْيَنَ - أي بمعنى يبتعد عنهم بمعنى يتزوجن - أو يُمْتَنُ، كن له حجاباً من النار))

في الحديث الأول: بنتان يحسن إليهن، وهذا ثلات بنات ينفق عليهن.

وعن عوف بن مالك أيضاً، قال عليه الصلاة والسلام:

((ما من عبدٍ يكون له ثلات بناتٍ، فينفق عليهن، حتى يَبْيَنَ أو يُمْتَنُ، إلا كن له حجاباً من النار، فقلت امرأة: يا رسول الله وأبنتان؟ قال: وابنتان))

ماذا أعددت للقاء الله عز وجل؟ :

أي أن ملخص الملخص: إذا جاء ملك الموت ينبغي أن يكون معك عمل تلقى الله به، عمل طيب، يا رب ربيت هاتين الابنتين تربية صالحة، تربية إسلامية، علمتهما كتاب الله، زوجتهما من مؤمنين، أنفقت عليهما، حتى أدخلت على قلبيهما السرور، هذا عمل، أو رببت ولدين فصارا صالحين من بعدك، هذا عمل، أو دعوت إلى الله، هذا عمل، أو تركت علمًا نافعًا، هذا عمل، وكل ذلك عمل صالح .

فدائماً لديك سؤال كبير كبير: ماذا أعددت للقاء الله عز وجل؟ .

قال له: جئتكم لتعلماني من غرائب العلم، قال: فماذا صنعت في أصل العلم؟ قال: وما أصل العلم؟ قال: هل عرفت رب؟ قال: ما شاء الله، قال: فماذا صنعت بحقه؟ قال: هل عرفت الموت؟ قال: ما شاء الله، قال: فماذا أعددت له؟ .

فهذا السؤال، ينبغي أن يكون هذا السؤال في مكان بارزٍ من البيت: ماذا أعددت للقاء الله عز وجل؟ .

أكلت فالملوّنات مستهلكات، سكنت هذا البيت مستهلك، قمت بهذه النزهة استهلاك، لكن نريد الاستثمار، فأنت معك مبلغ من المال، ستشبه الوقت بمبلغ ضخم من المال، هذا المبلغ إما أن تستهلكه وإما أن تستثمره، فكل عملٍ ينتهي عند الموت استهلاك، وكل عملٍ يستمر إلى ما بعد الموت استثمار، فهذا السؤال الكبير: ماذا أعددت للقاء الله عزّ وجلّ؟.

هل أعددت لهاً اللقاء استقامةً تامةً؟ هل أعددت حبًّا الله ورسوله؟ هل أعددت حفظاً وفهمها لهاً الكتاب وتعلیماً له؟ هل أعددت أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر؟ هل أعددت تربية أولادٍ تربيةً صالحةً؟ ماذا أعددت لهاً اللقاء؟.

يقول له: رجعوا وتركوك وفي التراب دفونك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

و: إن الغنى والفقر بعد العرض على الله.

هذا الغنى في الدنيا لا قيمة له إطلاقاً، الغنى والفقير - كما قال الإمام عليٌّ كرم الله وجهه -: بعد العرض على الله.

ماذا أعددت لهاً هذه الساعة؟.

قف عند هذه المحطة :

لدينا نقطة مهمة جداً أحب أن أقولها لكم: فإن تكون أباً وعندك زوجة وأولاد هذه أبواب مفتوحة للعمل الصالح، فسوف تتعرض لتعب، وعليك مسؤولية، تعاني سهرًا، وهوماً، وحزناً، لا بد من توجيهه، وتتعرض لإحباط، أحياناً يواجهك إخفاق، لكن الله عزّ وجلّ وضعك بموضع لكسب ثواب العمل الصالح، فالزواج كله من أوله إلى آخره بدءاً بمسراته وانتهاءً بمارسنه، الزواج كله بابٌ من أبواب العمل الصالح، فالجهاد المبذول للتوجيه، والإدخال السرور على قلب الأولاد، وإكرام الزوجة، هذا كله من الأعمال الصالحة التي يرضى الله عنها.

وكنت قد حذّركم من قبل: من أن الأعمال الصالحة الأخرى إذا قمت بها أنت فائع وأكرم، وإن لم تقم، قد يقوم بها غيرك، ولكن أسرتك من لها غيرك؟ ليس لها أحدٌ غيرك، فلذلك إذا قصرت في حقها فأنت محاسبٌ عند الله.

إليكم هذا النموذج من الأخوة الإيمانية :

ويطالعنا شيء آخر : نحن قاربنا أن ننتهي من حقوق الأبناء على الآباء ، فسوف ننتقل إن شاء الله تعالى إلى حقوق أخرى ، نأخذها في درسٍ قادم ، وأريد فيما تبقى من هذا الدرس : أن أضع بين أيديكم نموذجاً من الأخوة الإيمانية التي كانت بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام .

أردت أن يكون في هذا الدرس قصة من قصص أصحاب النبي عليهم رضوان الله ، لتروا بأم أعينكم كيف ينبغي أن تكون علاقتنا فيما بيننا؟ .

طبعاً هؤلاء الصحابة الكرام -رضي الله عنهم ورضاوا عنه- احتلوا عند الله مرتبة ثابتة ، بقينا نحن ، ولا ينبغي أن نفهموا من كلامي هذا: أن الموضوع يتعلق بالصحابة ، بل يتعلق بنا ، لكن هذا نموذج حي من نماذج أصحاب النبي عليهم رضوان الله .

هذه قصة سالم مولى أبي حذيفة :

صاحب القصة سيدنا -انظر لكلمة سيدنا- سالم مولى أبي حذيفة ، كان عبداً رقيقاً -انظروا كيف أن الإنسان إذا عرف الله حقاً، ينتقل من العبودية إلى مرتبة السيادة: سبحان من جعل العبيد ملوكاً بطاعتكم .
وربنا عزّ وجلّ قال:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية: ٤]

فأنا أقول: سيدنا وهو سيدنا فعلاً ، وهو عبد رقيق -سيدنا سالم مولى أبي حذيفة- فالنبي -عليه الصلاة والسلام- أوصى ، فقال:

((خدوا القرآن من أربعة -خدوا القرآن، أي أن هذا سيدنا سالم من أهل القرآن، من أهل كتاب الله عزّ وجلّ؛ من عبد الله بن مسعود، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن أبي بن كعب، ومن معاذ بن جبل))

أربعة من أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- هم مرجع كبير في القرآن الكريم، والقرآن - كما تعلمون - غنىً لا فقر بعده، ولا غنىً دونه.

و: من تعلم القرآن متّعه الله بعقله حتى يموت.

و:

((من أُوتِيَ القرآن فرأَى أَنَّ أَحَدًا أُوتِيَ خَيْرًا مِنْهُ، فَقَدْ حَقَرَ مَا عَظَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى))

: و

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)

[أخرجه البخاري في الصحيح، وأبو داود والترمذني في سننهما]

كان عبداً رقيقاً رفع الإسلام من شأنه، حتى جعل منه أخاً لواحدٍ من كبار المسلمين، بعد أن كان قد تبناه في الجاهلية، كان قبل إسلامه شريفاً من أشراف قريش، وزعيماً من زعمائها، ولما أبطل الإسلام عادة التبني، صار أخاً ورفيقاً ومولى للذي كان يتبعاه، وهو الصحابي الجليل أبو حذيفة بن عتبة، سيد من أسيداد قريش، زعيماً من زعمائها، شريفاً من أشراف مكة، وهذا سالم كان عبداً رقيقاً عنده، فلما أسلم صارا أخوين في الله.

ماذا نريد من هذه القصة؟ :

-أنا أريد من هذه القصة: أن تلمسوها أن الإسلام دين يجمع ولا يفرق، يلغى كل مظاهر الطبقية، فإنسان في قمة المجتمع وإنسان في الحضيض، بعد أن أسلموا صارا أخوين، وما لم تكن لك هذه النفسية فلست مسلماً، حينما تقول: أنا ابن فلان، أو أنا أملك كذا وكذا، أو أنا أحمل هذه الشهادة، أو إن أبي فلان، حينما تعتذر بشيء غير الشيء الذي ينبغي أن تعتذر به وهو الإيمان، فأنت لست مؤمناً -فعلاً مفارقة كبيرة جداً-؛ إنسان يتبوأ قمة المجتمع، وإنسان يقع في الحضيض، حق الإسلام منها أخوين، وسوف تروا معي كيف أن الإسلام سوى بينهما؟ والإنسان إذا دخل المسجد يجب أن ينسى أنه يحمل شهادة علياً، أو أنه له وظيفة مرموقة، أو أنه صاحب معلم، هذا كله يجب أن يضعه تحت قدمه إذا كان مسلماً، وأن ينظر إلى أخيه في الإيمان كما لو أنه ينظر إلى إنسان مساوٍ له تماماً.

من مواقف الصحابة الكرام :

فأحد الصحابة -رضي الله عنهم- تكلم بكلمة، يبدو أنها كانت ساعة غضب، قال لأحد أصحاب النبي الأرقاء العبيد: يا بن السوداء، مما زاد النبي عن أن قال: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيْكَ جَاهِلِيَّةٌ ، فلم يرض هذا الصحابي بعد ذلك، إلا أن يضع رأسه على الأرض، ليuros هذا العبد الرقيق بقدمه على رأسه، حتى يغفر الله له.

أبو حذيفة بن عتبة، عتبة بن شيبة من أعداء النبي، من زعماء الكفر في قريش، هذا ابنه، عتبة بن شيبة هو الذي خاطبه النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما رأه قتيلاً في بدر، قال : يا عتبة بن شيبة، يا فلان، يا فلان، يا فلان.

هذا ابنه- تبني أبو حذيفة سالماً بعد أن أعتقه، وصار يدعى سالم بن أبي حذيفة -هذا قبل أن يبطل الله عزّ وجلّ عادة التبني، صار اسمه سالم بن أبي حذيفة، كما أن زيد بن حارثة -رضي الله عنه- كان اسمه زيد بن محمد، ابن النبي، تبناه النبي، لكن الله عزّ وجلّ لحكمةٍ رآها حرم النبي، عندئذٍ أصبح اسمه زيد بن حارثة، وسالم ليس له أب، أبوه غير معروف، فصار اسمه سالم مولى أبي حذيفة، مولاه.

لم يكن شيءٌ أحبٌ إلى أحدهم بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أخوانهم في الله. الترتيب كان على الشكل التالي: الله سبحانه وتعالى، ثم النبي -عليه الصلاة والسلام-، ثم المؤمنون، والله هذا مقاييس دقيق، إذا كنت تحب إنساناً منحرفاً عاصياً لأسباب، لمصالح، لقرابة، أكثر مما تحب أخي في الله طاهراً مستقيماً، هذه بادرة خطيرة، وشرط كبير في الإيمان ، أصحاب النبي -عليهم رضوان الله- كانوا يحبون بعضهم حباً لا يصدق، فإذا كان أخوة في مسجدٍ واحدٍ، على قلبٍ واحدٍ، يدهم واحدة، مشكّلتهم واحدة، خيرهم واحد، سراؤهم واحد، ضراؤهم واحدة، فهذه علامة إيمانهم، والله سبحانه وتعالى يقول:

((يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ))

[آخرجه الترمذى فى سننه]

ما تميز به سالم مولى أبي حذيفة :

سيدينا سالم مولى أبي حذيفة، كان إماماً للمهاجرين من مكة إلى المدينة، وكان حجة في كتاب الله، حتى أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- المسلمين أن يتعلموا منه، وقد قال عنه النبي -صلى الله عليه وسلم - :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ يَا سَالِمَ))

وكان أخوانه المؤمنون يصفونه سالماً من الصالحين، هكذا، آمن له مالنا وعليه ما علينا،- المسلمين جميعاً سواسية كأسنان المشط.

لا فضل لعربيٍ على أعجميٍ إلا بالتفوى:.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُقَاتُكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٣]

ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتفوى.

هذا المؤمن الصادق :

أتعلمون من هو حب رسول الله؟ أي من أحب الناس إليه؟ كان سيدنا أسامة بن زيد، ولو أتيح لكم أن تقرؤوا عن أوصافه لها لكم الأمر، كان أبوه سيدنا زيد عبداً أسود اللون، وكان ابنه كذلك، فكان يضع النبي -عليه الصلاة والسلام- أسامة على ركبته اليمنى، والحسن والحسين على ركبته اليسرى، وكان يقبلهم معاً، حتى إن أصحاب النبي سموا سيدنا أسامة حب رسول الله هكذا. إداً المؤمن الصادق يحب لأسبابٍ دينية، للكمال الذي ينطوي عليه، أما وهذا حديث شريف دقيق، قال:

((الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء))

أي لو كان إنسان عادلاً، وكرهت هذا الإنسان العادل لسبب أو لآخر، وإذا مال قلبك لإنسان جائز ظالم لسبب أو لآخر، فأنت في وضعٍ خطيرٍ في الدين، صار هذا شرك، فالمؤمن الصادق علاقاته كلها على أساس ديني، على أساس الكمال الإنساني .

ماذا تستنبط من هذا المقطع؟ :

وهذه قصة تفينا جداً: فقبل فتح مكة، بل وقبل الهجرة، -قصة سالم كقصة بلال، وقصة عشرات العبيد- بادر سيدنا أبو بكر الصديق، وأتى صفوان بن أمية، واشترى هذا العبد سيدنا بلال، ويقول له صفوان: والله لو دفعت به درهماً لبعنكه، ليس له قيمة خذه بدرهم، فيقول سيدنا بكر: "والله لو أبىت إلا أن تأخذ ثمنه مائة ألفٍ لاعطيتها.

سيدنا الصديق على عظم شأنه وبلال عبد رقيق، حينما خرج أبي إلا أن يضع يده تحت إبطه - هذا تعبير عن المودة والأخوة في الله، سيدنا الصديق وضع يده تحت إبط سيدنا بلال، تعبيراً عن أخوته الصادقة- وقال: هذا أخي حقاً.

هل تصدقون: أن سيدنا عمر يخرج إلى ظاهر المدينة، وهو أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، لاستقبال سيدنا بلال، سيدنا عمر، خليفة المسلمين، عملاق الإسلام، أمير المؤمنين يخرج إلى ظاهر المدينة، لاستقبال سيدنا بلال؟! سيدنا بلال يدخل على عمر بلا إذن هو وصهيب، بينما وقف أبو سفيان ساعةً وساعتين، فلم يؤذن له، وهو زعيم قريش، فلما دخل عليه عاتبه، قال: أبو سفيان زعيم قريش يقف في بابك الساعات الطوال، وصهيبٌ وبلال يدخلان ويخرجان بلا استئذان!! مما زاد عن أن قال: أنت متهماً؟!.

هذا هو الإسلام :

هذا هو الإسلام؛ فإذا كنت مستعداً أن ترى أن أخاك في الله، ولو كنت أنت في قمة المجتمع، وهو في حضيشه، ولو كنت في قمة العلم، وهو لا يحمل شهادات، ولو كنت أنت في قمة الغنى، وهو لا يملك شر ولا نغير، إذا شعرت أن هذا الإنسان أخوك في الله، له ما لك وعليه ما عليك، إذا شعرت هذا الشعور، فأنت بفضل الله مؤمنٌ ورب الكعبة، أما إذا كان لديك شعور بأنك غيره رفعة ومنزلة، أنت فوقه، أنت أعلى منه، أنت من أسرة أرفع وأسمى، فهذا شعور جاهلي مرضي، يحتاج إلى معالجة، لذلك فإن المؤمنين كثلة واحدة؛ مدني، ريفي، موظف، تاجر، كبير، صغير، وسيم، دميم، كلهم في الإسلام سواء: المؤمنون طبقة واحدة، يأخذ بذمتهم أدناهم، ويرعاهم أكبرهم.

ما المغزى من هذا الكلام؟ :

كلم يعلم: أنه عند فتح مكة أعطى النبي -عليه الصلاة والسلام- أوامر مشددة، ألا يهرق دم إطلاقاً، في ظرف من الظروف فيه ملابسات، سيدنا خالد اضطر إلى استعمال السيف، حتى إن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما سمع بهذا الخبر، اعتذر إلى ربه طويلاً، وهو يقول:

((اللهم إني أبiera إليك مما صنع خالدا))

[أخرجه البخاري في الصحيح، والنسائي في سننه]

-فهذا الكلام له مغزى كبير، ليس الهدف أن تريق دم الكافر أبداً، الهدف أن ينضم إليك، الهدف أن تحتويه، الهدف أن يسلم على يديك، هذا أخوك في الإنسانية، وحينما شرع الله الجهاد، شرعه من أجل صيانة الدعوة، ومن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، لذلك فإن النبي -عليه الصلاة والسلام- أعطى توجيهات مشددة ألا يستعمل السيف، ولكن لسببٍ لسنا الآن بصدده، فإن سيدنا خالداً وهو من الصحابة الأجلاء الكرام، اضطر إلى استعمال السيف- وظل عمر -رضي الله عنه- يذكرها له، ويأخذها عليه، ويقول: إن في سيف خالد رهقاً.

ما هو السؤال الذي سأله النبي لما بلغه ما صنع خالد؟ :

والآن: نعود إلى قصة سالم:-

فقد كان مع سيدنا خالد، وسالم عبدٌ رقيق، وسيدنا خالد شريفٌ من أشراف مكة، وقائد الحملة، وقائد هذه الفرقة، سيدنا سالم أخذ على سيدنا خالد هذا المأخذ، وحاسبه، وكأنه نذ له، فقد سوئ الإسلام بينهما -سيدنا سالم ما نظر إلى سيدنا خالد على أنه إنسان، يجب أن نقدس أخطاءه، ولا

نظر على أنه فوق أن يحاسب، كان هناك نوع من الصراحة، ونوع من الواقعية، على كلٍّ؛ هناك حديث شريف قاله النبي -عليه الصلاة والسلام-:
(الدين النصيحة)

قالها ثلاثة .

فالحديث ما أدقه، وفي الأحاديث الشريفة تعاريف للدين جامعة مانعة مثلاً :

رأس الدين الورع.

أي تعلم ما شئت ما لم تكن ورعاً فلست ديناً:

رأس الدين الورع، فإن لم تكن ورعاً قطع رأس الدين.

فلو شبهنا الدين بإنسان وقطعت رأسه ماذا بقي منه؟ انتهى.

رأس الحكمة مخافة الله.

رأس الدين الورع.

الدين -بالتعريف الجامع المانع الدقيق-: النصيحة.

إذا لم تتصح المسلمين فلست ديناً، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((إنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ))

في حديثٍ كررها ثلاثة.

[أخرجه أبو داود في سننه]

لكن هناك نصيحة وهناك فضيحة، هناك من يفضح وهناك من ينصح، كن نصوهاً ولا تكن فضوهاً-.

النبي -عليه الصلاة والسلام- لما بلغه ما صنع خالد، سأله هذا السؤال الخطير، قال:

هل أنكر عليه أحد؟ فقالوا: نعم راجعه سالمٌ وعارضه.

فاطمان النبي.

من مواقف عمر بن الخطاب :

-وقال أحد عامة المسلمين لعمر: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا، فقال عمر - رضي الله عنه-: " الحمد لله الذي جعل في أصحابي من يقوني إذا اعوججت. سيدنا عمر مرة كان مع أصحابه، -هذه قصص، هذه سنن، هذه مناهج، هذه طرائق للتعامل مع الآخرين-.

سيدنا عمر كان مع أصحابه، قال أحدهم: والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله، -أي أنه من الطراز الأول، أين سيدنا الصديق؟ إنه قد مات، نريد أن نمدح الحالي، والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله-، سيدنا عمر غضب وحدَّ فيهم النظر، إلى أن قال أحدهم: لا والله لقد رأينا من هو خيرٌ منك، قال: ومن هو؟ قال: أبو بكر، فقال عمر: كذبتم جميعاً وصدق هذا. -اعتبر سيدنا عمر أو عد سيدنا عمر أن سكوتهم كذبٌ، وأن هذا الذي قال الحقيقة هو الصادق- ثم قال: والله لقد كنت أضل من بعيري، وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك. -فهل يجرؤ أحدٌ بعد هذا الموقف أن ينافق له؟ انتهى كل النفاق-.

ماذا تبين لنا هذه القصة؟ :

النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: هل أنكر عليه أحد؟ قالوا: نعم راجعه سالمٌ وعارضه. -عبد رقيق، وسيدنا خالد قائد الجيش، ومع ذلك راجعه في موقف، نحن كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا))

[أخرج الطبراني في المعجم الكبير]

لكنني أردت من هذه القصة أن أبين: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((الدِّينُ النَّصِيحةُ))

وقال: هل راجعه أحد؟ هل أنكر عليه أحد؟ قالوا: نعم، راجعه سالمٌ وعارضه.

فإذا كنت تحب الله ورسوله، فقل الحق ولو كان مرأً، ولا تخش في الله لومة لائم، والشيء الذي تعرفونه جميعاً، هو:

أن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٩]

من صفات هؤلاء الذي يبلغون رسالات الله: أنهم يخشون الله وحده، فإذا خشوا غير الله انتهوا وانتهت رسالتهم.

قصة استشهاد سالم مولى أبي حذيفة :

كلم يعلم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- انتقل إلى ربه، وبعد انتقاله ظهرت فتنة الردة، - ويعد سيدنا الصديق بحق المؤسس الثاني للإسلام، وقف وقف لا يستطيع أحد من أصحاب النبي أن ينكرها إلا هو - .

خرج المسلمون لقتل المرتدين الذين تزعمهم مسيلمة الكذاب، -الآن كانوا تحت إمرة سيدنا خالد، وتعانق الأخوان أبو حذيفة وسالم، وتعاهدا على الشهادة في سبيل الحق، وقذفا بنفسيهما في الخضم الرهيب، كان أبو حذيفة ينادي، -اسمعوا جيداً: يا أهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم.

والكلام لنا الآن، أنت حافظ للقرآن، يحب أن تزيّن هذا الكتاب بأعمالك، الكون قرآن صامت، القرآن كون ناطق، سيدنا رسول الله قرآن يمشي، كان خلقه القرآن، أنت مؤمن، وقتاك كله في قراءة القرآن، وفي حفظه، وفي تجويده، وفي فهم أحكامه وآياته، نريد عملاً يزين القرآن:- يا أهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم.

وكان سالم يصيغ: بئس حامل القرآن أنا، لو هوجم المسلمين من قبل، فقيل له: " حاشاك يا سالم بل نعم حامل القرآن أنت.

وكان سيفه صوّالاً وجواباً في عنق المرتدين، الذي هبوا ليعيدوا جاهلية قريش، ويطفئوا نور الإسلام، وهو سيفٌ من سيف الردة على يمناه فبترها -لسيدهنا سالم-، وكان يحمل بها راية المهاجرين، بعد أن سقط حاملاً زيد بن الخطاب، ولما رأى يمناه تبت القطب الراية بيسراه، وظل يلوح بها إلى أعلى، وهو يصبح تاليًا هذه الآية الكريمة:

وَكَانُوا مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِيعُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهُنَّا لِمَا أَصَابُهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ

[سورة آل عمران الآية: ١٤٦]

احاطت به غاشيةٌ من المرتدين، فسقط البطل، ولكن روحه ظلت تتردد في جسده الطاهر، حتى انتهت المعركة بقتل مسلمة الكذاب، واندحار جيشه، وانتصار المسلمين، وبينما المسلمون يتقدّون ضحاياهم وشهادتهم، وجدوا سالماً في النزع الأخير، وسألهم: ما فعل أبو حفيظة؟ - مولاه، أخوه في الله - ما فعل أبو حفيظة؟ قالوا: استشهد، فقال: أضجعوني إلى جواره، فقالوا: إنه إلى جوارك الآن.

- هو بجانبك مضطجع، لقد استشهد في المكان نفسه.

سيدنا عمر حينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي قال: هل صلى المسلمين الفجر؟.

هو في حالة النزع وبين الموت والحياة، ما الذي يعنيه؟ هل صلى المسلمين الفجر؟

فأخذنا إذا كان المُتّ به شدة، ماذا يقول: البيت هل طوبتموه؟ ماذا صار بالبضاعة هل بعتموها؟ اشتريتموها؟ هل صلى المسلمين الفجر؟.

ما فعل أبو حذيفة بن شيبة؟ قالوا: استشهد، فقال: أضجعونني إلى جواره، فقالوا: إنه إلى جوارك يا سالم.

هل تصدقون: أن سيدنا عمر بن الخطاب وهو عملاق الإسلام، قال وهو يموت : " لو كان سالم حياً لوليته الأمر من بعدي.

أي لو كان سالم حياً، لكان ثالث الخلفاء الراشدين، وهو عبد رقيق:
اسمعوا وأطيعوا ولو تولى عليكم عبد رأسه كالزبيبة.

هكذا قال عليه الصلاة والسلام.

هذه كلمة خطيرة جداً: لو كان سالم حياً لوليته الأمر من بعدي.

اغتنم هذه الفرصة :

إذاً الباب مفتوح، كن من تكون، أي إنسان كن؛ بأي مستوى، بأي دخل، بأي شكل، من أي لون، من أي جنس، من أي بلد، ما دمت عبداً لله، فباب البطولة مفتوح أمامك على مصاريعه كلها، وما عليك إلا أن تقوم، ما عليك إلا أن تجاهد في سبيل الله:
﴿جَاهَدُوا فِينَا﴾

[سورة العنكبوت الآية: ٦٩]

والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول بعد عودتهم من إحدى الغزوات:

((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر؛ جهاد النفس والهوى))
فذلك -أيها الأخوة- الله سبحانه وتعالى يقول:

((لو يعلم المعرضون حبي لهم، وانتظاري إلى ترك معاصيهم، لتقطعت أوصالهم من حبي، ولماتوا شوقاً إلى، هذه إرادتي في المعرضين، فكيف إرادتي في المقربين؟))

فالمفروض أن يصدق الإنسان في طلب الحق، حتى يكون من السعداء في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

الباب الخامس : حق المسلم على المسلم

١ - حق النصيحة^١

٢ - حق النصيحة^٢

٣ - حق إجابة الدعوة

٤ - حق عيادة المريض

٥ - حق عيادة المريض - شرعية التداوي من الأمراض

٦ - حق السلام

٧ - الإنفاق من نفسك

٨ - رد السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما أخطر شيء في حياة الإنسان؟ :

أيها الأخوة المؤمنون، في الدروس السابقة: كان الموضوع الإجمالي هو حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها، وحقوق الأب على ابنه، وحقوق الابن على أبيه، واليوم ننتقل إلى باب جديد من أبواب الحقوق، ألا وهو حق المسلم على المسلم، حقوق المسلم على المسلم كثيرة، منها النصح له، وقبل الحديث عن هذا الحق الجليل، أود أن أقدم لهذا الحق بمقدمة موجزة: إن أخطر شيء في حياة الإنسان دينه، قال:

ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك.

يعني طالب عنده مكتبة كبيرة جداً، لكن هناك كتاباً واحداً في هذه المكتبة هو الكتاب المقرر الذي سيؤدي فيه امتحاناً، ويعلى على هذا الامتحان آملاً ضخمة، إذاً هذا الكتاب ليس ككل الكتب. رجل الأعمال في محفظته أوراق كثيرة، لكن أخطر وثيقة في هذه المحفظة جواز سفره، لولا هذا الجواز لبقي في أرضه، إذاً الدين أخطر شيء في حياة الإنسان، هناك زوجته ، هناك عمله، هناك صحته، هناك دخله، لكن الدين متعلق بالآخرة، موضوع الدين موضوع مصيري، إذا سكنت في بيتك هي سنوات وتمضي، إن كان واسعاً أو ضيقاً، عالياً أو منخفضاً ، ملكاً أو أجراً، سنوات تمضي الزوجة لا بد من أن يمضي وقت تفارقها أو تفارقك، لكن الشيء الذي سيتصل بحياتك الأبدية هو الدين.

هل ينحصر مفهوم الدين حول العبادات الشعائرية؟ :

النقطة الثانية: هو أن الدين شيء عظيم جداً وواسع جداً، فقد يفهمه الناس فهماً مغلوطاً، فيوجد عندنا عبادات شعائرية؛ الصلاة والصوم والحج والزكاة، من توهم أن أداء هذه العبادات هو الدين فقد وقع في خطأ كبير، من توهم أن الطبيب هو الذي يرتدي ثوباً أبيض، أو هو الذي يضع على عينيه نظارة هو الطبيب، أو هو الذي يسأل الناس عن أكلهم أو عن آلامهم، الطبيب إنسان درس الطب سنوات طويلة، وأصبح يملك قدرة على تشخيص المرض وعلى وصف الدواء.

النبي -عليه الصلاة والسلام- في تعريف جامع مانع قال:

فَعَنْ تَمَيِّمِ الدَّارِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

((الدِّينُ النَّصِيحةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامِتْهُمْ))

قد يفهم المسلمون الدين أنه صلاةً وصيامٌ وحجٌ وزكاة.

سيدينا عمر قال: من شاء صام ومن شاء صلى ولكنها الاستقامة.

((من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدها))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

ماذا تستنتج من هذا المثال؟ :

وأنا في طريقي إلى هذا المسجد لمع في ذهني مثل: أن العام الدراسي هو عامٌ طويل في آخره امتحان، الامتحان فيه ينكشف الطالب، وينكشف مستوى العلمي، وفهمه واستيعابه، فمن ظن أن الامتحان لا علاقة له بالعام الدراسي فقد وقع في خطأً كبيراً، إذا جاء يوم الامتحان، ارتدى هذا الطالب أجمل ثيابه، وتوجه إلى الامتحان، واقتى الأقلام، وكل حاجاته، لكنه لم يدرس، هذا الامتحان لا معنى له، أهم شيء فيه أن تُعد له العدة طوال العام الدراسي.

أردت من هذا المثل: أنك إذا وقفت لتصلي، فاعلم أن الصلاة امتحان، بل إنها ميزانٌ كما قال عليه الصلاة والسلام، إن ما بين الصلاتين؛ استقامتك، صدقك، غضاؤك للبصر، نصحك للمسلمين، ورعيك، هذا يبدو في الصلاة، فإذا فصلت بين حياتك ونشاطاتك وتجارتك وبيعك وشرائك من جهة، وبين الصلاة من جهة، وجعلت الصلاة كشعيرةٍ تعبدية، انقلب الصلاة والحالة هذه إلى طقسٍ لا معنى له، لكنك إذا فهمت أن الصلاة كساعة الامتحان، أهم ما فيها أن تُعد لها قبل أن تأتيها، لذلك جاء قوله تعالى:

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية: ١٤]

تقول: أقمت البناء؛ أي أنك اشتريت الأرض ووضعت التخطيط وبدلت الجهد، إقامة البناء شيء يحتاج إلى جهد كبير مسبق، فلذلك: إما أن تفهم الدين فهماً أجوف على أنه شعائر تؤدي وكفى، أو على أنه كتابٌ يقرأ، أو على أنه مجلس علمٌ يحضر، أو على أنه حجٌ يؤودي، أو احتفالٌ بعيد المولد يُقام وانتهى الأمر، ونحن على ما نحن عليه، هذا هو الفهم السقيم للدين.

ما هو الدين؟ :

الدين شيءٌ يدخل في كل حياتك، في كل حركاتك وسكناتك، في كل نشاطاتك، في كل علاقاتك، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((الدِّينُ النَّصِيحةُ))

أي إذا جاءك أخ مسلم أو غير مسلم إلى محك التجاري، وأراد أن يشتري منك حاجة، وأنت من أجل أن تبيع هذه الحاجة الكاسدة أو همته أنها جيدة، وأثبتت عليها بما لا تستحق، حتى أقنعته بشرائها، إنك لم تتصحه، إذاً ما قيمة دينك؟ ما قيمة صلاتك؟ هذا الذي وقع في مخالفٍ شرعية، قالت له السيدة عائشة: أبلغوا فلاناً أنه أحبط عمله، أو أنه خسر جهاده مع رسول الله. فالذى أتمناه عليكم أن تضعوا أيديكم على جوهر الدين:

(الدِّينُ النَّصِيحَةُ)

الدين يبدو في دكانك، في متجرك، وراء طاولتك إذا كنت موظفاً، في العيادة إذا كنت طبيباً، وراء مكتبك في المحاماة إذا كنت محامياً، وراء مكتب الهندسي إذا كنت مهندساً، وراء مهنتك إذا كنت من أصحاب المهن، في مهنتك اليومية، إذا غشت المسلمين فلست مسلماً.

لم نفى النبي عن العبد صفة الإسلام في هذا الحديث؟ :

النبي -عليه الصلاة والسلام- نفى عنك صفة الإسلام:
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مَنِّا، وَمَنْ عَشَّنَا
فَلَيْسَ مَنِّا))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

النبي أخرجك من دائرة المسلمين إذا لم تتصح أخاك، أي إذا قال لك: ماذا أفعل بهذا المبلغ؟ لو أن هذا المبلغ لك تشتري به دكاناً، تقول له: لا، أعطن إياه، ماذا كنت تفعل لو أن هذا المبلغ معك؟ بماذا نُصحك لهذا الإنسان صاحب المبلغ ينم عن دينك، يجب أن تتصح له بما أنت فاعل لنفسك، بما أنت تفعل لو أن هذا المبلغ لك، هذا هو الدين، الدين يبدو أكثر ما يبدو في التعامل.

الدين معاملة :

لذلك ورد عن النبي -عليه الصلاة والسلام-: أن الدين هو النصيحة، وأن الدين المعاملة. والعوام يقولون هذا الكلام: الدين المعاملة، الدين في تعاملك مع زوجتك، الدين في تعاملك مع عُملَّاك، الدين في تعاملك مع أولادك، الدين في تعاملك مع جيرانك، يجب أن تعرف حدك فتقف عنده، فلذلك الشيء المؤلم: أن مفهوم الدين مضطرب، مفهوم الدين مفهوم أصبح زئقياً، فكل إنسان يفهمه على طريقة، بحيث أن الذي قد يفهمه إنسان أن تقيم في بيتك كل عام احتفالاً بعيد المولد، وتأتي بالمنشدين وانتهى الأمر وأنت لا تصلني، هناك من يفهم الدين هكذا؛ الدين أن تذهب

إلى الحج، وأن تأتي من الحج، وأن توضع الزينات، وأن تقدم الحلويات، وأن يبارك لك بهذا الحج وانتهى الأمر، الدين داخل بحياتك اليومية، داخل في كل دقيقة من حياتك، في كل ثانية، في كل حركة، في كل سكنة، في نومك، في استيقاظك، في علاقتك بزوجتك، بأولادك، بعميلك، بعمالك، بمكتبك، بمن يقف أمامك، بمن يقف وراءك، بمن هو فوقك، بمن هو تحتك، هذا هو الدين، الدين هو النصيحة.

لم تأخر المسلمون عن الأم؟ :

فإذلك: حينما فهم المسلمون أن الدين عباداتٌ شعائرية صاروا خلف الأمم، ولم تكن كلمتهم هي العليا، وحينما فهم أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الدين نصح لكل مسلم؛ الدين معاملة، الدين انضباط، فتحوا العالم.

عن أبي هريرة قال:

((قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَدَا إِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَا غَرِيبًا فَطُوبِي لِلْغُرَبَاءِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

يجب أن نرجع إلى ينابيعه الأولى، إلى ينابيعه الصافية.

ليس هذا من الدين في شيء :

الآن: لاحظ أن المسلمين يصلون، الجوامع ممتلئة، والمظاهر الدينية صارخة، ولكن إذا دخلت إلى الأسواق رأيت الكذب، ورأيت الغش، ورأيت الخداع، ليس هذا من الدين في شيء، إذا أردت أن تكسب وقتكم، إذا أردت أن تكسب حياتك، إذا أردت أن تضع يدك على جوهر الدين، إذا أردت أن تكون من المؤمنين الصادقين، فالدين النصيحة.

لو أن إنساناً قال لك: أنا لا أعرف انتق لي بنطلا على ذوقك، وانتقيت له البنطال الكاسد ذي اللون غير المرغوب، من أجل أن تصرف هذا اللون الذي ربع أمامك، فأنت لست مؤمناً، إذا قال لك: انتق لي أنت، يجب أن تنتقي له أجمل الألوان، أما إذا انتقى هو هذا شيء آخر.

إليكم هذا المثل الدقيق على مفهوم الدين النصيحة :

أنا أضرب المثل الدقيق:
الدين النصيحة.

قال لك إنسان: افتح محل بهذه المصلحة، أنت تعلم أن هذه المصلحة ذات أرباح طائلة، تقول: لا هذه مصلحة فاقورة، تريد أن تصرفه عن هذه المصلحة وأنت مسلم؟! لست مسلماً.

إنسان بعث لك أباً تعلم مصلحة تجعله مستخدماً، وحينما يأتي الوقت المناسب لتعلم هذه المصلحة تبعده خارج المحل، أنت مسلم؟ لا والله: الدين النصيحة.

وهناك أمثلة لا تعد ولا تحصى، أكثرها في العمل، قال لك فلان: هل أشتري هذا البيت؟ تبيع البيت أنت، وأنت تبيع هذا البيت لعلة خطيرة شعرت أن فيه خطر، وزينت له هذا البيت حتى بعثه له، أنت مسلم؟ لا والله: الدين النصيحة.

لم تتصحه بهذا البيت، فلذاك: الله عزّ وجل يضع الإنسان في مواقف صعبة، أهونها الصلاة والصوم والحج والزكاة، ولكن أصعبها أن تقف على مفترق الطرق، إذا نصحت تخسر وإذا غششت تربح، وهذه حكمة إلهية.

من حقوق المسلم على المسلم :

هذه المقدمة أردت منها أن أصل إلى أن: من حقوق المسلم على المسلم النصح له.
فعن أبي هريرة، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- من خلال حديث طويل يقول:
((حقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِّدْ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذني والنسائي في سننهم]

استئصالك فعل استفعل، فيه معنى الطلب، كقولك: استغفر، كقولك: استرحم، كقولك استودع.
أول حق: هذا الذي يدخل إلى محلك أليس مسلماً؟ مسلم، يقول لك: انصحن؛ هل هذا القماش جيد؟ هل هذه الآلة جيدة؟ هل هي أصلية أم تقلید؟ هل أنتفع بها أم أنها سريعة العطاب؟ أنت قد تستعمل هذا الثوب، تقول: لا، أنا أرتدي منه بشكّل خبيث، ومن أجل أن تبيع هذا الثوب تفصل منه ثوباً، وكلما سألك إنسان: ما قولك بهذا القماش؟ تقول: لا، أنا أرتدي منه، من أجل أن تبيع هذه البضاعة، وهذا شيءٌ خطير، هذا الذي يدخل إلى محلك التجاري، الله سبحانه وتعالى وكيله وهو مطلعٌ عليك ويعلم السر وأخفي، فمن حق المسلم على المسلم النصح له:
وإذا استئصالك فانصح له.

متى يستنصر الرجل؟ :

سؤال: الإنسان متى يستنصر إنساناً؟ حينما يأتيك إنسان، ويقول لك: انصحن ماداً أفعل؟ هل تعلم ماداً يعني ذلك؟ يعني ذلك: أنه واثقٌ من رجاحة عقلك، ومن إخلاصك له، إنسان وضع ثقته فيك،

وضع ثقته برجاحة عقلك، وضع ثقته بإخلاصك له، أعطاك صفتين؛ صفة عقلية وهي الرُّجحان، وصفة نفسية وهي الإخلاص، لا يمكن أن تأتي إنساناً وتستصحه إلا إذا وثقت بعقله وأخلاقه، إلا إذا وثقت برجاحة عقله وصدق إخلاصه، إذاً حينما يأتيك إنسان وقد منحك الثقة، وقد منحك كل عوامل الرضا تخونه؟! لذلك:

كبرت خيانةً عند الله: أن تحدث الناس بحديث هم لك مصدقون وأنت لهم به كاذب .
هو يصدقك، لأنك منحك الثقة وأنت تكذب عليه، فهذا الذي يعيش الناس كذاب يكذب عليهم، ينصحهم بشيء لا يفعله هو لنفسه.

شيء آخر: إذا طرق بابك واستتصحت، فأنت مظنة رجحان العقل، وصدق الإخلاص ، فإن شئت أن تخيب الناس فيك فخيبيهم إذا شئت، أما لو لم تكن راجح العقل، لو لم تكن مظنة صلاح، لما سألك أحد: وإذا استتصحَّ فانصَحْ له.

انظر ما قاله علي كرم الله وجهه :

شيء آخر: هذا الذي يستصح هو رجل راجح العقل أيضاً، كلاهما عاقل المستصبح والمستتصحـ.

الإمام عليٌّ -كرم الله وجهه- يقول: الرجال ثلاثة؛ رجلٌ رجلٌ -يقول لك: رجالٌ، بالمعنى العامي- ورجلٌ نصف رجل، ورجلٌ لا رجل؛ فالرجل الرجل هو الذي له رأيٌ ويستشير، والرجل نصف الرجل هو الذي له رأيٌ ولا يستشير، والرجل الذي لا رجل هو الذي لا رأي له ولا يستشير .

إن كنت تملك رأياً راجحاً فأنت رجل، أما إذا كنت تملك رأياً راجحاً وتستشير فأنت رجلٌ رجل، أي رجل مربع، رأي من دون استشارة نصف رجل، لا رأي ولا استشارة لست رجلاً.

هذا ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم :

الشيء الآخر: النبي -عليه الصلاة والسلام- أمره الله عزّ وجلّ أن يشاور أصحابه، فقال تعالى:

﴿وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأُمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

الإنسان يستشير بموضوع زواج، بموضوع تجارة، بموضوع فتح محل تجاري، بموضوع استثمار مال، بموضوع سفر، بموضوع شراء بيت، هذه أشياء تعارف الناس على أنها تتفع فيها المشورة، قبل أن تقدم أسأل، قبل أن تعقد قرانك على هذه الفتاة اسأل عنها، اسأل عن أهلها، عن أخلاقهم، عن مستواهم، عن ورعيهم، عن استقامتهم، قبل أن تشارك فلان اسأل عنه، هل هو

مستقيم أو منحرف؟ قبل أن تشتري هذا البيت، قبل أن تسفر، قبل أن تعمل، قبل أن تفعل، لا بد من أن تستشير.

فذلك: النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((منْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذني في سندهما]

وفي حديث آخر: عن أبي هريرة، أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مر على صيحة من طعام، فأنزل يده فيها، فقالت أصابعه بللا، فقال:

((يا صاحب الطعام ما هذا؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلأ جعلته فوق الطعام حتى يرأه الناس؟ ثم قال: منْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا))

مطلاً لو غشت مجوسيًا فلست مسلماً.

قاعدة :

يوجد عندنا قاعدة: الإنسان عليه أن يشاور وعليه أن يستخير، الإنسان الناجح الموفق. من استشار الرجال فقد استعار عقولهم.

عليه أن يستشير، وعليه أن يستخير، الاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين، لأن غير المؤمن يغشك، والمؤمن الذي لا خبرة له، كيف ينصحك؟ لا بد من توافق الخبرة والإخلاص:
﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

[سورة القصص الآية: ٢٦]

القوة في العلم والأمانة والإخلاص، فذلك الإنسان الناجح في عمله الموفق، الذي يطبق سنة النبي عليه الصلاة والسلام يستشير ويستخير، يستشير أولي الخبرة من المؤمنين، ويستخير الله عز وجل في كل المباحثات، إياكم أن تظنوا أن المؤمن يستشير أو يستخير في الأمور التي نص على حرمتها الشرع، هذا كلام مرفوض، لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٦]

الاستشارة والاستخاراة في الأمور المباحة، بعد أن تستشير أخوانك المؤمنين أولي الخبرة المعتمدين، بعد أن تثق من دينهم، ومن خبرتهم، ومن إخلاصهم، لك تستشيرهم فيشيرون عليك.

أحكام الاستخاراة :

الآن تنتقل إلى موضوع الاستخاراة تستخير الله عز وجل.

أحكام الاستخاراة: إن المؤمن عليه أن يصلّي ركعتين نافلتين، وللّه أن تُعدّ بعض السنن الرواتب صلاة استخارة، لو أنك صليت قبل الظهر ركعتين أو بعد الظهر ركعتين فهي صلاة استخارة أيضاً، بل إن بعض العلماء أجازوا أن تصلي ركعتي تحيّة المسجد كصلاة استخارة؛ أي أن المؤمن يصلّي ركعتين؛ إما نافلتين، أو من السنن الرواتب، أو من سنة تحيّة المسجد، وبعدها يدعى بهذا الدعاء، ويقول:

((اللهم إني أستخلك بعلمك - أنت تعلم يا رب - وأستقدر بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.

خذ هذه الآية شعاراً لك في حياتك :

-المشكلة: أنه يوجد أشياء بالحياة تبدو براقة، فإذا أقبلت عليها كانت لغماً منفجراً، يوجد أشياء تبدو غير براقة، فإذا أقدمت عليها كان فيها الخير الكبير، فأنت لا تعلم ولكن الله يعلم، قد يكون في هذه التجارة التدمير الكامل، وقد يكون في هذه الزوجة الشؤم، وقد يكون في هذا السفر الخير، لا تعرف أنت، يا ترى إذا سافرت أفضل أم إذا بقيت؟ إذا عملت بهذه المصلحة أم بهذه المصلحة؟ إذا اشتريت هذا البيت أفضل أم هذا البيت؟ إذا تزوجت فلانة أو علانة؟ فإنك لا تعلم ولكن الله يعلم، لذلك ربنا عزّ وجلّ قال - وهذه الآية لو عقلناها حق العقل وفهمناها حق الفهم، وتدبّرناها حق التدبر لوسعتنا وكفتنا -، قال:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢١٦]

ماذا نستبط من هذه القصة؟ :

هذا الذي تعرفون قصته: خطب امرأة ودخل بها فلم تعجبه، دخل بها ليلةً واحدة، وفي اليوم التالي هام على وجهه، وغاب في بلاد الشام، وهي في المدينة عشرون عاماً، وعاد بعدها إلى المدينة، حن إلى بلده وحن إلى أهله، سوال السنة: أن يصلّي في المسجد قبل أن يأتي إلى البيت -، فرأى آلافاً مؤلفة متحلقة حول شابٍ يلقي درساً في العلم الشريف فسأل عنـه، - هو اسمه أنس بن عامر -، سأـلـ: من هذا الشاب من هذا العالم؟ قالـواـ: هذا مالـكـ بنـ أنسـ، هذه الزوجـةـ الطـيـبةـ الطـاهـرـةـ التي لم تعـجبـهـ يومـ دـخـلـ بـهـ وـشـعـرـتـ أـنـهـ لمـ يـحـبـهـ، قـالـتـ لـهـ كـلـمـةـ، قـالـتـ: يـاـ أـنـسـ، قـدـ يـكـونـ الـخـيـرـ كـامـنـاـ فـيـ الشـرـ؛ـ أـيـ إـنـ رـأـيـتـيـ شـرـاـ قدـ يـكـونـ الـخـيـرـ كـامـنـاـ فـيـ، مـضـىـ عـشـرـونـ عـامـ عـادـ إـلـىـ المـدـيـنـةـ، فـإـذـاـ هـذـاـ الشـابـ هـوـ مـالـكـ بـنـ أـنـسـ اـبـنـهـ، وـقـدـ نـشـأـ نـشـأـةـ عـلـمـيـةـ طـاهـرـةـ وـفـتـحـ اللهـ

عليه-، فلما انتهى مجلس العلم، قال له: قل لأمك: إن بالباب رجلاً يقول لك: قد يكون الخير كامناً في الشر، فلما دخل على أمه، وأبلغها مقالة هذا الرجل، قالت له: يا بني إنه أبوك:
﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢١٦]

الله عزّ وجلّ قسم لك هذه الزوجة، أنت لا تعلم لكن الله يعلم، لو أنها متوسطة في ميزاتها، أنت لا تعلم والله يعلم، جعلك بهذه الوظيفة أنت لا تعلم ولكن الله يعلم، جعلك بهذا الشكل، بهذه البنية، بهذه الصحة، أنت لا تعلم لكن الله يعلم، لا يوجد عند الله خطأ، الله عزّ وجلّ لا يخطئ، وكل شيء في منتهى الحكمة.

حتى إن الإمام الغزالى -رحمه الله تعالى- يقول: ليس في إمكانى أبدع مما أعطاني.
قالت له: قد يكون الخير كامناً في الشر.

هذه الآية وحدها لو تدبرناها، الإنسان يذوب محبة الله عزّ وجلّ:
﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢١٦]

من هنا أخذ النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا الدعاء-: اللهم إني أستخلك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنتم علام الغيب.

لم تقرأ قصة سيدنا الخضر كل جمعة؟ :

-ربنا عزّ وجلّ علمنا بالقرآن قصة سيدنا الخضر، لماذا تقرؤونها كل جمعة؟ هؤلاء أصحاب السفينة الذي خرفت سفينتهم، وتآلموا وضجروا ولموا سيدنا الخضر على فعلته، ما الذي حصل بعد ذلك؟ إنها نجت من المصادر:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيَبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾

[سورة الكهف الآية: ٧٩]

إذاً: قد يكون الخير كامناً في الشر-.

ما كان الله ليغub قلباً بشهوة تركها صاحبها في سبيل الله :

اللهم إني أستخلك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنتم علام الغيب، فإن كنت تعلم أن هذا الأمر -ويسميه- خير لـي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -الدين رقم ١ ، الدنيا ٢ ، الآخرة ٣- أو قال: عاجل أمري وآجله، فقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه.

-أحياناً الإنسان يتزوج امرأة مباركة، ينجو منها أولاداً، يعيش معها حياةً مديدةً سعيدةً آمنةً.-
وعاقبة أمري وأجل أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه))
أحياناً الإنسان يتعلق بشيء تعلقاً شديداً، وفي هذا الشيء شرٌّ له، فإذا صرفه الله عنه وبقي متعلقاً
فيه انشغل، فعندما يفرغك الله من هذا الشيء ويصرفه عنك بهذه نعمةٍ كبرى، لذلك هناك حديث
شريف:

((ما كان الله ليذب قلباً بشهوةٍ تركها صاحبها في سبيل الله))
أي إذا خطبت امرأةٌ ولم يكن في هذه المرأةُ الخيرُ، وتركتها في سبيل الله، فالله سبحانه وتعالى
أعظم من أن يشغلك بها، أو يذب قلبك بحبها، هكذا دعاء الاستخارة.

دعاء الاستخارة :

فعن جابرٍ رضي الله عنهم - قال:
(كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمُنا الاستخارةَ في الأمورِ كلِّها، كما يعلمنا
السورةَ من القرآنِ، يقول: إِذَا هم بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكِعْ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِرُكَ بِعِلْمِكَ
وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَمُ
الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي
عاجلٍ أمري وأجله فاقدره لي، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ
أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عاجلٍ أمري وأجله، فاصرفه عنِّي واصرفني عنه، واقدر لي الخيرَ حيثُ
كَانَ، ثُمَّ رَضَّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حاجته))

[أخرج البخاري في الصحيح، وأبو داود والترمذى والنمسائى فى سننه]

نقطة دقة :

النقطة الدقيقة: أن الإنسان عندما يستخير ربه عز وجل، ينتظر أن يرى معجزة، أن يرى في المنام أن افعل أو لا تفعل، لا هذا كله زيادات، ما ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام، أنت إذا استخرت الله عز وجل انتهى الأمر، إذا تيسّر هذا الأمر يكون الله قد يسره لك واختاره لك، وإذا عسره أمامك يكون الله عز وجل قد صرفه عنك، أما أن تنتظر معجزات بعد الاستخارة، هذا كلام ليس من السنة في شيء، أنت استشرت أهل الخبرة من المؤمنين، ثم استخرت الله عز وجل بصلاة ركعتين، وبهذا الدعاء الذي يقطر علمًا:
إنك تعلم ولا أعلم.

من خل الواقعة ماذا يتبيّن لك؟ :

أحياناً الإنسان يسافر يكون هلاكه في هذا الطريق.

قال لي شخص، وهو طالب في الطب، حجمه صغير، مقيم ببلد بجانب حلب، قال لي: يوم الخميس توجهت لكي أركب في السيارة، جلست أول مقعد، جاء شخص ضخم الجثة فتح الباب، قال له: انزل، قلت له: لماذا أنزل؟ فمسكه وكأنه عصفور حمله ووضعه، جلس هو ورفيقه في الأمام، قال لي: نشأ في نفسي حقد إلى هذه الدرجة أنا مهان؟ لا يريد شيئاً، جلس ساعة ثانية إلى أن جاءت سيارة ثانية وركب فيها، قال لي: وصلنا بعد أربعين كيلو متراً في الطريق إلى إدلب، وجدنا السيارة مقلوبة وراكبين ميتين منها، عندما مسكك ووضعك لا تعرف أنت لماذا أنزلوك؟ فإنك تعلم ولا أعلم وعلى هذا قس، قس عليها كل شيء، إنك تعلم ولا أعلم.

خطبت عشر فتيات هذه أنساب إنسانة، هذه أنساب واحدة إلى دينك، لو كانت أحسن من ذلك قد تتسى الله نهائياً، يعرف أنك ضعيف، بعث لك واحدة متوسطة، تستعين بها على أمر دينك، فهذا الذي اختاره الله لك، فأنت اجتهد، لكن بعد أن يقع الشيء، هذا اختيار الله لك، قبل أن يقع الشيء، لك أن تجتهد، ولك أن تسأل، لك أن تفعل كل شيء، أنت مخير، لكن بعد أن تستنفذ كل الجهود، ويكون النصيب على هذه الفتاة، فهذا هو الخير، فإنك تعلم ولا أعلم، اجعل هذه الكلمة في بالك، يا رب إنك تعلم ولا أعلم.

اختارك أن تكون موظفاً طوال حياتك، فلا تتدبر حظك طوال الحياة، وتقول: الدخل لا يكفيوني، فإنك تعلم ولا أعلم، فيك علة ببعض الأعضاء ومريض طيلة عمرك ومعك آلام، فإنك تعلم ولا أعلم.

متى يرضى العبد بقضاء الله وقدره؟ :

أما الذي أعرفه أنا: حينما يكشف الغطاء يوم القيمة، وربنا سبحانه وتعالى يطلع الإنسان على كل شيء ساقه له في الدنيا، لا بد من أن يذوب محبة الله، والدليل: قول الله عز وجل:

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة يونس الآية: ١٠]

أي كل قضيتك مع الله منذ أن خُلقت حتى نهاية الحياة ملخصة بكلمة واحدة، وهي: الحمد لله رب العالمين؛ أي أن القصص التي يمكن أن تؤيد هذه الفكرة على أن الله يعلم وأنك لا تعلم، وكيف قد يكون الخير كامناً في الشر، هذه القصص لا حصر لها، لا تنتهي، أي إن هناك آلاف القصص، ملايين القصص، فإذا عرفت أن في الكون إليها عظيماً، وله حكمة بالغة ، وله قدرة قادرة، وهو العدل، وهو صاحب الفضل، السميع البصير، وأن الأمر كله بيده، وهذا قضاوه وهذا قدره وهذا تقديره ترضى بذلك، من هنا ورد في الحديث الشريف:

((الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن))

التوحيد مريح :

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:
((كُلُّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ، حَتَّى يَعْلَمَ: أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا
أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾

[سورة فاطر الآية: ٢]

أي إن هذا الإله الذي تعبده يستحق العبادة، لأن أمرك كله بيده، لو لم يكن أمرك بيده لما ركنت إليه، لما اطمأننت إلى عبادته، قد يخطر ببال العبد: يا رب سأعبدك ولكن سأعبد أيضاً من أمري بيده حتى أرضيه، يقول لك: لا، الأمر كله بيدي، هؤلاء صور، هؤلاء دمى:
﴿مَنْ دُونَهُ فَكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظَرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ
أَخْذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة هود الآية: ٥٥-٥٦]

التوحيد مريح:

ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

أنت عبد الله، ولك الله عظيم، أنت تحت رعايته وإشرافه، والأمر راجع إليه، فحط كل ثقلك عند بابه؛ أي فوض الأمر له.

يسن في صلاة الاستخاراة ما يلي :

يسن في هذه الصلاة: أن تقرأ في الركعة الأولى: قل يا أيها الكافرون، وفي الثانية: سورة الإخلاص.

أعيد عليكم الدعاء مرة ثانية لأنه دقيق جداً:

((اللهم إني أستخلك بعلمك، وأستدرك بقدرتك.

-أي أنت أمام عشر قطع من الذهب، صاحب المحل يعرف هذه أربعة وعشرين قيراطاً، هذه ثمانية عشر قيراطاً، هذه ستة عشر، هذه نحاس مطلي، هذه نحاس، هذه تنك وكله أصفر، أنت لا تعرف، قال لك: انتق، أستاذ افرض لو طلعت تنك، تقول له: أنت انتق لي، لأنه هو الذي يعرف،

لما أنت فوضته أن يختار لك، هو يعرف، أعطاك عيار أربعة وعشرين، قلت له: أنا أريد أن أنتق، فانتقيت التناك.-

إِنِّي أَسْتَخِرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدُرُ لَا أَقْدُرُ، وَتَعْلَمُ
وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي.

-الدين سليم والدخل قليل فأنت نجوت، الدين سليم وعندك مرضان أو ثلاثة أمراض ، فقد نجوت أيضاً، الدين سليم والزوجة سيئة فقد نجوت، الدين سليم والبيت صغير نجوت أيضاً، الدين سليم وهناك متاعب في العمل كبيرة فقد نجوت، الآن بيت واسع ودين رفيق لم تنج، الدخل كبير والدين رفيق لم تنج.

الله أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشرنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مررنا، واجعل الحياة زادنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

وَعَاقِبَةُ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلٍ أَمْرِي وَآجِلٍ فَاقْدِرْهُ لِي.

-يا رب، إذا كان فيه خير لدينا وسأزداد قرباً منك بهذا العمل، إذا هذه المرأة تزوجتها فسأزداد قرباً منك فاجعل أهلها يوافقون، وإذا كانت هذه بداية الفسق والفجور، ومن أجل إرضائهما أخسر كل ديني، فيما رب لا أريدها بهذه شر، وهي لغم وليس زوجة.-

فَاقْدِرْهُ لِي وَيُسِرِّهِ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي
وَعَاقِبَةُ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلٍ أَمْرِي وَآجِلٍ فَاصْرِفْهُ عَنِّي

-ولكن أروع شيء في الدعاء هو: واصرفي عنك، فلا أتنكره وأنتم ويحرق قلبي من أجله.-

وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ.

نهاية المطاف :

-قال له: يا رب هل أنت راضٍ عنِّي؟ وكان الإمام الشافعي ماشياً وراءه أثناء الطواف، فقال له:
هل أنت راضٌ عن الله حتى يرضى عنك؟ فقال له: يا سبحان الله! من أنت يرحمك الله؟ قال له:
أنا فلان، قال له: كيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه؟ قال له: إذا كان سرورك بالنفقة كسرورك
بالنعمـة فقد رضيت عن الله.

سيدنا إبراهيم مثل كبير جداً، قال له: اذبح ابنك، هل أنت تحملها؟ حينما رضي بهذا الأمر، فداء
الله بذبح عظيم، الله امتحنه ونجح بالامتحان.

أحياناً تجد أن أبواب الشر كلها مفتوحة، أبواب الدخل الحرام كلّها مفتوحة، أبواب الحلال مغلقة، ماذا تفعل؟ أنا مضطرب وعندني أولاد، فقد سقطت في الامتحان، أما المؤمن يقول لك: والله أموت من جوعي ولا آكل درهماً حراماً، الآن سيكفيك الحلال بوفرة.

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

كل شيء بالحياة امتحان، أروع شيء أن الإنسان يُمتحن وينجح بالامتحان.-

(ويسمى حاجته)

هذا الحديث والدعاة رواه الإمام البخاري، والبخاري -كما تعلمون- أصح كتابٍ بعد كتاب الله، وكل حديثٍ ورد في البخاري أو في مسلم أو في الكتب الصحيحة الست فهو حديثٌ صحيح، وسوف نتابع هذا الموضوع في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية : الحقوق - حق المسلم على المسلم - الدرس (٢ - ٨) : حق النصيحة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٩-١٢-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من حقوق المسلم على المسلم النصح له :

أيها الأخوة الأكارم، لا زلنا في حقوق المسلم على المسلم، وقد ذكرت في الدرس الماضي: أن من أجل هذه الحقوق النصح له، إذا غش المسلم أخيه فليس مسلماً، ما الذي يقابل النصيحة؟ الغش أو الخيانة، والغاش ليس مسلماً، والخائن ليس مؤمناً، أما الدليل: النبي - عليه الصلاة والسلام - قال:

((منْ غَشَنَا فَلَيْسَ مِنَّا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى في سننهما]

النبي نفى أن يكون منتمياً إلى هذا الدين، بل هناك حديث آخر: عن أبي هريرة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر على صبرة من طعام، فادخل يده فيها، فنالت أصابعه بيللاً، فقال:



((يا صاحب الطعام ما هذا؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلأ جعلته فوق الطعام حتى يرآه الناس؟ ثم قال: منْ غَشَ فَلَيْسَ مِنَّا))

لو غششت مجوسيًا فأنت لست مسلماً، مجوسيًا عابد صنم ملحداً، إنه مخلوقٌ من مخلوقات الله عز وجل:

الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

فإذا غششت فلست مسلماً، وإذا خنست فلست مؤمناً، والدليل:

عن أبي أمامة قال:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : يُطْبِعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخَلِيلِ كُلُّهَا إِلَّا الْخِيَانَةُ
وَالْكُذْبُ))

ما الذي يقابل الغش والخيانة؟ النصح، أن تكون نصوهاً، والنبي -عليه الصلاة والسلام- وصف المؤمنين فقال:

((المؤمنون نصحة متوادون ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون غشة متحاسدون ولو اقتربت
منازلهم))

إذاً: أكبر حق عليك، وأول حق عليك، وأوجب حق عليك تجاه أخيك المسلم: أن تتصح له.

ما معنى النصيحة؟ :



النصيحة هي إصلاح خلل وسد ثغرة

ما معنى النصيحة؟ .

جرت عادة العلماء على أن يبدؤوا التعريف بالتعريف اللغوي، إذا قلت: نصحت، ما معنى نصح في اللغة؟ علماء اللغة قالوا: نصح الرجل ثوبه إذا خاطه.

كأن النصيحة التي أرادها النبي عليه الصلاة والسلام: إذا رأيت خللاً في ثوب أخيك، عليك أن تتصح هذا الخلل؛

أي أن ترفو هذا الخلل، أي أن تخيط هذا الخلل، أي أن تسد هذه الثغرة، أي أن تخيط هذا الثوب، فالنصح بالمعنى اللغوي الخياطة، نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، نصحت أخي المسلم، أي وجدت في ثوبه خرقاً أو ثغرة فأحكمت إغلاقها، وهذا معنى، المعنى الثاني: نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، فهذا عسل نصوح؛ أي مصفي.

الآن: ما علاقة النصح بهذا المعنى؟ إذا قدمت لأخيك النصيحة؛ أي قدمت كلاماً صحيحاً حقاً خالصاً دقيقاً، لا يوجد فيه شائبة وهذا حق.

يا أيها الأخوة الأكارم، الذي أراه أن الكلام انتهى دوره، لكثرة الكلام المُنمَق، لكثرة الفصاحة، لكثرة البيان، الكلام انتهى دوره ولم يبق إلا العمل، لذلك مهما صافحت أخاك المسلم ، ومهما شدلت على يده، ومهما كان لقوتك له حاراً إذا غشسته، أو إذا أخفيت عنه العيب، أو إذا أضلته، أو إذا حاولت أن تصرفه عن شيء مهم، فأنت لست مسلماً، وليس هذا مجتمع المسلمين، ومثل هذا المجتمع لا يحق أن ينصره الله عزّ وجلّ، لذلك:

الدّين النّصيحة.

يجب على المسلم :

يجب أن تتصح المسلمين من خلال عملك في الدرجة الأولى قبل الحديث، كل في عمله؛ الطبيب في عيادته، والمحامي في مكتبه، والتاجر في حانوته، والبائع في دكانه، والموظف وراء طاولته، هذا الذي أمامك إن كان مخلوقاً فهو مخلوق لله عليك أن تتصح له، وإن كان مسلماً له عليك حفان؛ الحق الأول هو الأخوة في الإنسانية، والحق الثاني هو الأخوة في الدين، يجب أن تتصح له، والنصح الكلام المصفى كالعسل، والنصح الكلام الذي لا شائبة فيه، والنصح إحكام الخل، إغلاق الثُّغْرَة وهذا هو النصح، لذلك: هذا المعنى أساسه لغوي وانتقل إلى المعنى المجازي، والمؤمن ناصح ونصح، من صفات أهل الإيمان أنهم نصحة متوادون، من صفات أهل التِّفاق أنهم غشّة متاحسدون.



يجب أن تتصح من خلال عملك

الله سبحانه وتعالى يقول على لسان سيدنا نوح:

﴿أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ
وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية: ٦٢]

من الذي يجب عليه أن ينصح؟ هو الذي يعلم من الله ما لا يعلم الآخرون، كل من آتاه الله علماً، من أمانة العلم أن تتصح كل المسلمين.

والآية الثانية على لسان سيدنا هود:

﴿أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

[سورة الأعراف الآية: ٦٨]

هل المسلم مكلف أن ينصح كل إنسان في كل مكان وفي كل وقت وزمان؟ :

١- النصيحة فرض كفاية :

لكن هناك سؤال دقيق، وهذا السؤال: هل أنا على أن أُنصح كل إنسان، في كل مكان ، في كل وقتٍ وزمان، ليس هناك استثناء؟ .

قال العلماء: النصيحة فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل.
يعني إذا كنتم جماعة في نزهة، ورأيت إنساناً يعذب حيواناً، إذا تكلم أحد هؤلاء ناصحاً، سقط الوجوب عن بقية الحاضرين.

إذاً: النصح فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الكل.
هذا الحكم الأول.

٢ - مثل هذه الحالة أعنف الشرع من أن تتصحّه:

الحكم الثاني هو: إذا غالب على ظنك إذا تيقنت، أو غالب على ظنك أن هذا الإنسان لا يقبل النصيحة بل سيستهزئ بها لأنه ينكر أصل الدين، إذا قلت له: يا أخي قال الله تعالى، يقول لك: أو مصدق أن هذا كلام الله؟ مثل هذا الإنسان لا عليك إن لم تتصحّه، انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿فَكَرِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَ﴾

[سورة الأعلى الآية: ٩]

انطلاقاً من حديث النبي - عليه الصلاة والسلام - أن لا تضيع الحكمة في غير أهلها:
من منع الحكمة أهلها فقد ظلمهم، ومن وضعها في غير أهلها فقد ظلمهما.
إما أن تظلم الناس وإما أن تظلم الحكمة، يعني انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿فَكَرِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَ﴾

[سورة الأعلى الآية: ٩]

وانطلاقاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي إنه من تكلم في الحكمة لغير أهلها فقد ظلمها، ومن منعها أهلها فقد ظلمهم.

أول حكم في النصيحة أنها فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الكل، يعني إنسان أخطأ وكنتم جماعة، فأوجهكم أو سطكم أعلقكم أذکاكم أفصحكم، قال له: يا أخي، بأسلوب لطيف ولبق، وبقية الأخوة الحاضرين ليس عليهم أن يتكلموا أكثر من ذلك، لا تناصح من هو بعيد عن الله فهو كالحجر الصلب وإنما تصبح هذه النصيحة فضيحة، والنصيحة شيء والفضيحة شيء آخر.



الحكم الثاني: أنك إذا غالب على ظنك أن هذا الإنسان بعيد عن الدين بعد الأرض عن السماء، وأنه لا يستجيب، وأنه سيسنهزء، وأنه سيكيل للدين الشائم، وأنه بعيد عن الله كالحجر الصلب في مثل هذه الحالة أعفاك الشرع من أن تناصح له.

يعني أحياناً الإنسان يلتقي بسيارة عامة بالطريق بإنسان يسب الدين، يتكلم كلام بذيء بحق الحضرة الإلهية، فإذا نصحه ربما زدته هيجاناً، ربما زدته تفاناً، ربما حملته على أن يقول كلمة الكفر، مثل هذا من الحكمة أن تبتعد عنه.

٣- مثل هذه الحالة أعفاك الشرع من النصيحة أيضاً :

يوجد عندنا حكم ثالث: هناك حالات إذا نصحت فيها، تخشى أن يلحق بك ضرر كبير، لأن يُتلف مالك كله، أن تضيع حريرتك، أن تفقد أحد أعضائك، أيضاً في مثل هذه الحالة الشرع الحنيف أعفاك من النصيحة، إذا خفت على نفسك الضرر الكبير، وإذا كان هذا المنصوح بعيداً عن الدين بعد الأرض عن السماء، وإذا قام بهذه النصيحة أحد آخر، سقطت في هذه الحالات الثلاثة.

علم بغض هذا الحديث؟ :

الآن: الحديث النبوي الشريف الذي بين أيدينا، عن ابن ربيعة تميم الداري، من هو تميم الداري؟ هذا الذي اشتري القناديل والحبال والزيت من الشام، وأخذها إلى المدينة المنورة، وكان وصوله للمدينة يوم الجمعة أو عصر الجمعة، أمر غلاماً له فلعل الحبال وعلق عليها القناديل وملاها

بالزيت، وحينما غابت الشمس أمر غلامه أن يُسرج هذه القناديل، ودخل النبي -عليه الصلاة والسلام-، فإذا مسجده النبوي مُزهر متألق بالأضواء، فقال عليه الصلاة والسلام:



((من فعل هذا؟ قالوا: يا رسول الله تميم الداري، فقال عليه الصلاة والسلام والبسمة على شفتيه، وقد شعر أصحابه أنه رضي تمام الرضى، فقال عليه الصلاة والسلام: نورت الإسلام، نور الله قلبك يا تميم، لو أن

لي بنتاً لزوجتكها.

-لذلك هذا الحديث وحده يكفي لدفع الأخوة الأكارم إلى أن يعتنوا بمسجدهم، هذا بيت الله، هذا الذي يُسهم في إدارته، وهذا الذي يُسهم في نقل الصوت، وهذا الذي يُسهم في تنظيفه ، وهذا الذي يُسهم في حراسته، وهذا الذي يُسهم في خدمة الأخوة الكرام رواد هذا المسجد، هذا عمل عظيم، ألا يكفيانا شرفاً أن سيدنا إبراهيم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام -:

«أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي لِلطَّافِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرَّكِعِ السَّاجِدِ»

[الآية: ١٢٥ سوره البقرة]

أمر بتطهير البيت؟ لذلك إذا كان هناك من يُغبط، فهذا الأخُ الكريم الذي يعمل في خدمة مسجد الله عزّ وجل، بيت الله، خدمة بيت الله، من الذي سيجازيك؟ الله سبحانه وتعالى -. هذا تميم الداري الذي قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: نورت الإسلام، نور الله قلبك يا تميم، لو أن لي بنتاً لزوجتكها، فقال أحد أصحاب النبي: يا رسول الله، عندي بنت اسمها فلانة، فافعل بها ما تشاء، فزوجه إياها))

يعني هذا الصحابي استغل المناسبة وزوج ابنته، هذا تميم الداري كنيته أبو رقية.

هذا التعريف الجامع المانع للدين :

فَعَنْ أَبِي رُقْيَةَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ -التعريفُ الجامعُ المانعُ-: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ، فَنَّا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامِتْهُمْ))



المسلم ينصح وغير المسلم يغش، يعني
إذا دلك على شيء يغمزه، يقول له:



ارفع السعر لأن حالي المادية جيدة،

يعلم إشارات حتى يأخذ من ورائك مبلغًا من المال، من صفة أهل التفاق الغش، أما المؤمن نصوح، إذا استشرته يشير عليك ما هو صانع لنفسه، لا يمكن إذا غش المسلم أو إذا لم ينصح فقد خسر إسلامه، وقد خسر دينه:

الدِّينُ النَّصِيحَةُ.

هذا التعريف الجامع المانع للدين، هذا هو الدين.

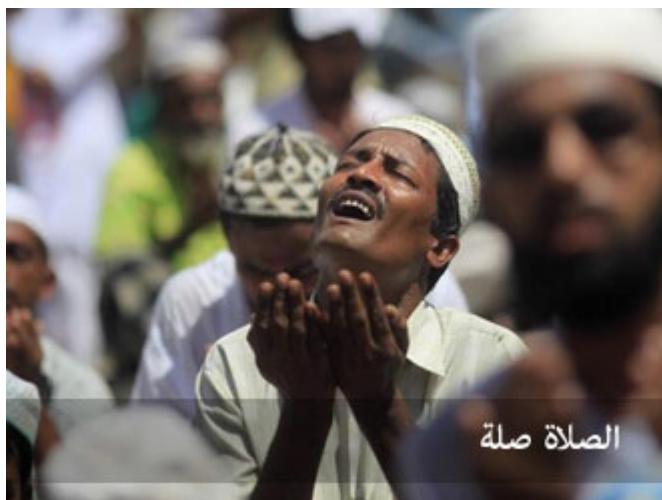
أنواع العبادات :

وقد تكلمت كلمة اليوم، قلت: إن العبادات نوعان؛ عباداتٌ شعائرية مثل: الصلاة وهي عبادة شعائرية، تقف وتقرأ الفاتحة وسورة وترکع وتسجد، الصيام تدع الطعام والشراب، الحج تذهب إلى الديار المقدسة، تخلع الثياب وترتدي ثوبين أبيضين غير مخيطين، تطوف حول الكعبة، تُقبلُ الحجر، تسعى بين الصفا والمروءة، تصدع إلى عرفات، هذه عبادة شعائرية، ويوجد عبادات تعاملية، وهي: الصدق، الأمانة، الإخلاص، عدم الكذب، عدم الخيبة، وعدم النميمة، غض البصر، وعدم سماع الغناء، ضبط اللسان، وضبط البد، ضبط الأعضاء، هذه العبادة الشعائرية تشبه ساعات الامتحان، وهذه العبادة التعاملية تشبه العام الدراسي بأكمله، فساعات الامتحان: لو أن طالباً لم يقرأ كلمةً أثناء العام الدراسي، إلا أنه أخذ أول قلم وثاني قلم وثالث قلم احتياطاً، وارتدى أجمل الثياب، وتعطر، وحمل شطيرةً ليأكلها إذا جاء، ووضع في جيبه بعض المال، وركب سيارةً فخمةً إلى الامتحان، لكنه نسي شيئاً واحداً، نسي أن يدرس فقط، أما كل شيء هيهأ سوى

الدراسة؛ الأقلام مهياً، ولباسه جيد، والعطر متغطى، كل هذه العناية بهذه الساعات الثلاث لا قيمة لها، إذا لم يسبق هذه الساعات الثالث عملٌ دؤوب طوال العام الدراسي، فالعبادات الشعائرية إن لم يمهّد لها بالعبادات التعاملية لا قيمة لها إطلاقاً.

هذه دعائم الإسلام وليس هي الإسلام :

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:
((بَنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجَّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))



هذه دعائم الإسلام وليس هي الإسلام؛
الإسلام صدق، الإسلام أمانة، الإسلام
إخلاص، الإسلام نصيحة، الإسلام
ورع، الإسلام محبة الله عز وجل،
الإسلام بذل المال والوقت والخبرة
والجاه في سبيل الله عز وجل، هذا هو
الإسلام، إذا فعلت هذا، جاء الامتحان،
وقفت في الصلاة فانهمرت دموعك،

وقفت في الصلاة فاتصل قلبك بالله، وقف في الصلاة فشعرت بالشوق إلى الله، الامتحان أنت
متهيئ له، طول العام الدراسي تعد لهذه الساعات الثالث، لذلك انتبهوا إلى تعاريف الدين،
فالصلاة وكما قال بعض العلماء هو كلام صحيح لكنه في الظاهر: أقوال وأفعال؛ تفتح بالتكبير
وتختتم بالتسليم، الصلاة صلة، والدليل:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[سورة طه الآية: ١٤]

﴿وَاسْجُدْ وَاقْرَبْ﴾

[سورة العلق الآية: ١٩]

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت الآية: ٤٥]

لو يعلم المصلي من يناجيه ما انفلت.

الصلوة مراجِّع المؤمن.

الصلوة نور.

الصلوة طهور.

الصلوة حبور.

ما الذي جعل الناس وراء الأُمم؟ :

فذلك: هذه العبادات الشعائرية، إن الذي جعل الناس وراء الأُمم: أنهم فهموا الدين عباداتٍ شعائرية فقط، ونسوا أن الدين معاملة:

الدين المعاملة.

الدين النصيحة.

رأس الدين الورع.

رأس الحكمة مخافة الله.

هذه التعاريف الخطيرة أربعة تعاريف: رأس الدين الورع.

رأس الحكمة مخافة الله.

الدين النصيحة.

الدين المعاملة.

من هنا قال أحدهم وأظنه التستيري، عبد الله التستيري قال:

والله لترك دائق من حرام، خيرٌ من ثمانين حجةً بعد الإسلام.

وقال عليه الصلاة والسلام:

((لأن أمشي مع أخي في حاجته خيرٌ لي من صيام شهرٍ واعتكافي في مسجدي هذا))

فأنا أقول لكم كلمة صريحة: الإسلام لن ينتشر إلا إذا وجد مجتمع مسلم، الكلام لا قيمة له، على مستوى مسجد إذا كان هذا المسجد يطبق الإسلام، الأخ ورع، صادق في تعامله ، مخلص في صنعته، ع EIF في نظراته، ورع في كسبه المال، دقيق في إنفاق المال، سرء كالعانية، ظاهره كباطنه، راهب في الليل فارس في النهار، يعمل، يأكل من



كده، يده علياً وخشنة من عمله، يخدم المسلمين، عضوٌ نافعٌ في المجتمع، إذا كان المسلم هكذا اتسعت دائرة الإسلام، ودخل الناس في دين الله أزواجاً، وإذا فهمنا الإسلام عبادةً شعائرية؛ قيام، وركوع، وسجود، وصيام، وحج، وزينات، وألقاب فخمة، وبروتوكولات، وطقوس، وألبسة خاصة بالمسلمين، وعطر خاص لهم، وحفلات خاصة، وطرق، والحلوى وما شاكل ذلك، إذا فهمنا الدين بشكلٍ شعائرٍ بشكل طقوس انتهى الدين، الدين أكبر ثورة اجتماعية في الأرض، حينما يظهر الدين في مجتمعٍ يصبح مجتمعاً آخر، يوجد فيه كل علاقاته، لذلك حينما فهمنا الإسلام صلاةً وصياماً، قال سيدنا عمر:

من شاء صام ومن شاء صلى ولكنها الاستقامة.

كيف يكون النصح لله؟:

١ - أن تؤمن به، وأن تدعوا الناس للإيمان به :

الدين النصيحة، قلنا:

((إِنَّمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامِّتِهِمْ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والنمساني في سننهما]

اجعل هذا الكلام في بالك، سأحاول فيما تبقى من وقت الحديث أن أشرح هذه النقاط الأربع:

أولاً النصح؛ أي أن تتصح نفسك أو أن تتصح غيرك، الجواب: الحديث يحتمل كلاً المعنيين، أن تتصح نفسك أولاً، وأن تتصح غيرك ثانياً، كيف النصح لله؟ أي أن تؤمن به، أن تؤمن به أنت،

وأن تدعوا الناس للإيمان به، من خلال شرح آياته، وشرح نعمائه، وشرح بلائه، ونفي الشرك عنه، أن تقنع نفسك بالتوحيد، وأن تبعدها عن الشرك الجلي والخفى، وأن تنبئ الناس إلى ما قد ينزلقون فيه من شركٍ خفى أو جلى، عدم الإلحاد بأسمائه وصفاته، إذا نفيت علمه فقد أحدث بأسمائه؛ إذا نفيت حكمته، إذا نفيت رحمته، إذا نفيت تقديره، إذا نفيت عزّته، إذا نفيت أن دينه لا يصلح، أنت تلحد باسمه، تلحد بهذا الدين القويم، النصح لله: أن تتصلح نفسك، أن تعرفها بالله عزّ وجل، وأن تعرف غيرك.

٢- أن تبني عنك جميع النقائص :

شيء آخر: أن تبني عنك جميع النقائص.
 هذا الشيء الذي تترفع أنت عنه، بإياك أن تصف الله به، بشكل أن الله عزّ وجل خلق الإنسان منذ الأزل وقدر عليه أن يكون شيئاً، فيأتي إلى الدنيا ماذا يفعل الإنسان؟ فيقول: كاسات معدودة بأماكن محدودة، فيشرب الخمر، لأن الله قدر عليه هذا الشرب، ولم يهتد، لأن الله قدر عليه الضلال، فإذا جاء الموت كان في جهنم إلى الأبد، أتفعل أنت هذا مع تلميذ لك، مع صانع عندك، مع مأمورٍ عندك؛ تغرس عليه الشر وتتجبره عليه وتعاقبه عليه؟ يجب أن تبني عنك ما لا يليق به، وهذا معنى قولنا سبحانه وتعالى: سبحان الله، هذا التسبيح هو التنزية والتمجيد، أن تطيعه وأن تدعوا الناس لطاعته، هذا هو النصح له، وأن تجتنب معصيتك وتحذر الناس من معصيتك، وأن تحبّ فيه وأن تبغض فيه، أن تبني كل علاقاتك على أساس محبة الله عزّ وجل، فالذي يحبه الله أنت تحبه، والذي لا يحبه فلا تحبه، قد يكون هنا علاقات عمل لا يوجد مانع، علاقات العمل لا علاقة لها بالمحبة والكرابحة، أما أن تقيم مع إنسان علاقة حميمة، أن تسهر معه إلى أنصاف الليالي، أن تستمتع بحديثه وهو مُلحد، وهو عاصٍ، وهو شارب خمر، من أنت؟ أنت مثله، إذاً أنت تتبع عن معصيتك، وأن تقبل على طاعته، وأن تحبّ فيه، وأن تبغض فيه، وأن توالي من يواليه، وأن تعادي من يعاديه، وأن تجاهد في سبيله، تجاهد نفسك وهواك، وأن تعرف بنعمه وأن تشكره عليها، وأن تخلص له في جميع الأمور، هذا معنى النصح لله، أو لاً أنت عليك أن تعرفه، عليك أن تبعده، عليك أن تطيعه، وعليك أن تحبه، عليك ألا تشرك به، عليك أن توحده، عليك أن تنزعْه، وأن تسبّه، عليك أن تدعوا الناس إليه، هذا هو النصح لله.

يعني أحياناً الإنسان يلتقي بشخص في سفر، هذا أخ لك في الإنسانية، ا ADVISED him وحدثه عن الله عزّ وجل، أي حديث آخر سخيفٌ ونافعٌ، يعني ماذا تفعل؟ أي حديث آخر سماه العلماء اللغو:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْلُّغُوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٣]



تعظيم القرآن

أما النص لكتاب الله؛ أن تؤمن بأن هذا كلام الله، وأن تدعوا الناس للإيمان به، وأن تؤكّد لنفسك ولغيرك أن هذا الكلام ليس كلام البشر، كلام آخر كلام معجز، وأن تعظم القرآن ، وأن تتلوه آناء الليل وأطراف النهار، أن تتلوه حق تلواته، بدءاً من التجويد وانتهاءً من التفسير، وأن تخشع عند قراءته، وأن تصدق ما جاء فيه، وأن تعتنى

بمواعظه، وأن تتفكر في عجائبها، وأن تعلم بمحكمه، وأن تسلم بمتشابهه، وأن تبحث عن عمومه وخصوصيه، وأن تنشر علومه في الناس، هذا النص لكتابه، كتاب الله؛ هذا منهجه، هذا دستورك، هذا الذي نعيش من أجله.

هذه تعلیمات الصانع، وأنت آلة معدّة، لا يوجد إنسان عنده آلة غالیة، فأنا أعدّ هذا شيئاً عاماً، لا يوجد إنسان عنده آلة غالیة، غالیة الثمن، عظيمة الخطّر، معقدة التركيب، إلا وهو حريصٌ عليها حرضاً لا حدود له، من حرصه على هذه الآلة يسعى لتنفيذ تعلیمات الصانع تتفیضاً حرفاً، وقد يكون أحياناً شكلاً، وقد يكون أحياناً مضنياً، آلة ثمنها



اعتن ببدينك إعتناءك بجسمك

ثلاثمائة وخمسون ألف، والله لا يوجد منها هكذا يقول لك، وقف لا تشغله حتى تبرد، إن أخذ مكيفاً يقول: إياك أن تطفئه اتركه يعمل حسب التعليمات، لماذا أنت حريصٌ كل هذا الحرص على هذا المكيف، ولست حريصاً على هذه النفس التي ملك الله إياها؟ لماذا لم تحرص على هذه النفس التي قال الله عنها: قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسها؟.

لو أن أحداً عينه مريضة لا ينام الليل، أو لا يطلب موعداً، يقول له الطبيب: بعد شهرين فيقبل، قبل أن يلتقي بالطبيب، يقول لك: ثلاثمائة ليرة، مائة وخمسون، قبل أي لقاء وبكل بساطة يدفع، لأن العين -كما يقول عامة الناس- غالية على صاحبها، فإذا كانت نفسك بهذا الغلاء فعليك أن تعتنى بها، من هنا قال الله عزّ وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾

[سورة المائدۃ الآیة: ۱۰۵]

أي اعنتوا بأنفسكم، عليك به؛ أي اعتن به.

ما معنى النصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

ومعنى النصح لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أيضاً أن تصدقه على أنه رسول الله، وعلى أنهنبي الله، وأن تبين للناس حرص هذا النبي، ورحمة هذا النبي، تبين للناس صواب أقوال هذا النبي، حكمة سنته، وأن تتصرّه حياً وميتاً، حياً معروفة، أما ميتاً: بالدفاع عنه.

إذا وقف إنسان في مجتمع في احتفال، وانتقص من النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأنت تستطيع أن ترد عليه، تبقى ساكتاً؟! هذا من النصح لرسول الله، أن تتصرّر له، أن ترد الشبهات التي يقولها الناس عنه، وأن تعادي من يعاديه، وأن تولي من يواليه، وأن تعظم حقه ، وأن توفره، وأن تحبي طريقه وسنته، وأن تثبت دعوته، وأن تنشر سنته، وأن تستفيد من علومه، وأن تفقه معانيها، وأن تدعوا إليها، وأن تناط في تعليمها للناس، يعني إذا علمت الناس السنة قمت بعملٍ عظيم، لأن السنة تبين القرآن الكريم، والقرآن منهج الإنسان، لا يوجد عمل أجل في الحياة بعد تعليم القرآن من تعليم السنة، والسنة والقرآن مصدران أولان كباران من مصادر التشريع الإسلامي، والتآدب عند قراءة السنة:

هناك من يفتح كتاب السنة وهو متوضئ من باب التآدب، هناك مجموعة أداب أثرت عن السلف الصالح عند قراءة كتب السنة، والتخلق بأخلاق النبي، والتآدب بآدابه، ومحبة الله وأصحابه، وبغض أهل البدع في السنة، وبغض من يتعرض لأصحاب رسول الله.

قال له:

((يا سلمان، لا تبغضني فتفارق دينك، فقال سلمان: كيف أبغضك وبك هدانا الله؟ قال: يا سلمان
تبغض العرب فتبغضني))

فهذا الذي يغمس من قناة الأمة العربية، يحاول في كل مجلس أن يطعن في هذه الأمة ؛ متختلفة، كذا وكذا، هذه أمتك، وهذه أمة نبيك، وإذا تعترّرت في آخر الزمان، أنت أن تحطمها؟!!.

هذه معنى النصيحة لأئمة المسلمين :

بقي معنى النصيحة لأئمة المسلمين، قال: بمعاونتهم على الحق.

فأنت إذا كنت موظفاً في دائرة، يوجد شخص أعلى منك، مشى في اتجاه أن يصدر قرار، فيه إبعاد للناس عن الحق، ولك مكانةٌ عنده، ويستمع إليك ويأخذ بآرائك، أنت إذا نصحته ووجهته، وبينت له الحق، وقلت له: هذا الشيء لا يجوز ولا ينبغي أن يكون في هذا المجتمع المسلم، فإذا

أخذ برأيك فقد أعنـتـه، وهذا نـصـحـ وـلـةـ الـأـمـرـ، هـذـاـ الـوـالـيـ إـنـسـانـ، أـولـيـ الـأـمـرـ منـ بـنـيـ الـبـشـرـ، فـإـذـاـ أـنـتـ نـصـحـتـهـ وـبـيـنـتـ لـهـ فـلـكـ أـجـرـ كـبـيرـ، إـذـاـ أـنـ تـعـيـنـهـ عـلـىـ الـحـقـ، وـأـنـ تـنـتـهـيـمـ، وـأـنـ تـذـكـرـهـ بـرـفـقـ وـلـطـفـ.

فـالـلـهـ عـزـ وـجـلـ عـلـمـنـاـ حـيـنـ قـالـ لـسـيـدـنـاـ مـوـسـىـ وـأـخـيـهـ هـارـونـ:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا﴾

[سورة طه الآية: ٤٤]

فرعون قال:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾

[سورة النازعات الآية: ٢٤]

وـمعـ ذـلـكـ: رـبـنـاـ عـزـ وـجـلـ قـالـ لـسـيـدـنـاـ مـوـسـىـ وـهـوـ نـبـيـ عـظـيمـ:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا﴾

[سورة طه الآية: ٤٤]

وـإـعـلـامـهـ بـمـاـ غـفـلـوـاـ عـنـهـ، وـتـأـلـيفـ قـلـوبـ الـمـسـلـمـينـ لـطـاعـتـهـمـ، وـأـلـاـ تـنـشـيـ عـلـيـهـمـ شـاءـ كـاذـبـاـ، هـذـاـ كـلـهـ مـنـ النـصـحـ لـوـلـةـ الـأـمـرـ.

هـذـاـ يـرـىـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ :

لكـنـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ يـرـوـنـ أـنـ وـلـةـ الـأـمـرـ تـعـنـيـ شـيـئـاـ آـخـرـ، وـهـمـ أـئـمـةـ الـدـيـنـ، وـعـلـمـاءـ الـدـيـنـ، يـعـنـيـ هـذـاـ عـالـمـ لـيـسـ مـعـصـومـاـ، فـإـذـاـ زـلـتـ قـدـمـهـ، أـوـ إـذـاـ أـخـطـأـ كـنـ لـهـ نـصـوـحـاـ وـلـاـ تـكـنـ لـهـ فـضـوـحـاـ. الـنـبـيـ -عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـاـمـ- مـعـصـومـ لـاـ شـكـ فـيـ ذـلـكـ، وـلـيـسـ أـحـدـ بـعـدـ مـعـصـومـاـ، الـوـليـ مـحـفـوظـ، مـاـ فـرـقـ بـيـنـ الـمـعـصـومـ وـالـمـحـفـوظـ؟ الـمـعـصـومـ الـذـيـ عـصـمـهـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ عـنـ أـنـ يـغـلـطـ، لـأـنـ الـنـبـيـ إـذـاـ غـلـطـ، وـقـدـ أـمـرـنـاـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ أـنـ نـتـبـعـ سـنـتـهـ، فـكـأـنـ اللـهـ أـمـرـنـاـ بـالـمـعـصـيـةـ، مـسـتـحـيلـ، لـاـ يـمـكـنـ إـلاـ أـنـ يـكـوـنـ الـنـبـيـ مـعـصـومـاـ فـيـ أـقـوالـهـ، وـفـيـ أـفـعـالـهـ، وـفـيـ إـقـرـارـهـ، وـفـيـ حـرـكـاتـهـ، وـفـيـ سـكـنـاتـهـ، وـفـيـ رـضـاهـ، فـيـ غـضـبـهـ، فـيـ كـلـ أـحـواـلـهـ، مـعـصـومـ لـأـنـهـ مـشـرـعـ، مـعـصـومـ لـأـنـ اللـهـ قـدـ أـمـرـنـاـ أـنـ نـأـخـذـ مـنـهـ، وـأـنـ نـتـبـعـ أـمـرـهـ، وـأـنـ نـتـنـهـيـ عـمـاـ عـنـهـ نـهـيـ، فـمـنـ بـابـ أـوـلـىـ أـنـ يـكـوـنـ الـنـبـيـ -عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـاـمـ- مـعـصـومـاـ، وـالـعـصـمـةـ صـفـةـ لـازـمـةـ لـلـأـنـبـيـاءـ، اـنـتـهـيـ الـأـمـرـ، لـكـ مـاـ جـاءـنـاـ عـنـ صـاحـبـ هـذـهـ الـقـبـةـ الـخـضـرـاءـ فـطـلـيـ الـعـيـنـ وـالـرـأـسـ، وـمـاـ جـاءـنـاـ عـنـ مـنـ سـوـاـهـ فـهـمـ رـجـالـ وـنـحـنـ رـجـالـ، أـكـبـرـ عـالـمـ قـدـ تـرـلـ قـدـمـهـ، قـدـ يـخـطـأـ لـأـنـ الـخـطـأـ صـفـةـ مـنـ صـفـاتـ بـنـيـ الـبـشـرـ، لـكـ الـوـليـ مـحـفـوظـ، مـعـنـيـ مـحـفـوظـ: أـنـهـ لـاـ تـضـرـهـ مـعـصـيـةـ، بـمـعـنـيـ: أـنـهـ إـذـاـ زـلـتـ قـدـمـهـ سـرـيـعـاـ مـاـ يـعـالـجـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ، الـمـؤـمـنـ حـسـاسـ فـهـيـمـ فـطـنـ، يـعـرـفـ أـنـ هـذـاـ عـقـابـ أـوـ أـنـ هـذـاـ مـعـالـجـةـ بـهـذـهـ الـزـلـةـ فـيـتـوـبـ رـأـسـاـ، وـمـاـ دـامـ قـدـ تـابـ اـنـتـهـيـ الـأـمـرـ، إـذـاـ هوـ مـحـفـوظـ، إـذـاـ عـصـمـةـ لـرـسـوـلـ اللـهـ، اللـهـ عـزـ وـجـلـ عـاصـمـ، وـالـنـبـيـ مـعـصـومـ.

أن تقول: العصمة لله خطأ، الله عزّ وجل هو العاصم، والنبي معصوم، والولي محفوظ، فإذا الإنسان زلت قدمه، سبقه لسانه، تكلم كلمة الأولى ألا يتكلماها، وأنت أخ كريم في بينك وبينه نصحته، يجب أن يقول لك: جزاك الله عنك كل خير، هذه صفات العلماء، يجب أن يستمع إلى النصيحة، ولو من أصغر أخوانه، جزاك الله عنك كل خير، أنا لست معصوماً، انتهى الأمر، انتهت المناقشة كلّها، لذلك: النبي معصوم، والولي محفوظ، والنصيحة واجبة.

قاعدة :



عود نفسك على تلقي النصيحة بصدر رحب

يوجد عندنا قاعدة: ما من أحدٍ أكبر من أن يُنقَد وما من أحدٍ أصغر من أن يُنْقَد. أحياناً طفل ينتدك، هو على حقٍّ وأنت على غير الحق، عود نفسك أن تستمع إلى النصيحة تتلقاها بصدر رحب، عود نفسك أن تكون متواضعاً، عود نفسك أن لا تدعى أنك أفهم الناس، أنت واحدٌ من الناس، هكذا قال سيدنا الصديق، مع شهادة النبي الكريم له، حين قال:

لو وزن إيمان الخلق بإيمان أبي بكر لرجح.

ماذا قال أبو بكر في خطبته الأولى؟ قال: أيها الناس، لقد وليت عليكم ولست بخيركم . لا يوجد إنسان معصوم إلا النبي، ما دمت لست نبياً فأنت لست معصوماً.

إليكم توضيح هذا الكلام :

قد يسبقك اللسان، لكن أحب أن أبين لكم: الأخطاء الكبيرة والأخطاء التي يسبقها إصرار وتصميم، هذه يجب أن يترفع عنها كل من دعا إلى الله، أحياناً يسبقه اللسان، أحياناً تزل قدمه قليلاً، فانت كأخ يجب أن تتصحّه، ويجب أن تكون في نصحه لطيفاً، أي بينك وبينه ، ويجب أن يستمع إليك، ويصغي إليك، يجب أن يشكرك، يجب أن تتخذ هذا القول شعاراً لك :

أحب ما أهدى إلى أصحابي عيوبني.
أحب هدية، لو أن إنساناً قدم لك ساعة ذهبية، أو ساعة من أغلى أنواع الساعات، ثمنها عشرات الآلاف، بل



النصيحة كالهدية

مئات الألوف، وإنسان آخر نصحك نصيحة في بيتك، قال لك: يا أخي هذا العمل لا يليق بك، هذا مخالف للسنة، لو عرفت قدر هذه النصيحة لسارعت إلى تقبيل يديه، تقول له: شكرًا لك على هذه النصيحة، هكذا مجتمع المؤمنين، فيه تناصح، نصحة متوادون، لذلك إذا نصحت فأصاغ لهذه النصيحة، وتواضع للذي ينصحك، وتأدب معه، وشكره على نصيحته، وإذا رأيت أخًا كريماً لك قد زلت قدمه أو سبقه لسانه فأسد له النصح، ومن صفات المؤمنين التناصح، وكل واحد يؤخذ منه ويُرد عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء.

إذًا النصح أيضًا على علماء الدين، ومن نصهم: قبول ما روه وتقليلهم في الأحكام وإحسان الظن بهم.

قصة :

تروى قصة عن رجل جالس مع أخيه، فمر قطيع من الغنم، فقال لأحدهم: قم فخذ غنمًا واذبحها لنا، قال: أعوذ بالله أنا لا أفعل هذا، هو أساء الظن به.

هذه قصة تروى من باب أن الإنسان من الأولى أن يحسن الظن بأخيه المؤمن، أحياناً الإنسان يرى أن إنساناً وضع يده بجريب إنسان، لعل هذا الرداء رداؤه، أو لعله رداء ابنه، أنت دائمًا كمؤمن حاول أن تحسن الظن، هذا الموقف سليم، أما إساءة الظن تحتاج إلى دليل قطعي، ما دام لا يوجد دليل قطعي الأولى أن تحسن الظن.

نقطة مهمة :

مرة أنا كنت عند أحد أخ أعطاني منشفة يوجد عليها اسم فندق، أنا اضطربت هذه المنشفة خاصة بالفندق الفلاسي، فكيف وصلت إلى هذا البيت؟ تألمت وما تكلمت، بعد أشهر الله عزّ وجل سخر لي أخًا كريماً، أتبأني أن هذا الفندق يعطي هذه المناشف كل سنة لموظفيه، يقدمها هدية له، الأمر توضّح، لا تsei به الظن.

المؤمن يجب أن يغلب حسن الظن :



أخ حدثي ذات مرة، فقال لي: عندي صانع من الدرجة الأولى -القصة قديمة من أربعين أو خمسين سنة- فطلب من بائع الزبدة أن يبعث مع صانعه مائة باكيت، أتى الصانع بها،

كتاب الحقوق - لفضيلة الدكتور محمد راتب ال

أحسن الظن بأخيك المسلم قبل أن تتهمنه

عدها صاحب المحل فوجدها ناقصة واحداً، اقترب من معطف هذا الصانع فوجد في الجيب عليه، هذا ليس دليلاً قطعياً، كاد أن يطرده، كاد أن يهينه، تريث، ضبط أعصابه، بعد يومين وهو يحاسب المعمل، قال له: والله بعثنا لك مائة باكيت أخذ الصانع واحداً ودفع لنا ثمنه، نريد منك ثمن تسعه وتسعين.

-الإنسان لا يتسرع، فهذه القصة بلية أيضاً، هو عنده دليل قطعي، طلب منه مائة بعث له مائة ووجدهم تسعه وتسعين وفي الجيبة يوجد واحد، معنى ذلك: أن الصانع أخذه-. فلما ذهب ليحاسب المعمل، قال له: والله بعثنا مائة، اشتري صانعك واحد ولنا معك تسعه وتسعين، الواحد لازم هذه النقطة ينتبه لها، فالمؤمن يجب أن يغلب حسن الظن.

كيف تكون النصيحة لعامة المسلمين؟ :

قال: أما النصيحة لعامة المسلمين؛ نصيحتهم بإرشادهم إلى معرفة ربهم، بمصالحهم في دنياهم وأخرتهم، إعانتهم على أمر دنياهم بالقول والفعل، ستر عوراتهم، سد خللهم، دفع المضار عنهم، جلب المنافع إليهم، أمرهم بالمعروف، نهيهم عن المنكر برفق.

تطبيق عملي للنصيحة :

مرة قال لي شخص: البراد إذا كان وضع بشكل أُفقي، ثم وضع بشك عمودي وشغlnا، فإن المحرك يحرق على الفور، لأن الزيت يكون قد أخذ مكاناً آخر، وبعدها كنت مأشياً في الحرية، فرأيت رجلاً قد اشتري براداً من المؤسسة الاستهلاكية، ويريد أن يضعه على السيارة بشكل أُفقي، توقعت أنه لا يعرف، فانتقلت من رصيف إلى رصيف، فقلت له: هذا عندما تشغله انتظر عليه ثمان ساعات، قال لي: والله لم يقل لي أحد والله يجزيك الخير، لعله من أجل شرائه له دفع مبلغأً أساسياً بحياته، وضعه في البيت فاشتعل فاحتراق المحرك، ثمنه ألفان أو ثلاثة آلاف ليرة أو أكثر، نصيحة هذه.

من هو المؤمن؟ :

واحد في الطريق انصحه، النصح لكل مسلم، في أمر دينه وفي أمر دنياه، تجد الصيدلي كتب الدواء، وقال له: كم ملعقة قبل وبعد الطعام؟ يكتب قبل الطعام أو بخط لا يفهم، اكتب بخط واضح، كم ملعقة قبل الطعام بعد الطعام؟ هذا مسلم هذا؟ الطبيب كذلك يبين قبل الأكل بعد الأكل، فينقص كلمة فلم يفهم المريض شيئاً، ودفعه ثانية استشارة، النصح لكل مسلم ؛ طبيب، محام، صيدلي، موظف في دائرك، مواطن معه معاملة، فقل له: هذه لعند فلان وفلان وفلان، أما أن يصرفه فقط فهذا غير مؤمن، إذا كنت مؤمناً تذهب معه، هكذا المؤمن، النصح لكل مسلم.

إذاً: هؤلاء كلهم عباد الله عز وجل، لا تفرق، فكلهم عباد الله، إذا كنت مسلماً صحيحاً، يجب أن يكون وقتك كله في خدمة الخلق، من أجل أن يحبك الحق: عن جَرِيرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ((بَأَيْمَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى والنمسائى فى سننهم]

هذه البيعة، أنت مسلم ما دمت تتصح الخلق، فإذا غششتهم فلست مسلماً؛ ولو صليت وصمت وزعمت أنك مسلم، هذا أكبر حق وأول حق وأخطر حق لل المسلم على المسلم، فإذا فتحت دكاناً فانو بهذا المحل خدمة المسلمين، إذا اشتغلت أي مصلحة.

هذا الحديث لأصحاب المصالح وأصحاب المهن :

فالليوم حدثي أخ، إذا لم تضغط هذه البواري مواسير تمديدات المياه، قد يكون ثقب صغير يسبب لصاحب هذا البيت مشكلة كبيرة، فيضطر أن يكسر البلاط كله، ويكسر السيراميك، ويدفع عشرات الألوف من أجل ألا تفحص هذا الكوع، فأصحاب المصالح وأصحاب المهن، هذا الحديث لكم جميعاً، إذا كنت مسلماً فانصح في



إتقان العمل من الإيمان

عملك، يقول لك: "يا أخي الغش هو الماشي، لا هذا كلام الجهلة، لا الحق هو الماشي، قل له: السعر الفلاني وهذه ميزاته الخشب الفلاني، والنوع الفلاني، يركب لوح بللور على مساميرين فقط، يخبطوه خبطة يقع البللور، وثمنه خمسمائة ليرة، من أجل السرعة فقط، يريد الخمسة خمسة، والعشرة عشرة، أصحاب المهن، أصحاب المصالح، الموظفون، الأطباء، الصيادلة، المحامون، المسلمين جميعاً، لا يوجد إنسان ليس له عمل، اناصر له، باعه طقم كنباة أول جلسة نزل، يا أخي نزل، قال له: جلست عليه، ما هذا الطقم الكنباة؟ تأخذ طاولة أول يوم، ثاني يوم تطبع الفورميكا، الحذاء عياره جمعة، ويقول لك: هل لبسها ابنك؟ يعني لا يلبسه، النصح لكل مسلم، بهذا الغش

انعدمت البركة، تربح كثيراً وتذهب مصادرات كثيراً، بالمائة ألف بالمائتين ألف مصادر، هذا كله لأنه مال حرام.

أمر خطير :



الغش في الأصباغ أمر خطير ومؤذن

هذا أيضاً في الغذائيات، يوجد شيء خطير جداً، لأنها كلها أصباغ صناعية، أصباغ بلاط يضعونها في السكاكر، إذا لا يوجد خوف من الله هذا شيء يخوف، مواد كلها انتهى مفعولها فرضاً، يضعون مع الزعتر أحياناً نشرة خشب، كل هذا وارد، إذا فقد الدين من المجتمع، أصبح الأمر مخفياً، وتصبح تخاف من كل شيء، هذه

الأشياء الأجنبية المستوردة، يضعون فيها مواد مخفة من الكوكائين، من أجل الإدمان، تجد الطفل يريد هذا الشراب فقط أو هذه الأكلة باستمرار، يوجد مواد مخفة جداً، تجد الطفل إذا أكلها مرة أو مررتين يحبها دائماً، يبيع حاجاته ويشتريها، إذا كان فقدت الدين فقدت كل شيء، لذلك: يا موسى خفني وخف نفسك وخف من لا يخافي.

إذا الإنسان لا يخاف من الله فخف أنت منه:

((بَأَيْمَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

نهاية المطاف :

الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع: من استبد برأيه هلك، ومن استشار الرجال استعار عقولهم. وقد روی عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وما استغنى مستبد برأيه، وما هلك أحد عن مشورة .

-إياك أن تستبد برأيك، اسأل أخوانك المؤمنين، اسأل أولي الخبرة من المؤمنين الصادقين. حديث خطير:-

رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وما استغنى مستبدٌ برأيه، وما هلك أحدٌ عن مشورة، فإذا أراد الله بعده هلكةً، كان أول ما يهلكه رأيه))

لهذا نحن ندعو على أعدائنا، ونقول: اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم .

إذا الإنسان استبد برأيه، وتكبر، وركب رأسه، ورفض النصيحة، قد يكون دماره في تدبيره.

والحمد لله رب العالمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-١٧-١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ما ذكر سابقاً :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا في موضوع الحقوق، وكما تعلمون أداء الحقوق واجب، أداء الحقوق من العدل والعدل قسري، لكن الإحسان اختياري، فلذلك موضوع الحقوق موضوع مصيري.

تحدثنا - كما تعلمون - عن حقوق الزوجة على زوجها، وعن حقوق الزوج على زوجته، وعن حقوق الأبناء على الآباء، وعن حقوق الآباء على الأبناء، وانتقلنا قبل أسبوعين إلى موضوع جديد، وهو: حقوق المسلم على المسلم.

أي مسلمٍ تنتقي به له حقٌّ عليك، وهذا الحق الذي له عليك يصبح عليك واجباً، ومن تعريفات الواجب: أن فاعله يُثاب وتاركه يُعاقب، ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه، هذا هو الواجب، فلذلك موضوع الحقوق موضوع مصيري وموضوع خطير تتعلق به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، تحدثنا عن هذه الحقوق عن حقٍّ واحد هو حق النصيحة، إن أخاك المسلم له عليك حق النصيحة، وواجبٌ عليك أن تشير عليه ما أنت صانعٌ لنفسك في كل مجالات الحياة، وما لم تكن كذلك فلست مسلماً.



كل مسلم تلتقي به له حق عليك

من حقوق المسلم على المسلم :



الآن ننتقل إلى حق آخر من حقوق المسلم على المسلم: إن هذا الحق هو إجابة الدعوة، أخوك دعاك، له حق عليك أن تجيب دعوته، وواجبٌ عليك أن تلبي هذه الدعوة، فإجابة الدعوة حق واجبٌ على المسلم لأخيه المسلم، لماذا؟ لأنها تحقق معنى الأخوة، والأخوة من معانيها المساواة، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٠]

من لوازم الأخوة في الله، من لوازم الأخوة في الدين، من لوازم الأخوة في الإسلام: أن تجيب دعوة أخيك في شتى المناسبات، وتلبية الدعوة -أيها الأخوة- إجابة الدعوة تحقق الأخوة وتزيد في الود وتصفي النفوس فيما بينها.

الإسلام حث عليها واعتبر الممتنع عنها عاصيًّا، عد الإسلام الممتنع عن تلبية الدعوة عاصيًّا، والدليل:

عن أبي أبيه الأنصاري -رضي الله عنه- قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: ست خصالٌ واجبةٌ للمسلم على المسلم، من ترك شيئاً منها فقد ترك حقاً واجباً: يجيئه إذا دعا، وإذا لقيه أن يسلّم عليه، وإذا عطس أن يشمّته، وإذا مرض أن يعوده، وإذا استنصره أن ينصح له))

عن أبي هريرة، أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:

((الْمُؤْمِنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ: يَعُوذُ إِذَا مَرِضَ، وَيَشْهُدُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِيبُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسْلِمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقَيْهُ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَنْصُحُ لَهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهَدَ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى والنمسائى في سننهم]

ويعنينا من هذا الحديث الفقرة الأولى: يجيئه إذا دعا.

طبعاً يوجد أحاديث أخرى بروايات أخرى، تشير إلى حق سادس: ألا وهو إذا مات أن يتبعه؛ أي أن يشيشه.

إِشارةٌ لطيفةٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ :

وَعَنْ جَابِرِ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : إِذَا دُعِيَ أَهْدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلَيُجِبُ، فَإِنْ شَاءَ طَعَمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

في هذا الحديث إشارةٌ لطيفةٌ جدًا إلى أن المراد من هذه الدعوة اللقاء، هذا الذي لا يجيء الدعوة، لأنَّه يعني من حميَّةٍ قاسية، كأنَّ هذا الكلام يضمن أن الدعوة من أجل أن يأكل ويشرب، الحديثُ دقيقٌ جدًا: أن تأكل عند أخيك وأن تشرب شيئاً ثانويًا، ولكن الشيء الأساسي هو أن تلتقي به، هذا اللقاء يضمن المودة والمحبة والآلفة والتفاهم، هناك بعض الأشخاص يبنون قصوراً من الأوهام إذا تم اللقاء والتواصل، ذاتت هذه القصور من المشكلات ومن التصورات ومن الآلام ومن الغضب، فيبدو أن اللقاء شيءٌ مهمٌ جدًا في علاقات الأخوة الإسلامية:

((إِذَا دُعِيَ أَهْدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلَيُجِبُ، فَإِنْ شَاءَ طَعَمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

ليس شرطاً أن تأكل؛ أنت صائم، أنت في حميَّةٍ شديدة، لقد تناولت طعام الداء، فنقول: يا أخي حسيبها على، هذه حسيبها عليك ولم يحسبيها، العبرة أن تلتقي بأخيك، وأخوك حينما يدعوك معنى هذا أنه يحبك، ومعنى هذا أنه يتمنى أن تكون عنده في البيت، معنى هذا أنه يتمنى أن يلتقي بك، فاللقاء هو الأصل.



أَجَبَ دُعَوةً عَقْدَ الْقَرْآنِ فَقَدْ يَكُونُ فِيهَا خَيْرًا كَثِيرًا

حَدِيثٌ آخَرُ : عَنْ ابْنِ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ :

((عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : إِذَا دَعَا أَهْدُكُمْ أَخَاهُ فَلَيُجِبُ عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ))

فالآن أكثر الدعوات في عقود القرآن؛ أي أن الإنسان بينما يزوج ابنه ويرسل هذه البطاقات إلى أخوانه المؤمنين، يتمنى أن يكونوا في هذا الاحتفال، وقد يكون في هذا الاحتفال خيرٌ كبيرٌ؛ كلمةٌ تلقى أو نشيدٌ ينشد، أو مدحٌ للنبي عليه الصلاة والسلام.

احذر من هذه الدعوة :

وهذا الحديث الآخر رواه مسلم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :
 ((شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

أي أنك إذا اخترت من المدعويين أولى الغنى والوجاهة والشأن في المجتمع، وأهملت المؤمنين الصادقين الذين تقع مرتبتهم أحياناً في الدرجة الثانية في المجتمع، إن فعلت هذا فهذه الدعوة شرّ أنواع الدعوات، كيف؟ عليك أن تذيب الفوارق بين المجتمع، لك أقارب، لك أخوة، لك أصدقاء، لك أخوان في الله عزّ وجلّ أدعهم جميعاً، ولا تجعل أساس الدعوة الغنى، ولا أساس الدعوة الوجاهة، ولا أساس الدعوة على المرتبة الاجتماعية، ليس هذا من شأن المؤمن أبداً، المؤمن أخوه المؤمن:
 المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرقه.

فيكفي ألا تدعوه إلى هذا الغذاء، لأنه من الدرجة الثانية، لأن لباسه وسط، أنا داعي عليه القوم وهذا يفسد الحفلة، إذاً لست مسلماً أنت:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :

((شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

ما ينبغي على المؤمن أن لا يفعله :



حديث سادس:
 وعن عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :-
 ((مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يُجْبِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى غَيْرِ دَعْوَةٍ
 دَخَلَ سَارِقاً وَخَرَجَ مُغِيراً))
 فالمؤمن ما لم يدع فلا ينبغي للمؤمن
 أن يذل نفسه، ولا ينبغي للمؤمن أن
 يذهب بلا دعوة، أحياناً دعاك وحدك

فجئت مع خمسة أولاد، هو لم يهبي نفسه لخمسة أولاد، المكان محدود، والكراسي محدودة، والطعام محدود، واختارك من بين مجموعة فدعاك، فجئت مع أولادك كلهم، هذا ليس من أخلاق المسلم، أما إذا سمي أولادك واحداً واحداً بأسمائهم، أو أعطاك بطاقاتٍ خاصة لهم، عندئذِ الأمر طبيعي.

ما الحكم الشرعي في إجابة الدعوة؟ :

الآن نريد الحكم الشرعي في إجابة الدعوة: لا شك أن هذه الأحاديث التي بين أيديكم ، هذه الأحاديث السُّتُّ التي ثلتها على مسامعكم: كلُّها تؤكِّد أن تلبي دعوة أخيك، لكنكم تعلمون أن الأمر في القرآن والسنة، إما أن يكون أمر واجب، وإما أن يكون أمر ندب، وإما أن يكون أمر إباحة، وإما أن يكون أمر تهديد؛ أمر الوجوب:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

[سورة الروم الآية: ٣١]

أمر الإباحة:

﴿وَكُلُوا وَاشْرِبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٨٧]

أي مباح لكم الطعام لأن هذا أمر إباحة، أما أمر الندب:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

[سورة النور الآية: ٣٢]

أمر التهديد:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

[سورة الكهف الآية: ٢٩]

﴿سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾

[سورة الأنبياء الآية: ٣٧]

فيما ترى هذه الأوامر التي وردت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في إجابة الدعوة: هل هي أمر واجب أم أمر ندب أم إباحة أم أمر تهديد؟ .

الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في شرح صحيح مسلم يقول: لا خلاف أن المؤمن مأمومٌ بإجابة الدعوة.

ولكن هل هو أمر إجبار أو ندب؟ هنا الخلاف، هناك خلافٌ بين العلماء، هل الأمر أمر إيجاب أم ندب؟ عند السادة الشافعية هو فرض عين؛ إذا قام به البعض يسقط عن الكل، أي على كل مدعوٍ أن يلبي الدعوة، ولكن يسقط هذا الواجب إذا كان له عذرٌ شرعي، عذر أي مسافر أو مريض.

بعضهم قال: وفرض كفاية.

بعضهم قال: أنه مندوب في وليمة العرس.

إلا أن العلماء اتفقوا على وجوب الإجابة في وليمة العرس، واختلفوا في سواها، وفي سواها أيضاً بين من يرى أنها واجبةٌ ومندوبة.

على كلِّ الملخص: إن إجابة الدعوة بين أن تكون فرض كفائية، وبين أن تكون فرض عين، وبين أن تكون واجبةٌ وجوب إيجاب، وبين أن تكون واجبةٌ وجوب ندب، تترواح أحكام إجابة الدعوة بين هذه النقاط الأربع.

إذا دعى الإنسان من زميل له كتابي :

الآن يوجد عندنا سؤال دقيق، إذا دعى الإنسان من زميل له كتابي -أي من أهل الكتاب-: ما رأي الشرع الشريف في إجابة مثل هذه الدعوة؟.

قال العلماء: تجب هذه الإجابة لعموم الحكم الشرعي.

يجب عليك أن تجيب دعوة هذا الكتابي الذي دعاك إلى وليمة.

وقال بعضهم: إذا كان في هذه الوليمة منكرٌ، وبإمكانك أن تزيل هذا المنكر فلبِّ الدعوة، وإن لم يكن بإمكانك أن تزيل هذا المنكر، فلا عليك ألا تلبي الدعوة.

إذا كان هناك اختلاط، أو يوجد تماثيل، إذا يوجد فيه غناء، أو أي شيء لا يرضي الله عزَّ وجلَّ، فإذا كان بإمكانك أن تزيل هذا المنكر فلبِّ الدعوة، وإن لم يكن بالإمكان ذلك لا عليك ألا تلبي هذه الدعوة.

بعضهم قال: إذا قال لك الداعي: أمرني فلان أن أدعوك أنت بالذات، فعليك أن تجيب، أما إذا قال: أمرني فلان أن أدعو من أشقاء وها أنت قد دعوتك، في مثل هذه الحالة لا عليك ألا تجيب.

يعني ترون من هذا الحكم: أنت إذا ذهبت إلى هذه الدعوة، ولم يكن فيها منكرات، ولم يكن فيها معااص، ولم يكن فيها اختلاط، ولم يكن فيها شرب حمر، ولم تكن فيها مخالفاتٌ شرعية، وبإمكانك أن تلبي هذه الدعوة من دون أن يمس دينك إطلاقاً فيجب أن تلبيها، أما إذا كان هناك

منكرات وليس بالإمكان أن تزيلها، وليس بالإمكان أن تأمر بالمعروف ولا أن تنهى عن المنكر، فيجب عليك ألا تلبي هذه الدعوة، هذا هو الحكم الشرعي.

ما هي الأعذار التي يمكن أن تسقط واجب إجابة الدعوة؟ :

قلنا: إن إجابة الدعوة فرض عين لا تسقط إلا بعذر.
ما هي الأعذار التي يمكن أن تسقط واجب إجابة الدعوة؟.
قالوا: هي أعذار من يمتنع عن الصلاة في المسجد، فإذا كان مريضاً، أو يقوم بشأن مريض، أو كان يجهّر ميتاً، أو يقوم بإطفاء حريق، أو يخاف ضياع ماله، أو في طريقه من يؤذيه، هذه الأعذار تكون أعذاراً مقبولةً إذا دُعى الإنسان ولم يلبِ الدعوة.

نقطة هامة :

يوجد نقطة ثالثة: وهي أن هناك بعض الأعراس تستمر أياماً ثلاثة، فإذا كانت الوليمة ثلاثة أيام فدعى في اليوم الأول وجب عليك الإجابة، فإذا دعى في اليوم الثاني لم تجب عليك الإجابة، ولكن يستحب أن تجيب هذه الدعوة، فإذا دعى في اليوم الثالث ليس لك أن تجيب هذه الدعوة، هكذا قال عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث الشريفة، الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذى، قال:

((الْوَلِيمَةُ أَوَّلَ يَوْمٍ حَقٌّ وَالثَّانِي مَعْرُوفٌ وَالْيَوْمُ الثَّالِثُ سُمْعَةٌ وَرِيَاءٌ))

مشكلة :

الآن يوجد عندنا مشكلة: أحياناً الإنسان يُدعى من جهتين، أغلب الظن أن الإنسان يختار الأوجه، يقول لك: هذه أوجه، هذا أوجه، فهنا يوجد عندنا حكم شرعى دقيق جداً، هذا الحكم يُزيل كل مشكلة، يُزيل كل التباس.

مثلاً: إذا دعاك اثنان إلى وليمتين، فإن سبق أحدهما قدم الأول لسبقه، دعاك إنسان على طعام متواضع جداً في مكان بعيد، بعد نصف ساعة جاءك إنسان من وجهاء المجتمع يدعوك إلى طعام نفيس، ويوجد حضور من المستوى الرفيع، أنت كمسلم يجب أن تلبي الداعي الأول لسبقه، وهذا هو الحكم الشرعي، وتعذر للثاني، أما إذا دعوك في وقت واحد.

عن حميد بن عبد الرحمن، عن رجلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - قال: ((إذا اجتمع الداعيان فأجب أقربهما باباً، فإن أقربهما باباً أقربهما جواراً، فإذا سبق أحدهما فأجب الذي سبق))

هكذا علمنا النبي عليه الصلاة والسلام، ويوجد عندنا: إذا تساويا في الوقت وفي القرب أجب أقربهما رحمةً، أي دعواك في وقت واحد والبيتان في مسافة واحدة، فأجب أقربهما رحمةً.

ما حكم من دعي إلى موضع فيه منكر من زمر أو خمر؟ :

الآن: من دُعى إلى موضع فيه منكر من زَمْرٍ أو خَمْرٍ، فإن قدر على إِذْنِه لزمه أن يحضر لوجوب الإجابة لإِزالة المنكر، ومن لم يقدر لم يحضر، فقد نهى أن يجلس الرجل على مائدة تدار فيها الخمر، لما روي عن جَابِرٍ عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:

((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ الْحَمَّامَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْئِسُ عَلَى مَائِدَةِ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ))

يقول لك: أخي أنا والله لم أشرب، لا يكفي، فقد نهى النبي -عليه الصلاة والسلام- عن أن يجلس على مائدة تدار عليها الخمر.

أيضاً: إذا وجد مكان فيه تماثيل وصور لا ترضي الله عز وجل هذه كلها منكرات، لكن بعض العلماء أجاز إذا كانت الصورة ليست كاملة أو كانت في مكان مُهان كالأرض أو التُكّاء، هذا مما تساهل به العلماء، أحياناً يكون سجادة عليها صورة، ما دامت سجادة ويداس عليها بهذه الصورة ليست للتعظيم، ما دامت على مُتَكَأ، ما دامت ليست كاملة أي جزئية، أما إذا وجدت صورة كاملة معلقة على الحائط أو تمثال، فهذا مما يجعل المؤمن في حرج من أن يكون في هذا المكان.

ما حكم من دعي إلى وليمة وهو صائم؟ :

الآن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الطَّعَامِ فَلْيَجِبْ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعُمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصْلِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى في سننهما]

دعاك وأنت صائم لكونك صائم صيام
فرض، صيام الفرض شيء وصيام
النفل شيء آخر، ما دمت صائماً صيام
فرض يجب أن تلبي وتصلني، أما إذا



كنت صائمًاً صيام نفل، النبي -عليه الصلاة والسلام- استحب لك أن تقطر إكراماً لأخيك، أخوك دعاك وتكلف لك، وتقول: إني صائم!! فـإكراماً له أن تقطر.

فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلِيُجِبْ، فَإِنْ شَاءَ طَعَمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

ليس القصد أن تأكل، إنما القصد أن تكون عند أخيك، ربما كان وجودك في بيت أخيك يدخل على قلبه السرور، يوجد أشخاص محبيين، يوجد أشخاص عندهم نظام قاسٍ في الغذاء، يوجد أشخاص عندهم أمراض في جهاز الهضم، يوجد أشخاص لهم طعام خاص، يوجد أشخاص يؤثرون عدم تناول الطعام إلا بشكل معين، فهذا إذا دعي يجب أن يلبى من دون أن يُحرج.

المستحب لمن دعي إلى طعام وانتهى من الطعام أن يدعو لصاحب الطعام.

عن عبد الله بن الزبير، قال:

((أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: أَفْطِرْ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكْلْ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

يوجد أناس يقولون: وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ إلا جبريل، فهو يريد كأس من الشاي، وصلى عليكم الملائكة الأطهار إلا جبريل، أما الدعاء النبوى:

((أَفْطَرْ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكْلْ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ))

هذا كلام جميل إذا إنسان دعي إلى طعام، وانتهى من الطعام، يقول: دائمًا يا سيدى، أنت قل له كما قال النبي:

((أَفْطَرْ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكْلْ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَخِيَارُ، وَذَكْرُكُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عَنْهُ))

١- ألا يميز الغنى بالإجابة عن الفقير :

الآن: من آداب إجابة الدعوة كما جاء في الإحياء: هناك آداب خمس؛ أول أدب: ألا يميز الغنى بالإجابة عن الفقير.

من آداب إجابة الدعوة: أن تجيب دعوة أي إنسان، أي أخ مؤمن، أي أخ مسلم، ألا تميز بين الغني والفقير، التمييز بين الغني والفقير نوعٌ من التكبر.

انظر إلى هذا الموقف لسيدنا الحسن بن علي :

سيدنا الحسن بن علي -رضي الله عنهما- مر بقومٍ من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق، وقد نشروا كيسراً -أي خبزاً يابساً فقط- على الأرض في الرمل وهم يأكلون، وهو على بغلته، فسلم عليهم، فقالوا له: هلْ إلى الغداء يا بن بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: نعم، إن الله لا يحب المستكبرين، فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب، بعد أن ركب، قال: قد أجبت دعوتكم فأجبوني، قالوا: نعم، فوعدهم وقتاً معلوماً فحضروا، فقدم لهم فاخر الطعام، وجلس يأكل معهم.

هذا ما كان يصنعه أحد العلماء في الشام :

سمعت عن أحد العلماء في الشام في زمن سابق: أنه كان إذا دعا كراء القوم، عليه القوم، وجهاء القوم، قدّ لهم طعاماً خشنًا، وكان يقول: والله هذا الطعام يحبونه لأنهم لا يأكلونه أبداً، فإذا دعا الفقراء قدم لهم طعاماً نفيساً، ويقول: هذا الطعام يحبونه. أحياناً الواحد يدعى إلى طعام خشن، وحياته كلها من مستوى عال، فيرى هذا الطعام طيباً لأنه قلّ ما يأكله.

قف عند هذا الكلام للسادة الصوفيين :

بعض السادة الصوفية يقولون: لا تجب إلا دعوة من يرى أنه أكلت رزقك.
إذا دعاك أحد، وهو موحد، ويرى أن هذا الرزق الذي أكلته هو رزقك، مقسم لك، هذا الإنسان تُجاب دعوته، لأن الضيف يأتي برزقه ويرحل بذنوب القوم.
ويقول بعضهم: لا تجب إلا من إذا أطعمك كأنه سلم لك وديعةً كانت عنده.

كأنه لك عنده أمانة سلمك إياها، لا تجب إلا دعوة من يرى لك الفضل عليه في قبول هذه الدعوة، يعني ليس هو قد تقضى عليك، بل يرى أنك تقضى علىه بقبول هذه الدعوة، يعني سمح لك أن تكسب عند الله أجراً، هذه معان راقية جداً.

أحد السادة الصوفيين يقول: آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها.
أي إن أطيب لقمة ليس فيها تبعة عند الله ليس فيها مسؤولية، وليس لمخلوق فيها منه، لا تبعة ولا منه.

قال:- فإذا علم المدعو أنه لا منه في ذلك فلا ينبغي أن يرد.

عقوبة :

أحد الرجال اسمه أبو تراب -رحمه الله تعالى- قال: عرض علي طعام فامتنعت، فابتليت بالجوع أربعة عشر يوماً.

-كان جوعان، عرض عليه طعام امتنع؛ أي أنت جائع وأخوك أحب أن يكرمك وقدم لك طعاماً، لماذا التكبر؟ وتقول له: ليس بمنفي رغبة، لست جائعاً، لماذا؟ هو أراد أن يكرمك قبل كرامته. وهذا أدبه الله عزّ وجلّ، ابتلاه بالجوع أربعة عشر يوماً- قال: عرض علي طعام فامتنعت منه، فابتليت بالجوع أربعة عشر يوماً، فلعلم أنه عقوبة.

٢- لا ينبغي أن تمتتع عن إجابة الدعوة بعد المسافة :

الشيء الآخر قال: لا ينبغي أن تمتتع عن إجابة الدعوة بعد المسافة -هذا ليس من أخلاق المؤمن- كما لا تمتتع عن إجابة الدعوة لفقر الداعي وعدم جاهه، بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع عنها الإنسان.

يوجد دعوات غير معقولة، يقول لك: على حدود تركيا مثلاً، هذه تحتاج لثلاثة أيام، تعال تغدى عندنا، هذه غير معقولة، أما خارج دمشق أو حوالي دمشق، أحب إنساناً أن يكرمك، المفروض أن تتبني الدعوة.

فعن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

(لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ بِالْقِيمَ لَأَجْبَتُ)

الكراع مآدم، والغريم؛ أي خارج المدينة.

ومن كان صائماً نفلاً، فإن كان يسرّ أخاه إفطاره فليفطر، وليحتسب إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه.

النبي -عليه الصلاة والسلام- كان مع بعض أصحابه، وهناك أخ دعاهم، قال له:

((أخوك دعاك وتكلف لك، وتقول: إني صائم))

ليس هذا من أخلاق المؤمن.

٣-أن تمتنع عن إجابة دعوة الطعام فيها مشبوه :



لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي

من آداب إجابة الدعوة: أن تمتنع عن إجابة دعوة الطعام فيها مشبوه. تعرف إنساناً ماله كله حرام، هنا يوجد مشكلة، أو يوجد منكرات، أو يوجد مخالفات، أو يوجد معاصٍ، أو يوجد شيء لا يرضي الله عزّ وجلّ، يوجد مزامير، يوجد ملأه، اختلاط، هزل، لعب، كذب، نميمة، غيبة، هذه الدعوات لا تبال بها إطلاقاً، أنت مؤمن طاهر،

يجب أن تلبي دعوة نظيفة؛ فيها طهر، فيها تقوى، فيها ورع، فيها خوف من الله عزّ وجلّ، لذلك النبي هكذا نصحتنا.

فعن أبي سعيدٍ، أنَّه سمعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا))

[أخرجه أبو داود والترمذى فى سننهما]

٤-ألا يقصد من إجابة الدعوة قضاء شهوة البطن :

قال: الأدب الرابع: ألا يقصد من إجابة الدعوة قضاء شهوة البطن.
 أخي فلان نريد أن نذهب عندك لأن أكلاته طيبون، فلان عنده أكل مرتب، فلان دعوة دسمة غمية، هذا كلام كله كلام العوام، كأنك بهذه الدعوة ت يريد أن تقضي شهوة بطريك، فليست هذا من أخلاق المؤمن. ما النية إذ؟

النية: أن تجتث هذه الدعوة إكراماً لأخيك المؤمن، لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:
((من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم ربها))

في حديث آخر:

((من سرّ مؤمناً فقد سرّ الله عزّ وجلّ))

من آداب الحضور لمنزل الداعي :

وفي درسٍ آخر إن شاء الله تعالى يوجد موضوع قصير جداً، آداب الحضور لمنزل الداعي، من آداب الحضور: أنه من التواضع لله عزّ وجل: الرضا بالدون من المجلس.

دخلت هناك كراسي منجدة، وهناك كراسي غير منجدة، وأنت متأخر نصف ساعة، وجدت كرسياً من الدرجة الثانية، إذا أنت كبير ولو كان لك شأن.

من آداب المسلم أن تجلس حيث ينتهي بك المجلس، وإلا أخرجت صاحب الدعوة.

أحياناً يكون في كنبة وفي كراسي، أحياناً في صدر وأحياناً في ناحية الباب، وأنت متأخر، اجلس في أي مكان ولا تنزعج، هناك شخص يقول: لم يعرفوا قدرى، لم يعرفوا مكانى، من آداب المسلم أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، هذا الأدب الأول في إجابة الدعوة، فإن من التواضع لله عزّ وجل الرضا بالدون من المجلس.

٥-ألا تجلس مقابل باب يمكن أن يرى منه النساء :

من آداب إجابة الدعوة أيضاً: ألا تجلس مقابل باب يمكن أن يرى منه النساء، دائماً في غرفة الضيوف اختر مكاناً ليس مواجهاً للباب، هكذا أدب المؤمن، يكون الباب في جهة والكنبة بهذه الجهة، وأنت وجهك إلى الحائط لئلا يكون هناك خطأ، هذا أدب ثانٍ.

٦-ألا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام :



أحياناً: الطعام دخل عينه مالت عليه، كلما دخل صحن ينظر إليه، هل يوجد شيء ثان؟ هذا ليس من أدب إجابة الدعوة، ألا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فإنه دليل الشراهة.

٧-التعريف بالمدعويين :

وإذا كان جلس إلى جانبه أخوين مدعويين، عليه أن يسلم عليهم، ولا يكون كل همه وعقله بالطعام، وأن يسألهم عن حالهم، وإذا دخل ضيفُ للبيت فليعرّفه صاحب المنزل عند الدخول. أحياناً تدعى دعوة فتجلس وأنت لا تعرف أحداً، تقول: من هذا يا ترى؟ كلام صامتون، هذا ليس من أخلاق المسلم، المسلم يقول: فلان ابن عمِي، فلان صهري، فلان أخي، فلان زميلي بالعمل، فلان شريكِي، أخِ كريم، فلان جارنا، فلان طبيب، هذا صاحبِ معلم، هذا تاجر، هذا أخِ كريم، هذا موظف، أي أنه يعرف مهنته ويعرف مكانته لكي تنشأ المودة، ولا يكون الهدف الأكل، فالتعريف أيضاً ضروري.

٨-غسل اليدين قبل الطعام وبعده :



أيضاً: غسل اليدين قبل الطعام وبعدِه من سنة النبي -عليه الصلاة والسلام: بركة الطعام الوضوء قبله وبعدِه. فصاحب الطعام يجب أن يغسل يديه قبل كل واحد، في بداية الطعام وآخرهم بعد نهاية الطعام، هكذا الأدب.

بعضهم قال: من دعانا فأبينا فله الفضل علينا، وإذا نحن أجبنا رجع الفضل إلينا:

لا تكن ضيفاً ثقيلاً يكره الناس لقائك
فعساه مستمداً لك من قومٍ عشائرك
وعساه مستعيناً لك من جارك غطاءك
إن في الفندق مأواك وفي السوق غذائك
ربّ من يلقاك هشاً كسر الزير وراعك

أنت أحياناً شخص دعاك، فرأساً إليه، طول بالك عليه، دعاك رأساً لا يوجد عنده مكان للنوم،

عندك غرفتين له ولأهله ولأولاده، فإن قال لك: أخي هل تريد أن تتماماً عندنا؟ فتجيبه: نعم والله.

من صفات المؤمن :

بعضهم قال:

قم إذا ما الضيف جاءك وامنح الضيف غذائك
وأجل من وجهاك مر آةً يرى فيها صفاءك
إن يهُنْ عَنْدَكْ ضيْفٌ يَكُنْ الْهُونْ جِزَاءك

أي أن من صفات المؤمن إكرام الضيف.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية : الحقوق - حق المسلم على المسلم - الدرس (٤ - ٨) : حق عيادة المريض.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٤-١٢-١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من حقوق المسلم على المسلم :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا في موضوع الحقوق بعد الحديث عن حقوق الآباء، وحقوق الأبناء، وحقوق الأزواج، وحقوق الزوجات، انتقلنا إلى الحديث عن حقوق المسلم على المسلم، وكان من جملة هذه الحقوق حق النصيحة، وكان من جملة هذه الحقوق حق إجابة الدعوة، واليوم ننتقل إلى حق ثالث من حقوق المسلم على المسلم ألا وهو عيادته إذا مرض.

هناك أخوة كرام كثيرون لا يقيمون قيمة لهذا الحق، ولا يعرفون قيمة عيادة المريض إلا إذا مرضوا، ومضى يومان وثلاثة وأربعة أيام ولم يأتهم أحد، يقول: أهذا شأنى عند أخوانى؟ أهذا شأنى عند المؤمنين؟ المريض من أشد الناس حاجة إلى المعاونة، المريض من أشد الناس حاجة إلى من يؤمن به، إلى من يدعوه إلى الصبر، إلى من يعطيه شحنة روحية يعينه على تحمل المرض، فلذلك: النبي -عليه الصلاة والسلام- في أحاديث كثيرة جداً وصحيحة حضنا على عيادة المريض.

ما حكم عيادة المريض في الشريعة الإسلامية؟ :

بادئ ذي بدء: عيادة المريض -كما ذكرت قبل قليل- حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولكن بالمعنى الفقهي الدقيق: عيادة المريض سنة مؤكدة. كلّم يعلم أن في الدين فرضاً، وفي الدين ندباً، وفي الدين مباحاً، وفي الدين كراهة، وفي الدين حراماً، فالشيء المندوب، أو السنة المؤكدة أو غير المؤكدة، هذا بين المباح وبين الفرض، فعيادة المريض بالتعريف الدقيق الفقهي، حكمها الفقهي سنة مؤكدة، ما معنى سنة مؤكدة؟ أي فعلها النبي كثيراً وتركها قليلاً، ما معنى سنة غير مؤكدة؟ أي فعلها قليلاً وتركها كثيراً، فعيادة المريض سنة مؤكدة عند جمهور العلماء، كلمة جمهور تعني أي عند أكثر العلماء. وقال عليه الصلاة والسلام:

(لا تجتمع أمتي على خطأ)

فالشيء الذي عليه جمهور العلماء هو الشيء الحق، لذلك يعده القرآن الكريم والسنة النبوية مصدراً أساسياً للتشريع، وبعد إجماع العلماء مصدراً ثالثاً ذا قيمة كبيرة، يضاف إليه القياس، فالقرآن والسنة والإجماع والقياس مصادر التشريع الأولى، وهناك مصادر فرعية كالاستحسان، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، ومذهب الصحابي إلخ ... إذاً سنة مؤكدة عند جمهور العلماء.

ما الدليل على أن عيادة المريض سنة مؤكدة عند جمهور العلماء؟

والدليل: فلو لا الدليل لقال من شاء ما شاء:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة يوسف الآية: ٨]

ال بصيرة الدليل، الدليل: قول النبي -
عليه الصلاة والسلام - أو قول ابن
عباس رضي الله عنهما - وقول بن
عباس يدخل في السنة النبوية، لماذا؟
لأن السنة النبوية هي أقوال النبي
وأفعاله وإقراره وصفاته، وأقوال
 أصحابه، وأقوال التابعين من بعدهم
وإقراراتهم، ولأن هذا الصحابي الجليل



ما كان له أن يقول شيئاً ما سمعه من رسول الله، وهذا التابعي الذي لازم الصحابي ما كان له أيضاً أن يقول شيئاً ما سمعه من رسول الله، إذاً إذا رفع الكلام إلى النبي -عليه الصلاة والسلام - فهو الحديث المرفوع، فإذا انتهى عند الصحابي فهو الحديث الموقوف، فإذا انتهى عند التابعي فهو الحديث المقطوع.

على كل؛ في السنة أن عيادة المريض سنة مؤكدة عند جمهور العلماء، بقول ابن عباس رضي الله عنهما -: عيادة المريض أول يوم سنة وبعد ذلك تطوع.

إذاً يفهم من هذا الحديث: أنه ينبغي أن تعود المريض في أول يوم، لأن الصبر عند الصدمة الأولى، والصابر يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل في اليوم الثالث، في اليوم الثالث يقول الجاهل: ماذا نريد أن نفعل؟ هذا أمر الله، بعد ما سب وطش وكسر، هذا الصبر عند

الصدمة الأولى، يبدو أن تعود المريض في أول يوم، هذا أفضل عند الله عزّ وجل من أن تعوده، بعد أن يبلُّ من مرضه، وبعد أن يغادر الفراش، وبعد أن يذهب إلى عمله، ليس هناك معنى لهذه العيادة في ذلك الوقت المتأخر.

رأي البخاري في مسألة عيادة المريض :

الإمام البخاري يقول: العيادة واجبة، وقال: إنها فرض كفاية؛ أي إذا قام به البعض سقط عن الكل، لحديث أبي موسى الأشعري، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((أطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُوا الْعَانِي))

[أخرج البخاري في الصحيح، وأبو داود في سننه]

فكيف عرف الإمام البخاري أن عيادة المريض فرض كفاية؟ من قول النبي الكريم: "وَعُودُوا الْمَرِيضَ".

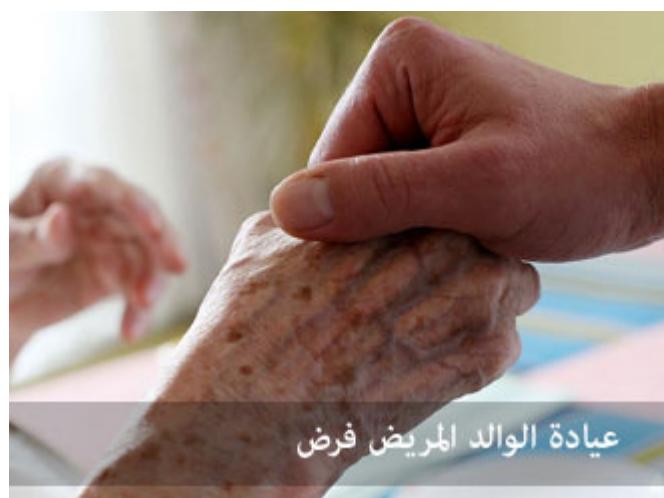
لأن هذا الأمر موجة إلى مجموع الأمة، إلى مجموع المؤمنين، إلى مجموع المسلمين، فإذا قام به بعضهم سقط عن بعضهم الآخر، من هنا استتباط الإمام البخاري: أن عيادة المريض فرضٌ ولكنها فرض كفايةٌ وليس فرض عين.

ماذا جاء عن النبي بالنسبة لعيادة المريض:

ول الحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال:

((خَمْسٌ تَجْبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ؛ رَدَ السَّلَامُ، وَتَشْمِيمُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ
الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائزِ))

النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديثٍ قال: تجب، وفي حديثٍ أمرنا أن نعود المريض. استتباط العلماء أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يحضرُ أصحابه على أن يعود بعضهم بعضاً، لعظم هذا العمل ولشدة مثوبته عند الله عزّ وجل، وإلا فهو في النهاية مندوب، والمندوب بين المباح وبين الفرض، عندما ر بما عزّ وجل قال:



أي زوجوا الشباب، هذا فرض أم مندوب؟ مندوب.

لكن الآن يوجد عندنا تفصيل: عيادة بعض المرضى فرض كفرض الصلاة، الوالدان الذين يلوذون بك، الذين ليس لهم أحد سواك، في حق البعض فرض وفي حق البعض حق، من تستفيد من عيادته، وفي حق البعض عمل صالح إذا راعت حاله، وفي حق البعض مباح ، أي شخص بعيد عنك، ليس في حاجة إليك ولست في حاجة إليه، ولا ترجو منه شيئاً ولا يرجو منك شيئاً، لا ترجوه ولا يرجوك، ولست بحاجته وليس في حاجتك، ولا ينتمي إلى مبدئك ولا إلى كذا فهذا عيادته مباحة، أما والداك أخوانك في الله هؤلاء يرتفع أمر عيادتهم إلى مرتبة الواجب، وهناك بعضهم إلى مرتبة الحق، وبعضهم إلى مرتبة العمل الصالح، هذا تفصيل العيادة.

ما المقصود من عيادة المريض؟

يقول عليه الصلاة والسلام:

((وَعُودُوا الْمَرِيضَ))

[آخرجه البخاري في الصحيح، وأبو داود في سننه]

هذه الألف واللام، ألف ولام الجنس، يعني أي مريض، فلا تظن المريض هو الذي أفعده المرض في الفراش، لو أنه شكا من عينيه هذا يُعاد، لو أنه شكا من جلده هذا يُعاد، والدليل: النبي -عليه الصلاة والسلام- عاد كما يقول أحد أصحابه، وقد أصابه رمد؛ أي ألم في عينيه. فعن زيد بن أرقم قال:

((عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ وَجْعٍ كَانَ بِعَيْنِي))

الحقيقة: ليس القصد عيادة المريض؛ أن تزوره، وأن تسأل خاطره، وأن تسأله عن صحته، وعند من تطيب، وما الدواء الذي أخذه، وخارطك مع السالمة، ليس هذا هو المقصود من عيادة المريض، قال: المقصود من عيادة المريض: تعهد، وتتفقد أحواله، وإناسه، والتلطف به.

قد يحتاج إلى الدواء، أولاده في المدرسة، أو أولاده صغار،

أو ليس له أولاد ذكور، أو زوجته مريضة، وهو في أمس الحاجة إلى بعض أنواع الطعام، إلى لبن، إلى ليمون فرضاً، إلى الدواء الفلاني، المسكن الفلاني، فهذا الذي يزور المريض، وفي نيته أن علي أزوره، وأن أسأله عن صحته، وعند من تطيب، وما الدواء الذي أخذه؟ لا الأمر أعقد من ذلك، يجب أن تعهد، وأن تتفقد أحواله، وأن تتلطف به، وأن تؤنسه، قد يكون مضطراً إلى إرسال رسالة أفعده المرض عن إرسالها، قد يكون مضطراً إلى تسجيل معاملة ينتهي وقتها بعد يومين أفعده المرض عن تسجيلها، قد يكون مضطراً إلى أن يفعل شيئاً أساسياً في حياته أفعده

المرض عن ذلك، إذاً عيادة المريض تعني: فقد أحواله، التلطف به، إيناسه، تعهد حاجاته، هذا معنى عيادة المريض.

المؤمن صاحب ذوق :

وإن النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما أطلق العيادة؛ أي ليس لها وقتٌ خاص، ولكن المؤمن صاحب ذوق، في الوقت المناسب، في وقت الراحة لا في وقت النوم، ولا في وقت متأخر، ولا في وقت مبكر، صلى الصبح حاضر من أمام بيته، قال: والله أزوره، هذا وقت غير وقت الزيارة، وقت راحة، وقت تهجد، وقت صلاة، وقت ذكر، من الساعة الحادية عشرة في الليل، الثانية عشرة سوف أزوره لأنّه مريض، المفروض أن يكون في الوقت مناسب.

النبي -عليه الصلاة والسلام- في بعض الأحاديث القدسية يروي هذا الحديث عن رب العالمين.

كيف نفهم هذا الحديث؟ :

عن أبي هريرة قال:
(قالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بْنَ آدَمَ
مَرِضْتُ فَلَمْ تَعْدُنِ).

-كيف نفهم هذا الحديث؟ الله سبحانه وتعالى نسب المرض إليه مجازاً تكريماً للمريض.-

قالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعْدُهُ، أَمَا
عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُذْتَهُ لَوْ جَدَتْنِي عَنْهُ

- لوجدت الثواب عنده، لوجدت الراحة عنده، لوجدت الأنوار عنده، لوجدت تجلي رب العالمين
عنهـ.

يَا بْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمُتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِ، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ
أَنَّهُ اسْتَطَعْمُكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوْ جَدَتْ ذَلِكَ عِنْدِي
في العيادة لوجدتني عنده، في الإطعام لوجدت ذلك عنديـ.

يَا بْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِ، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيَكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ
عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي))

علم بدفعنا هذا الحديث: يا بن آدم مرضت فلم تعدن؟ :

هل بعد هذا الحديث يدفعنا إلى عيادة أخواننا في الله؟ يدفعنا إلى عيادة أقاربنا؟ ، حتى القريب الذي لا ترجو منه هدايةً، لو عدته في مرضه لرأيته في حال آخر، لرأيته قد صفت نفسه، ورقت روحه، وصار قريباً من أي حديثٍ ديني، وهو في قوته وشدة، قد يكون أبعد الناس عن هذا الحديث وعن هذا الموضوع، قد يقول لك: دعنا من هذا الحديث، ولكنك إذا زرته وهو مريض، لرأيت منه استجابةً لا تصدق، لذلك النفس عند المرض ترق، تصبح شفافة، تصبح قريبةً من الله عزّ وجلّ، لأنَّه في أثناء العلاج، الإنسان في المرض يشعر بضعفه: وخلق الإنسان ضعيفاً.

المرض من نعم الله على الإنسان، لو أنَّ الإنسان لم يمرض إطلاقاً لظن أنه قوي، ولكن هذا المرض يحجمه، يعطيه حجمه الحقيقي، يجعله عبداً لا يقوى على شيء، ذهبت قوته، انهارت قواه، ما هذا المرض؟ لو كشف الغطاء يوم القيمة، لرأيت أنَّ المرض من نعم الله الكبيرة على الإنسان، لعل المرض هو الذي حثَّه على التوبة، لعل المرض هو الذي عرفه بعبوديته، لذلك الكافر يعلو ويعلو ويعلو، إلى أن تدق رقبته في أيام، أما المؤمن كلما غفل رده الله، أما الكافر خطه البياني يصعد صعوداً حاداً، وهو يعتدُّ بنفسه، ويظنه أنه لا أحد يستطيع أن يزحره عن مكانه، أياماً معدودة فإذا هو في أسفل سافلين، أما المؤمن له ترتيب آخر، كلما زلت قدمه جاءه العلاج، كلما جاءه خاطر جاءه العلاج، كلما غفل جاءه العلاج، هذا من رحمة الله بالمؤمنين، المؤمن سنبلة تأتي الرياح فتميلها ثم تعود، ولكن الكافر كالشجرة العملاقة تأتي الرياح فتنتأصلها من جذورها، وينتهي الأمر.

قصة إسلام هذا اليهودي :

إذاً حينما أضاف الله المرض إلى ذاته، هذا تكريم للمريض، وتشريف له، وحينما قال: وجدتني عذره.

أي وجدت ثوابي وكرامتي في عيادة المريض، لذلك بعد هذا الدرس لا ينبغي لواحدٍ منا أن ينسى، أو أن يغفل عن عيادة أخي، أو قريبٍ، أو جارٍ.

وتروي الأخبار: أنَّ النبي عاد جاره اليهودي، وكان يؤذيه كل يوم، انقطع الأذى أيام، فتوقع أنه مريض فعاده، وكانت هذه العيادة سبباً في إسلامه.

قصة توبة هذا المغنى :

سيدنا أبو حنيفة كان له جار مغنٍ، وكان يزعجه طوال الليل، كل يوم يغني، ويضرب على العود، ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهٍ وطعان خلسي

فما ألقى القبض عليه وسيق إلى السجن، ذهب أبو حنيفة بنفسه إلى صاحب السجن وتسل له، وأخرج صاحب السجن كل من السجن إكراماً لمقدم أبي حنيفة، وفي طريق العودة قال: يا فتى هل أضعناك؟ تقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهٍ وطعان خلسي

فكانت هذه الزيارة سبب توبته، ويبدو أنه يلحق بهذه أن تزور إنساناً فقد حريرته، أيضاً هذه الزيارة لها وقع كبير، في أعلى درجة من درجات الصفاء، والإنابة إلى الله، أي أن كلماتك عن الله عزّ وجّل تأتيه كالبلسم، تأتيه كالدواء، تأتيه كالماء على عطش شديد، فإذا أكرم الله عزّ وجّل أحداً بالإيمان، لا يضن بوقته وبزياراته وبأحواله وبعلمه على هؤلاء المرضى، أو هؤلاء الذين فقدوا حريرتهم.

بيان ما جاء في عيادة المريض :

وعن ثوبان -رضي الله عنه-، عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزُلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ، قَيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْخَرْفَةُ؟ -الْخَرْفَةُ عَلَى وَزْنِ غَرْفَةٍ -فَقَالَ عَلَيْهِ الصلاةُ وَالسَّلَامُ: جَنَاهَا))

يعني ثمارها.

أي ليس في الجنة فقط بل يأكل من ثمار الجنة، ليس في الجنة فحسب بل يأكل من ثمار الجنة،
هذا إذا عاد الإنسان مريضاً.

وعن علي -كرم الله وجهه- قال:

((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً -أَيْ صَبَاحًا- إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ))

إن عدته صباحاً صلت عليك الملائكة؛ أي شعرت بالسعادة، وإن عدته مساءً صلت عليك الملائكة؛ أي شعرت بهذه السعادة التي تلقيتها من صلاة الملائكة عليك، والخريف هو الثمر المخروف في الجنة المجتني.

١- يستحب لعائد المريض أن يدعوه له بالشفاء وأن يأمره بالصبر :

الآن: ما هي آداب عيادة المريض؟
قال: أولاً: يستحب لعائد المريض أن
يدعوه له بالشفاء، وأن يأمره بالصبر،
ل الحديث عائشة بنت سعد بن أبي
وقاص، أن أباها قال:

((اشتكىت بمكة، فجاءني رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - يعودني،
ووضع يده على جبهتي، ثم مسح
صدرِي وبطني، ثم قال: اللهم اشف



الدعاء للمريض بالشفاء سنة

سعداً واتّمْ لَهُ هجرَتَه))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وأبو داود في سننه]

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:
(من عاد مريضاً لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرار: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ
يَشْفِيكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَكَرِ الْمَرَضِ))

[أخرجه أبو داود والترمذى في سننهم]

أي إذا ابتهلت إلى الله ابتهالاً شديداً، وكنت محبًا لهذا الأخ، ودعوت الله أن يشفيه، لعل الله عزّ
وجل يظهر له كرامتك عنده، وكرامته عندك، وأن يشفيه بهذا الدعاء، لذلك دعوة الأخ لأخيه لا
تردد.

وعن عائشة، أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يُؤْذِنُ بعضاً أهليه، يمسح بيده اليمنى ويقول:
(اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

هذا الدعاء النبوي إذا زرت مريضاً، فقل:
(اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

أي مرضًا.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّهُ شَكَا إِلَى النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَجَعًا فِي جَسَدِهِ، قَالَ لَهُ:

((اَجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَيْهِ، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، اَعُوذُ بِعَزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأَحَادِرُ سَبْعَ مَرَاتٍ، فَقُلْتُ ذَلِكَ، فَشَفَانِي اللَّهُ))

هذا من أدب الذي يعود المريض أن يدعو له بالشفاء، ودعاء الأخ لأخيه لا يرد، ولعل الله يظهر كرامتك عندك، ولعل الله يظهر كرامة المريض عندك، ولعل الله يظهر هذا الحب بينكم.

إِذَا: إِذَا عَدْتَ مَرِيضًا فَادْعُ لَهُ بِالشَّفَاءِ، بِأَيَّةٍ لَغَةٍ تَشَاءُ، أَوْ بِهَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي دَعَا بِهِ النَّبِيُّ:

((اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَدْهِبِ الْبَاسَ، اشْفُهْ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا))

تحت أي باب تدرج هذه الأحاديث :

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

((لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هذه روایة ثانية وهذه مختصرة: لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

عن أبي أبوبالأنصارى، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- عاد أنصارياً فأكب عليه يسألة، قال: ((يا رسول الله، ما غمضت لي عينٌ منذ سبع ليالٍ، ولا أحد يحضرني، لا أحد يزورني -أي أنه يبيدو أن هذا الصحابي متالم الماً شديداً، النبي زاره ألا يكفي هذا؟ يغنىه عن كل أصحابه- فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: أي أخي، اصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها)) وكلكم يعلم الحديث المشهور، عندما زار النبي صحابياً كان مريضاً، قال له:

((ادع الله أن يرحمني، قال: يا رب يرحمه، فقال الله عز وجل: كيف أرحمه مما أنا به أرحمه؟ وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه، إلا ابتنите بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده، أو إيقاراً في رزقه، أو مصيبةً في ماله أو ولده، حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء، شددت عليه سكرات الموت، حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

ألم نقل السيدة فاطمة:

((يا أبت لم لعنها الله؟ قال: ما بك يا بنيني؟ قالت: حمى لعنها الله، فقال عليه الصلاة والسلام:

((لا تلعنها، فو الذي نفس محمد بيده لا تدع المؤمن وعليه من ذنب))

فهي مكفرة.

دخل النبي -عليه الصلاة والسلام- على شخص:
فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ
يَعْوُدُهُ، فَقَالَ:

((لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ: كَلَّا بِلْ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ كَيْمًا تُزِيرَهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ
النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَنَعَمْ إِذَا))

أي أن عَدَ كلامه معصية، هذا المتشائم الذي يسيء الظن بالله عزَّ وجلَّ، يعني إذا قال له الطبيب:
المرض ليس له دواء، أين إيمانك: وإذا مرضت فهو يشفين؟ أين إيمانك: أليس الله قادرًا على أن
يشفيك؟ أتصدق كلام طبيب وتكتذب كلام خالق الكون؟ ما المرض؟ بيدي الله عزَّ وجلَّ، اسأل
الأطباء جميًعاً عن شيء اسمه الشفاء الذاتي، مرض عضال، مرض مستفحـل ليس له دواء، كيف
يتلاشـي وحده؟ لا أحد يعرف، وهناك آلاف القصص الواقعية التي أعرف أسماء أصحابها، مرض
عضـال شـفـي بلا سـبـبـ، وإذا مـرـضـ فهو يـشـفـينـ، فالـنـبـيـ عـدـ ذـاكـ مـعـصـيـةـ.
قال علماء تفسير الحديث: فنعم إذاً، أي إذا كان الأمر كما ظنت فنعم.

لماذا التشاؤم؟ لماذا اليأس من رحمة الله عزَّ وجلَّ؟ لعل النبي -عليه الصلاة والسلام- أراد أن
يردعـهـ.

٢- يستحب للزائر أن يطيب نفس المريض :

الشيء الثاني: يستحب للزائر أن يضع يديه على مكان المرض، ويسمـي الله تعالى، ويدعـو
للـمـرـيـضـ لـمـاـ تـقـدـمـ، ويـسـتـحـبـ لـلـزـائـرـ أـنـ يـطـيـبـ نـفـسـ الـمـرـيـضـ باـطـمـاعـهـ فـيـ الـحـيـاـهـ، أـنـ يـنـفـسـ لـهـ فـيـ
الـأـجـلـ، أـصـابـهـ مـرـضـ، زـارـهـ شـخـصـ قـالـ لـهـ: كـمـ عـمـرـكـ؟ قـالـ لـهـ: اثـنـانـ وـأـرـبعـونـ عـامـاـ، قـالـ لـهـ:
يـكـفـيـ ذـاكـ، مـاـ هـذـهـ عـيـادـهـ؟! يـجـبـ أـنـ تـنـفـسـ لـهـ فـيـ الـأـجـلـ، أـنـ تـطـمـعـهـ فـيـ الـحـيـاـهـ، إـنـ شـاءـ اللهـ
عـزـ وـجـلـ يـكـرـمـكـ، وـتـزـوـجـ بـنـاتـكـ، وـتـقـرـحـ فـيـهـمـ، وـبـنـاتـهـ صـغـارـ، أـعـمـارـهـ سـنـتـانـ وـثـلـاثـةـ، وـمـرـضـهـ
شـدـيدـ، فـأـنـ تـدـعـوـ لـهـ أـنـ يـزـوـجـ بـنـاتـهـ، وـيـكـبـرـوـاـ، وـيـزـوـجـهـمـ، وـتـرـىـ أـوـلـادـهـ إـنـ شـاءـ اللهـ، هـكـذاـ أـدـبـ
الـدـعـوـةـ.

فـعـنـ أـبـيـ سـعـيـدـ الـخـدـرـيـ قـالـ:

((قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ -صـلـّىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّمـ-: إـذـا دـخـلـتـمـ عـلـىـ الـمـرـيـضـ، فـنـفـسـوـاـ لـهـ فـيـ الـأـجـلـ، فـإـنـ
ذـلـكـ لـاـ يـرـدـ شـيـئـاـ، وـهـوـ يـطـيـبـ بـنـفـسـ الـمـرـيـضـ))

فلا تبُسَه من الشفاء، أو أن يكون المريض مقتعاً بمرض، فيخبره الزائر بمرض خطير جداً، غير الذي هو مقتعٌ به، ويقول له: لا تصدق هذا مرضك من النوع الثاني، هذا كله منهي عنه، دع ذلك للطبيب هو الذي يعرف .

((إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ، فَنَفِسُوا لَهُ فِي الْأَجْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئاً، وَهُوَ يَطِيبُ بِنَفْسِ الْمَرِيضِ))

فلن يقرب أجله كلامك، ولا يبعد أجله تنفيسك له في الأجل، كلامك لا يقدم ولا يؤخر، لكن أسمعه كلاماً طيباً، الطريقة الأمريكية في المعالجة، يواجه المريض بأكبر كلمة، هناك من يموتون من سماع اسم المرض، يوجد حكمة أبلغ من ذلك، لأن يبلغوا أهله مثلاً، يبلغوا بشكل تدريجي وبشكل خفيف، ولعل الله يشفيه .

قصة :

سمعت أن امرأة مدرسة في المغرب، وقد نسيت اسمها، ألفت كتاباً عنوانه: لا تنس ذكر الله، أصبت بمرض عضال، بورم خبيث في ثديها، وحينما جابت كل أطباء فرنسا، فآخر طبيب أخبر زوجها أنه بقي في حياتها أسبوع، واضطر زوجها أن يخبرها بذلك، فأحببت أن تموت في البلاد المقدسة، وانتقلت إلى الديار المقدسة، ودخلت إلى الكعبة المشرفة، وطافت حولها ثمانية عشر شوطاً إلى أن أغمى عليها، لأنها يائسة، وقصة طويلة ألفت في كتاب، قرأت عنه قبل أسابيع ملخص الكتاب، وحدثني أخ كريم عن ملخصه، وبعد هذا الطواف الشديد، وهذا البكاء والابتهاج والتضرع والخشوع، واستمرت في ذلك أيام عديدة، بلغت عشرين يوماً تطوف كل يوم، ولا تأكل شيئاً بل تشرب ماء زمزم، ثم تحسست أماكن الورم الخبيث فلم تجد شيئاً، فكاد عقلها يطير أو كاد أن يختل توازنها من شدة الفرح، عادت إلى فرنسا وأطلعت الطبيب على حالتها، فكان الطبيب في دهشة بالغة، ليس هناك أي أثر، لكنه احتياطاً أعطاها دواء هذا الدواء أسقط شعرها كله، فتألمت ثانيةً ألمًا شديداً، ورأيت النبي -عليه الصلاة والسلام- وشكّت له سقوط شعرها، فمسح بيده الشريفة على رأسها ونبت شعرها بسرعةٍ غريبة، وهي الآن تتمتع بأتم أنواع الصحة، وعادت إلى الله عودةً وتابت توبةً لو وزرعت على أهل بلادِ لكتفهم، ومرضها عضال خبيث ظهر في أماكن عدة من جسمها.

الذي عند الله ليس عند العبيد، اليأس نوعٌ من أنواع الكفر بالله، والقنوط من رحمة الله من صفات الكافرين:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْطَعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الزمر الآية: ٥٣]

فهو كما قال الشاعر:

نزلت فلما استحكت حلقاتها

فرجت و كنت أظن أن لا ثُرَجَ :

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

[سورة الطلاق الآية: ٢]

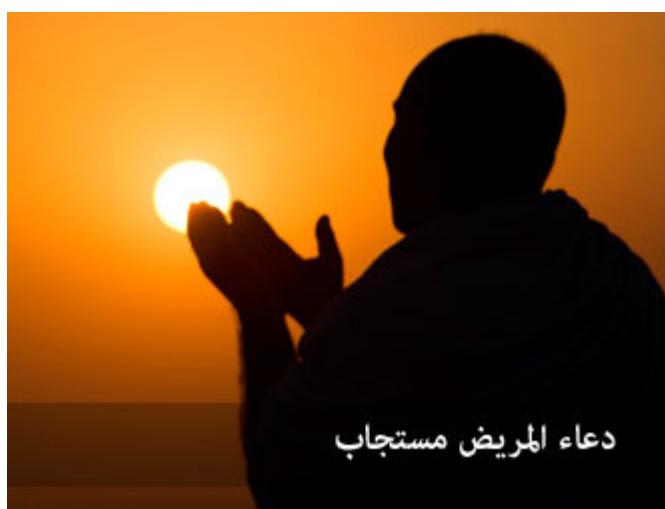
يتقي الله؛ أي كان هناك إحكام، كلمة:

﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

[سورة الطلاق الآية: ٢]

كان في حلقة محكمة حوله ففتح مخرج.

٣- يستحب لعائد المريض أن يطلب منه الدعاء :



((عودوا المرضى ومردوهم فليدعوا لكم، فإن دعوة المريض مستجابةً وذنبه مغفور))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

لأنه رقيق قريب من الله عز وجل، دائمًا المريض تجده صافياً.

٤- يستحب تخفيف العيادة :

ويستحب تخفيف العيادة، النبي الكريم عيرها قال:

(فُوَاقَ نَاقَةً)

واحد جلس ثلاث ساعات أصبحوا حلبتين وليس ناقة:

العيادة فُوَاقَ نَاقَةً.

أي مقدار حلب ناقة عشر دقائق، تخفيف العيادة وعدم تكريرها، إلا إن رغب المريض ذلك في حالات خاصة، المريض مرتاح تماماً، وآكل، ومنظف نفسه، وجالس، والساعة العاشرة صباحاً، والشرفة مشمسة، يشعر بضيق، وأتيت لعنه، قال لك: والله تجلس، إذا هو ألح عليك بالجلوس، وأنت معك وقت، وهو مرتاح ولا يوجد أي مشكلة، هذا استثناء، إلا أن يرحب المريض في إطالتها.

يبدو أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما أصيب سعد يوم الخندق، ضرب النبي عليه خيمة في المسجد، ليعوده أكثر أصحابه، من أجل أن يستأنس بهم، قال له: اجلس في المسجد.

وهذه يقاس عليها، إذا كان في غرفة في جانب الباب، فتكون أيسر للعواد، إذا كان لك بيتان؛ بيت قريب وبيت بعيد، فاختر البيت القريب من البلد.

٥- يستحب لعائد المريض ألا يتناول عند المريض طعاماً ولا شراباً :

قال: يستحب للعائد ألا يتناول عند المريض طعاماً ولا شراباً.

هنا حكمة النبي عليه الصلاة والسلام، توجد أمراض معدية، وأنت مثقف ثقافة طبية، وتعرف أن هذا المرض التهاب كبد معدني، لا تري شيئاً، فيقولون لك: لا بد من كأس من الشراب، وأنت لا تري أن تشرب عنده، لا بد من أن يطعموك أو فواكه، فلعلة العدوى هذه بعض الحكم، أو لعلة أن هذا المريض منعه الطبيب من هذه الأكلة، فإذا أكلتها أمامه قد يشتهيها، وقد يأكلها مغلوباً، فيتأخر شفاؤه، هذه الحكمة الثانية؛ أما الحكمة الثالثة:

قد يكون أهل المريض في شغل، حتى صنع فنجان من القهوة، صعب عليهم، ومشغولين، أو قد يكون لا يوجد أحد يقدم لك القهوة، وزوجته في الداخل، وأنت جالس، وهو لا يستطيع أن يقوم من الفراش، ونقرموا الباب وخذوا القهوة، فالنبي الكريم هكذا قال:
إذا عاد أحدكم مريضاً، فلا يأكل عنده شيئاً، فإذا أكل عنده شيئاً، فهذا حقه من عيادته.
ذهب أجره، إلا أن يعود الأصل الفرع، الأب إذا زار ابنه:

أنت ومالك لأبيك.

هذه لها استثناء.

ما يتعلّق بموضوع شكاية المريض :

يوجد عندنا موضوع شكاية المريض، فالمريض له الحق في أن يقول مثلاً: لم أنم البارحة طوال الليل، آلام لا تطاق مثلاً، ما حكم هذا في الشرع؟

قال: لا بأس أن يخبر المريض بما يجده من ألم لا على سبيل الضجر والسخط مبتدئاً بحمد الله تعالى، يقول: الحمد لله أشعر كذا كذا، يؤلمني كذا وكذا، أشعر أن حراري مرتفعة، أشعر أن قوائي منهارة، أشعر أن ألمًا وصداعاً في رأسي شديداً، إذا قال المريض هذا الكلام لمن يعوده لا بأس عليه، لكن عليه أن يقام الشكر قبل الشكوى، الحمد لله على كل حال، لكن البارحة لم أنم الليل من شدة الألم في رأسي، إذا شكر قبل أن يشتكي فلا يشتكي، فهذا ليس شكوى.
إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاكٍ.

قال: إن الألم لا يقدر أحد على رفعه، والنفوس مجبولة على وجдан ذلك، فلا يستطيع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد ألا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه، كالمبالغة في التأوه والجذع الزائد.

النبي بكى حينما مات ابنه إبراهيم، فقالوا:

(أتبك!! فقال: نعم، إن العين تندمع، وإن القلب ليخشى، ولا نقول ما يسخط رب، وإنما عليك -
يا إبراهيم - لمحزونون))

هذا موقف النبي عليه الصلاة والسلام؛ أي أن الصبر ليس معناه أن تصبح إنساناً آخر كالحجر، لا أنت بشر من لحم ودم، والألم ليس مخالفًا للسنة، ولكن الذي يخالف السنة أن تضرج، أن تكفر، أن تتذمر، لأن تقول: ماذا فعلت؟ أن تقول كلام يتناقض مع الإيمان، أما الألم مع الرضا هذا مقبول.

نقطة هامة :

أيضاً هناك شيء آخر: هناك من يشكوا إلى الله وهناك من يشكوا على الله، إذا شكوت إلى مؤمن فإنما تشكوا إلى الله، وإذا شكوت إلى كافر فكأنما تشكوا على الله، الدليل: لما سيدنا يعقوب قال:
﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوْ بَيْتِي وَحْزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة يوسف الآية: ٨٦]

وسيدنا أليوب الله عزّ وجلّ أخبرنا أنه صابر:

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾

[سورة ص الآية: ٤٣]

ومع ذلك قال:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية: ٨٣]

قال الشاعر:

وإذا عراك بليه فاصبر لها
صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما
تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

أي أن من أكمل المواقف أن تكون شكوكاً إلى الله وحده، أما إذا شكوت إلى مؤمن فهذا من قبيل التتفيس، والشكوى إلى مؤمن شكوى إلى الله، بينما الشكوى إلى كافر هي شكوى على الله.

خاتمة القول :

الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان والنسائي:
فعن أبي هريرة يقول:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبُ مِنْهُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح، ومالك في الموطأ]

نحن نعرف يفقه في الدين، هذا الحديث: مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبُ مِنْهُ.
معناها أنت مطموء فيك، معناها أنت قابل للتربية، معناها أنت غالٍ على الله، معناها أنت فيك خير كبير جداً، معناها أنت قريب كثيراً من الحق، فهذا المرض جاء ليدفعك إلى بابه الكبير، أما الميؤوس منه، خارج الاهتمام، خارج المعالجة هذا:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً
فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٤٤]

دقوا في هذا الكلام:

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً﴾

ثلاثة أيام.

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزَعَ فَلَهُ الْجَزَعُ))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

إذا صبرت فهذا دليل نجاحك في الإيمان.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَتْ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا))

[أخرج البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه، ومالك في الموطأ]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذْى وَلَا غَمٌ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))

أعتقد أحاديث كافية جداً أن الإنسان يقبل المرض، وأن يصبر عليه، وأن يعود المريض، وفي درس آخر إن شاء الله تعالى نتحدث عن التداوي، التداوي له حكم دقيق جداً، ترك التداوي معصية الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية : الحقوق - حق المسلم على المسلم - الدرس (٥ - ٨) : حق عيادة المريض
- شرعية التداوي من الأمراض.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-١٩٨٩-٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما حكم الشرع في التداوي؟ :

أيها الأخوة الأكارم، لا زلنا في الحديث عن الحقوق، تحدثنا عن حقوق الزوجة على زوجها، والزوج على زوجته، وحقوق الآباء على أبنائهم، والأبناء على آبائهم، وحقوق المسلم على المسلم، ومررّ بنا من هذه الحقوق حق النصيحة، وحق إجابة الدعوة، وحق عيادة المريض ، وموضوع عيادة المريض، نقلنا إلى موضوع فرعي ألا وهو حكم الشرع في التداوي.

فالتمادي من هدي النبي عليه الصلاة والسلام، إنك مكلف أن تعبد الله وفق ما أمر الله، وكنت أقول لكم دائماً: إن العمل الصحيح لا بد من أن يتواافق فيه شرطان؛ الشرط الأول: أن يكون خالصاً، والشرط الثاني: أن يكون صواباً، والإخلاص أن تتغير بهذا العمل وجه الله عزّ وجلّ، والصواب أن يكون مطابقاً للسنة النبوية، ففي كل



التمادي من هدي النبي

حركاتك وسكناتك، في كل مواقفك، في كل تصرفاتك، في كل نشاطك، في كل حركتك على وجه الأرض، يجب أن تقتفي أثر النبي عليه الصلاة والسلام، لأن الله سبحانه وتعالى يأمرك أن تقتفي أثره:

﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: ٧]

أنت بنص القرآن الكريم في آية محبطة قطعية الدلالة، يأمرك الله سبحانه وتعالى أن تقتفي أثر النبي عليه الصلاة والسلام.

هذا حدود خيار المؤمن :

أحياناً: يجتهد المؤمن اجتهاداً مخالفًا للسنة، وكلّم يعلم: أنه لا اجتهاد في مورد النص، ما دام هناك نصٌ صحيح في القرآن أو في السنة، فأنت ليس لك خيار، متى ينتهي خيارك؟ إذا رأيت النص الصحيح:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٦]

قضى الله في القرآن الكريم، قضى النبي في سنته المطهرة، فإذا وجدت نصاً قرآنياً قطعى الدلالة أو نصاً نبوياً قطعى الثبوت قطعى الدلالة أو ظني الثبوت قطعى الدلالة، فينبغي أن تقتفي أثر هذا النص أو هذه السنة.

هذا عين الجهل :

لذلك هناك من يجتهد في أمر صحته وصحة ذويه، فقد لا يأخذ أمراته إلى الطبيب بدعوى الحرص على ألا يراها الأجنبي، بدعوى الغيرة، بدعوى الورع، فإذا ماتت هذه المرأة بسبب الإهمال، يحاسب الزوج على ذلك حساباً عسيراً، اتباع السنة أولى من أن تجتهد، دليل هذا:



أن النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما نهى أصحابه عن أن يركبوا جملًا حرونًا، وبعض أصحابه اجتهد أن يذهب مع النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى الجهاد، وركب جملًا حرونًا، ووقع من عليه، ودقت عنقه، وأبى النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يصلى عليه، لأنّه مات عاصيًا، فأنت لا ينبغي أن تعبد الله وفق ما تريده، بل كما

يريد الله عزّ وجلّ، وإرادة الله جاءت محكمة في القرآن الكريم ومفصلة في السنة النبوية. فـإنسان يمتنع عن تعاطي الدواء، بدعوى أن الشافي هو الله، هذا جهل.
(من أكل التراب فقد أعن على قتل نفسه)

أي من أكل فاكهة من دون أن يغسلها،
وقال: يا أخي سَمِّ الله وكل فالحافظ هو
الله، هذا عين الجهل، أنت كمؤمن
ينتهي خيارك وتنتهي آراؤك وتنتهي
اجتهاداتك حينما ترى السنة النبوية
المطهرة، منهجٌ دقيقٌ دقيق رسمه النبي
عليه الصلاة والسلام لا من عند نفسه؛
ولكن من عند خالق الكون:



﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم الآية: ٣-٤]

فهذا الذي يجتهد بعدم تعاطي الدواء، هذا الذي يقول: سلمت أمري لله، هذا الذي يقول: توكلت على الله، هذا الذي يقول: لا شافي إلا الله، هذا الذي يقول: أنا أغمار أنا لا أتحمل أن يرى طبيب أجنبي وجه زوجتي، إذاً لنأخذها إلى عيادة الطبيب، هذا هو عين الجهل.

أحد أسباب تخلف المسلمين :

أعيد على أسماعكم مرةً ثانيةً: يجب أن تعبد الله كما يريد الله لا كما تريده أنت، ربما كان أحد أسباب تخلف المسلمين هو فهمهم السقيم للتوحيد، وفهمهم السقيم للتوكيل، إن الله سبحانه وتعالى يقول، يحدثنا عن ذي القرنين، ويقول

في سورة الكهف:

﴿إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ سَبَباً * فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾

[سورة الكهف الآية: ٨٤-٨٥]

و عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
قالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ:

اعقلها وتوكل



((أَعْقِلُهَا وَتَوَكَّلُ أَوْ أَطْلُقُهَا وَتَوَكَّلُ، قَالَ: اعْقِلُهَا وَتَوَكَّلُ))

[أخرجه الترمذى في سننه]

هل هناك تناقضٌ بين أن تعقلها وبين أن تتوكّل؟ الشرك الخفي أن تعتمد على الأسباب، ولكن التوحيد الجلي أن تأخذ بها، وهذا هو الخيط الدقيق بين الشرك الخفي وبين التوحيد الجلي، التوحيد أن تعتمد على الله وأن تأخذ بالأسباب، والشرك الخفي أن تعتمد على الأسباب. يقول: الدرّاهم مراهم، بالمال يحل كل شيء، بالذكاء يحل كل شيء، هذا الكلام عين الشرك: ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

هل يوجد تناقض بين التوحيد وبين الأخذ بالأسباب؟ :

الآية الكريمة التي تتحدث عن اليهود الذين أجلاهم الله عزّ وجل، وقد وردت قصتهم في سورة الحشر، ومن آيات هذه السورة:

﴿مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

[سورة الحشر الآية: ٢]

أي أنتم أيها المسلمين بحسب المعطيات المادية، ظنتم أو غلب على ظنكم أو تيقنتم أنهم لن يخرجوا، أما هم: ﴿وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة الحشر الآية: ٢]



اليهود اعتمدوا على حصونهم، والمؤمنون في ساعة غفلة أو في ساعة غيوبة: رأوا أن هؤلاء اليهود بأيديهم من وسائل المنعة والتحصن الشيء الكثير:

﴿مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حِيثُ لَمْ يَحْسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَة﴾

[سورة الحشر الآية: ٢]

لذلك الفعال هو الله عزّ وجل، وأنت إذا أخذت بالأسباب، ليس معنى هذا أنك لست موحداً، أي إذا عالجت زوجتك، أو عالجت نفسك، أو تعاطيت الدواء، ليس معنى هذا أنك تعتمد عليه، الاعتماد عليه شرك، ولكن الاعتماد على الله توحيد، وليس هناك تناقضٌ بين التوحيد وبين الأخذ بالأسباب.

ما معنى هذه الآية؟ :



إذاً موضوعنا اليوم حول التداوي، والله عزّ وجلّ قال في القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

[سورة الشعراء الآية: ٨٠]

الشافي هو الله، وقد وضع لهذا الجسم سنناً دقيقةً جداً، فإذا أراد أن يشفيك، ألمهم الطبيب أن يأتي تشخيصه للدواء صحيحاً، وتأخذ الدواء، ويفعل الدواء

فعلاً بإذن الله، وتشفى من المرض، هذا معنى قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

[سورة الشعراء الآية: ٨٠]

قد يفهم بعضهم هذه الآية فهماً مغلوطاً، يعني فهو يشفين من دون سبب، الله عزّ وجلّ يعطي بسبب ويأخذ بسبب، إذا أراد أن يعطيك بالأسباب التي خلقها، بالأسباب التي صممها، بالأسباب التي بنى عليها الكون، بالأسباب التي بنى عليها الجسم، أي إذا قلت: إن الله هو الشافي، معنى ذلك: أنه يشفى إذا اتبعت منهجه في تعاطي الدواء، فيكتفي أولاً أن يلهم الطبيب التشخيص الصحيح، وثانياً يلهمه الدواء الفعال، ويمكنك منأخذ الدواء، وقد أودع في الدواء قوة الشفاء فيما يبدو، عندئذ تشفى بإذن الله.

علم يطلعنا هذا الحديث؟ :

وسؤالي معنا بالتفصيل: كيف أن هذه الحقائق المهمة جداً في التوحيد وردت في تفصيات أحاديث التداوي؟.

فعن أبي الزبير عن جابر، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:

((كُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أَصَيبَ دَوَاءً الدَّاءَ بِرَأْيِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

يعني ما خلق الله داءً إلا وخلق له دواء.

((كُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ - هَذَا يَقُولُ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهُوَ:

﴿وَمَا يَنْطَقُ عَنِ الْهُوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم الآية: ٤-٣]

فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ - أَيْ مَتَى لَا يَنْفَعُ الدَّوَاءُ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الدَّوَاءُ لِهَذَا الدَّاءِ، إِذَاً مِنْ تَوْفِيقٍ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلطَّبِيبِ أَنْ يَلْهُمَهُ التَّشْخِيصُ الصَّحِيحُ وَالدَّوَاءُ الْمُنَاسِبُ - بِرَأْيِ إِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

هل الأسباب وحدها تصنع النتائج؟ :

هنا تطالعنا نقطة في التوحيد مهمة جداً: الأسباب وحدها لا تصنع النتائج، فإذا اعتقدت أن الأسباب وحدها تصنع النتائج فهذا شرك.

فالنار لا تحرق إلا إذا شاء الله لها أن تحرق، لذلك لخص علماء السنة والجماعة هذه العقيدة بكلمتين، قالوا: عندها لا بها.

يعني النار تحرق إذا شاء الله لها أن تحرق، والماء يروي إذا شاء الله له أن يروي، والماء ينبت الزرع إذا شاء الله له أن ينبت الزرع، والأشياء -كما يقول علماء التوحيد- : قائمة بالله، وأفعالها قائمة بالله، ولا يقع شيء إلا بأمر الله.

فقال عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم:

((كُلُّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأً بِإِذْنِ اللَّهِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

لو لم يقل بإذن الله عز وجل، لو قال: فإذا أصاب دواء الداء برأ، معنى ذلك: أن الأسباب تصنع النتائج.

انظر إلى ما قاله الإمام السبكي :

الإمام السبكي يقول: إن التداوي مذهب الجمهور، وفيه رد على من أنكر التداوي من غلة الصوفية.

بعض الصوفيين المغالين ينكرون التداوي، ويدعون واهمين أن التداوي يتناقض مع القضاء والقدر.

وكلّكم يعلم: أن سيدنا عمر -رضي الله عنه- حينما كان على مشارف الشام، وقد بلغه أن بها داءً وبيلاً، امتنع عن دخولها، أصحابه وقفوا موقفين بين أن يدخلوها ويتوكلا على الله، وبين أن يحجموا عن دخولها -أخذين بالأسباب- سيدنا عمر وقف موقف المحاط، وامتنع من دخول المدينة، فلما قال له بعضهم: أفراراً من قضاء الله؟ قال: نعم نفر من قضاء الله إلى قضاء الله.

-يعني المرض بقضاء الله والشفاء بقضاء الله- وضرب مثلاً:

لو أن لك قطبيعاً من الغنم وأمامك أرضان؛ إحداهما مجده و الثانية مخصبة، إن رعيتها في المجده رعيتها بقضاء الله، وإن رعيتها في المخصبة رعيتها بقضاء الله، قال له: نعم، نفر من قضاء الله إلى قضاء الله.

متى ينعكس على حياة المؤمن التخلف والتراجع والتدور؟ :

لذلك: فإن العلماء فرقوا بين القضاء والمقضي، أحياناً يأتيك شيءٌ ليس مرغوباً فيه، تستسلم له، ليس هذا من أخلاق المؤمن ولا من عقیدته بل يجب أن ترده، إذا كان هذا الشيء الآتي مزعجاً وهو من قضاء الله عزّ وجلّ فردّه أيضاً من قضاء الله عزّ وجلّ، ولو لا هذه العقيدة الصحيحة لما قامت الحياة ولما استقامت الحياة، وما من مؤمنٍ يعتقد خلاف هذه العقيدة إلا انعكس هذا على حياته تخلفاً وتراجعاً وتدوراً.

أليس كل شيء بقضاء من الله وقدر كما قال عليه الصلاة والسلام؟ لماذا أمرنا بالدعاء؟ أليس كل شيء بقضاء الله وقدر؟ لماذا أمرنا ألا نلقى بأيدينا إلى التهلكة؟ أليس كل شيء بقضاء من الله وقدر؟ فإذاً: قد يفهم الإنسان القضاء والقدر فهما سقيماً، فيصبح على هامش الحياة ويصبح في آخر الركب، وال المسلمين ليسوا كذلك.

من سنن الله في خلقه :

أُسَمَّةُ بْنُ شَرِيكَ قَالَ:

((أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابَهُ كَانُوكُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَا وَهَا هُنَّا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ أَوَّلُ؟ قَالَ: تَدَاوِوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضْعُ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدِ الْهَرَمِ))

أي أن الهرم هذه سنة الله في خلقه.

تعليق :

لكن بالمناسبة تعليق بسيط: أي من شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه، ومن مات على شيء حشر عليه.

يعني القصة المعروفة، هذا الذي بلغ السادسة والستين أو السابعة والستين، وقد أمضى سبعين عاماً في تعليم الناس الخير، تعليم الناس القرآن، وكان صحيح الجسم، وكان مستقيماً القامة،

وكان حادّ البصر، وكان مرهف السمع، وكانت أسنانه في فمه، فقال له تلامذته:

من تعلم القرآن متعمد الله بعقله حتى يموت



يا أستاذنا الكريم، ما هذه الصحة التي أكرمك الله بها؟ قال: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقىً عاش قوياً.

لذلك من تعلم القرآن متعمه الله بعقله حتى يموت، البطولة ليس في مقبل العمر، ولكن في خريف العمر، فإذا كانت لك بدايةً حرقة كانت لك نهايةً مشرقة، بقدر جدك وسعيلك ووربك واستقامتك وطلبك للعلم وأنت في ريعان الشباب، بقدر ما يهبي الله لك عمراً في خريف العمر، تشعر أن كل هذه الثمار تقطفها في هذا الوقت الحرج.

ما نوع هذه الصيغة؟ :

فهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى، وقال الترمذى: حسنٌ صحيح.
((اتدواوا، فإنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضْعِ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ))
وعن ابن مسعودٍ، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شَفَاءً فَتَدَاوَوْا))

هذه الصيغة ما نوعها؟ فعل أمر، والأمر يقتضي الوجوب، أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- يقتضي الوجوب.

تعلمون أن هناك أمر إباحة، وأمر وجوب، وأمر تهديد، وأمر ندب، هذا أمرٌ يقتضي الوجوب – تداووا – فأنت ليس لك خيار، لكن أحياناً لست متأكداً أن هذا الدواء يشفى، هنا أنت مخير، هنا يصبح التداوى مباحاً، أما إذا غالب على ظنك، ما معنى غالب على ظنك؟ تسعون في المائة، الشاك خمسين، الوهم ثلاثين تقريباً، الظن سبعين، غلبة الظن تسعين، اليقين مائة، إذا غالب على ظنك أن هذا الدواء يشفيك من مرضك، أصبح التداوى حكماً شرعاً يرقى إلى مستوى الفرض، أما إذا كنت شاكاً في فعالية الدواء أصبح الأمر مباحاً.

ما دام لكل داء دواء: هل يحتمل هذا النص العموم؟ :

الآن سؤال: ما دام لكل داء دواء، يا ترى هل يحتمل هذا النص العموم؟ فأي داء له دواء؟
الأمراض الخبيثة ليس لها دواء، هناك قائمة من الأمراض التي ليس لها دواء، فالعلماء وقفوا أمام هذا الحديث موقفين بعضهم، قال: إن هذا الحديث يقتضي العموم.

((وَمَا مِنْ دَاءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا وَلَهُ دَوَاءٌ))

ولكن الإنسان قد لا يعرفه، هناك أمراض كثيرة في حينها لم تكن معروفة الدواء، ثم جاء وقتٌ إذا هي قد عُرفت أداؤها، هذا موقف أول، والموقف الثاني: أن الداء الذي حينما خلقه الله عزّ وجلّ خلقه ليشفى، خلق له دواء؛ إما أن تأخذ المعنى الأول، وإما أن تأخذ المعنى الثاني.

ما سبب مرض الإيدز؟ :

ولكن بكل تأكيد: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما حدث أصحابه في موضوع الزكاة، وقال:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: ((أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلُوكُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُنْزِعُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلَمُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ التِّي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا))

[أخرجه ابن ماجة في سننه]

حتى يعلموا بها: حتى يفخروا بها، حتى يحملوا بطاقات، مرخص لهم أن يفعلوا كذا وكذا، طبعاً مرض الإيدز -كما تعلمون الآن- هو الشبح المخيف بالعالم.

في بعض الإحصاءات: أن العقد القادم يحتمل أن يصاب بهذا المرض ما يزيد عن خمسين مليون إنسان، وهذا المرض بكل بساطة بسبب انحراف أخلاقهم.

هذه العلاقة العلمية بين المعصية ونتائجها :

لذلك هناك من يقول: إن بين المعصية وبين نتائجها علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، فالذي حرمه الله عزّ وجلّ له نتيجة علمية متعلقة بالسبب، فهذا مرض الإيدز أحد هذه الأمراض التي تتبئنا بصدق النبي -عليه الصلاة والسلام-: إلا ابتلاهم الله بأمراض لم تكن في أسلافهم. طبعاً الإنسان حينما يسير وفق هواه، حينما ينطلق من عقل شهواته ونزواته يدفع الثمن غالياً. لا تنسوا قوله تعالى:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه الآية: ١٢٣]

لا يضل عقله ولا تشقي نفسه:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

[سورة طه الآية: ١٢٤]

ولا تنسوا قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ
وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية الآية: ٢١]

إن الله يعطي الصحة والذكاء والجمال والمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأوصيائه المؤمنين.

متى ينجح الطبيب؟ :



فإذا أصاب دواء الداء، إذاً الطبيب متى ينجح؟ إذا اهتدى إلى شيئاً، إذا اهتدى إلى معرفة المرض، وإذا اهتدى إلى الدواء، فإذا أصيب دواء الداء؛ عرف الداء وعرف الدواء والتقيا تقاطعاً، ذلك قال الشاعر:

إن الطبيب له علمٌ يُدْلِلُ به إن كان للناس في الآجال تأخيرٌ
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطبيب وختنه العقاقيرُ
حار الطبيب في تشخيص الداء، وختنه العقاقير في وصف الدواء.

بعضهم قال: إن الأمراض القاتلة التي لا يمكن للطبيب أن يبرئها، لعل الله سبحانه وتعالى استأثر لنفسه بدوائها، فإذا شاء شفي المريض من هذا المرض العascal.

وهذا ما يفسره الأطباء بالشفاء الذاتي، ورم خبيث مستفحلاً من الدرجة الخامسة كيف انحرس من دون سبب؟ لعل الله عزّ وجلّ هو الذي يستأثر بالدواء، شاء لهذا المريض أن يشفى فشفاه، شفاء من دون أن يعلم الأطباء كيف شفي، هذا بعض تفسيرات الحديث.

إليكم بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالتداوي :

نصلُ الآن إلى بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالتداوي.

قالوا: ينبغي أن يكون الطبيب الذي يعالج المرضى المسلمين، ينبغي أن يكون مسلماً. هل هناك علة لهذا الحكم الشرعي؟ طبعاً، قد يصف هذا الطبيب دواءً محرّماً، قد يصف للمريض النبيذ، ويقول لك: هذا يعطيك حرارة، يجب أن يكون الطبيب مسلماً لأن المسلم يطبق المنهج الإلهي.

ما عند الله لا ينال بمعصية الله، ما جعل الله شفاءه في ما حرام.

فالطبيب غير المسلم قد يكشف عن العورات، قد ينظر إلى العورات، قد يصف الدواء غير الشرعي، فلذلك ينبغي أن يكون الطبيب مسلماً ثقةً، ومن هنا؛ ففي كل نصيحة أو في كل توجيهٍ في شأن الصيام والإفطار والإجهاض وما شاكل ذلك، لا يقبل إلا رأي الطبيب المسلم الحاذق الثقة، مسلم حاذق ثقة، مسلم انتماه، والحاذق مهارته، والثقة ورעה، مثلاً:

الطبيب قال لي: افتر، أي طبيب هذا، قال لك: افتر؟ لا يجوز أن تفتر إلا برأي طبيب مسلم حاذق ثقة.

رأي العلماء: ويكره لغير ضرورةٍ طلب التداوي من غير المسلمين.

فأحياناً طبيب لا يخاف الله عزّ وجل يعطي كورتيزون، الكورتيزون له مفعول سريع جداً، فالألم يزول فوراً، لكن هذا الدواء له مضاعفات خطيرة، أما المسلم فإنه يخاف الله عزّ وجل، يفضل ألف مرة أن يتأنم المريض وألا يكون هذا الدواء خطراً على مستقبل حياته.

متى يجوز الاستعانة بطبيب غير مسلم؟ :

قالوا: أما إذا دعت الضرورة لذلك فلا مانع.

النبي استأجر دليلاً طريق الهجرة إلى المدينة المنورة، فلذلك يجب عليك أن تذهب عند الطبيب المسلم، فإذا كان الطبيب المسلم معلوماته ضعيفة والمرض خطير، والطبيب غير المسلم معلوماته جيدة جداً، نفضل عندئذِ الطبيب غير المسلم.

قال: أما إذا دعت الضرورة فلا كراهة إذا كان خيراً ثقةً عند المريض.

وقد روی أن النبي -عليه الصلاة والسلام- استعان بطبيبٍ غير مسلم.

هل يجوز للمرأة الأجنبية أن تعالج الرجل؟ :

كما لا يجوز للمرأة الأجنبية أن تعالج الرجل إلا لضرورة -معنى الأجنبية ليس المقصود أنها غير مسلمة، بل أية امرأة ليست من محارمك فهذه امرأة أجنبية، فلا ينبغي أن تعالج المرأة الأجنبية مسلماً إلا لضرورة قصوى وتعلمون السبب-. وبينبغي أن تعالج المرأة المرأة.

يعني إذا كانت هناك طبيبة والمرض خفيف وعادي، وفي إمكان هذه الطبيبة المسلمة أن تعالجه، عندئذٍ كن ورعاً ولا تأخذ زوجتك لعند طبيبٍ طبعاً ذكر، الطبيبة الأنثى أولى في معالجة الأنثى من الطبيب، والأسباب معروفة.

قال:- فإذا اضطر الطبيب أن يعالج امرأة، عليه أن يستر جسدها.

هذا ما يصنعه الأطباء المؤمنون :

أخواننا الأطباء المؤمنون، بارك الله بهم، عندهم أغطية بيضاء، لها فتحة صغيرة، يضعون هذا الغطاء على المرأة، وتكون الفتحة عند موضع الداء، وهنا يعالج، ولا يرى شيئاً، وهذا هو الورع، المؤمن له طريقته ووسائله وغير المؤمن له طريقه ووسائل قد تكون خبيثة.
وعليه أن يغض بصره ما استطاع، ولا يستطيع أحدٌ في الأرض أن يحاسبه إلا الله، لأن الله عزّ وجل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويغض بصره ما استطاع إلا عن موضع الجرح.

من السنة :

ويواجهنا شيء آخر، فمن الحكم الشرعي ومن السنة النبوية أن تختار أمهات الأطباء والدليل: يروي زيد بن أسلم، أن رجلاً في زمن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أصابه جرح فاحتفقَ الجرح الدم، وأن الرجل دعا رجليْنِ من بنى نمار، فنظرَا إِلَيْهِ، فزعمَا أنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُمَا:

((أَيُّكُمَا أَطَبْ؟ فَقَالَا: أَوْ فِي الطَّبِّ خَيْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَرَأَمَ زَيْدٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: أَنْزِلْ الدَّوَاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الْأَدْوَاءَ))

[أخرجه مالك في الموطأ]

أيُّكُمَا أَطَبْ؟ أي أن الصحة غالبة كثيراً
 فهي رأس مالك، رأس مالك في الدنيا،
 ونفسك مطينك فارفق بها، فاخترت
 طيباً من الدرجة الخامسة أو السادسة،
 هذا طبيب بالمجان، أو هذا أرخص
 وأقل تكلفة، أو هذا بجانب البيت قريب
 منا، لا إن صحتك أغلى من ذلك، لأن
 صحتك رأس مالك في الدنيا.



والنبي يقول: اعقل وتوكل.

ففي شأن الطب لا ينبغي أن تختار الأقل كلفة أو الأقرب، لا بل يجب أن تختار الأصلح، لأن الخطأ في أمر الجسد خطأ له مضاعفات خطيرة جداً، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: أياً كما أطْبَ؟.

وبالمناسبة: هناك مسؤولية الطب:

من طبِّبْ -أي من عالج- ومن جعل نفسه طبيباً ولم يُعرف منه طبٌ فهو ضامن.
أي مسؤول، ولا بدّ من أن يحاسب عند الله وعند الناس.

هل يجوز التداوي بالنجس والحرام؟ :

الآن: ينبغي التداوي بالطاهر الحال، لا يجوز التداوي بالنجس والحرام، أي هذه مادة مخدرة أو كحول وأشياء حرمتها الله عزّ وجلّ، هذا لا ينبغي أن يفعله المؤمن، والحديث الشريف المعروف: ((من ابتغى أمراً بمعصيةٍ، كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى))

ما زلنا نعي الشفاء؟ ابتعد عن الشفاء، ما زلنا يخاف المرض؟ اقترب منه، هذا الحديث في كل المجالات، في التجارة تتبعي الربح عصيت الله من أجل الربح، ابتعدت عن الربح واقتربت من الخسارة، في الدراسة تتبعي النجاح عصيت الله من أجل النجاح، ابتعدت عن النجاح واقتربت من الرسوب، في الشفاء ابتغيت الدواء المحرم، ابتعدت عن الشفاء واقتربت من المرض.

((من ابتغى أمراً بمعصيةٍ، كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى))

إليكم الأدلة من السنة على تحريم التداوي بالنجس والحرام :

ما الدليل في هذا الموضوع؟ .

قال أبو هريرةَ:

((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ))

يعني السُّمُّ .

[أخرجه أبو داود والترمذى فى سننهما]

أخرجه أَبُو حَمْدٍ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنَ مَاجَةَ وَالْتَّرْمِذِيَّ، وَزَادَ: يَعْنِي مَا هُوَ نَجْسٌ وَمَا هُوَ سُمٌّ، إِمَّا أَنَّهُ حَرَامٌ كَالْخَمْرِ وَالْبَيْوْلِ وَالْعُذْرَةِ أَوْ لَحْمَ غَيْرِ الْمَأْكُولِ، هَذَا كُلُّهُ مَا نَهَى النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عَنْهُ.

حَدِيثٌ آخَرُ :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدُّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوُوا وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامٍ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

((عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ، أَنَّ طَبِيبًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ صِفْدَعٍ يَجْعَلُهَا فِي دَوَاءِ، فَنَهَاهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ قَتْلَهَا))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سننهم]

متى تطبق هذه القاعدة؟ :

لكن يوجد عندنا حالات نادرة، قال: إذا غصَّ الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها وكاد يموت، وغلب على ظنه أنه سيموت، فإذا شرب الخمرة ليسيغها به، هنا تطبق القاعدة: الضرورات تبيح المحظورات.

خاتمة القول :

وإمام أحمد رحمه الله تعالى - يكره التداوي بما يصنعه غير المسلمين، لعل شيئاً محراً دخل في هذا الدواء؛ لذلك: إن تقصير المسلمين في صنع الدواء يجعلهم آثمين جميماً. لقد بلغني أن هذه الكبسولات كلها مصنوعة من شحم الخنزير، فالبرشام يصنع من دهن، حينما يهمل المسلمون تعلم العلوم التطبيقية، يصبحون عالة على غير المسلمين في تلقي الدواء، لذلك فرض الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الكل، فإذا أهمله الكل أثموا جميعاً. يعني مثلاً: مدينة أو قرية فيها مائة عالم وليس فيها طبيب، وطبيب ذمي واحد يكشف العورات، هذه المدينة كلها آثمة، مع أن فيها مائة عالم، فتعلم الطب فرض كفاية، هذا أحد أسباب تخلف المسلمين، يعني ترك الأخذ بالأسباب، وترك معرفة حاجات الحياة الأساسية، وإهمال كثير من المستلزمات، وتركها لغير المسلمين، كان بسبب تقصير المسلمين وتقاعسهم، مما أدى إلى هوانهم وتخلفهم.

والحمد لله رب العالمين

ال التربية الإسلامية : الحقوق - حق المسلم على المسلم - الدرس (٦ - ٨) : حق السلام.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-١-٧

بسم الله الرحمن الرحيم

من حقوق المسلم على المسلم :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا في الحقوق، ولا زلنا في حقوق المسلم على المسلم، وقد كان موضوع الدرس الماضي التداوي، والموضوع الذي قبل الماضي إجابة الدعوة، وعيادة المريض، والنصح لكل مسلم، واليوم ننتقل إلى حق آخر من حقوق المسلم ببدء السلام ورد السلام يشغل حيزاً كبيراً في الإسلام على المسلم ألا وهو: رد السلام. قد يبدو لكم بادئ ذي بدء: أن موضوع السلام، إلقاء السلام، رد السلام شيءٌ جزئيٌ في الإسلام، ولكن الأحاديث الصحيحة تتبئ بأهمية البدء بالسلام ورد السلام، وسوف ترون بعد قليل، كيف أن موضوع السلام في الإسلام شيءٌ يشغل حيزاً كبيراً، وقبل الدخول في هذا الموضوع لا بدّ من مقدمة.



هذه الجوانب التي يتمتع بها الإنسان :

الإنسان -أيها الإخوة- له حياة فردية، له حياة عضوية، له حياة نفسية، له حياة عقلية؛ يعيش مع عقله، يفكر، يدرس، يبحث، يطلب الأسباب، يطلب البراهين، يقتنع لا يقتنع، يقبل بيرفض، هذه حياة عقلية متعلقة بالتفكير والحقائق، والدراسة والتأمل، والقبول والرد، والرفض، والبرهان وعدم البرهان،



للإنسان حياة عقلية ونفسية وعضوية واجتماعية

والصحة والفساد والبطلان، هذه حياة عقلية، لكل واحد منا حياته العقلية ولعقله مستوى. والإنسان له حياة نفسية؛ يغضب، يحزن، يتفاعل، يتسامع، ينشأ في نفسه صراع، له طموحات، يُحب بالانقباض، يُحب بالانشراح، يشعر بالسعادة، يشعر بالضيق، هذه حياة نفسية له حياة عقلية، وله حياة نفسية، وله حياة عضوية؛ يأكل، ويشرب، ويهضم الطعام، وله جهاز دوران، وجهاز هضم، وجهاز إفراز، وجهاز عضلي، وجهاز عظمي، له عدد صماء، وله أجهزة، وله عضلات، ويعتريه عطّب، وكما يعتريه مرض، ويتمتع بصحة، هذه حياة عضوية، وله حياة نفسية، وله حياة اجتماعية؛ الإنسان اجتماعي، الله سبحانه وتعالى فطره فطرة اجتماعية، يعبر عنها الناس بكلمات، من هذه الكلمات: الجنة بلا ناس لا تداس.

لم خلق الإنسان ذا طبع اجتماعي؟ :

الإنسان يأنس بأخيه الإنسان، فلو نام
إنسان في بيتٍ وحده يشعر بالوحشة،
لو سافر وحده يشعر بالوحشة، الإنسان
مقطور على الاجتماع، رُكبت الطبيعة
الاجتماعية في فطرته.

ويبدو أن الله سبحانه وتعالى خلق
الإنسان ذا طبع اجتماعي لأهدافٍ
كثيرة، منها: أن إعداده للآخرة لا يكون
إلا عن طريق الحياة الاجتماعية، كيف



يرقى الإنسان لو كان يعيش وحده؟ إذا عاش مع الناس يظهر كرمه، يظهر بخله، يظهر صدقه، يظهر كذبه، يظهر حرصه، يظهر إهماله، تظهر شجاعته، يظهر وفاؤه، يظهر إخلاصه، وكل الفضائل التي يمكن أن تسعدك في الجنة وإلى الأبد، لا تكون إلا وسط المجتمع، كل الفضائل التي يمكن أن تسعد بها إلى أبد الآبدين، لن تنمو ولن تظهر إلا في جوٍ من الحياة الاجتماعية.

هذا نظام الأسرة الإنسانية :



لذلك: نظام الأسرة اجتماع، هكذا رتب الله الحياة؛ لك زوجة ولك أولاد الزوجة بحاجة إليك وأنت بحاجة إليها، والأولاد بحاجة إليكما وأنتما بحاجة إلى أولادكم، وأنت بحاجة إلى جارك، فلو عدلت الحاجات التي أنت بحاجة إليها، تحتاج إلى الطعام، إلى الخبز، إلى اللحم، إلى الفواكه، إلى الخضروات، وإلى اللباس، لو أنك عدلت الحاجات التفصيلية تجدك محتاجاً لـمليون مليون حاجة؛ تحتاج لزر، تحتاج إلى خيط، تحتاج إلى إبرة، تحتاج إلى حذاء، إلى نظارة، إلى ساعة، إلى فراش، إلى لحاف، إلى وسادة، إلى بناء، أنت تتقن عملاً واحداً، وتحتاج إلى مليون نشاط بشري، مليون مليون نشاط بشري. لو دخلت إلى بيتك، تجد أن الزجاج أصل في محتوياته، وتوجد معامل للزجاج، يوجد نوافذ، يوجد بلاط، يوجد دهان، يوجد ثريات، يوجد سجاد، يوجد برد، يوجد غسالة، يوجد سرير، يوجد كتاب، يوجد طباعة، يوجد صف حروف، وكل شيء في بيتك عالم قائم بذاته؛ خبراء، علوم، جهود، أموال مبذولة، فأنت تتقن نوعاً مثلاً، بينما أنت بحاجة إلى مليون نوع وبحاجة إلى مليون نوع.

الحياة الاجتماعية للإنسان ليس فيها حل وسط:

إذاً: حينما خلق الله الإنسان خلقه بجبلة اجتماعية، هذا التعايش مع الناس، هذا النظام الاجتماعي يحتاج إلى ضوابط، فخالق الكون الذي أبدع وأتقن حينما خلق الإنسان، شرع له هذه الضوابط، فأنتم في حياتك الاجتماعية إما أن تكون أسعد الناس بها، وإما أن تكون أشقي الناس بها، أي أن المجتمع إما أن يكون مصدر سعادة لك، كأن يكون تفاهم زوجي مثلاً، تفاهم بين الأب وأولاده، ومع التفاهم محبة، مع المحبة تضحية، مع التضحية



مؤثرة، فتغدو هذه الأسرة قطعةً من الجنة، وقد تغدو هذه الأسرة قطعةً من النار، بالتباغض، والشحناه، والبغضاء، والكيد، زوجة مشاحنة، والزوج يريد أن يغيظ زوجته، فيبحث عن الطريقة التي يؤلمها به، وتبث هي عن الطريقة التي تؤلمه بها، والأولاد في واد، والأب في واد، فبينما يجب أن تكون الأسرة مصدر سعادة لأفرادها، إذاً: الأمر ينعكس فتغدو هذه الأسرة مصدر شقاء لأفرادها، فالحياة الاجتماعية ليس فيها حل وسط؛ إما أن تكون سعيداً بها، وإما أن تكون شقياً.

علاقتك مع شريكك إذاً مبنية على الإنصاف، وعلى التساوي والعدالة، تجد الحياة في الشركة رائعة جداً، أما إذا كان لك شريك له نوايا عدوانية، فتتولد نوايا خبيثة عند كل شريك، وتصبح هذه الشركة مصدر إزعاج وشقاء للشريكين.



علاقتك بملك باليوظيفة، أنت في مجتمع صغير، في دائرة، معك زملاء موظفون، ولديهم مستخدم، ويرأسكم رئيس أعلى منك، كما أن هناك من هو أدنى منك، إذاً هناك حياة اجتماعية. إذا ركبت مركبة عامة، فأنت عندئذٍ ذو علاقات اجتماعية، فالحياة الاجتماعية حياة بالفطرة، الإنسان كائن اجتماعي بالأساس، فلأن الإنسان كائن اجتماعي، لا بدّ من أن يشرع الله له تشريعًا يضمن سعادته في ظل المجتمع، لذلك حقوق المسلم على المسلم تشرعيات شرعها الخالق.

علم تشير هذه النقطة؟ :

سیدنا سعد حينما قال: ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحدٌ من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا علمت أنه حقٌّ من الله تعالى. أي أن هذا الكلام للنبي الكريم يشير إلى العلاقات الاجتماعية، وحقوق المسلم على المسلم تعني بحال أو بأخر: أن هذا من عند الله عزّ وجلّ، هذا بِإلهام الله عزّ وجلّ، بُوحيٍ من عند الله، فأنت حينما تقرأ حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المتعلق بالحياة الاجتماعية، فأنت تقرأ تعلیمات الخالق فيما يتعلق بعلاقتك بمجتمعك هكذا.

علم بتصان هذين الحديثين؟ :

وبعد: فمن تعلیمات الخالق الصانع التي جاءتنا عن طريق النبي -عليه الصلاة والسلام- هذان الحديثان الشريفان اللذان هما أصلان من أصول العلاقات الاجتماعية أو من أصول حقوق المسلم على المسلم:

فعن أبي هريرة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **((حقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ؛ رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَازَةِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيمُ الْعَاطِسِ))**

[أخرج البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى والنمسائى فى سننهم]

وروى مسلم، عن أبي هريرة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **((حقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قيل: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمَدْ اللَّهَ فَسَمِّهِ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))**

[أخرج البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى والنمسائى فى سننهم]

وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ؛ أي شيعه.

إليكم هذا الحكم الشرعي الذي يتعلق بإلقاء السلام وردّه :

الآن: ربما استغرق موضوع السلام وقتاً طويلاً، وسوف ترون معى بعد قليل كيف أن هذا الموضوع خطير جداً؟ فربما كان إلقاء السلام سبباً من أسباب التفاهم الاجتماعي، ربما كان إلقاء السلام والرد بالسلام سبباً في شيوع السلام بين الناس، ربما كان تبادل السلام سبباً لهذه المودة والمحبة التي يجب أن تكون بين الناس، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحْيَيَةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

[سورة النساء الآية: ٨٦]

الحكم الفقهي: أن إلقاء السلام سنة ورد السلام واجب بل هو فرض، لقوله تعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحْيَيَةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

[سورة النساء الآية: ٨٦]

فحيووا هذا أمر، والأمر في القرآن يقتضي الوجوب بأحسن منها، قال لك: السلام عليكم، تقول له: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال لك: أسعد الله صباحاك، تقول له: أسعد الله جميع أوقاتك؛ أي:

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحْيَيَةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

[سورة النساء الآية: ٨٦]

بل إن رد السلام على أهل الذمة أو على أهل الكتاب واجب، كالرد على المسلمين تمسكاً بعموم الآية، وهذا قول ابن عباس والشعبي وقتادة، سواء من الإنسان المسلم أو غير المسلم، أي إنسان قال لك: السلام عليكم، تقول له: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، وإن الله عزّ وجل حينما حدثنا عن سيدنا إبراهيم قال:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لِبَثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَتَّى﴾

[سورة هود الآية: ٦٩]

قالوا: سلاماً، أي سلموا سلاماً، قال: سلام.

قال العلماء: إن كلمة سلام أبلغ من سلاماً، لأن سلاماً مفعول مطلق لفعل مذوق، أسلم سلاماً والمفعول المطلق مع الفعل المذوق يؤلف جملة فعلية، والجملة الفعلية ليست مستمرة، أي أنها وقعت وانتهت، أما سلام جملة اسمية فيها معنى الاستمرار، فسيدنا إبراهيم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسلية- كانت تحيته أحسن من التي طرحت عليه.

من السنة :

عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال:
((أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ))

[أخرج البخاري ومسلم في الصحيح، والنمساني في سننه]

أي أن إطعام الطعام سنة نبوية ظاهرة، وتقرأ السلام: قراءة السلام شيء ورده شيء آخر؛ أي أن تطرح السلام، أن تبدأ بالسلام على من عرفت ومن لم تعرف.

وعن أبي أمامة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِاللَّهِ مِنْ بَدَأْهُمْ بِالسَّلَامِ))

أي أن هذا الذي يسلم على الناس ويبدوهم بالسلام، أولى الناس وأقربهم إلى الله عزّ وجل.

قف عند هذه الكلمة :

وعن عمار بن ياسر قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:
((ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعْهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ؛ الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ فِي الإِقْتَارِ))

أنا أقف عند هذه الكلمة: الإنصاف من نفسك:

أحياناً الإنسان يكون في مركز قوي فإذا أخطأ سكت، ومن حوله يترافقون على أن يعرف بخطئه، فإذا وقع الذين هم دونه بهفوءة أقام عليهم النكير، هذا إنسان ليس منصفاً، أنت زوج لك الحق أن تتحدث عن أم زوجتك بما يحلو لك؛ من استهزاءٍ، من تعليقاتٍ لاذعة، من نقدٍ جارح، أما إذا تكلمت زوجتك عن

أنصف نفسك من إخوانك ولا تميز نفسك عنهم

أمك كلمة طلاقتها، أنت لست منصفاً، كما هي أمك وأنت تغار على مكانتها كذلك هي أمها.

أحياناً أنت تكون في محل وعندك صانع وفي المحل ابنك، الصانع قد تحمله ما لا يطيق، قد تكلفه بأعمال مرهقة، قد تحاسبه حسابة عسيرأً، قد تضيق عليه، قد تحاسبه على أي خطأ ارتكبه، أما ابنك تخاف على ظهره أن يحمل فوق طاقة، أنت لست منصفاً.

فإنما الإسلام ليس بالصلوة والصيام ولا بالحج والزكاة فقط، ولكن الإسلام بالإنصاف أيضاً، هل أنصفت زوجتك من نفسك؟ هل أنصفت أولادك من نفسك؟ هل أنصفت جيرانك؟ تعندي عليهم، فإذا أرادوا أن يسألوك، أو إذا أرادوا أن ينبهوك، أقمت القيامة عليهم، أنت لست منصفاً.

أم لها بنت إذا أكرمتها زوجها، تدعوه له دعاء حاراً بالتوفيق، فإذا أكرم ابنها زوجته تقيم عليه النكير، ليست منصفة، وليس عندها من صفة الإنفاق شيئاً.

يا أخوان، ليس في الحياة أروع من الإنفاق، الإنفاق من نفسك، يجب أن تعرف لكل إنسان قدره وحقه وحدوده وما له وما عليك، يجب أن تتصف في إعطاء الأجر، يجب أن تتصف في المودة التي تملكها، أنت قاضٍ وأمامك خصمك، واحد تبشن له وتهش له، وتسأله بأدب، والثاني تقول له: ما اسمك؟ بنبرة غضب وعبوس، لماذا هكذا؟.



هذا ما كان عليه عمر وعلي رضي الله عنهمما :



يرونون: أن سيدنا عمر كان في مجلسه مع أبي الحسن -سيدنا علي رضي الله عنهما-، فدخل يهودي له عند أبي الحسن مشكلة، قال عمر: قم يا أبا الحسن فقف إلى جانب الرجل، وحكم بينهما وكان الحق مع أبي الحسن، فلما انقض هذا المجلس رأى سيدنا عمر أن سيدنا علياً قد وجم، قال: ما لك يا أبا الحسن أوجدت عليّ؟ فقال: نعم، لماذا

قلت لي: يا أبا الحسن؟ فقد ميزتني عليه عندما دعوته باسمه ودعوتني بكنيتي. فإذا كنت قاضياً فعليك أن تتصف، وإذا كنت مدرساً فعليك أن تتصف، هذا طالب بينك وبينه مودة لم يكتب وظيفته فتساهل معه، وتقول له: لا تُعدها مرة ثانية، وطالب ثانٍ يقول له: أحضر والدك، إذاً أنت لست منصفاً، لماذا شددت على هذا الطالب وذلك تساهلت معه؟ إذاً أنت غير منصف، لا شيء يسحق الإنسان كالظلم، لذلك العدل أساس الملك.

على ماذا يدور هذا الحديث؟ :

فعن عمار بن ياسر، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

((ثَلَاثٌ مِنْ جَمِيعِهِنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ، الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ))

فكرة في بيتك زوجتك، أي إذا أخطأك خطأ تجده عنيفاً في توبيخك، أما أنت تكسر الشيء والكل يسكت وتظل أنت ساكت، فأنت عندما كسرت الشيء سكت، إذاً فعليك أن تقبل عذر المعذر، هذا بالأولى، أما بالموعيد فإذا تأخرت دققيتين تقيم القيمة عليها، أما أنت فتتأخر خمس ساعات تظل وهي ساكتة.

فهذا الحديث دقيق جداً، يدور في بيتك، مع أولادك، مع زوجتك، مع أخوانك، مع أصحابك، مع زملائك في العمل، مع شركائكم، أنت مرتاح وشريكك تعان، فعليك الإنصاف من نفسك، إن الدين حينما يصبح صوماً وصلاًة، حينما يصبح شعائر، حينما يصبح طقوساً وتلغى المعاملة، انتهي الدين كله.

هذا الإسلام :

سيدنا جعفر قال للنجاشي: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأكل الفواحش، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله فينا رجلاً، نعرف أمانته وصدقه، وعفافه ونسميه، فدعانا إلى الله لنعبد ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم.

هذا هو الإسلام، لذلك فالإنسان حينما يشعر بقوته، ويستخدم قوته في الباطل، فهو ليس منصفاً، البطولة وأنت في أعلى درجة من القوة، وأنت في أعلى درجة من المكانة، وأنت في أعلى درجة من الغنى، وأن تكون منضطباً بالشرع.

قال رجل لسيدنا عمر: أتحبني؟ قال: لا والله لا أحبك، قال: هل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي؟ قال: لا والله.

الإنصاف من نفسك، إذاً الإسلام يتميز بمبدأ الإنصاف.

عليك مراقبة نفسك :

أحياناً: تأكل أنت ما لذّ و طاب، والذين هم في البيت ليسوا كذلك في طعامهم، إذاً أنت لست منصفاً، من لهم غيرك؟ الإنسان عليه أن يطعم أهله مما يأكل، وأن يلبسهم مما يلبس. يا أخوان على الإنسان أن يراقب نفسه، فهذا الحديث قلما ينجو منه أحد، على الإنسان أن يراقب نفسه في أحکامه، وفي مواقفه، في انتقاداته للناس، في ملاحظاته في تضييقه عليهم، يراقب نفسه في كل أحواله، فإذا كان منصفاً كان على خصلة كبيرة من الخير.

فسيدنا رسول الله كان منصفاً، رأى صهره أسيراً عقب معركة بدر، جاء ليحاربه، وجاء ليقتله، وجاء ليبيطش بال المسلمين، لكنه صهر ممتاز، فقال عليه الصلاة والسلام:

(والله ما ذمناه صهراً)

كونه جاء ليحارب، جاء ليقاتل، جاء مع المشركين شيء، هذا عمل، أما أنه صهر ممتاز، قال:
والله ما ذمناه صهراً.

هذا هو الإنصاف :

ابن أبي بلتعة أحد أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنسان اجتهد اجتهاداً وأخطأ - فقد أرسل كتاباً إلى أهل مكة، يذكر لهم أن النبي سوف يفتح بلادهم - أي أنه اجتهد اجتهاد خطأ - فالنبي جاءه الوحي، وأطلعه على ما فعل ابن أبي بلتعة، فأرسل عليه الصلاة والسلام من يضبط هذا الكتاب مع امرأة في الطريق، فقال سيدنا عمر للنبي الكريم: يا رسول الله، دعني أضرب

عنقه، فقد خان الله ورسوله، قال: يا عمر، إنه شهد بدرأً، ولعل الله سبحانه وتعالى اطلع على أهل بدرٍ فغفر لهم.

أي لا ينسى فضله، بل نلتمس له العذر، هذا هو الإنفاق.

ومن عمار بن ياسر، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((ثَلَاثٌ مِنْ جَمِيعِهِنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ، الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ فِي الْإِقْتَارِ))

الإنفاق من نفسك له ضابط، أما هذا الضابط لو طبقه المسلمون لأغلقت المحاكم أبوابها، ولأغلقت وزارة العدل كلها، ما هذا الضابط؟.

قال عليه الصلاة والسلام:

((عامل الناس كما تحب منهم أن يعاملوك))

هذا الحديث طبقه النبي عملياً.

انظر إلى هذا المنطق السليم للنبي مع هذا الأعرابي:

رجل أعرابي بلغه الإسلام فأعجبه، إلا أنه مدمن على الزنا، وهذا الأعرابي كان صريحاً، فجاء النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال:

((يا رسول الله، أنا أشهد أنه لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ولكن اذن لي بالزنا -هذه اسمع لي فيها، فلا أقدر أن أتركها- والصحابة عندها أرادوا أن يقتلوه -ما هذه الوقاحة؟-).

فالنبي قال: دعوه، ثم قال له: اقترب يا عبد الله، اقترب مني، فاقترب -انظروا إلى المنطق-

قال: يا عبد الله أتحبه لابنتك؟ -يتصور أن ابنته تزني- فقال: لا، قال: ولا الناس يحبونه

لبناتهم، أتحبه لأختك؟ قال: لا، قال: ولا الناس يحبونه لأنواعهم، أتحبه لزوجتك؟ أتحبه لأمك؟

والأعرابي يردد: لا، فقال هذا الأعرابي بعد ذلك: والله دخلت على رسول الله وليس شيء في

الأرض أحب إلي من الزنا، وخرجت

من عنده وليس شيء أبغض إلي من

(الزنا))

انظروا للمنطق السليم، أتحبه لأختك؟

أنت تخشن بهذه البيعة، فلو فرضنا أنك

تبعد أقمصة وتغض الناس، فلو اشتريت



حاجة لك من بائع وغشك ألا تزعج؟ ألا تحس نفسك أنك تتمزق منه؟ لماذا غشستي؟ أو همته أن هذه البضاعة أجنبية، وظهر بعد ذلك أنها ليست أجنبية ، أو همته أن هذه رأس مالها مرتفع وغالٍ ولم تربح شيئاً، ثم تبين أنك ربحت بها مائة بالمائة ، فأنت في البيع والشراء أنصف الناس من نفسك، أتحب أن يقال لك كذا وكذا؟ أنت تسخر من إنسان، أتحب أن يُسخر أحد منك؟:

﴿أَيُحِبُّ أَهْدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٢]

ولا الناس يحبون أن تفعل معهم كذلك، هذا الحديث يا أخوان: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك. هذا الحديث يحثك أن تقدر الإنسان الذي أمامك، وتقدر الضعيف، وتقدر المسكين، قدر الذي هو وضعه أضعف منك.

كيف فسر النووي الإنصاف؟ :

يا أيها الأخوة الأكارم، أنصفو الناس من أنفسكم.
إن الإمام النووي -رضي الله عنه- قال: الإنصاف يقتضي أن تؤدي إلى الله جميع حقوقه وما أمر به، وأن تجتب جميع ما نهيت عنه، وأن تؤدي إلى الناس حقوقهم.
الإنسان يكون ابنًا وأبواه موجود، يا ترى: هل تحب أن أباك بعد ما تقدمت به السن يحتاج إلى ابنه والابن يزور عنه؟ .

تصور أنك أب وابنك أغنى منك، وأنت بحاجة لمال ابنك وابنك يتبرأ منك، أليس هذا موقفاً صعباً؟ وهذه نصيحة دائمة:



ضع نفسك محل الآخرين باستمرار، عندك زوجة وعنده أم، فإن تقف موقفاً منحازاً مع زوجتك، وتدع أمك التي ربتك، هذا موقف لا أخلاقي، تصور أنك أب وأنك رببت هذا الابن ثلاثين عاماً، ثم

تَكْرِّرُ لَكَ، وَاللَّفْتُ إِلَى زَوْجِهِ عَلَى حِسَابِ حَقْوَكَ عَلَيْهِ، لَيْسَ هَذَا هُوَ الْإِنْصَافُ، لَذَلِكَ الْإِنْصَافُ كَمَا فَسَّرَهُ الْإِمامُ النُّوْويُّ -رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- قَالَ:

الْإِنْصَافُ يَقْضِي أَنْ تَؤْدِي إِلَى اللَّهِ جَمِيعَ حَقْوَهُ وَمَا أَمْرَ بِهِ، وَأَنْ تَجْتَبِ جَمِيعَ مَا نَهَيْتُ عَنْهُ، وَأَنْ تَؤْدِي إِلَى النَّاسِ حَقْقَهُمْ، وَأَلَا تَطْلُبُ مِنْهُمْ مَا لَيْسَ لَكَ.

أَحِيَاً أَلَبْ مَعَ ابْنِهِ لَا يَنْصُفُهُ، أَيْ أَنْ هَذَا الْابْنُ يَشْتَغِلُ عِنْدَ أَبِيهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَلَا تَأْكُلُ وَتَشْرُبُ؟ وَلَكِنَّ الْابْنَ يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ، ضَعْ نَفْسَكَ مَكَانَ ابْنَكَ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَشْتَرِي بَيْتًا، وَأَنْ يَؤْثِثَهُ، وَأَنْ يَتَزَوَّجَ، يَبْذِلُ جَهْدَ ثَمَانِيِّ سَاعَاتٍ فِي عَمَلِ شَاقِّ مَعَكَ أَيْهَا الْأَلَبِ عَلَى أَكْلِ وَشَرْبِ فَقْطِ، وَتَقُولُ لَهُ: هَذَا أَنَا تَرْتِيبِي، هَذَا التَّرْتِيبُ خَلَفُ الشَّرْعِ، نَحْنُ نَرِيدُ الشَّرْعَ، فَهَلْ مِنْ الْمُعْقُولِ: أَنْ أَحَدُ أَبْنَائِكَ يَشْتَغِلُ مَعَكَ عَشْرَ سَاعَاتٍ لَيْلَ نَهَارَ، وَالْابْنُ الْآخَرُ فِي الْبَيْتِ عَاطِلٌ بِلَا عَمَلٍ وَيَتَسَاوِيَانِ فِي النَّصِيبِ؟ هَذَا لَا يَتَسَاوِيَانِ، لَمْ تَنْصُفْ ابْنَكَ، وَأَحِيَاً أَلَبْ لَا يَنْصُفْ أَبَاهُ، فَمَوْضِعُ الْإِنْصَافِ يَا أَخْوَانَ الْدِينِ، إِنِّي أَذْكُرُكُمْ بِالْحَدِيثِ الْشَّرِيفِ:

أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الْدِينُ النَّصِيقَةُ؟ .
أَلَمْ يَقُلِ: رَأْسُ الدِّينِ الْوَرْعُ؟ .

فَأَكَادُ أَقُولُ: إِنَّ الدِّينَ إِنْصَافٌ، وَغَيْرُ الْمَنْصُوفِ لَيْسَ فِيهِ إِيمَانٌ إِطْلَاقًا، فَيُجْبِي أَنْ تَنْصُفَ زَوْجَكَ وَأَوْلَادَكَ وَجِيرَانَكَ وَأَقْرَبَاءَكَ وَوَالْدِيكَ وَزَبَانِكَ، فَإِنْصَافُهُمْ حَقٌّ لَهُمْ وَوَاجِبٌ عَلَيْكَ.

وقائع :

ذَكَرَ لِي أَخٌ، يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِجْرَاءَ عَمْلِيَّةٍ، فَقَالَ لِهِ الطَّبِيبُ: تَكْلِفُكَ خَمْسَةٌ وَسَبْعِينَ أَلْفًا، فَلَوْ أَنْ هَذَا الْمَرِيضُ بَاعَ نَفْسَهُ وَأَوْلَادَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ عَلَى عَشْرِينَ أَلْفًا، وَالْعَمْلِيَّةُ ضَرُورِيَّةٌ، قَالَ لِهِ ذَاكُ الطَّبِيبُ: هَذَا الْحَاضِرُ، طَبِيبٌ آخَرُ قَالَ لَهُ: خَمْسَةُ آلَافٍ.

هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ سَبْعِينَ أَلْفَ زَائِدَةً، انْصَفُهُ، فَلَعْنَكَ تَضَعُكَ الْأَيَّامُ فِي مَثْلِ مَوْقِفِهِ، فَعِنْدَمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ إِلَى رَبِّهِ فَقْطًا، هَذَا هُوَ الْجَهْلُ الْأَسَاسِيُّ، رَبِّكَ فِي إِنْسَانِيْتَكَ، رَبِّكَ فِي عَمَلِكَ الصَّالِحِ، رَبِّكَ فِي اعْدَالِ سُرْعَكَ، رَبِّكَ بِرَحْمَةِ الْمُسْلِمِينَ:

أَرْحَمُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ.

كَذَلِكَ أَخٌ ثَانٌ قَالَ لِي، وَهِيَ قَضِيَّةٌ مَعْلَقَةٌ بِالْطَّبِيبِ، أَوْلَ طَبِيبٌ قَالَ لِي:
الْعَمْلِيَّةُ تَكْلِفُ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا،
وَالثَّانِي قَالَ: تَكْلِفُ خَمْسَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا،



والثالث قال له: يا أخي الغلاء يسود الوجه، هذه العملية غالبة، أنا خائف أن أقول لك فتزعج، فقال له: ستة آلاف، من خمسة وخمسين ألفاً إلى ستة آلاف، هذا إجرام، فهل تريد منه أن يبيع بيته؟ يبيع سريره؟ يبيع براذه؟ لكي تأخذ هذا كلها أنت، ثم تقوم برحلاة إلى أوروبا في الصيف؟ هذا ليس إنصافاً، لذلك الإنفاق، الإنفاق ويقيم أواصير المحبة، الإنفاق يجعل المجتمع متناقاً، يجعل المجتمع كما قال عليه الصلاة والسلام:

((مَثُلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ، مَثُلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمْرِ))

[أخرجه أحمد في مسنده]

ليس من الإنفاق :

تقول لمن يريد أن يعمل عندهك: يا أخي نعطيك فقط ألفي ليرة، موظف عندك لا يكفيه ألفي ليرة، لا تريد يوجد غيرك، طبعاً الموظف مضطر لأنك عاطل عن العمل، وأنت تربح مئات، بل مئات المئات، أعطه أربعة آلاف فهذا إنسان، أخي أنا أجد من يعمل بآلافين بل بآلاف هناك من يرضى، ليس الأمر متوفقاً على من يرضى، بل متوفقاً على ما يستحق هذا العامل، هناك فرق بين العرض والطلب، إنسان ربط مصيره معك، عنده زوجة وأولاد.

قال لي أخ: إنه في اليوم يصرف مبلغ كذا ألف، أما أنا كعامل يعطيني بالشهر ألف وخمسمائة، بهذه مشكلة، فعليك أن تتصف الناس من نفسك خاصة من هم دونك، وكذلك من هم فوقك، ولكن منصفاً مع أولادك، مع زوجتك، مع جيرانك، الإسلام إنصاف، أن تقف عند حدك: رحم الله عبداً عرف حده فوقف عنده.

أن تعرف ما لك وما عليك، ما ينبغي وما لا ينبغي، ما يجوز وما لا يجوز، ما يصح وما لا يصح، ما هو حق وما هو باطل، ما هو خير وما هو شر، ما هو عدل وما هو ظلم.

أهذا هو الإسلام؟ :

أحياناً تجد شريكين، فيذهب أحدهما إلى أوروبا، ويقضي فيها شهرين، فنادق، أجنة، سهرات حمراء، سهرات حضراء، وهل هناك صفراء كذلك؟ لا أعرف، ثم يرجع فيسجل مصروفه على المعمل، على حساب باب الإطلاع، فقد رفع مستوى اطلاعه.

أنت ذهبت لكي تعمل سياحة، فحملت الشركاء ما لا يطيقون، السياحة شيء، والإطلاع شيء، والدراسة شيء، والاستيراد شيء، فهذا يحدث.

أنا أريد أنأشتري مراقبة منك، المراقبة ربح ثابت ويكشف رأس ماله، فمثلاً: ذهب إلى أوروبا لخمس أو ست مهام، فاعتبر هذه الرحلة مهمة واحدة، فوضع نفقات كل هذه الرحلة على هذه

البضاعة، أخي مصاريف سفر، ورأس مال كذا، والربح بالمائة عشرة، فأنت قد أخذت بهذه الطريقة الربح مائة بالمائة، أحياناً يرفع المتصروف فيضاعف ربحه، لا يوجد إنصاف بالبيع بالشراء، وهذا هو الإسلام؟ لا، إن الإسلام إنصاف بكل حركاتك وسكناتك.

قال له: هل تعرفه؟ قال: نعم أعرفه، فقد رأيته بالمسجد، قال: هل سافرت معه؟ قال له: لا، قال: هل عاملته بالدرهم والدينار؟ قال له: لا، قال له: هل جاورته؟ قال له: لا، قال: إذاً أنت لا تعرفه.

ملاحظات حول موضوع الإنصاف :

في نفسي على الإنفاق أشياء كثيرة وملاحظات عدّة؛ الإنفاق في كل شيء حتى في أحکامك، لم تلتقي فلاناً ثم نسمعك تقول عنه: إنه إنسان سيء، هل التقيت معه؟ لا، هل استمعت إلى كلامه؟ لا، فأنت لم تتصفه، كيف يفعل مسلم هذا مع شخص لم يلتقي معه، أو تقول: إنه يا أخي لا يفهم شيء؟ فهل سألته سؤالاً واحداً فقال: أنا لا أفهم؟ أو سأله سؤالاً، وأجاب إجابة خطأ؟ هل قرأت مؤلفاته؟ قرأت كتابه؟ حضرت دروسه؟ لا، بل تقول: أخي إنه غير فهمان، فأنت لست منصفاً، أهكذا يكون المؤمن غير منصف؟

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولًا﴾

[سورة الإسراء الآية: ٣٦]

فأنت مسؤول عن كلامك.

هذا سر إفساد السلام :

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه-، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
((أفشوا السلام تعلوا))

أي يرفع الله من شأنكم، ويرفع لكم مقامكم في الدنيا، أفشوا السلام تعلوا.

وفي حديث آخر: عن البراء بن عازب قال:

((أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:
أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا وَالْأَشْرَهُ شر))

[أخرجه أحمد في مسنده]

يعني: إذا كنت ليس لك أصحاب ضمن حيتك لا تسلم على أحد، يزورك الناس؟ لا، لأنك لا تزور أحداً، فهم إذاً يبحثون لك عن عيب، عن غلطة، ينقضون عليك، ليشفوا عليهم منك، أما إذا كنت متواضعاً، وسلمت عليهم، وزرت جيرانك، وعاونتهم في حياتهم، أصبح هذا البناء التي

تساكن جيرانك به أسرة واحدة، إذا سافرت سافرت وأنت مطمئن، كلهم كأنهم أنت، إذا فقدت هذه المودة، فقدت التحية، وهذا السلام،
تعيش في جفاء.



إذا دخل أحد من أخوة زوجتك إلى بيتك في غيابك، يقولون: دخل بيته شخص غريب، علماً بأن الداخل أخو زوجتك، يتكلمون بموضوعات ثانية، بينما إذا أنت سلمت عليهم، وعرفوا أخلاقك العالية، وتواضعك وخدمتهم، أصبح هذا الحي أسرة واحدة، إني أحب

التكافف والتعاون، فالإسلام جماله في هذه الحياة الاجتماعية السليمة، لأن التباعد والتدابر والتجافي والمشاحنة والبغضاء تفت المجتمع، قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَلَا تَنَازِعُوا فَفَشَلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال الآية: ٤٦]

بالمنازعة والمشاحنة ضعف، يضعف هذا المجتمع الذي تتتمى إليه، لذلك تجد مجتمعات مفتة، بفعل الخصومات والغيبة والنمية والحسد والبغضاء والتدابر والتطاحن والتنافس تجد المجتمع المنهاج، أما بتطبيق تعاليم الإسلام، تجد المجتمع كالبنيان المرصوص، يشد بعضه ببعضه، إذاً أفسوا السلام تعلاوا، أفسوا السلام تسلموا.

انظر هذا التواضع عند عمر :

و عن ابن الزبير - رضي الله عنهما -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
((دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأَمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالَقَةُ حَالَقَةُ الدِّينِ لَا حَالَقَةُ الشِّعْرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَنُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابِبُتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))

اقرأ عن الصحابة، تحس أن هؤلاء الصحابة كأنهم يد واحدة، كأنهم جسم واحد، يحب بعضهم ببعضًا، يدافعون عن بعضهم ببعضًا، يعرفون قدر بعضهم ببعضًا.

وقف سيدنا عمر على المنبر، قبل أن يخطب نزل درجة -ماذا حدث!! ألغى الخطبة؟ الخطبة أساس في الإسلام - فلما استقر على الدرجة التي دون الأخيرة، قال: ما كان الله ليتراني أضع نفسي في مقام أبي بكر، فنزل درجة اعترافاً بمنزلة أبي بكر، وسيدنا عثمان نزل درجة كذلك. بعد عشرات السنين، سأله أحد خلفاء بنى أمية أو بنى العباس، فقال: لماذا لم ينزل فلان الخليفة درجة؟ فقال له صديقه: لو فعلها لكنت أنت في قعر بئر.

لو ينزل كل خليفة درجة فأين مكانك أنت اليوم؟.

المهم أن تعلم أن عمر تواضع في نفسه، فاللزم أنت التواضع، سيدنا عمر كان منصفاً، وبعد أن توفي سيدنا الصديق -رضي الله عنه- صار سيدنا عمر -رضي الله عنه- كذلك هو الرجل الأول، ورغم ذلك يرى أفضلية الصديق!

أحدهم أحب أن يتقرب منه، فقال له: والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله -كلام لطيف، فليس أحسن منك بعد النبي، فكاد أن يبطش بمن في المجلس جميعهم -نظر إليهم نظرة حادة، خافوا إلى أن قال أحدهم: لا والله لقد رأينا من هو خيراً منك، قال له: من هو؟ قال : أبو بكر، فقال: كذبتم جميعاً إليها الساكتون وصدقت أنت، كنت أضلّ من بعيري، وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك -من الذي يقدر أن ينافق لسيدنا عمر؟ انتهى النفاق كلّه، فلا يوجد نفاق، أنصف سيدنا الصديق، فهو قد مات وليس من يدافع عنه، سيدنا الصديق الآن ليس موجوداً، فإذا كان أحب أن يحتل الساحة كلها الآن، فلا يوجد من يحاسبه، لكنه أنصفه قائلاً: والله كنت أضلّ من بعيري، وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك، قال: ما أنا إلا حسنة من حسنات أبي بكر.

عمر كله حسنة من حسناته، أنصفه من نفسه.

النبي أنصف أصحابه واحداً واحداً :

النبي -عليه الصلاة والسلام- أنصف أصحابه واحداً واحداً، هذا قال له:
((والله إني أحبك يا معاذ))
أنصفه.

وسعد قال له:

((ارم سعد فداك أبي وأمي))

وفي سعد قال أيضاً:

((أروني خالاً مثل خالي))

أنصفه.

ومن سيدنا عمر قال:

((لو كاننبيّ بعدي لكان عمر))

أنصفه.

وسيدنا عثمان قال عنه:

((ذو النورين، ألا أستحي من عثمان؟))

أنصفه.

وأبو عبيدة قال عنه:

((أمين هذه الأمة))

وابن الزبير قال عنه:

((حواري هذه الأمة))

وسيدنا خالد قال عنه:

((سيف الله في الأرض))

لا يوجد صحابي من أصحاب النبي إلا النبي أنصفه في تقييم صحيح، هكذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام.

فعن الرَّبِّيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً - قَالَ :

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأَمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسْدُ وَالْبَغْضَاءُ ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالَقَةُ حَالَقَةُ الدِّينِ لَا حَالَقَةُ الشِّعْرِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَبُّوا ، أَفَلَا أَنْتُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَبِّبُتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))

هذا الحديث بإسنادٍ جيد.

نقطة هامة :

والنبي يقول، وهو :

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم الآية: ٤-٣]

((وَالَّذِي نَفَسْتُ مُحَمَّدًا بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابَبُوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ
بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبِتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))

ولم يقسم النبي فلماذا يقسم؟ معنى ذلك: أن هناك أمراً خطيراً.

أنت إذا كنت تحب أخوانك فأخوانك
يحبونك، لا أحبهم يا أخي، بالزور
المحبة، أي يجب أن تعاملوا بعضكم
معاملة يكون من ثمارها المحبة،
المحبة ليست عملاً إرادياً، بل عملاً
غفرياً:

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم،
فإن النفوس جبت على حب من أحسن

إليها، وبغض من أساء إليها))

هذه النفس مثل الماء في المنحدر، صب الماء على منحدر، وقل له: اصعد إلى فوق ، يرجى الصعود نحو الأعلى، لا يصعد، رجاءً، لا يرد عليك، قل له: انزل، فكل هذا كلام فارغ، لأنه ينزل تلقائياً، فالنزو والهبوط إحدى خصائص الماء:

((يا داود ذكر عبادي بإنعمامي إليهم، فإن النفوس جبت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها))

أحسن إلى الرجل تكون أميره.

بالبر يستعبد الحر.

قصة :

يقولون: إن شخصاً مخموراً، سكيراً، عربيداً، خميرأً، كان ماشياً في الطريق، ورائحة الخمر تفوح منه، من الإمام مالك بن دينار، ويبدو أنه أشدق عليه، فأخذه إلى البيت، ونظفه وغسله وأطعمه وصرفة، بهذه المعاملة الطيبة تاقت نفس هذا العاصي إلى الله، فاغتنسل وصلى ثم حضر صلاة الفجر في المسجد، فصار يبكي ويناجي ربه، يقولون: إن الإمام مالك بن دينار رأى في

المنام: أن يا مالك طهرت فمه من أجنا فطهرنا قلبه من أجلك، فلما ذهب إلى المسجد صباحاً، ووجده في المسجد يصلي، قال له: من الذي هداك إلى؟ فقال له: إن الذي هداني أخبرك بحالتي. أخيرك عنني، يقولون لك: أخي هذا شارب، هذا عاصٍ، من الممكن إذا تاب أن يسبقك، لا تعرف، فكن أديباً مع الخلق، الآن هو عاصٍ، لكنه إذا تاب فلعله يسبقك إلى الله.

سيدنا خالد في بدر حارب رسول الله، وفي أحد حاربه، متى أسلم؟ أسلم عام الفتح، ألم يسبق معظم الصحابة؟ أليس كذلك؟ أصبح من كبار الصحابة.

لا تعرف أنت طوال المستقبل فإنه غيب، فكن أديباً مع الناس، رأيت عاصياً انصحه، فهمه، بين له، أخدمه.

خذ هذا الشعار لك في حياتك :



أنا أحب أن يكون كلّ أخ شعاره: كن عوناً لأخيك على الشيطان، ولا تكن عوناً للشيطان على أخيك، عاونه على الشيطان، فتواضع له، واحدهمه، ولا تغفره من الدين، ولا تكن عوناً للشيطان على أخيك. الحديث الشريف القديسي: ((أنا مع المنكسرة قلوبهم الحزانى في كنف الله، إن الله يحب كل قلب حزين)) الحزانى معرضون للرحمة، الإنسان

قيمتها بأخلاقه، النبي لماذا مدحه الله عزّ وجل؟ بيته فخم، متراumi الأطراف مثلاً؟ لا، لماذا مدحه الله عزّ وجل؟ .

أحياناً أنت تقيم الإنسان بسيارته، بيته، بمكتبه، بمرتبته، برصيده، بأسرتها، بحسبها، بنسبيه، أخي فلان يده طالية، لماذا مدح الله نبيه الكريم؟ قال:



﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
[سورة القلم الآية: ٤]

إذا كنت تحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فاقتف أثره في التواضع، في الإنفاق.
كان إذا دخل بيته لف ثوبه لئلا يوقظ أهله، كان إذا دخل إلى بيته قال:

((أكرموا النساء فو الله ما أكرمنهن إلا كريم))

كان يقول عن النساء:

((إنهن المؤنسات الغاليات))

كان حليماً صلّى الله عليه وسلم، بلغه حديث الإفك، وما أدركم ما حديث الإفك؟ ومع ذلك كان طليماً، وكان صابراً، لأنه هو الأسوة لنا.

إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي :

لذلك: فعن أبي هريرة قال:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَبُّوا، أَفَلَا أَذْكُرْتُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))

تريد أن تحب أخاك وأخوك يحبك، المحبة ليست بالإكراه إذاً كيف؟ يجب أن تعامله معاملة ينوب محبة فيك، ويعاملك معاملة تذوب محبة فيه، فإذا أحببته وأحبك صار المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه ببعضًا.

ماذا قال الله عزّ وجل عن أصحاب رسول؟ قال الله عزّ وجل:

﴿مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة الفتح الآية: ٢٩]

الإنسان لا بدّ من أن يرحم أخيه:

((إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

إذا وقع إنسان أو عثر فارحمه.

أين أنت من الإسلام عشر التجار؟ :

أحياناً: يضطر أحد الزبائن لبضاعة ما، فيقول له البائع: بثلاثمائة وخمسين، فيقول الزبون: هي بمائتين بالخارج، فيقول: الترکها لا تشتريها، عرفته مضطراً، وليس هذه البضاعة موجودة عند غيرك، أو يكون مضطراً أن يبيع هذا السرير، لأنه سيجري عملية لزوجته، فيقول له: بمائة ليرة!

ثمنه ثلاثة آلاف، فيقول له: إنه لا يلزمني ولكن لا يرحمه، بالشراء والبيع لا رحمة، إنه مجتمع الغاب، فأين أنت من الإسلام؟.

هذا هو مجتمع الاستغلال :



أنا كنت أضرب مثلاً خلاصته: رجل يريد أن يشتري غرفة نوم، قال له البائع: هي ذات سرير واحد، قال له: أريدها ذات سريرين، قال البائع: إذا عشرة آلاف زيادة، الخشب أسعاره مرتفعة، قال الزبون: إذا أنا أريدها بسرير واحد، يقول له: أحسم لك ألفين، لماذا لما أراد شراء سريرين يطلب منه عشرة آلاف زيادة، وعندما اكتفى

بسرير واحد أصبح السرير ثمنه ألفان؟ لأنه لا يوجد إنصاف، وحول موضوع الإنفاق، هذا إذا كنت تريد أن تبيع الحاجة فالثمن المدفوع لك زهيد جداً، وإذا كنت تريد أن تشتريها فهي قطعة نادرة وثمنها باهظ، هذا مجتمع القنصل، مجتمع الذبح، مجتمع الاستغلال، هذا ليس مجتمعاً إنسانياً بل هو مجتمع الذئاب، لذلك نهى النبي عن بيع المضطر، إذا كان رجل مضطراً لبيع سلعة، يجب ألا تأخذها بثمن بخس، لأنك عذّلْتَ كأنك سرقتها منه، وعلى هذا فقس.

فما دام تعاملنا قائماً على جور، وعلى ظلم وعدوان، بين بعضنا البعض؛ الجار مع جاره، والأخ مع أخيه، المعلم مع صانعه، الصانع مع معلمه، فالمجتمع إلى انهيار، لذلك: فالله عزّ وجل لا ينظر إلى هذه الأمة بالرحمة إذا لم يتراحموا، أما إذا تراحموا يرحمهم الله عزّ وجل.

ملخص الدرس :

فاليوم فرأت في الجريدة: إلى الآن أمطار دمشق ثمانية وعشرين مل، بقي من فصل الشتاء شهران فقط، ونحن معدل أمطارنا عادةً مائتان وخمسون مل في السنة، العام الماضي الذي كان عام محل في دمشق، كان المعدل خمسة وثمانين مل، وما هطلت الأمطار حتى الآن في هذه السنة، إلا ثمانية وعشرين مل فقط:

((إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

إذا أخذنا وقع فلا أحد يرحمه ولا أحد يأخذ بيده، فالظلم قائم، ومصدره الأنانية والجشع، وهذا ملخص الدرس.

الدرس كأنه حام حول موضوع واحد خلاصته: أن تتصف الناس من نفسك، حق لأخيك عليك أن تتصفه؛ في سمعته، في عرضه، في ماله، في بيتك له، في شرائك منه، في زيارتك له، واذكر قوله تعالى دائمًا: إنما المؤمنون أخوة، واذكر أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية : الحقوق - حق المسلم على المسلم - الدرس (٧ - ٨) : الإنصاف من نفسك.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٤٠١-١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ما زلنا في موضوع حقوق المسلمين على المسلمين، ومن هذه الحقوق التي بدأنا بها منذ درسين حق السلام، والشيء الذي يلفت النظر: هو أن بعض الناس يظنون أن إلقاء السلام شيء تافه، أو شيء لا يقدم ولا يؤخر.

النبي - عليه الصلاة والسلام - جعل من السلام أداة لشروع المحبة بين المؤمنين. لذلك كما مهدت في الدرس الماضي: أن الإنسان له حياة جسدية، وله حياة عقلية، وله نفسية، وله حياة اجتماعية، والله سبحانه وتعالى في منهجه الحكيم، وفي قرآن الكريم قال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[١٠] سورة الحجرات الآية:

وقد فهم النبي - عليه الصلاة والسلام - من هذه الآية: حقوق الأخوة في الله، لذلك تجدون بعد قليل: كيف أن هناك توجيهاتٍ نبويةً عديدةً، هدفها الأوحد تمنين هذه الأخوة في الله، بين أن يكون المجتمع مفككاً، وبين أن يكون المجتمع متبايناً متحاسداً متناقضاً، وبين أن يكون المجتمع متماسكاً، كأنه جسد واحد، إذا اشتكتى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

هذا الإيمان :

عن أنس - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

(ثَلَاثٌ مَنْ كُنْ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَوةَ الإِيمَانِ).

-معنى ذلك: أن الإيمان ذوق، ومن هذا الذوق أن للإيمان حلوة، فمؤمن مع انقباض، مع ضيق، مع يأس، ليس هذا مؤمناً، الذي آمن إيماناً صحيحاً، يجب



أن يذوق حلاوة الإيمان.

ومن توجيه النبي -عليه الصلاة والسلام- : أنه من آمن إيماناً صحيحاً، وجد حلاوة الإيمان.

يقول عليه الصلاة والسلام- : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ .
-الإيمان بحث، والإيمان تصديق، والإيمان اتصال بالله عزّ وجلّ، والكفر جهل، والكفر تكذيب،
والكفر إعراض عن الله عزّ وجلّ، هناك بالإيمان جانب فكري، وهناك جانب تصدقى، وكذلك
جانب شعوري.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث بين الجانب الشعوري،

فقال- : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ .

ما هي الشروط التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان لكي يذوق حلاوة الإيمان؟ :

١- أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما :

-بالمناسبة: فهذا الحديث مقياس لنا، إنه وصف المؤمن كذلك ومقاييس لنا، فكل واحدٍ منا يسأل نفسه هذا السؤال: هل تتطبق على هذه الشروط؟ إذا انطبقت فليفرح، وهنيئاً له، فإذا لم تتطبق، فلا بدّ من السعي الحثيث حتى يصل إلى هذا المستوى المطلوب، ما هي هذه الثلاث؟
قال عليه الصلاة والسلام- : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا .



-هذا كلام معناه واضح، وقد يقول كل واحدٍ منا: نعم الله ورسوله أحب إلىّ مما سواهما، فإذا كان الأمر كلاماً فالقضية سهلة جداً، لكن ربنا عزّ وجلّ يضع المؤمن في امتحانات صعبة، مصلحته المادية أن يفعل كذا وكذا، إن رضوان الله عزّ وجلّ في أن يدع هذه الصفة، فإذا أخذ صفة فيها شبهة وأثرها على رضوان الله عزّ وجلّ،

يجب أن يعلم علم اليقين أن الله ورسوله ليس أحب إليه مما سواهما، الذي يطيع زوجته ويعصي ربه، ليعلم علم اليقين أن الله ورسوله ليس أحب إليه مما سواهما؛ الذي يؤثر شهوة، الذي يؤثر مخالفة، يؤثر معصية، يؤثر انحرافاً، يؤثر تقصيرًا على طاعة الله ورسوله، فهو لا يحب الله ورسوله كحبه لهذا الشيء الذي آثره، إذاً نحن الآن أمام مشكلة، لأن الادعاء سهل جداً: وكل يدعى وصلاً بليلي وليلى لا تقر لهم بذلك

لك أن تدعى ما شئت، ولكن الله سبحانه وتعالى كفيلٌ بأن يضع المؤمن في ظرفٍ دقيقٍ دقيق، يكشف له وللناس أنه لا يحب الله ورسوله كما يدعى، لذلك فالإنسان يجب أن يتلو هذه الآية ويتدبرُّها:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[سورة العنكبوت الآية: ٢]

قد تواجهه موقفاً صعباً، قد تغلق دونك كل الأبواب -أبواب الحلال كلها مغلقة- . ويفتح الله لك بباباً فيه كسبٌ حرام، المؤمن لو قطعته إرباً لا يقترب الحرام، أما ضعيف الإيمان يقول لك: أنا مضطر عندي أولاد، معنى ذلك: أن الله ورسوله ليس أحب إليه مما سواهما.

٢- وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر

وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ.

-محبة الناس لها أسباب، هناك محبة أساسها المصلحة، ظاهرها محبة حقيقتها المصلحة، وهناك محبة أساسها القرابة، ومحبة أساسها الشهوة، ومحبة أساسها المتعة، ومحبة أساسها الطمأنينة، يا ترى: هل تحب إنساناً



ليس مؤمنا من هو على حرف

ليس لك معه مصلحة، ولا حاجة، ولا تعترض به، ولا تتقوى به، ولا ترجو خيره، ولا تخشى شره، ولا يقدم لك شيئاً، ولا يؤخر لك شيئاً، لا تحبه إلا الله؟ هذه من عالم الإيمان، أتحب مؤمناً لله؟ -.

وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفُرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))

فهذا الذي على حافة، على حرف، فكلمة تأخذه إلى أهل الإيمان، وكلمة تدفعه إلى أهل النفاق هذا ليس مؤمناً.

ما علاقة هذا الحديث بموضوع السلام؟

يا أخوان، حديثٌ دقيقٌ دقيقٌ :
(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلْوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ
الْمَرءُ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)
فيجب علينا أن نقف عند هذا الحديث، وأن نتأمل هذا الحديث، وأن نتحسن أنفسنا في ضوء هذه المقاييس الثلاثة التي جاءت في هذا الحديث .

ما علاقة هذا الحديث بموضوع السلام؟ أي أنت إذا أردت أن تحب الآخرين عن طريق إفشاء السلام، فينبغي أن تكون مؤمناً، وهذه صفات الإيمان.

((المؤمنون بعضهم لبعض نصاء متادون وإن افترقت منازلهم، وال مجرة بعضهم لبعض غشّة خونة وإن اجتمعت أبدانهم))

من أجل أن ينشئوا السلام بيننا، وأن تزداد المحبة، وأن تصبح العلاقات متينة، يجب أن نكون مؤمنين، وهذه صفات أهل الإيمان.

من هؤلاء السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيمة؟ :

١- الإمام العادل :



حديث آخر:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول:
((سَبْعَةٌ يُظْلَمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ
إِلَّا ظِلُّهُ؛ إِلَمَامُ الْعَادِلِ)).

لقد مرّ معنا في درس الجمعة: كيف أن سيدنا سليمان -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وهو في أعلى درجة من درجات الملك والقوة- كان أقرب الناس إلى الله عزّ وجل.

فإماماً قد تكون طریقاً إلى الله عزّ وجل ولكن بشرط أن يكون الإمام عادلاً، لذلك قيل: العدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والورع حسن لكن في العلماء أحسن، والساخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن.

فهذا الإمام العادل من السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.-

٤-شاب نشاً في طاعة الله :

وَشَابَ نَشَأْ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ .

-من شبَّ على شيءٍ شاب عليه.
من لم تكن له بدايةً محرقة لم تكن له
نهايةً مشرقة.



شاب نشاً في عبادة ربِّه

هذا الشاب الذي نشاً في طاعة الله، أصبحت حياته كلها في طاعة الله، له خريف عمرٌ مُشرق، له مستقبل مشرق، له مكانة عند الله كبيرة، هذا الذي نشاً في طاعة الله، والذي آمن في أي سنٍ هو مقبول، وله عند الله شأنٌ كبير، ولكن الشاب إذا نشاً في طاعة الله، يُبني زواجه على طاعة الله، يُبني عمله على طاعة الله، تبني علاقاته الاجتماعية على طاعة الله، الذي يؤمن بوقت متأخر جداً هو أمام زوجة لها مشكلة لا تستجيب له أحياناً، تجعل بيته جحيناً ، له عمل لا يرضي الله، هذا العمل الذي أله، فكلما فكرت بمعرفة الله، كلما جعلت حياتك تسير على وفق مرضاه الله عزّ وجل.-

٣-رجل قلبه معلق في المساجد :



وَرَجُلٌ قَبْلُهُ مُعْلَقٌ فِي الْمَسَاجِدِ .
-المؤمن في المسجد كالسمك في الماء،
لأنه بيت الله عزّ وجل:

رجل قلبه معلق في المساجد

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُتْهِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيَّاتِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَقْلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

[سورة النور الآية: ٣٦-٣٧]

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة النور الآية: ٣٥]

فإذا أردت أن تكون طبيباً، فلا بدّ من أن تتجه إلى الجامعة، المكان الطبيعي لتعلم الطب، وإذا أردت أن تكون مؤمناً فلا بدّ من أن تتجه إلى المسجد، هو المكان الطبيعي لمعرفة الله عزّ وجل، من خلال ما يلقى فيه من علم، ومن خلال العبادة، وتلاوة القرآن.-.

٤-رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقوا عليه :

وَشَابَ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَبْلُهُ
مُعْلَقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلٌ تَحَابَ فِي
اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ .

-فلا يعرف طعم هذا الكلام إلا من كان
له أخُ في الله، ولا أبلغ إذا قلت: إن
أثمن شيء في الحياة أخُ في الله،
يخلص لك الود، يمحضك النصيحة،



رجلان تحابا في الله

يقدم لك النصيحة، يعينك في الأزمات، يواسيك في النكسات، يفرح لك في المسرّات، هو يدك

اليمني، قلبك، عينك، سمعك، بصرك، لذلك مما يخفّف أعباء الحياة، مما يخفّف على الناس مشاق الحياة، هذه الأخوة في الله، وأصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- كانوا قدوةً لنا في المحبة والتعاون والتآخي، وسوف نرى بعد قليل، في قصة الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف، كيف كان أصحاب النبي -رضوان الله عليهم- قدوةً لنا في هذا المجال؟.

٥-رجل طلبه امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله :

وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ اِمْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ .

-كنت أقول لكم دائماً: إن هناك تطابقاً أحياناً بين القوانين وبين الشرائع، فالسرقة يحرّمها الشرع، ويحرّمها القانون، فالذي لا يسرق ربّما كان بداع الخوف من عقوبة الإمام أو الحاكم ، أو ربما كان بداع الخوف من الله، الأمر ملتبسٌ علينا، ولكن هذا الذي يغضّ بصره عن محارم الله. هذا الذي تدعوه امرأة ذات منصبٍ وجمال ولا أحد يعلم بهذه الدعوة، فيقول: إني أخاف الله رب العالمين، هذه الأفعال لا يمكن أن تفسّر إلا بالإخلاص لله عزّ وجلّ.-

٦-رجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شملة ما تتفق يمينه :

وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ فَأَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُتْفَقُ يَمِينُهُ.

-وأيضاً إخفاء الصدقة مما يؤكّد الإخلاص فيه.-

٧-رجل نكر الله خالياً ففاضت عيناه :



((وَرَجُلٌ نَكَرَ اللَّهَ خَالِيًّا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))
هذا البكاء بكاء أهل الحب؛ أي أن الإسلام روحه الحب وجسده -إن صحّ التعبير-؛ هذه العبادات، وهذه الأفعال، وهذه الأوامر، وهذه التواهي، وتلك الشعائر، ولكن روح الإسلام هو الحب، والحب يحتاج إلى جهدٍ كبير، أما إذا

امتلاً قلبك حباً الله، تشعر بشعور لا يوصف، لذلك لا ينبغي للإنسان أن يكتفي من الإسلام

بمظاهره، بشعائره، بأوامره، بنواهيه، لا بدّ من أن ينتقل من مستوىً إلى مستوىٍ، إن الاستقامة على أمر الله، وبذل ما آتاك الله في سبيل الله، والتقرّب إلى الله، وإنقاذ العبادات، هذا يولد في قلبك حباً لله، فإذا شعرت بهذا الحب عرفت ماذا يعني الحب؟ لأن الشاعر يقول:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباة إلا من يعانيها

إذاً :

((سبعة يظلمون الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ الإمام العادل، وشاب نشا في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجال تhabab في الله اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شمائله ما تتفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاقت عيناه))

هذا الحب في الله ما الذي يفسده؟ :

لا زلنا في الحب، لأن إفشاء السلام من أجل الحب، والحب من أجل أن يمكن المجتمع وتشدّد أوصره .

وعن معاذٍ -رضي الله عنه- قال:

((سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: قال الله عز وجل: المُتحابون في جلالي لهم منابرٌ من نورٍ يغبطهم النبيون والشهداء))
هذا الحب في الله .

الآن: هذا الحب ما الذي يفسده؟ الذي يدعمه أن تكون مؤمناً، والذي يدعمه أن تقضي السلام بين أخوانك، ما الذي يقوّضه؟ ما الذي يفسده؟.

قال عليه الصلاة والسلام:

((المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَخُونُه).
إذا خنت أخاك المسلم فقد قوّضت هذه المحبة- ولا يكذبه، ولا يخذله، كلّ المُسْلِمٍ على المُسْلِمِ حرامٌ عرضه وماله ودمه))

[أخرجه الترمذى فى سننه]

العرض هو السمعة، عرض الإنسان موطن المدح والذم فيه، بمجرد أن تناول منه، بمجرد أن تغتابه فقد نلت من عرضه، وإذا نلت من عرضه نفقت المجتمع، ما الذي يجعل هذه المحبة قوية؟ أن يخلو مجتمع المؤمنين من الخيانة، والكذب، والخذلان، والعدوان على الأعراض والأموال والدماء.



هذا حديث رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، وأصل في التعامل:

((المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَخُونُهُ))
((كَبَرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

كفى بها خيانة أن تتصحّه بشيء لا ينفعه، يحقق مصلحتك أنت، ولكن هذا الشيء لا ينفعه ، كفى بها خيانة أن تخشه في بضاعاته، كفى بها خيانة أن تغبنيه في السعر، فإذا خنت أخاك المؤمن فقد تقوّضت هذه المحبة.-

المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ عَرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ))

[أخرجه الترمذى في سننه]

ماذا فهم العلماء من كلمة بينكم في هذه الآية؟ :

وربنا عزّ وجل قال :

﴿وَلَا تَأْكِلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٨٨]

أروع ما في هذه الآية: أن الله عزّ وجل جعل مال أخيك مالك، فلم يقل: لا تأكل مال أخيك، بل لا تأكل مالك، لأن هذا المال مالك، فيجب عليك أن ترعاه، وأن تحفظه، وأن تصونه، فلأن تمتّع عن أن تأكله حراماً فهذا من باب أولى، إذا كان مال أخيك هو مالك، ويجب أن تحرص عليه، وأن تصونه، وأن تحفظه، فلأن تمتّع من أكله ظلماً وعدواناً من باب أولى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٨٨]

وكلمة بينكم: فهم منها العلماء أن هذا المال يجب أن يكون بين الناس، متداولاً لا بين كل الناس، فإذا أصبح المال متداولاً بين أيدي قليلة فثم مصيبة المصائب، والله سبحانه وتعالى ما حرم الربا، وما حرم الاحتياط، وما حرم الغش، وما حرم التدليس، وما حرم الكذب، وما حرم إخفاء العيب، وما حرم كل المحرمات في كسب المال إلا:

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾

[سورة الحشر الآية: ٧]

إذا كانت هذه الكتلة النقدية بين كل الناس كان الناس كلهم بخير، أما إذا تداولتها أيدي قليلة وقمنا في الطامة الكبرى، إذا :

((كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ حَرَامٌ؛ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ))

[آخرجه الترمذى فى سننه]

الخيانة، والكذب، والخذلان، والعدوان على الأعراض والأموال والدماء، يفتت المحبة بين المجتمع، يصبح المجتمع كالذئاب كل ينقض على أخيه، الأقوى يأكل الأضعف.

قال جعفر النجاشي: كنا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله فينا رجلاً، نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبة، فدعانا إلى الله لنعبد ونوحده، وندع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان.

عن مَا ينهى النبي في هذا الحديث :

حديث آخر: رواه الإمام مسلم ينهى فيه النبي -عليه الصلاة والسلام- عن أعمالٍ كثيرة، من شأنها أن تقدس العلاقة بين المؤمنين.

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم:

((لا تحسدوا، ولا تناجشو).

-ما هو التناجي؟ تكون أنت في السوق، ولك زميل، أو صديق، أو جار، وهو يبيع شيئاً لإنسان، تقول له: خذ مني ألف ليرة، أنت لست صادقاً في هذا الشراء، وهذا السعر ليس سعره، ولكن دفعت هذا السعر من أجل أن تغرى هذا المشتري بدفع هذا الثمن، هذا بيع النجاش، وبيع النجاش حرام، لأنه تمثيلية لعملية بيع وخداع وغبن، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:-

لا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجِشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا يَبْعِيْعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ

-كان السلف الصالح إذا جاءه المشتري الأول يبيعه، فإذا جاء المشتري الثاني، يقول له: اذهب عند جاري، أنا قد بعت البيعة الأولى، ويريد لجاره أن يستفتح كما استفتح هو.-

وَلَا يَبْعِثْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعٍ بَعْضٌ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ أَخْوَاتِنَا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، وَيُشَيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذمي في سننهما، ومالك في الموطأ]

قف هنا :

والحديث الأخير المتفق عليه:

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ،

- من أعن ظالماً سلطه الله عليه - .

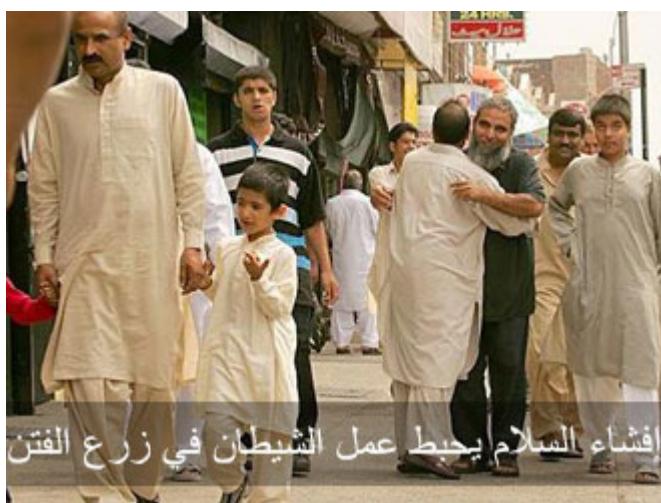
وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ،

- لأن أمشي في حاجة أخيه مؤمن بخير لي من صيام شهر واعتكافي في مسجدي هذا -.
وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بَهَا كُرْبَةً مِّنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَرَّ مُسْلِمًا
سَرَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

هذه توجيهات النبي التي جاءت من أجل أن تقشو المحبة بين المؤمنين، التعمق بالإيمان يزيدك حباً بأخوانك المؤمنين، وإفشاء السلام يزيد هذه المحبة، والذي يقوّضها أن تخونه، أن تكتب عليه، أن تظلمه، أن تسلمه، أن تعادي على ماله أو على عرضه أو على دمه، أن لا تقيم له المعونة المناسبة، هذا كله في هذه الأحاديث الشريفة.

هذه مهمة الشيطان :



عن جابرٍ - رضي الله عنه - قال:

((قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ
الْمُصْلِنُونَ وَلَكِنْ رَضِيَ فِي التَّحْرِيشِ
بَيْنَهُمْ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذمي في سننه]

إفشاء السلام يحيط عمل الشيطان في زرع الفتنة

فالشيطان دوره خطير جداً في التحريش بين المؤمنين، إشاعة البغضاء، من خلال الغيبة والنميمة، هذا كله يسبب العداوات بين المؤمنين، الشيطان يئس أن يعبد الناس بعد الرسالة، ولكن طمع في التحريش بينهم.

وفي نهاية المطاف: يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعُمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ))

هل سألت نفسك هذا السؤال؟ :

واليآن: ننتقل إلى قصة الصحابي الحليل عبد الرحمن بن عوف . وقفت وسألت نفسي: أيمكن أن يكون الغني أقرب إلى الله من الفقير؟ قلت: نعم، أيمكن أن يكون الفقير أقرب إلى الله من الغني؟ قلت: نعم، أيمكن أن يكون القوي أقرب إلى الله من الضعيف؟ نعم، أيمكن أن يكون الضعيف أقرب إلى الله من القوي؟ نعم. إذا كان الغني أقرب إلى الله تارةً، والفقير أقرب إلى الله تارةً أخرى، إذاً الغنى والفقر لا علاقة لهما بالإيمان، لكن الغنى يوظف في الطريق إلى الله عزّ وجلّ، والفقر يوظف كذلك. الذي نعرفه جميعاً: أن المؤمن تشنّهي منه الغنى، وتشنّهي منه الفقر، وتشنّهي منه القوة، وتشنّهي منه الضعف.

ماذا نستنتج من هذه المراحل التي مر بها النبي أثناء دعوته؟ :

النبي كان ضعيفاً في الطائف، وقف الموقف الأديب، فقال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتي، وَقَلَّةَ حِيلَتِي، وَهُوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا رَبَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ إِلَى مَنْ تَكَلَّنِي؟ إِلَى عَدُوِّ مَلَكَتِهِ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيْيَ فَلَا أَبَالِي، وَلَكَ الْعَتْبُ حَتَّى تَرْضَى، لَكَ عَافِيَّكَ أَوْسَعُ لِي))

هذا ضعف، وهو في أعلى درجة من درجات الحب وهو ضعيف.

وحينما فتح مكة قال :

((مَا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً؛ أخ كريم وابن أخ كريم))

وهذه قوة.

حينما كان غنياً سأله أحد هم:

((لمن هذا الوادي من الغنم؟ قال: هو لك، قال: أتهزا بي؟ قال: لا والله هو لك))

وحينما كان فقيراً دخل إلى بيته فلم يجد شيئاً يأكله، فقال:

(إني صائم)

فالغنى يوظف ولكن لا علاقة له بالإيمان، الإيمان شيءٌ أعظم من ذلك، أعظم من الغنى، وأعظم من الفقر، وأعظم من القوة.

ما الذي ينبغي أن نفهمه من هذه المقارنة؟ :

سيدينا سليمان كان ملكاً، آتاه الله الملك، فوهب الله له ملكاً، لا ينبغي لأحدٍ من بعده، ومع ذلك كاننبياً مرسلاً، وفرعون آتاه الله الملك، سيدينا عبد الرحمن بن عوف آتاه الله المال، وقارون آتاه الله المال، إذاً ما الذي ينبغي أن نفهمه من هذه المقارنة؟.

يجب أن نفهم أن الإنسان يمتحن بالغنى ويمتحن بالفقير، يمتحن بالقوة يمتحن بالضعف، يمتحن بالصحة ويمتحن بالمرض، ويمتحن بالأمن يمتحن بالخوف، قد يطمئن، أيسشغل هذه الطمأنينة في الانسياق وراء شهواته؟ أن يستغل هذه الطمأنينة بمزيد القرب من الله عزّ وجل، فكل شيءٍ يصيب الإنسان مادة امتحانه مع الله عزّ وجل.

بم تمثل هذه الواقعة؟ :

الآن: نشاهد نموذجاً رائعاً من الغنى المؤمن، كيف أن الغنى إذا وصف به المؤمن كيف يكون؟. قالوا: ذات يومٍ والمدينة المنورة ساكنةٌ هادئةٌ، إذا نقعُ -النَّقْعُ غبارٌ -يلوح في آفاقها، بعدئذٍ انكشف هذا الغبار والنَّقْعُ عن جبلٍ وصوتٍ شديدٍ، ثم لاحت قافلةٌ لم يرَ أهل المدينة مثلها ، قافلةٌ تعداد سبعمائة بعير محملةٌ بكل حاجاتِ أهل المدينة؛ الطعام، والشراب، والثياب، وما شاكل ذلك - لا يوجد في الشام، ولا في مصر من بضائع، من حاجاتٍ .

هذه السبعمائة راحلة التي وصلت المدينة، رجَّت المدينة رجًا، حتى إنَّ السيدة عائشة -رضي الله عنها- سألت: ما الأمر؟ -ما الخبر؟ ما القصة؟-، فقالوا: إنها قافلةٌ لعبد الرحمن بن عوف، - قافلةٌ لواحدٍ، تصوَّر سبعمائة شاحنة، حسبتها: يُقدّر طولها بسبعة كيلو مترات، من هنا إلى دوما تقريباً، أو إلى حرستا، هذه السبعمائة راحلة الموثقة بكل أنواع البضائع، إنها كلها لعبد الرحمن

بن عوف.-

فقالت أم المؤمنين: قافلةٌ تحدث كل هذه الرجَّة؟! فقيل لها: أجل يا أم المؤمنين إنها سبعمائة راحلة، وهزَّت أم



وهب عبد الرحمن بن عوف القافلة لأهل المدينة

المؤمنين رأسها، وأرسلت نظراتها الثاقبة، كأنها تبحث عن ذكرى رأتها أو حديث سمعته، ثم قالت دققاً: أما إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً -أي زحفاً.

هناك دخول للجنة وثباً، وهناك دخول هرولةً، ودخول خبباً، ودخول ركضاً، ودخول زحفاً، عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً، لماذا لا يدخلها وثباً، وهرولةً، وخبباً، وقفزاً؟.

بعض أصحابه نقلوا له مقالة السيدة عائشة، فتذكر عبد الرحمن أنه سمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الحديث أكثر من مرّة، وبأكثر من صيغة، وقبل أن تفضي مغاليل الأحمال، وقبل أن توضع هذه الأحمال على الأرض، توجه إلى السيدة عائشة وقال لها: -طبعاً من وراء حجاب-: لقد ذكرتني بحديث لم أنسه، ثم قال: أما إني أشهد الله أن هذه القافلة بأحمالها وأقتابها وأحلاسها هي في سبيل الله عزّ وجلّ.

-لماذا لا يدخلها خبباً، قفزاً، هرولةً، ركضاً؟.

وزّعت حمولة هذه القافلة على أهل المدينة وما حولها في مهرجان بري عظيم، هذه الواقعة تمثل نموذجاً من سخاء سيدنا عبد الرحمن بن عوف، هذه واحدة .

متى دخل عبد الرحمن بن عوف في الإسلام؟ :

من عبد الرحمن بن عوف؟ دخل في الإسلام في وقتٍ مبكرٍ جداً، حينما أسلم لم يكن في الإسلام إلا ثمانية أشخاص، أبو بكرٍ -رضي الله عنه-، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، كان من أوائل المسلمين، وقد التقى النبي -عليه الصلاة والسلام- قبل أن يجتمعوا بدار الأرقام، ومنذ أن لقي النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى أن توفيَ الله وهو في الخامسة والسبعين، وهو نموذج باهرٌ للمؤمنين، مما جعل النبي -عليه الصلاة والسلام- يضعه مع العشرة المبشرين في الجنة، أحد عشر مبشرين بالجنة، وإذا أردت اليقين: ليس هناك إنسانٌ حسب يقيننا بأنه من أهل الجنة إلا هؤلاء العشرة، أما بالظن نرجو الله أن تكون من أهل الجنة، أما باليقين ليس إلا هؤلاء العشرة وهو منهم.

بم حظ هذا الصحابي؟ :

سيدنا عمر حينما أراد أن يستخلف، جعل عبد الرحمن بن عوف في عداد الستة الذين استخلفهم، وقال عنه: لقد توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو عنه راضٍ. يقال: إن هذا الصحابي الجليل كان محظوظاً في التجارة، كان يقول: لقد رأيتني لو رفعت حمراً، لوجدت تحته فضةً وذهبًا. لكن هذا الصحابي الجليل لم يكن حرصه على المال شغفاً بالثراء، ولكن قرباً من الله عزّ وجلّ.

إليكم الموقف المشرف لهذا الصحابي الجليل حينما هاجر إلى المدينة :

الآن: إليكم هذا الموقف المشرف لهذا الصحابي الجليل حينما هاجر إلى المدينة:
النبي -عليه الصلاة والسلام- جرى على أن يؤاخى بين كل اثنين من أصحابه، أحدهما مهاجر من مكة والآخر أنصاريٌّ من المدينة، وكانت هذه المؤاخاة تتم على نسق يُبهِر الألباب، فالأنصاري من أهل المدينة، كان يقاسم أخاه المهاجر كل ما يملك، حتى فراشه، ويومئذٍ آخر النبي -عليه الصلاة والسلام- بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع -له قصة شهيرة: هذا الذي تقَدَّه النبي في أحد، ثم أرسل من يبحث عنه، فرأه صاحبه في عداد الموتى، وهو على وشك الموت فقال: يا سعد لقد كلفني النبي أن أجث عنك، فهل أنت في عداد الأحياء أم في عداد الأموات؟ فقال سعد بن الربيع: بل في عداد الأموات، ولكن بلغ عنِي رسول الله، وقل له: جراك الله خير ما جزى نبِيًّا عن أمتِه، وقل لأصحابه: لا عذر لكم عند الله إذا خلص إلى نبيِّكم وفيكم عينٌ تطرف.

هذا سعد بن الربيع هو الذي آخى النبي بينه وبين عبد الرحمن بن عوف.
قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف فيما رواه أنس بن مالك: أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه -هذا موقف الكرم، والتضحية، والمؤاثرة، والبذل.
الموقف الثاني-: قال له عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في مالك، ولكن دلني على السوق. فذهب إلى السوق فاشترى وباع وربح.

بم يشر ابن عوف؟ :

النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له: يا بن عوف، إنك من الأغنياء، وإنك ستدخل الجنة حباً، فأفرض الله يطلق لك قدميك.
يا بن عوف إنك من الأغنياء وإنك ستدخل الجنة حباً إلا إذا أقرضت الله، عندئذٍ يطلق لك قدميك فتدخلها خبأً، أو هرولةً، أو قفزاً، أو ركضاً.

قال: منذ أن سمع هذا النص من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو يقرض الله قرضاً حسناً، فيضاعفه الله له أضعافاً كثيرة.

من آثار هذا الصحابي الجليل :

قالوا: مرّة باع أرضاً باربعين ألف دينار، ثم فرقها جميعاً في أهله من بنى زهرة، وعلى أمهات المؤمنين، وفقراء المسلمين .

قدم يوماً لجيوش الإسلام خمسمائة فرس، ويوماً آخر ألفاً وخمسمائة راحلة، وعند موته أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى لكل من بقي من شهدوا بدرأً باربعمائة دينار، حتى إن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أخذ نصيبه من هذه الوصية رغم ثراه، وقال: إن مال عبد الرحمن حلال صفو، وإن الطعمـة منه عافية وبركة.

ابن عوف لم يكن سيداً لأحد بل كان سيد ماله ولم يكن عبد ماله :

شيءٌ مهمٌ جداً -أيها الأخوة-: سيدنا ابن عوف لم يكن سيداً لأحد، بل كان سيد ماله ولم يكن عبد ماله.

والخلاصة: إما أن تكون سيد مالك، وإما أن تكون عبداً لهذا المال. سيدنا ابن عوف كان سيد ماله ولم يكن عبداً لماله؛ أي لم يشق بجمعه واكتزاره، بل سعد بكسبه وإنفاقه، لم يكن شقياً بجمعه واكتزاره بل كان سعيداً



بكسبه وإنفاقه، يجمعه هوناً -بالهدوء- ومن حلال، ثم لا ينعم به وحده، بل ينعم بهذا المال أهله، ورحمه، وأخوانه، ومجتمعه كلهم، حتى بلغ من سعة عطائه، أنه قد قيل: أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف -كل أهل المدينة شركاء له في ماله-، ثلث يقرضهم، وثلث يقضى عنهم ديونهم، وثلث يصلهم ويعطيهم، فالمؤمن الغني تنسع رقعة إحسانه إلى مسافات كبيرة جداً.

انظر إلى زهد ابن عوف :

قالوا: جئ له يوماً بطعام الإفطار وكان صائمًا، فلما وقعت عليه عيناه فقد شهيته وبكي، وقال: استشهاد مصعب بن عمير وهو خير مني، ففكّن في بردة إن غطّ رأسه بدّت رجلاه، وإن غطّ

رجاله بدا رأسه، واستشهد حمزة وهو خيرٌ مني، فلم يجدوا له ما يُكفن فيه إلا ببردة ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بُسط، وأعطينا منها ما أعطيتنا، وإنني لأخشى أن تكون قد عجلت لنا حسانتنا، ثم أمر برفع الطعام.

ومرة ثانية: اجتمع مع أصحابه على طعام، فلما رأه بكى، وقيل له: يا أبا محمد ما يبكيك ؟ قال: لقد مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، وما أرانا أخرين لما هو خيرٌ منه.

هذه عادة الأغنياء :

((أحب ثلاثةً وحبي لثلاثٍ أشد: أحب الطائعين وحبي للشاب الطائع أشد، أحب الكرماء وحبي للفقير الكريم أشد، أحب المتواضعين وحبي للغبي المتواضع أشد، وأبغض ثلاثةً وبغضي لثلاثٍ أشد؛ أبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد، أبغض المتكبرين وبغضي للفقير المتكبر أشد، وأبغض البخلاء وبغضي للغبي البخيل أشد))

هناك عادة عند كل الأغنياء: هي أنهم يحبون أن يتقرّبوا، من أهل القوة، من النساء، ليزدادوا شأنًا على شأن، وقوة على قوة.

من الذي اختار عثمان بن عفان للخلافة بعد موت عمر؟ :

هذا الصالحي الجليل الذي يعدّ من أغنى أصحاب رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، جعله سيدنا عمر من بين الستة الذين اختارهم للخلافة من بعده، فاتحه بعض أصحابه، فقالوا له: إنك أحق بالستة بالخلافة -فماذا قال؟-

قال: والله لأن تؤخذ مديّة سكين -فتوضع في حلقي، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر، أحب إلى من ذلك.

فلما اجتمع مع الستة أعلن انسابه من هذا الترشيح، وقال: أنتم أيها الخمسة اختاروا أحدكم، فلما انسحب هو من هذا الترشيح، كلفوه هو أن يختار أحدهم، فاختار هذا الصالحي الجليل سيدنا عثمان بن عفان، الخليفة الثالث الراشد.

ما هي المزية التي خص بها هذا الصالحي الجليل:

قال له الإمام عليّ -كرم الله وجهه-: لقد سمعت النبي -عليه الصلاة والسلام- يصفك، ويقول: بأنك أمينٌ في أهل السماء، أمينٌ في أهل الأرض.

السيدة عائشة أم المؤمنين أرادت أن تخصّ هذا الصحابي بشرفِ لم تخصّ به أحداً سواه، فتعرض عليه وهو على فراش الموت، أن يُدفن في حجرتها إلى جوار النبي -عليه الصلاة والسلام-، وإلى جوار أبي بكرٍ وعمر، ولكن عبد الرحمن بن عوف أحسن الإسلام تأديبه، فيستحيي أن يرفع نفسه إلى هذا الجوار، وهو على موعدٍ سابقٍ وثيقٍ مع عثمان بن مظعون، إذ توافقت بينهما المودّة، وقال أحدهم لآخر: أيهما مات بعد الآخر يدفن إلى جوار صاحبه.

وبينما كانت روحه تتهيأ لرحلتها الجديدة، كانت عيناه تفيضان من الدمع، ولسانه يتمتم ويقول: إني أخاف أن أحبس عن أصحابي لكثرة ما كان لي من مال، ثم عادت ذاكرته إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحْيٌ يوحى، سمع قول النبي الذي قاله مرّة: عبد الرحمن بن عوفٍ في الجنة.

وقد انطبقت عليهم الآية الكريمة :

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبِّعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٦٢]

التعليق على هذه القصة :

التعليق على هذه القصة: يمكن أن نوظّف الغنى للتقرّب من الله عزّ وجل، فإذا كنت غنياً فكن متواضعاً، وكن سموحاً، وكن سخياً، وإذا كنت فقيراً فكن صابراً، متجملاً، عفيفاً، وإذا كنت قوياً فتواضع لله، واجعل هذه القوة في سبيل الله، وإذا كنت ضعيفاً، فادع الله سبحانه وتعالى أن ينصرك، وإذا كنت صحيحاً فوظّف هذه الصحة لخدمة الخلق، وإذا كنت مريضاً فاجعل هذا المرض قربة إلى الحق، وهكذا الإنسان حاليّة، ما هو فيه امتحان له.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما هي الصيغة التي ألقاها النبي لإلقاء السلام وردّه؟ :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا في موضوع الحقوق، وقد وصلنا في موضوع الحقوق إلى حق المسلم على المسلم، ومن حق المسلم على المسلم السلام، وتحدثنا في درسين سابقين عن فضل إلقاء السلام، وعن وجوب رد السلام، وبقي علينا اليوم أن نتحدث عن الأحكام الفقهية المتعلقة بالسلام .

بادئ ذي بدء: يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه عمران بن حصين :

قال عمران بن حصين: جاء رجلٌ إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: السلام عليكم، فرد صلى الله عليه وسلم السلام ثم جلس، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- عشّر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه الصلاة والسلام السلام، وجلس، وقال النبي الكريم: عشرون، وجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد وجلس وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة ثلاتون.

فهم من ذلك: أن السلام التام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذا السلام ينال ثلاثة أمثال السلام الأول، هذه صيغة من صيغ السلام.

ومن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

(قال رسول الله -صلى الله عليها وسلم- لها: هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت عائشة: **وعليك وعليه السلام ورحمة الله وبركاته**)

إذاً: كلمة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورد السلام: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هذه هي الصيغة التي اختارها النبي -صلى الله عليه وسلم- لإلقاء السلام ورد السلام.

مما يكره استعماله :

الصيغ الأخرى التي تعرفونها: أَنْعَمْ صبَاحًا، أَنْعَمْ مَسَاءً، عِمْ صبَاحًا، عِمْ مَسَاءً، أَسْعَدَ اللَّهُ أَوْفَاقَكُمْ، أَسْعَدَ اللَّهُ صبَاحَكَ، أَسْعَدَ اللَّهُ مَسَاعَكَ، هذه الصيغ التي يستعملها الناس، الأولى منها أن نستعمل تحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لأن السلام اسمٌ من أسماء الله عزّ وجل .

وهناك تحيات يستخدمها المتنرون، كلّم يعرفها، هذه التحيات مكرورة استعمالها، لأن فيها تقليداً للكفار، واعتزازاً بهم، واشتياقاً إلى أن يكون المسلم مثهم، التحيات التي يستخدمها الأجانب، والتي أصبحت إلى حد ما معرّبة، هذه التحيات يطئها بعض الناس دليل رقيٍّ وحضاره، هذه في نظر الإسلام إلغاء ورد لتحية الإسلام، واستبدال الذي أدنى بالذي هو خيرٌ، وإن طرح السلام بصيغة سلام الأجانب، نوعٌ من أنواع التشبيه بهم والاعتزاز بهم، فلنحذر منذ اليوم ألا نطرح سلامهم ولا نرد التحية بمثل ردّهم.

ما حكم إلقاء السلام وما حكم رده في الشرع الإسلامي؟ :

الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَإِذَا حُيِّتُم بِتَحْيَةٍ فَحَيِّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا﴾

[سورة النساء الآية: ٨٦]

بعضهم يقول: طرح السلام سنة، لكن رد السلام واجب؛ أي إذا قال لك أحدهم: السلام عليكم، فهذا قد طبق السنة، أما أنت إذا ألقى عليك السلام فرداً على هذا السلام واجب، والواجب



طرح السلام سنة ورده واجب

-كما تعلمون - قريبٌ من الفرض، بل هو عند بعض الأئمة هو الفرض نفسه.

والله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿وَإِذَا حُيِّتُم بِتَحْيَةٍ فَحَيِّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا﴾

[سورة النساء الآية: ٨٦]

ليس هناك فرقٌ بين أن يكون هذا الذي سلمت عليه مسلماً أو غير مسلم، لأن الآية عامةٌ ، ولا شيء يخصصها إلا بعض الأحاديث التي ترد بعد قليل.

علام استدل جمهور العلماء في هذا الحديث؟:

النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما رواه الإمام البيهقي يقول:

((إن الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا))

أي أنك إذا سلمت على غير المسلم، بهذه طريقةٍ من طرق بث الطمأنينة فيه، وإذا سلمت على مسلم، وهذا نوعٌ من أنواع التحية التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها.

استدل جمهور العلماء على أن رد السلام على كل مسلم مسلماً كان أو كافراً لا يختلفان إطلاقاً، فأنت إذا ألقى عليك سلام، يجب أن ترد على هذا السلام ولا يعنيك من هو المسلم.

على ماذا تحض هذه الأحاديث؟ :



ألق السلام على أهل بيتك يكثر خير بيتك

الآن ندخل في موضوع آخر من السلام: السلام على أهل بيتك، فالنبي عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الإمام أنس بن مالك، قال عليه الصلاة والسلام:

((يا أنس، أسبغ الوضوء يزد في عمرك، وسلم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك، وإذا دخلت بيتك فسلم على أهلك، يكثر خير بيتك، وصلاة الضحى فإنها صلاة الأوّابين، يا أنس، ارحم الصغير ووقر الكبير تكون من رفقاء يوم القيمة))

يعنينا من هذا الحديث إلقاء السلام على أهل البيت:

وسلم على أهل بيتك، يكثر خير بيتك .

وفي حديثٍ آخر:

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا ولج أحدكم بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير الولوج وخير الخروج، وبسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا، وعلى الله توكلنا، ثم يسلم على أهله))

وعن زيد بن أسلم، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((إذا دخلتم بيتكاً فسلموا على أهله، واذكروا اسم الله، فإن أحدكم إذا سلم حين يدخل بيته، وذكر اسم الله تعالى على طعامه، يقول الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم هنا ولا عشاء))

إذا دخل إلى البيت فسلم على أهل بيته، يقول الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم هنا، فإذا وضع الطعام وسمى الله قبل أن يأكل، يقول الشيطان لأصحابه: ولا عشاء لكم اليوم، فإذا دخل بيته وسلم على أهله وسمى على طعامه، يقول الشيطان: لا مبيت لكم ولا طعام في هذا البيت .

أما إذا لم يسلم على أهل بيته، ولم يذكر الله على طعامه، يقول الشيطان لأخوانه: أدركتم المبيت والعشاء .

ما هي المنعكفات التي يطرحها البيت الذي يسود فيه المحبة:

و عن أنسٍ -رضي الله عنه-، قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
((يا بني، إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركةً عليك))

فالبيت جنة المؤمن، جنته داره، فإذا كانت علاقته طيبةً بأهله وأولاده يسعد في داره، وإذا سعد الإنسان في داره، خرج إلى الناس وهو سليم الصدر، وكان إنتاجه طيباً، فالإنسان يقاس إنتاجه بمدى نجاحه في بيته، فهذا البيت، هذا العُش، هذه اللبنة الأولى، هي أصل صلاح المجتمع، إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، فلذلك: على كل زوج، أو على كل أبٍ: أن يحرص حرصاً بالغاً على سلامه العلاقة بينه وبين أهله، وبينه وبين أولاده، فكلما كانت العلاقة طيبةً، والعلاقة علاقه محبةً واحترام وودٍ، انعكس هذا في عمله، وانعكس هذا في علاقاته الخارجية.

ما حكم السلام على أهل البيت؟ :

فلذلك: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، تكن بركةً عليك وعلى أهل بيتك.
وفي حديثٍ آخر:

((إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، تحية من عند الله مباركة طيبة))

وبعد: فقد قال العلماء: أواجب إذا خرجم من بيتك ثم دخلت أن تسلم عليهم؟ .

قال بعضهم: لا، لكن هو أحب إلي، فمن منكم يصدق أن أصحاب النبي -عليهم رضوان الله- كان الصالحان إذا مشيا معاً، وفرقت بينهما شجرة، يقول أحدهما للآخر: السلام عليكم؟ .
وإذا كان عندك أخٌ كريم، وخرجم من غرفة الضيف، وعدت إليها، فقل: السلام عليكم، هذا اسم الله عزّ وجل، وكلما أقيمت السلام نمت المودة بين المؤمنين، وهذه طريقةٌ سحريةٌ في تمنين العلاقة بين الأخوة المؤمنين .

إذا دخلت مسجد النبي -عليه الصلاة والسلام-، فقل: السلام على رسول الله، هذا أيضاً مما قاله بعض التابعين، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيتك ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

ما حكم السلام على الصبيان؟ :

ما حكم السلام على الصبيان؟ .

ورد عن أنسٍ -رضي الله عنه-:

((أن النبي -عليه الصلاة والسلام-

مر على صبيان فسلم عليهم))

[أخرج البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى
في سننهما]

وكان عليه الصلاة والسلام يفعل هذا
دائماً، فهذا الصبي الصغير يجب أن
تهتم به.



كلكم يعلم: أن سيدنا عمر -رضي الله عنه- حينما كان يمشي في المدينة، رأى مجموعةً من الغلمان، لما رأوه تفرقوا، إلا واحداً منهم، قال: يا غلام لمْ تهرب مع من هرب؟! قال: أيها الأمير، لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك . ومثل هذا الغلام، فقد دخل مرة على سيدنا عمر بن عبد العزيز وفد من الحجاز، ويتقدم الوفد غلام، فامتنع سيدنا عمر منه لما أراد أن يتحدث باسم الوفد، وقال: اجلس أيها الغلام وليقم من هو أكبر منك سنًا، فقال: أصلح الله الأمير، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام-، ولو أن الأمر كما تقول، لكان في الأمة من هو أحق منك بهذا المجلس.

أي أن هذا الصغير إذا عرف أن المسلمين يقدرونها، ويقدرون وجوده في المسجد، ويحبون وجوده في المسجد، ويكرمون وجوده في المسجد، فإنه ينشأ على حب بيوت الله، وهذا الشاب الذي تعلق قلبه في المساجد من السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.
إذاً من السنة أن تسلم على الصبيان، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((من كان له صبيٌ فليتصابي له))

وكلكم يعلم: كيف كان يركب الحسن والحسين على ظهره الشريف ويقول:

(نعم الجمل جملكما! ونعم العدalan أنتما)

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

وكيف كانت الجارية -أي البنت الصغيرة- تأخذه من يده -صلى الله عليه وسلم-، وتقوده حيث شاءت.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- في بعض الأحاديث يقول :

((لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وراقبه سبعاً، ثم اترك حبله على غاربه))

على كلٍّ؛ طرح السلام من الإسلام، صغيراً كان أو كبيراً، قريباً أو بعيداً، مسلماً أو غير مسلم، لكنني أضرب مثلاً:

فلو أن واحداً مشى في سوق الحميدية اليوم، أو في أيام الازدحام، أو في أيام الأعياد، فهل عليه أن يطرح السلام على كل أولئك؟ لا، ليس هذا وارداً إطلاقاً.

ما حكم السلام في السوق، وما الحكم الذي يمكن أن يستخلصه من السلام؟ :

قيل: إذا مشى المسلم في السوق أو في الشوارع المطروقة ونحو ذلك مما يكثر فيه المتلاقون، فإن السلام يكون في هذه الحالة لبعض الناس دون بعض، لمن تعرف، دخلت إلى محل تجاري: السلام عليكم، دخلت إلى المسجد، دخل معك شخص، حازاك في الدخول، قل: السلام عليكم، أما في الأسواق المزدحمة: ليس من المعقول أن تطرح السلام على كل الناس .

على كلٍّ؛ من حِكم السلام أنه به تستكبس الود و تستدفع المكروه، قد يلقاك شخص شرير، فإذا سلمت عليه انطفأت شرته، فالسلام أحياناً تستجلب به المودة أو تستدفع به المكروه ، فإذا كان شخص يخشى شره وسلمت عليه وكانت معه لطيفاً، ربما صرف النظر عن إيدائك، هذا من حكمة السلام.

إذا جاء في الخطاب لفظ السلام فهل على القارئ رد السلام؟ :

والآن: عندنا أحكام أخرى لحالات أخرى:
أنه إذا جاء في الخطاب لفظ السلام، تقرأ رسالة، تقرأ في مقدمة الرسالة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال العلماء:

يجب أن تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، أن ترد على السلام المكتوب، هذا حكمٌ فقهي.
وعن عائشة أنها قالت:

((قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت:

قلت: وعليك وعليه السلام ورحمة الله وبركاته))

أي إذا ألقى عليك السلام مباشرةً وجهاً لوجه، لا بد من أن ترد السلام، وإذا جاءك السلام مكتوباً، أو جاءك على لسان إنسانٍ آخر، يجب أن تقول: عليك وعليه السلام، كما علمنا النبي عليه الصلاة والسلام.

فعن غالبقطان، عن رجلٍ قال:

((حدثني أبي عن جدي، قال: بعثني أبي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ائته فأقرئه السلام، فأتيته فقلت: يا رسول الله، إن أبي يقرئك السلام، فقال عليه الصلاة والسلام: عليك السلام وعلى أبيك السلام))

إذاً: طرح السلام مباشرةً لا بدّ له من رد، إذا جاء السلام كتابةً لا بدّ له من رد، إذا جاء محمولاً عن طريق شخصٍ ثالث، لا بدّ له من أن تقول: عليك وعليه السلام .

إذا كان المؤمنون جماعةً فما حكم طرح السلام؟ :

الآن: إذا كان المؤمنون جماعةً فطرح السلام سنة كفاية، إذا قام به أحدهم سقط عن الباقي، وإذا كان المطروح عليهم السلام جماعةٌ فردُّ السلام واجب كفاية، إذا كان الذي طرحت عليه السلام واحداً رد السلام واجب عين، وإذا كان الذي طرحت عليه السلام جماعةً رد السلام واجب كفاية، طرح السلام من جماعة سنة كفاية، طرحة من واحد سنة عين، هذا حكم السلام. طبعاً: الحكم المعروف طرح السلام سنة، ورده فرضٌ أو واجب والواجب أولى .

إليكم هذه الأحوال التي يكره فيها طرح السلام:



الآن: هناك أحوالٌ يكره فيها طرح السلام:

فإن الإنسان إذا كان بيول في سفر مضطراً، لا يجوز أن تطرح عليه السلام، أو إذا كان يصلي، أو إذا كان يؤذن، أو إذا كان يقيم الصلاة، أو إذا كان في الحمام -أي يغتسل-، فطرح السلام على هذا الإنسان لا يجوز، أو

إذا كان في فمه لقمة، أو وهو يأكل، وهو يبتلع الطعام، فإذا طرحت عليه السلام فأجابك، فإنه يتضايق ويشعر بحرج بين الرد وبلع الطعام.

أما السلام في حال خطبة الجمعة فمكروه، أي في أثناء خطبة الجمعة، وفي مجالس العلم السلام مكروه، لأنه كلما دخل إنسان، قال: السلام عليكم، فأجابوه: وعليكم السلام، تبليل الدرس، وشردت أذهان الحاضرين، ففي خطبة، وفي مجلس العلم، لا يجوز أن تطرح السلام ، دخولك إلى المسجد هو



لا تسلم على من يقرأ القرآن

السلام.

وكذلك لا يجوز أن تطرح السلام على من يقرأ القرآن، فالأولى ترك السلام عليه .

ما يتعلق في باب المصافحة والمعانقة :

الآن: ندخل في باب آخر باب المصافحة والمعانقة:
عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:
(إن المؤمن إذا لقي المؤمن سلم عليه، وأخذ بيده فصافحه، تناثرت خطاياهما كما يتناشر ورق الشجر))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط]

إذاً: فهم من هذا الحديث: أن السلام بين المؤمنين، إذا ألقى أحدهما الآخر، فيكيفه أن تسلم عليه بلسانك وتصافحه بيدينك.

وعن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه سلمان بن الفارسي، أنه قال:



كتاب الحقوق - لفضيلة الدكتور محمد راتب

من السنة العناق في السلام على من قدم من السفر

((إن المسلم إذا لقي أخيه فأخذ بيده، تحتت ذنوبهما كما يتحت الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف))

إذاً: هذا السلام وهذه المصادفة، مما أكدتها النبي -عليه الصلاة والسلام- في أكثر من حديث.

ومن أنسٍ -رضي الله عنه- قال رجلٌ:

((يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخيه أو صديقه أينحنى له؟ قال: لا، قال: أفيلترزمه ويقبله؟ قال: لا، قال: فليأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم))

إذاً: النبي نهى عن أن ننحني لبعضنا بعضاً، ونهى أيضاً عن أن يلتزم بعضنا بعضاً، ويقبل بعضنا بعضاً، إلا لحديث آخر نراه بعد قليل .

حدثني عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس

((أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما قدم جعفر من أرض الحبشة، اعتقد النبي -صلى الله عليه وسلم- وقبل ما بين عينيه، وكان جعفر أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم))
إذاً: فهم أنه إذا قدم الإنسان من سفر، وكان لقاءً بعد غيابٍ طويل، السنة أيضاً: أن تلتزم، وأن تعتقد، وأن تقبله، هذه السنة، أما التقبيل بين الآونة والأخرى: فهذا ليس من السنة، المصادفة من السنة، طرح السلام من السنة .

من آداب السلام :



الآن السنة: إذا دخلت إلى جماعة،
وسلمت عليهم، وصافحتهم واحداً

واحداً، فليس عليك أن تصافحهم حينما تغادرهم، لك أن تقول: السلام عليكم، فالتصافحة عند الدخول فقط وعند الاستقبال، أما عند الوداع يجزئك من السلام، أن تقول: السلام عليكم وتذهب .

من هم أبخل الناس؟ :

هناك بعض أحكام أخرى متعلقة بالسلام :
روى الإمام البخاري في صحيحه، في الأدب المفرد، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:
((أبخل الناس الذي يبخّل بالسلام .))

-أنت صاحب محل وعندك صانع، دخلت على المحل، فقل له: صباح الخير، السلام عليكم ، الله يعطيك العافية، ماذا تتكلف هذه؟ هذه تبّث في نفسه الحب، تبّث في نفسه الطمأنينة. هناك أشخاصٌ من أصحاب المحلات مثلاً، يبخّلون بإلقاء السلام، بحجة أن هذا ليس شأنه من شأنه . هنا المشكلة، وهذا هو الكبر حقاً، يجب أن تسلم على كل من تلقاءه على من حولك، لذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:-

إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء))
إذا كان الله عزّ وجلّ يقول :

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[سورة غافر الآية: ٦٠]

**﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْجِبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي
لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ﴾**

[سورة البقرة الآية: ١٨٦]

والله سبحانه وتعالى على كل شيء قادر وبالإجابة جدير، وأمرنا أن ندعوه، وما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا، فتبخل أن تدعوه !!.

ما حكم السلام على الفاسق والمبتدع؟ :

لكن الأحكام الشرعية المتعلقة بطرح السلام على بعض الأشخاص دقيقة جداً .
فقد روى البخاري أيضاً، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:
((لا تسلموا على شارب الخمر))

إنسان شارب خمر، تقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعليك السلام، أنت كأنك تقرئ على عمله، هذا السلام بين المؤمنين، هذا المتلبس بالمعصية الذي لا يأبه بهذه المعصية من المسلمين لا ينبغي أن تسلم عليه.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يجوز في الأصل أن تسلم على الفاسق ولا المبتدع، فإن اضطررت إلى السلام بأن خفت أن تترتب مفسدة في دين أو دنيا فلك أن تسلم عليه؛ أي إذا كان عدم سلامك على هذا الفاسق أو المبتدع أو شارب الخمر، يتربت عليه -أي عدم السلام- مفسدة كبيرة في الدين والدنيا فينبعي أن تسلم عليه، هذا هو الحكم الشرعي.

فمثلاً: إنسان لو لم تسلم عليه لجاءك منه شرّ خطير، عندئذٍ سلم عليه إنقاءً لشره، مع العلم أنه: شر الناس من اتقاه الناس مخافة شره.

بعض العلماء قال: ينوي المسلم أن السلام من أسماء الله عزّ وجلّ، فإذا قلت: السلام عليكم؛ أي أن الله رقيبٌ عليكم، هذه نية مقبولة .

انظر إلى هذا القول للسادة الأحناف :

حتى إن السادة الأحناف قالوا: إن ترك السلام على من يتعاطى خوارم المروءة، من باب التأديب أولى.

من يتعاطى خوارم المروءة؛ أي كل عمل يخل بمروءة الإنسان، من جراء هذا العمل يجب أن يشعر هذا العاصي أنه منبوذ اجتماعياً.

وتعلمون موضوع العدالة كيف أنها تسقط وكيف تجرح؟ تسقط عن حذث الناس وكان كاذباً إذا تسقط بالكذب، وعاملهم فكان ظالماً إذاً تسقط بالظلم، ووعدهم فأخلفهم إذاً تسقط بإخلال الوعد، فإذا كان صادقاً غير ظالم ولا يخلف وعده، فهو من كملت مروعته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته.

وتعلمون أن الأكل في الطريق، والمشي حافياً في الطريق، والبول في الطريق، وأكل لقمة من حرام، وتطفيقُ بتمرة، وصحبة الأراذل، والحديث عن النساء، من أطلق لفurse العنان لإيذاء الناس، من قاد بربوناً، هذا كله مما يجرح العدالة.

السادة الأحناف قالوا: إن هؤلاء الذين يفعلون أفعالاً تسيء إلى مروعتهم وعدالتهم، يجب أن نؤدبهم.

ولكن الأحكام تتغير بتغير الأزمان، حينما يكون الجو العام جواً صحيحاً، فيه استقامة طيبة من

المجتمع، إذا خرج أحدهم عن هذا الخط يجب أن يؤدب، أما إذا فشا هذا الانحراف، فصار عدم إلقاء السلام، لا يؤدي الهدف الذي أراده العلماء من هذا الحكم الذي استبطوه، فالأمر عندئذ مختلف والإنسان له فيه عذر.

ما حكم من قبل يد غني لدنياه وثراته وشوكته؟ :

الآن قالوا: من قَبْلَ يَدِ غُنْيٍ لِدُنْيَا، وَثَرَوْتَهُ، وَشُوكَتَهُ، وَجَاهَهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَإِنْ هَذَا مُكْرُوْهٌ كِراْهَةً شَدِيدَةً، بَلْ إِنَّهُ يَرْفَى إِلَى حَكْمِ الْحَرَامِ. وَكُلُّمَا يَعْلَمُ :

((مَنْ دَخَلَ عَلَى غَنِيٍّ فَتَضَعَّضَ لَهُ ذَهَبُ ثُلَاثَ دِينِهِ))

من جلس إلى غنيٍّ يبتغي من ماله، فتضعضع له، -تمسكن، تذلل-، ذهب ثلث دينه.

ومن التضعضع له: أن تقبل يده من أجل الطمع في المال أو الثروة أو الشوكة أو الجاه، هذا أيضاً مكرورة كراهةً شديدة، بل إن بعض العلماء ومنهم النووي، قال: حرام.

ما حكم التقبيل وما حكم تقبيل اليد؟ :

شيء آخر: يقولون: ما حكم التقبيل؟ قالوا: تقبيل الأرض والأقدام أمام العظماء والملوك، وتقبيل أيدي السيدات الأجنبية كما هي الحالة في بعض العادات والتقاليد، وتقبيل أيدي الفتيات المراهقات في المجتمعات وعند المقابلات، هذا منكرٌ إنكاراً شديداً.



ما حكم تقبيل اليد؟ قالوا: حكم تقبيل اليد: نابعٌ من ال باعث لهذا التقبيل، فقد يكون التقبيل أساسه بقصد الخضوع وإعلان الع神性 هذا ال باعث غير مشروع، وقد يكون بقصد إشباع الغريزة تحت ستار التحيّة وهذا ال باعث غير مشروع، وقد يكون تلبيةً للشقفة والرحمة للوالدين وهذا ال باعث مشروع، وقد يكون اعترافاً بفضلِ، وهكذا تتتنوع بواتح التقبيل ويأخذ حكم التقبيل حكم ال باعث.

إذا كان ال باعث التعظيم والتجليل أو الشهوة الخفية فهذا تقبيلٌ محرم، إذا كان ال باعث إكرام الأم والأب، وإشعارهما بأن هذا ال ابن بارٌ بهما، فهذا ال باعث مقبول.

وَاللَّهُ سَبَّانِهِ وَتَعَالَى يَقُولُ :

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذُلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنَا صَغِيرًا﴾

[سورة الإسراء الآية: ٢٤]

بعض الفقهاء يقول: تقبيل المودة للولد يكون على الخد - الطفل الصغير يُقبل على خده، وتقبيل الرحمة للوالدين يكون بتقبيل الرأس واليدين، وتقبيل الشفة للأخر يكون على الجبهة.

بقي علينا موضوع القيام:

يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ عِبَادُ اللَّهِ قِيَامًا، فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))

هذا رأي الأحناف في موضوع السلام على الشابة الأجنبية :

الآن: هناك حكم رد السلام على الأخت المسلمة: جاء في حاشية ابن عابدين الحكم التالي : إذا عطست شابة مسلمة في حضرتك فلا يجوز أن تشمّتها -يرحمك الله، هذه ليست واردة إطلاقاً- ولا يسلم عليها، فإذا سلمت عليه يرد السلام بلسانه إن كانت متقدمة في السن، وبقلبه إن كانت شابة، إذا سلمت امرأة أجنبية على رجل، إن كانت عجوزاً رد عليها بلسانه بصوت يسمع، وإذا كانت شابة رد عليها في قلبه، وإذا سلم الرجل على امرأة أجنبية، فالجواب فيه تماماً بالعكس، إذا كان المسلم شيئاً كبيراً ردت عليه السلام بلسانها، فإن كان شاباً ردت عليها السلام بقلبه.

هذا رأي السادة الأحناف في موضوع السلام على الشابة الأجنبية.

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

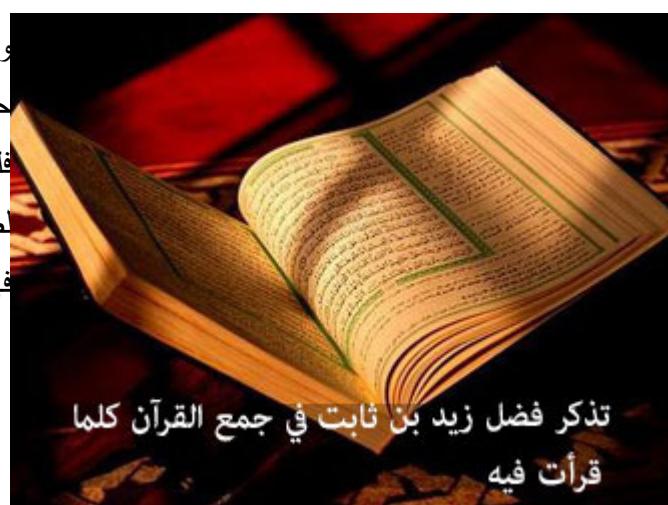
((السلام أسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض فافشووه بينكم))

[أخرج الطبراني في المجمع الكبير، والبزار في مسنده]

هذه عن أحكام السلام، وأحكام التقبيل، وأحكام القيام، وما يتبع ذلك من أحكام.

لحمة عن حياة زيد بن ثابت :

وَالآن إِلَى قَصَّةِ صَحَابِيِّ جَلِيلٍ:
حِينَما تَمْسَكَ بِيَدِكَ الْمَصْفَحَ وَتَقْرَأُ،
فَلَتَعْلَمَ أَنَّ عَلَيْكَ دَيْنًا يَجِبُ أَنْ تَؤْدِيهِ
صَحَابِيِّ جَلِيلٍ جَدًا، كَانَ لَهُ باعٌ طَوِيلٌ
فِي جَمْعِ الْمَصْفَحِ، إِنَّ هَذَا الصَّحَابِيِّ



الجليل هو سيدنا زيد بن ثابت، هو الصحابي الأول الذي جمع القرآن في عهد سيدنا أبي بكرٌ وعمر وفي عهد سيدنا عثمان، فكلما أمسكت مصحفاً، ورأيت الآيات يأخذ كل منها بعنق بعضٍ، ورأيت هذه السور، فإن الفضل الأول لجمع القرآن لهذا الصحابي الجليل.

هو أنصاري من السادة الأنصار، كانت سنّه يوم قدم النبي -عليه الصلاة والسلام- المدينة أحد عشر عاماً، شيء يدعوه للعجب، سيدنا أسامة بن زيد قاد جيشاً كبيراً عمره ما بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت سنّه لا تزيد عن سبعة عشر عاماً.

-تقرأ عن أصحاب النبي الشباب الشيء الذي لا يصدق، أين شبابنا في هذه السن من هؤلاء الشباب الأصحاب الذي ملؤوا كتب التاريخ ببطولاتهم الفذة؟-

فهذا الصحابي الجليل الذي ندين جميعاً له في قراءة القرآن، بينما دخل النبي -عليه الصلاة والسلام- المدينة مهاجراً، كانت سنّه لا تزيد عن أحد عشر عاماً، وأسلم الصبي الصغير مع المؤمنين، وبارك دعوة النبي -عليه الصلاة والسلام- وصحبه أبوه معه إلى غزوة بدر، ولكن النبي -عليه الصلاة والسلام- رده لصغر سنّه.

لم يأذن النبي لزيد بن ثابت أن يكون في صفوف المجاهدين في غزوة أحد؟ :

وفي غزوة أحد ذهب جماعة من أترابه إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- يضرعون إليه ويرجونه أن يجعلهم في صفوف المجاهدين، وكان الأهل أكثر ضراعةً من الشباب للنبي -عليه الصلاة والسلام- ألقى النبي -صلى الله عليه وسلم- على هؤلاء الفرسان الصغار نظرةً شاكرةً، وبدا وكأنه سيعذر عن تجنيدهم، لكن أحدهم وهو رافع بن خديج تقدم بين يدي النبي -عليه الصلاة والسلام- يحمل حربةً ويحركها بيديه حركاتٍ بارعة، وقال للنبي -عليه الصلاة والسلام-: إني كما ترى رامٌ أجيد الرمي، فأذن لي يا رسول الله.

شاب صغير يحمل أمام النبي حربةً ويحركها حركاتٍ متقدمة، ويقول: يا أيها الرسول الكريم، إني رامٌ فأذن لي، وتقديم شابٌ آخر اسمه سمرة بن جندب وراح يلوح في أدبٍ بذراعيه المفتولتين، وقال بعض أهله للنبي: يا رسول الله! إن سمرة يصرع رافعاً -أقوى من هذا- وحيا النبي هذين الشابين بابتسامة حانية وأذن لهما، وكانت سن كل منهما لا تزيد عن خمسة عشر عاماً، ودخلتا المعركة.

وبقي من الأتراب ستة أشبال منهم زيد بن ثابت، لم يأذن لهم النبي -عليه الصلاة والسلام- لصغر أنسائهم، ومنهم عبد الله بن عمر، هؤلاء راحوا يضرعون ويرجون، ولكن النبي لم يأذن لهم في هذه السن، كأنهم رجعوا وأعينهم تقىض من الدمع، -هكذا كان أصحاب النبي عليهم رضوان الله- .

هذا ما تفوق به هذا الصحابي الجليل في ظل الإسلام :

تالّقت شخصية سيدنا زيد في ظل الإسلام تالّقاً كبيراً، ونمّت شخصيته نمواً سريعاً.
- هذا سؤال يطرح نفسه علينا جميعاً: أنت تتمو يا ترى؟ كل واحد منا له هذا المجلس، يا ترى
ينمو في الإيمان؟ هل يوازن بين يومه وأمسه؟ يا ترى: أنت اليوم كما أنت قبل عام في إيمانك؟
قبل شهر؟ قبل عامين؟ قبل ثلاثة أعوام؟
النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول:

((من لم يكن في زيادة فهو في نقصان.)

- لأن عجلة الزمن متحركة، فلو فرضنا أحداً وصل للصف الثامن ووقف، يقول: أنا لم أتأخر
لكني واقف، صار زميلاً في الصف الحادي عشر، إذاً إن لم يتقدم ووقف فهو في خسران.-

من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، والمغبون من تساوى يوماه))

فالإنسان يجب أن يراقب نفسه، في تبدل أحواله إلى الأحسن، في معلوماته، ب موقفه، ببنائه،
بتضحيته.-.

وبعد فإن كتاب السيرة يقولون: شخصية سيدنا زيد نمت نمواً سريعاً في ظل الإسلام، وتفوق هذا
الصحابي الجليل في العلم والحكمة، وتعلم هذا الصحابي أيضاً بعض اللغات الأجنبية، وكان كاتباً
من كتاب الوحي، وكان كاتباً للنبي - عليه الصلاة والسلام -، كتب له بعض الرسائل لملوك
الأرض وعظمائهم.

كيف عامل ابن عباس هذا الصحابي الجليل؟ :

هذا لقطة طيبة: كيف عامل سيدنا ابن عباس وهو ابن عم النبي - عليه الصلاة والسلام - هذا
الصحابي الجليل؟

يقول الشعبي - وهو قاضٍ تابعي -: ذهب زيد بن ثابت ليركب فأمسك ابن عباس بالركاب، فقال له
زيد: تَنْحِيْ يا بن عم رسول الله، فأجابه ابن عباس: لا هكذا أمرنا أن نصنع بعلمائنا.

ما هي العلوم الإسلامية التي نبغ بها زيد بن ثابت؟ :



إذا تعلمت القرآن وعلمه فهذا فوق الجهاد

قبيصة يقول: كان زيد رأساً بالمدينة في القضاء والقراءة والفرائض. وكان عليه الصلاة والسلام كان يقول: ((أفرضكم زيد))

أي أعلمكم بالمواريث زيد.

- مر معنا بالخطبة، لما ر بما عزّ وجّل قال :

﴿وَجَاهَدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان الآية: ٥٢]

هذه الهاء تعود على القرآن، معنى ذلك: إذا تعلّمت القرآن وعلمه، فهذا في نظر العلماء فوق الجهاد، والجهاد -كما تعلمون- ذروة سلام الإسلام، وتعلم القرآن وتعليمه فوق الجهاد، الجهاد هدفه نشر الحق، فإذا كان الهدف نشر الحق، فإذا أنت تعلّمت القرآن وعلمه، فقد ساهمت في تحقيق الهدف البعيد للجهاد، والبحث عن الحقيقة جهاد، كما قال الله عزّ وجّل:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُّلًا﴾

[سورة العنكبوت الآية: ٦٩]

إذاً: حينما نبغ هذا الصحابي الجليل بالقرآن، ونبغ بالحكمة، وبعلم المواريث، فقد حقّ هدفاً كبيراً جديداً.

ما قيل عن زيد بن ثابت :

سيدنا ثابت بن عبيد يقول: ما رأيت رجلاً أفكه في بيته -انظر لهذه المفارقة- ولا أورق في مجلسه من زيد.

-أي في عمله وقوله جداً أما في بيته فكه جداً، هكذا النبي كان، كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، كان يقول:

(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))

[أخرجه الترمذى فى سننه]

أعجبنى هذا الوصف: ما رأيت رجلاً
أفكه في بيته ولا أوقر في مجلسه من
زيد

أولى الناس بموتك أهل بيتك وأولادك



هذه سنة، فأنت إذا كنت في عملك، لا ينبغي أن يكثر مزاحك، إذا كثر مزاحك ذهبت هيبتك، عندك مرؤوسون، مزاح مزاح ضاعت هيبتك، أما إذا دخلت على أهل بيتك فمن لهم غيرك؟ إذا دخلت عليهم عبوساً قمطريراً، من لهم غيرك؟ بعضهم يقول: بيته دبور وبالخارج شحور.

فأولى الناس بموتك، أولى الناس بلطفك وأنسرك، في مزاحك اللطيف: أهل بيتك وأولادك، فهو لاء الذين في البيت جبارون ومع أصدقائهم لينون، هؤلاء من علامات أشراط الساعة: يوم يبر الإنسان صديقه ويعق أباه.

نموذج غريب جداً، علاقاته الخارجية رائعة جداً، وفي البيت سيئة جداً، ما هكذا المسلم ، هؤلاء أهل بيتك، أولى الناس بك: ما رأيت رجلاً أفكه في بيته ولا أوقر في مجلسه من زيد.

سيدنا ابن عباس كان يقول عن سيدنا زيد بن ثابت: كان من الراسخين في العلم.

هذه المهمة التي كلف بها زيد بن ثابت في معركة اليمامة :

سيدنا زيد حفظ القرآن وكتب الوحي، ولكن كلّم يعلم في معركة اليمامة التي كانت بين المسلمين والمرتدين، مات قراءة كثيرون، سيدنا عمر -رضي الله عنه- فزع إلى سيدنا أبي بكر لهذا الخبر المريع، واقترح عليه جمع القرآن في مصحف واحد، فحافظ كثيرون استشهدوا في هذه المعركة، وخشي سيدنا عمر أن يستجر القتل في الحفاظ، ماذا فعل الصديق -رضي الله عنه-؟ استخار ربه، وشاور أصحابه -انظروا: الاستخارة والاستشارة؛ الاستخارة لله عزّ وجلّ، والاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين- ثم دعا زيد بن ثابت، وقال له: يا زيد إنك شابٌ عاقل لا نتهمك، فاجمع القرآن.

- مهمة كبيرة جداً، عليه أن يلتقي بأصحاب رسول الله، وأن يستمع منهم سور القرآن، وأن يجمع بعض الصحف، أو بعض الرقاع التي كتبت فيها الآيات، وأن يوازن ويقارن إلى أن يصل إلى

النص الصحيح - قال: جهدٌ كبيرٌ جداً وقد حدثنا عن نفسه، فقال: والله لو كلفوني نقل جبلٍ من مكانه لكان أهون عليٍّ مما أمروني به من جمع القرآن، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعين، لأن الله تكفل بحفظه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: ٩]

إذاً هو عمل شاق وجهد واستنفذ كل طاقته، ولكن الله سبحانه وتعالى أعاذه.

لكن حينما جمع القرآن في المرحلة الأولى جمعه على عدة أحرف، وهذه الأحرف كان بينها خلافٌ طفيفٌ جداً في موضوع القراءة، فلما اتسعت الفتوحات في عهد سيدنا عثمان، ومرة ثانية خشي أصحاب النبي -عليهم رضوان الله- أن يختلف المسلمون في القرآن، ففزعوا إلى عثمان، وسيدنا عثمان أمر سيدنا زيد بن ثابت مرة ثانية أن يجمع الناس على نسخة واحدة، وأن ينسخ من هذا النسخة ست نسخ، وأن تعمم في الأمصار، فجمع زيد أصحابه وأعوانه، وجاؤوا بالمصاحف من بيت حفصة وكانت محفوظة لديها، وبasher زيد وصحبه مهمتهم العظيمة، وعاونه في ذلك كتاب الولي.

نهاية المطاف :



فحينما تحضر أنت لمجالس العلم وتتعلم
تصيب شيئاً، تتعلم كيف تعيش؟ كيف
تتصرف؟ كيف تتحرك؟ كيف تعطي؟
كيف تمنع؟ كيف تغضب؟ كيف
ترضى؟ كيف تسامح؟ كيف تعاذ؟ لأن
كل موقف له حكم شرعي، فتعلم العلم
ضروري لاكتساب رضوان الله عزّ
وجلّ، وإذا علمت العلم للآخرين
والأخرون علموا العلم بدورهم، كل



تضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم

هذه السلسلة من الأعمال الصالحة هي في صحيفك، لذلك لا ينبغي أن يشغل الإنسان شيءٌ عن طلب العلم، وطلب العلم -كما تعلمون- فريضة على كل مسلم، وطالب العلم تضع له الملائكة أجنحتها رضيًّا بما يصنع.

فرضي الله عن هذا الصحابي الجليل، الذي طوق أعناقنا بدينٍ لا يؤدى جزاًًءه إلى يوم القيمة لجمعه القرآن الكريم.

وكم قلت قيل قليل: الأفعال منوعة، وكان الحياة فيها ثلاثة قوى؛ قوة المال، وقوة العلم، وقوة القوة، فإذا كنت في مركز قوي يمكن أن توظف قوتك في سبيل الحق، وإذا كنت ذا مالٍ وفيه يمكن أن تبذل هذا المال في سبيل الحق، وإذا كنت ذا علم غزير يمكن أن تتفق هذا العلم في سبيل الحق، فالعلم والمال والقوة كل هذه العناصر الأساسية ، يمكن أن تكون سبيلاً لك لتدخل الجنة إن شاء الله تعالى ، فالبدارَ البدار.

والحمد لله رب العالمين

الباب السادس : حق الطريق

١ - غض البصر ١ (غض البصر مدرسة لتهذيب النفس)

٢ - غض البصر ٢ (التبرج)

٣ - كف الأذى ، الحباء - سعد بن عبادة

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

التربية الإسلامية - الحقوق - حق الطريق - الدرس ٤ : غض البصر ١ (غض البصر
مدرسة لتهذيب النفس) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٨-٠١-١٩٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حق الطريق :

أيها الأخوة المؤمنون، أنهينا في الدرس الماضي حقوق المسلم على المسلم، وها نحن ننتقل في هذا الدرس إلى حق جديد وقد يبدو لكم غريباً، إلا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- هو الذي سماه هذا الاسم: إنه حق الطريق، الطريق التي نسير فيها لها حق علينا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- سماها حق الطريق.

فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:



((إياكم والجلوس في الطرق)).
كلمة إياكم من ألفاظ التحذير، إياك
والكذب، إياك والخيانة، إياك
والتقصير، إياك وما يعتذر منه.-.

- لا أعتقد أن أحداً يجلس في الطريق،
ولكن هذا الذي له محل تجاري مطل
على الطريق ، أو هذا الذي يسمح لنفسه أن يجلس في مقاهي الرصيف، هناك مقاصف، وهناك
مقاه، وهناك محلات تطل على الطريق، مثل هذه المحلات، ومثل هذه الملاهي، ومثل هذه
المقصاص هذه منهي عنها، فقال عليه الصلاة والسلام - :

إياكم والجلوس في الطرق، قالوا: يا رسول الله، ما لنا بـ من مجالسنا نتـحدث فيها.
- أي إذا كان هناك ضرورة، إذا كان لا بد من أن نجلس لشأنهم، لشأن مشروع، لشيء مباح،
لعمل، لتجارة، لكسب رزق، لحل مشكلة، لحل قضية .-

إِيَّاكُمْ وَالْجُلوسَ فِي الطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدًّا مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَلسَ فَأَعْطُوَا الطَّرِيقَ حَقَّهُ.

الطريق لك أن تذكر هذه الكلمة ولك أن تؤنثها، لك أن تقول: هذه طريق وهذا طريق، وهذه حال وهذا حال، وهذه بئر وهذا بئر، في اللغة العربية كلمات تذكر وتؤنث في وقت واحد. قال عليه الصلاة والسلام-: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَلسَ

- المجلس أي إلا الجلوس، هذا مصدر ميمي، المجلس مكان الجلوس، ويأتي المصدر الميمي على وزن مفعل، أي فإن أبيتم إلا الجلوس-.

فَأَعْطُوَا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: غَضَّ الْبَصَرِ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

١- غض البصر:

يمكن أن أسمّي غض البصر مدرسة في الإسلام، غض البصر لا يوجد قانون في الأرض يلزم به.

قلت لكم سابقاً: إنه قد تتوافق مواد القانون مع أوامر الشرع، فإذا امتنعت عن السرقة، لا نdry امتنعت عنها خوفاً من عقاب الله أم خوفاً من عقاب البشر، لكن رحمة من الله عزّ وجلّ بهذا المؤمن، جعل بعض الأوامر في الشرع لا تتفق مع أي قانون، فجميع القوانين الأرضية لا تلزم بغض البصر، وإن كان عالم شهير ألف كتاب اسمه: الإنسان ذلك المجهول.

هذا العالم عالم نفس وطبيب في الأساس، استتبط من خلال التفسخ الاجتماعي، ومن خلال الشقاء الزوجي، ومن خلال الانحلال الخلقي في العالم الغربي والأمريكي، استتبط أنه لا بدّ من قصر الطرف على زوجة واحدة.

هذا الكلام قاله ذلك المؤلف، وهو لا يدري ما الإسلام؟ ولا يدري ماذا في القرآن؟ ولكن من خلال ملاحظة ذكية، ومن خلال استقراءً دقيق، وجد أنه لا بدّ للرجل من أن يقصر طرفه على زوجة واحدة، لم يقل: لا بدّ من أن يكتفي بزوجة واحدة، بل لا بدّ من أن يقصر طرفه عليها، لأن الإنسان أحياناً يهتدى بالتجربة، والبحث، والدرس، والتعمق، والتحليل، والملاحظة، والاستنتاج، والاستقراء، ينتهي إلى حقيقة توافق ما جاء في القرآن، القضية تفسيرها سهل، فالحقائق واحدة إما أن تصل إليها بالتجربة، وإما أن تصل إليها عن طريق الوحي، فالوحي الذي أوحاه الله النبي -عليه الصلاة والسلام- هو حق مطلق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



فيمكنك أن تمسك آلة تحاول بحث عنها، تقاك جهازاً، تتزع صماماً، اختفى الصوت، تتوجه أن هذا الصمام للصوت، شيء آخر: لهذا الفاصل مثلاً - له علاقة بالشيء الفلاني، فأنت من خلال النزع، والتركيب، والتعطيل، والتشغيل، والتجريب، تكتشف بعض نظام هذه الآلة، هذا العلم اسمه علم تجريبي، وفي

هذا العلم التجاري قد تخطئ وقد تصيب، قد تملك الحقيقة الكاملة أو قد تملك بعضها، ولكنك إذا توجهت إلى مخترع هذا الجهاز، وسألته عن سر تصميمه، وعن دقائق عمله، لأعطيك الحقيقة المطلقة.

فأنت إذا توجهت إلى كتاب الله، تسلّه عن حقائق الأمور، وعن سر الخلق، وعن سر التصرف، وعن حقيقة الأمر والنهي، وعن مؤدى المعاصي، وعن مؤدى الطاعات، لأخذت من كتاب الله الجواب الشافي المطلق الصحيح، لأنّه من عند الخبير:

وَلَا يُنْبَئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

[١٤] الآية: فاطر سورة

وخبرة الله عزّ وجل لليست حديثة، الإنسان خبرته حديثة، بمعنى أنها حادثة، بمعنى أنها مكتسبة، تنشأ مع الأيام، ولكن خبرة الله قديمة، فإذا سألت الخبرير لن تجد إلا في كلامه الحق المطلق، فإما أن تتجه إلى الصانع، وتستشف من كلامه الحقائق، وإما أن تتجه إلى التجربة، إلا أن مشكلة التجربة أنك قد تصل من خلالها إلى الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان.

أنت أمام كرة فهل يا ترى: قنبلة، كرة، لعبة؟ ممكن تجرب، ممكن تلمسها بيديك، لكن فيما لو كانت قنبلة وانفجرت لم يبق في الحياة دقيقة تستفيد من هذا الدرس، أما إذا سألت الخبرير، وأنبأك بالحقيقة الشافية، فأنت قد أخذت الاحتياط، فالإنسان يجوز بعد فوات الأولان، في خريف العمر: أن يكتشف الحقيقة التي جاء بها القرآن، وأنت في مقتبل العمر.

نقطة مهمة جداً

ما من مخلوق إلا ويكتشف في خريف عمره: أن المال ليس كل شيء، هو شيء ولكنه ليس كل شيء، وأن المتعة شيء ولكنها ليست كل شيء، وأن الحياة لا بد لها من نظام، لا بد لهذا الكون من خالق، لا بد لهذا الإنسان من أن يطيع خالقه، هذا متى تعرفه؟ في خريف العمر، من خلال التجربة، والخطأ، والصواب، والدروس الثمينة،



تظهر حقائق الحياة في خريف العمر بعد فوات الأوان

والعقاب الأليم، والتجارب.

ما قولك: وأنت في مقبل العمر، إذا قرأت القرآن من عند الواحد الديّان، إذا قرأت هذا القرآن واستشفيت منه الحقائق، وكانت هذه الحقائق نوراً لك في طريق الحياة؟ والأغرب من ذلك: أنه ما من مخلوق إلا ويعرف الحقيقة الكاملة التي عرفها الأنبياء، ولكن يوم القيمة:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاعَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة الحديد الآية: ٣٢]

فرعون وهو على مشارف الغرق قال :

﴿أَمَنَتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا ذِي أَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾

[سورة يومن الآية: ٩٠]

فالقضية قضية زمن، هذه الحقائق التي جاء بها الأنبياء، هذه الحقائق التي وردت في القرآن الكريم، هذه الحقائق لا بد من أن تؤمن بها، لا بد من أن تكشفها، لا بد من أن يكشف الغطاء، لا بد من أن تملك البصر الحاد:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاعَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: ٢٢]

ولكن الطامة الكبرى: أن هذه الرؤية الصحيحة، وأن هذا البصر الحديد، وأن هذا الغطاء المكشوف، متى جاءنا؟ بعد فوات الأوان.

الطالب إذا دخل الامتحان وليس مستعداً له، وخرج من الامتحان وقلبه يعتصر من الألم، توجه إلى البيت، وفتح الكتاب، وقرأ الإجابة الصحيحة وعرفها، ولكن متى عرف الإجابة؟ بعد الامتحان، معنى هذا أنه رسب، أي طالب كسول يمكن أن يعرف الإجابة ولكن بعد الامتحان، أما البطولة: أن تعرفها قبل الامتحان.

حقائق الدين:

إذاً هذه النقطة دقيقة جداً: حقائق الدين، الحقائق التي جاء بها القرآن، الحقائق التي جاء بها أي كتاب سماوي، الرسالات السماوية، رسالة الله إلى الإنسان، فيها حقائق، فيها قواعد، فيها قوانين، فيها سنن، هذه الحقائق، وتلك القواعد، وهذه السنن: إذا كشفتها في الوقت المناسب، فأنت أسعده الناس، أما إذا أقيمتها عرض الحائط، جعلتها وراءك ظهرياً، هجرتها واتجهت إلى قواعد أخرى مستحدثة من وضع البشر، ترضي ميولك، ترضي شهوتك، وتمسكت بها، وتشبّثت بها، ودافعت عنها، ودعوت إليها، وكشفت بعد فوات الأوان أنها باطلة .

قلت لكم في الخطبة: أنه من يتقى الله، فلا يسمح للأفكار الزائفة أن تحتل مكانها من عقله ، جعل الله له مخرجاً من الضلال، والضياع، والحريرة، وخيبة الأمل.

الفرق بين المؤمن والكافر:

إذاً نستبط من هذه المقدمة: أن الفرق بين المؤمن والكافر من حيث المعرفة فرق زمان فقط، المؤمن عرف الحقيقة قبل فوات الأوان، والكافر عرف الحقيقة بعد فوات الأوان، عملية وقت، هذا قبل فوات الأوان، هذا في الوقت المناسب، وهذا في الوقت غير المناسب، هذا في مقتبل العمل، وهذا في خريف العمر، أو على مشارف الموت، أو يوم القيمة.
لا تنسوا هذه الآية:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: ٢٢]

ماذا قال سيدنا علي؟ لو كُشفَ الغطاء ما ازدلت يقيناً .

أي هو يقينه بعد كشف الغطاء كيقينه قبل كشف الغطاء، هذه البطولة، ليس من يقطع طرفاً بطلًا، إنما من يتقى الله البطل، أن تعرف الحقيقة في الوقت المناسب.



وبشكل ملخص: لو أردت أن أضغط لكم هذه الفكرة: أنت آلة معقدة جداً، وفي كتيب فيه تعليمات الصانع، فإذا أهملته، ولم تعبأ به، وسخرت منه، وألقيته في الأرض، كذبتة، وعملت في هذه الآلة دون علم، وفق هواك، وفق مزاجك، حملتها ما لا تطيق فتعطلت،

عندما تتتعطل وتندفع الثمن باهظاً، تعلم ساعة إذ إنك لو طبقت هذه المعلومات، لأنك من هذه الآلة أعلى مردود، وقدمت لك أكبر فائدة.

لذلك هذا الذي أقوله لكم دقيق جداً: بمعنى أنه إذا كنت من السعداء، من المتفقين، من الفائزين، من الفالحين، من الناجحين، من أولي الألباب، من أصحاب العقول، تبحث عن الحقيقة في الوقت المبكر، لذلك الله سبحانه وتعالى سمي البحث عن الحقيقة، مادا سماه؟ جهاد ، فقال:

﴿وَالَّذِينَ جَاهُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُّلًا﴾

[٦٩] سورة العنكبوت الآية:

البحث عن الحقيقة، معنى ذلك: أنك تحتاج إلى وقت، يجب أن تقطع من زبدة وقتك وقتاً لمعرفة الله، وقتاً للتأمل، وقتاً لمعرفة منهج الله، وقتاً لمعرفة شرع الله، وقتاً لمعرفة كتاب الله، في الدرجة الأولى يجب أن تعرف كتاب الله وأن تعرف سنته رسول الله، اللذان هما أصلان أساسيان من أصول هذا الدين.

غض البصر مدرسة لتهذيب النفس :

فلذلك الفكرة التي قلتها قبل قليل: إن غض البصر ينفرد به الدين، وليس في القوانين الوضعية كلها مادةً تلزم الإنسان بغض البصر، فإذا غض الإنسان بصره عن محارم الله، بماذا يشعر؟ هل يستطيع الشيطان أن يوسموس إليك أنك بهذا الغض تتفاق؟ لا والله، ما أحد يراقبك، ولا أحد يلزمك، ولا أحد يحاسبك، إذا كنت خالياً وحده، في غرفتك الشخصية، والنافذة مفتوحة، وخرجت إلى الشرفة امرأةً من الجيران، حينما تغض بصرك عنها، وأنت وحده في الغرفة، من الذي رأى هذا العمل؟ لا أحد، لذلك:

إذاً: غض البصر مدرسة لتهذيب النفس .

النقطة الدقيقة الثانية: إن غض البصر، أنت قد سمح الله عزّ وجلّ لك أن تقف بين يديه في النهار والليلة خمس مرات، في صلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقد جعل لك آلاف المناسبات في النهار، بل عشرات الآلاف، بل مئات للإقبال عليه، كلما صرفت بصرك عن امرأة لا تحلُّ لك، شعرت أنك بهذا تطيع الله عزّ وجلّ، لأن غض البصر هذا كان لك مدخلًا إلى الله عزّ وجلّ، فأنت حينما تقف في اليوم والليلة خمس مرات نصلي، أنت إذا غضضت بصرك عن محارم الله، في كل مرة تغض فيها البصر ترقى إلى الله، لأن الله سبحانه وتعالى أعطاك مناسبات عديدةً كي تقبل بها عليه.

والنتيجة: أن هناك علاقة علميةً بين الطاعة وبين نتائجها، كما أن هناك علاقة علميةً بين المعصية وبين نتائجها، بمعنى: أنك إذا وضعت يدك على المدفأة أحرقت المدفأة، هذه علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، هذا الذي يغض بصره عن محارم الله قبل الزواج، يعيش حياة هادئة، حياة نظيفة، حياة وادعة، قد يبني بهذا الوقت



غض البصر يضمن حياة زوجية سعيدة

مستقبلاً، فإذا تزوجَ وغضَّ بصره عن محارم الله، عاش حياة زوجيةً سعيدة، تعيش الحياة مرتين؛ مرّةً قبل الزواج ومرةً بعد الزواج، وحينما تغض البصر عن محارم الله، لا تتعلّم هذا إلا ابتغاء مرضاة الله، وهذا غض البصر من عبادات الإخلاص، إذا أنفق الماء دون أن يعلم أحد بهذا الإنفاق، فهذا إنفاق الإخلاص، وإذا غضضت البصر عن محارم الله من دون أن يعلم بهذا أحد، فهذا الغض عبادة الإخلاص. النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:-

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالجلوسُ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدُّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَاعْطُوْا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضٌّ الْبَصَرِ، وَكَفٌّ الْأَذَى، وَرَدٌّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ))

بالمناسبة: ما كان الله ليعذّب قلباً بشهوة تركها صاحبها في سبيل الله .

فأنـت إذا غضضـت البـصر لم يـشغل قـلـبك بهذه الشـهـوة، الله أـجل وأـكرم من أن يـعـذـبـكـ بهذاـ الغـضـ.

بل تـجدـ حـلـاوـتـهـ فيـ قـلـبـكـ .

هـنـاكـ أحـادـيـثـ كـثـيرـةـ سـوـفـ تـرـدـ معـنـاـ فـيـ هـذـاـ المـوـضـوعـ،ـ وـلـكـ أـرـيدـ منـ هـذـاـ المـوـضـوعـ الـوـقـوـفـ

عـنـ حـكـمـةـ غـضـ البـصرـ:

الله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَإِذْ أَخَذَنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا أَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعْكُمْ تَتَقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ٦٣]

أي يمكن أن تأخذ أمر الله بضعفٍ، بتراخٍ، بل يونهٍ، بشكلٍ معتمدٍ، من دون تمسكٍ شديدٍ، يمكن أن تأخذ أمر الله بيسيرٍ، لكن ربنا عزٌّ وجلٌ قال :

﴿خُذُوا مَا أَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾

[سورة البقرة الآية: ٦٣]

أي قوَّةٌ في التطبيق، حزمٌ في التنفيذ، اندفاعٌ إلى طاعة الله، وقوفٌ عند الشبهات، وقوفٌ عند ما حرمَ الله، هذا معنى قول الله عزٌّ وجلٌ :

﴿خُذُوا مَا أَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعْكُمْ تَتَقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ٦٣]

الإنسان منطقيٌ، والإنسان يحب ذاته، هكذا فطر، لا يوجد إنسان إلا وهو مفطورٌ على حب وجوده، وحب سلامه وجوده، وحب كمال وجوده، وحب استمرار وجوده، حب الوجود، وسلامة وجوده، وكمال الوجود، واستمرار الوجود، يحب أن يعيش حياة طويلة، والدعاء الشهير: الله يطوي عمرك، فأجمل دعاء يسمعه الإنسان أطال الله عمرك، والنبي الكريم قال لرجل سأله:

((أي الناس خير؟ من طال عمره وحسن عمله))

[آخرجه الترمذى فى سننه]

فإنما يحب طول البقاء.

فلماذا يؤمن الإنسان؟ حينما يؤمن بالله عزٌّ وجلٌ، تصبح الحياة الآخرة امتداداً للحياة الدنيا، معنى هذا: أنه ما مات:

﴿وَلَا تَحْسِنَ النِّسَنَ قُتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٦٩]

فإله عزٌّ وجلٌ فطرنا على حب الخلود، فالإنسان إذا آمن، أصبح خط بيته صاعداً صعوداً مستمراً، ولو جاء الموت يبقى الخط صاعداً.

إذاً: لماذا الإسلام دين الفطرة؟ أنت مفطورٌ على حب الخلود، فإذا آمنت بالله، واستقمت على أمره، وعملت فيما يرضي، شعرت أن حياتك الدنيا وحياتك الآخرة متصلتان، وأن هناك استمرار، وأن الموت عمليةٌ صغيرةٌ جداً، تبديل ثياب فقط، أنت أنت؛ سعادتك، إقبالك، سرورك، طمأنينتك، أنت أنت.

متى تستقر النفس البشرية؟ :

لذلك: النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما خبر بين أن تكون له زهرة الدنيا وبين أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى، قال:

((بِكِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى))

وعندما قالت ابنة سيدنا بلال: واكربتاه يا أبت، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً ألقى الأحبةَ مَحْمَداً وصَحْبَه.

الإنسان مفطور على حب البقاء، وعلى سلامة البقاء، وعلى كمال البقاء، وعلى وجود البقاء، وسلامة هذا الوجود، وكمال هذا الوجود، واستمرار هذا الوجود، فإذا آمنت بالله وآمنت بالأخرة اطمأنت نفسك، إذاً أنت لست أنت، والموت على طرفي نقيس.

الموت عُرس المؤمن.

الموت فرحة المؤمن.

كلام النبي الكريم، كلام سيد المرسلين، الذي لا ينطق عن الهوى:

((لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانٌ؛ فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطَرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ))

فما قولك: أن الشيء الذي ترتعد منه فرائص الناس، أن الموت الذي يهز كيان الإنسان، أن الموت الذي يعد أكبر مصيبة عند أكثر الناس، ما قولك: أن هذا الشبح المخيف يغدو عند المؤمن شيئاً مقبولاً مسعداً؟ لذلك الإسلام دين الفطرة، فلن تستقر النفس، لن تهدأ، لن تطمئن، لن تسعد إلا إذا سارت على منهج ربها.

مقومات الإنسان:

وقلت لكم البارحة أيضاً أو قبل البارحة: إن ربنا عزّ وجلّ أعنانا على أنفسنا بالفطرة، فطر الإنسان فطرة عالية، فالإنسان إذا انحرف، إذا اعتدى، إذا كذب، إذا خان، يشعر بانقباض شديد، ما هذا الانقباض؟ إنه إحساس الفطرة السليمة، فربنا عزّ وجلّ علّمنا بالعقل، وعلّمنا بالكون، وعلّمنا بالقرآن، وعلّمنا بالسنة، وعلّمنا بالفطرة، وعلّمنا بالدعاة، وعلّمنا بالإلهام، والفطرة أحد هذه المصادر الأساسية في توجيه الإنسان إلى الصواب. فغضض البصر يتناقض مع الشهوة.

النقطة الدقيقة: أن أوامر الشرع تعتمد على العقل، بينما الشهوات تتناقض مع العقل، من تناقض العقل مع الشهوة يكون رقي الإنسان.

فأحياناً يتوافق العقل مع الشهوة، الإنسان لا يرقى، هو جائع والطعام موجود، والطعام طعامه وهو في بيته، فإذا أكل حتى شبع، لا يشعر أنه فعل شيئاً عظيماً يرضي الله عزّ وجل، العقل توافق مع الشهوة، أنت جائع، والطعام موجود، والطعام حلال، وأنت تأكل هذا الطعام لقتات به، فتوافق العقل مع الشهوة ربما أدى إلى الشُّكْر، أما أن ترقى بهذا العمل، إنك لا ترقى به، أما إذا عاكست شهوانتك، إذا جاء الأمر العقلي يتناقض مع الشهوة التي أودعها الله في الإنسان، هنا يكون الرقي، فمثلاً:



الإنسان بكظم الغيط يرقى، الإنسان بالصبر يرقى، الإنسان بغض البصر يرقى، الإنسان بحفظ السر يرقى، لأن الإنسان يتمنى أن يحكي قصص الناس، شيء ممتع جداً، إذا وجد الإنسان في مجلس، وسمع قصة ممتعة، ومثيرة جداً، وإذا تكلّم فيها فضح أخيه الإنسان، الشهوة تدعوه إلى أن يحكي هذه القصة، ولكن العقل يأمره أن يسكت عنها، إذا كان وجد في مجلس فيه اختلاط، شهوته تدعوه إلى هذا المجلس، شيء ممتع، لكن عقله يمنعه من ذلك.

لذلك ربنا عزّ وجل قال:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية: ٣-١]

إيمان، وعمل، ودعوة، وصبر، الصبر ربع الإيمان، ربع الفلاح، لماذا؟ لأن الصبر معناه: أن كثيراً من أوامر الدين يحتاج إلى ضبط النفس، ويحتاج إلى كبت الشهوة، ويحتاج إلى تحكيم العقل لا الشهوة، فأنت بالصبر ترقى.

النبي الكريم عندما سُئل عن الإيمان، قال:

((الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ))

بل هناك حديث آخر: الإيمان هو الصبر.

الإيمان كله صبر.

غض البصر من حق الطريق، إذا كنت في الطريق، وبالطبع الأجر يختلف، إذا كنت في عهد أصحاب رسول الله الأجر طفيف جداً، النساء كلهن متحجبات، طاهرات، عفيفات، تقىيات.

ربنا وصف المؤمنات فقال :

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقْتُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيَّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾

[سورة التحرير الآية: ٥]

إذا كان الطريق فيه نساء مؤمنات، عفيفات، طاهرات، مطبيات، محشمات، صادقات، مُحْصَنات، الأجر طفيف جداً، أما الأجر متى يعلو جداً؟ حينما يكون القاپض على دينه كالقاپض على الجمر، أما إذا كان الطريق مليئاً بالمتفلتات الملعونات، إذا كان الطريق ممثلاً بمثل هؤلاء، عندئذٍ يرتفع سعر غض البصر، سعر باهظ جداً، بالسيارة، بالطريق، بأي مكان، نساء كاسيات عاريات، مائلاتٌ ممبلات، لذلك غض البصر في آخر الزمان أجره كبير جداً، والقاعدة الشهيرة: الثواب على قدر المشقة.

أي قد أراد الله عزّ وجل أن يجعل لك مناسباتٍ عديدةٍ كل يوم كي ترقى بها إليه، من هذه المناسبات غض البصر.

الحقيقة: الآية الكريمة :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾

[سورة الإسراء الآية: ٣٦]

الفؤاد هنا بمعنى الفكر، من فَأَدَ أي قيد، أي السمع والبصر والفكـر كل أولئك كان عنه مسؤولاً. الدعاء الشهير: وَمَتَعْنَا اللَّهُمَّ بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتْنَا مَا أَحْبَبْنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثُ مِنَا. ((عَيْنَانِ لَا تَمَسِّهِمَا النَّارُ؛ عَيْنَ بَكْتُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنَ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[آخرجه الترمذى فى سننه]

يوجد عفة، المؤمن عفيف، لو أن امرأةً تمشي أمامه لقصـر عنها أو لتجاوزها، لو أنه دخل إلى مصعد وفيه امرأة، يخرج لأنـه لا يحل له أن يكون معها في مصعد واحد، في مناسبات يبدو لك الإيمان صريحاً واضحاً، وهذا يرضي الله عزّ وجل، أودع فيك هذه الشهوة وهو ينظر إليك، بركان لكن ومع ذلك ضبط نفسه، لكن لن يضيع عند الله شيء، وزوال الكون أهون عند الله عزّ وجل من أن يضيع مؤمناً عفـ قبل الزواج، هذا له مكافأة عند الله، شاب في مقبل الحياة، الشهوة فيه مستمرة كالبركان، ومع ذلك غضـ بصره عن محارم الله، وتوجهـ إلى المسجد ليتعرفـ إلى الله، وضبطـ مشاعرهـ، هذا من يحبـ الله:

((سَبَعَةٌ يُظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمٌ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ وَرَجُلٌ دَعْتُهُ امْرَأً ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ،
فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذى والنمسائى في سننهم، وأ Malik في الموطأ]

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُوْلًا﴾

[سورة الإسراء الآية: ٣٦]

فسماع المنكر فيه معصية، سماع المعصية معصية.

القاعدة الشهيرة: ما حرم فعله حرم استماعه وحرم النظر إليه.

وفي الحديث الشريف:

. ((النظرة سهم مسموم .))

- هذا من بلاغة النبي عليه الصلاة والسلام، سهم مسموم، لو أنه سهم عادي لفعل فعله في موضع واحد، ولكنه لأنه مسموم، هذا السم يسري في كل أنحاء الجسم، لذلك الذي يطلق بصره في الحرام تصبح حياته متسماً، دراسته فيها شرود، عمله التجارى لا يوجد فيه تركيز، مأخوذٌ من يطلق إلينه بصره، دراسته ضعيفة، نشاطه متزايد، ميله للراحة، لأن الشهوة تشل قوى الإنسان.

الحقيقة: هناك سر في تفوق المؤمنين في كل مجال، بغض بصرهم عن محارم الله، نفوسهم صافية، وقلوبهم فارغ، فإذا أقبلوا على عمل أبدعوا فيه، أما هؤلاء الذين ينغمرون في الشهوات إلى قمة رؤوسهم، هؤلاء لا يملكون التركيز، لا يملكون التوفيق، لا يملكون العمل الدؤوب ..-

النظرة سهم مسموم من سهام إيليس . -

. ((إيليس طَلَاعَ رَصَادَ .))

- إيليس ذكي، والذكاء وحده ما له قيمة، والذكاء قوة بالإنسان.

والنبي الكريم يقول:

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْضَّعِيفِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

القوة قوة، والمالي قوة، والذكاء قوة، والعلم قوة، بمعناها المطلق، ربنا عز وجل قال:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال الآية: ٦٠]

قد تكون القوة قوة علم في آخر الزمان،

قد تكون القوة قوة مكيدة، القوة قوة



سلاخ، قوة تدريب، قوة تخفيط، قوة مالية.

على كلِّ القوة مُطلق على الشيء الذي له تأثير بلغ فيما حوله:

((المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ .. -القوه وحدها خطرة، الذكاء وحده خطر، أما النبي الكريم ربط القوه
ب بالإيمان، فقال:- المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُسْعِفِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

ما هما البابان اللذان يأتي منهما الشيطان للمؤمن؟ :

النظرة سهم مسموم من سهام إبليس -لعنه الله- فمن تركها خوفاً من الله، آتاه الله عز وجل إيماناً
يجد حلاوته في قلبه (

فهم الإيمان هنا تلك الوجهة إلى الله عز وجل، فالإيمان بالأساس تصديق وإقبال، والكفر تكذيب
واعراض، فالذي يطيع الله عز وجل يقبل عليه، سمى النبي -عليه الصلاة والسلام هذا الإقبال
إيماناً، قال:-

((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ... -إبليس طلاق رصاد ذكي- وما هو بشيء من
فخوه -الفخوخ جمع فخ- بأوثق لصيده في الأنقياء من النساء))

أي أن النساء فخ خطير من أفخاخ إبليس، وهو واثقٌ من أن هذا الفخ لن يخطئ، لذلك النبي -
عليه الصلاة والسلام- قال:

((اتقوا النساء))

وقال:

((النساء حبائل الشيطان))

وكل رجل فيه نقطتا ضعف هما: المال والنساء، يستطيع عدوه أن يأتيه من هذين البابين، فإن كان
مؤمناً حصل نفسه من باب النساء بغض البصر، ومن باب المال بالورع:- النظرة سهم مسموم
من سهام إبليس -لعنه الله- فمن تركها خوفاً من الله، آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في
قلبه (

وعلى كلِّ الله عز وجل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أي أن أدق النظارات المختلسة
لامرأة لا تحل لك هذه يعلمها الله عز وجل، ويحاسب عليها، وكلما شددت في غض البصر،
شعرت أنك ترضي الله عز وجل، وأن الطريق إلى الله سالك.

طبعاً: الحقوق كثيرة ولا زلتنا في هذا الحق، الآية والحديث :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُوْلًا﴾

[سورة الإسراء الآية: ٣٦]

بالمناسبة: بالإسلام لا يوجد حرمان، فما من شهوةٍ نهَاك الله عنها إلا وجعل لهذه الشهوة طريقةً مشروعةً، فناةً نظيفةً، فإذا منعك من إطلاق البصر، إذا منعك من الزنا، سمح لك بالزواج، إذا منعك من الكسب الحرام، سمح لك بالكسب الحلال، إذا منعك من شيءٍ فنهاك بداعٍ آخر، بل إن العلماء يقولون استنبطاً من قوله تعالى:

﴿وَكُلُّ مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾

[سورة البقرة الآية: ٣٥]

إن نسبة الممنوعات إلى المباحات نسبة ضئيلة جداً جداً.

أي أنك إذا غضبت بصرك عن محارم الله، وتركت هذه الممنوعات في الأطعمة والأشربة، وسلكت في الطريق الصحيح فأنت مع الله عزّ وجلّ.

أمين الأمة أبو عبيدة:

وإلى قصة صاحبى من أصحاب رسول الله -رضوان الله عليهم- أمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه وأرضاه، وهو من العشرة المبشرين بالجنة .
النبي -عليه الصلاة والسلام- أمسك بيديه، وقال عنه:

((الْكُلُّ أُمَّةٌ أَمِينٌ وَأَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَاحِ))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والطبراني في المعجم الأوسط]

-أمين هذه الأمة، أمين أمّه وليس أمين سر إنسان.-

سيدنا عمر حينما أراد أن يستخلف عنه خليفةً قبيلَ وفاته، قال هذه الكلمة: لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته، فإن سألهي ربِّي عنه، قلت: يا ربِّ، استخلفت أمين الله وأمين رسوله. أبو عبيدة بن الجراح له لقبُ شهير: ساقط الثيتين.

-وسوف ترون بعد قليل كيف سقطت ثيتيه؟ أسنانه الأمامية.-

النبي -عليه الصلاة والسلام- أرسله في غزوة ذات السلاسل مددًا لعمرو بن العاص، وجعله أميراً على جيشٍ فيه أبي بكرٍ وعمر، كان طويلاً القامة، نحيفُ الجسم، معروق الوجه، خفيفُ اللحية، ساقطُ الثيتين، وسقوطُ ثيتيه وسامٌ شرفٌ يفخر به يوم القيمة.

أسلم هذا الصحابي الجليل على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وعاد ليقف إلى جوار النبي -عليه الصلاة والسلام- في معركة بدر، ومعركة أحد، وبقية المشاهد كلها.

منذ أن بسط يمينه مبایعاً رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو لا يرى في نفسه، وفي أيامه، وفي حياته كلها، سوى أمانة استودعه الله إليها، لينفقها في سبيله، وفي مرضاته، -أي أن نفسه أمانة بين يديه استودعه الله إليها لينفقها في سبيل الله، كأن هذا الصحابي الجليل تفهم ملياً معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

[سورة التوبة الآية: 111]

باع نفسه لله، وكلمة النبي -عليه الصلاة والسلام - :

((أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه]

في إحدى المعارك وقد بلغ القتال ذروته، أحاط بأبي عبيدة طائفة من المقاتلين، وكانت عيناه كعادتها تحدقان كعيني الصقر في موقع رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو يقاتل ولكن عينه على رسول الله، هذا الحب الذي بين الصحابة وبين النبي -عليه الصلاة والسلام - شيء لا يصدق، حتى إن أبا سفيان قال: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ مهداً. شيء ليس له سابقة في التاريخ، وليس له مثيل، كيف أحب هؤلاء الأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام؛ وهو يحارب، ويقاتل الفرسان، وقد تحلقوا حوله، وانكروا عليه، وعينه على النبي عليه الصلاة والسلام.-.

وكاد أبو عبيدة يفقد صوابه، إذ رأى سهماً ينطلق من يدي مشركٍ فيصيب النبي، وعمل سيفه في الذين حوله وكأنه مائة سيف، حتى فرقهم عنه، وطار لم يقل المؤلف: سار، ولا أسرع، ولا ركض - صوب النبي -عليه الصلاة والسلام- فرأى دمه الذكي يسيل على وجهه، ورأى الرسول الأمين يمسح الدم بيديه، وهو يقول:

كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟ .

- جاء ليدعوهم إلى ربهم، جاء ليهدىهم، جاء لينقذهم، جاء ليسعدهم، جاء ليدخلهم على الجنة ، جاء ل يجعلهم أناساً صالحين، جاء ليكون لهم أباً وأماً، خضبوا وجه نبيهم.-.

مسح النبي -عليه الصلاة والسلام - الدم بيديه، وهو يقول :

كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟ .

سيدنا أبو عبيدة رأى حلقتين -بالمناسبة حلقة غلط وصوابها حلقة بتسكن اللام-، رأى حلقتين من حلق المغفر الذي يضعه النبي فوق رأسه، قد دخلتا في وجنة النبي، -أي حلقتين من هذا المغفر الذي يضعه النبي على رأسه، قد دخلتا في وجه النبي - فلم يُطِقْ صبراً، واقترب يقبض بثاباته - بأسنانه - على حلقة منها، حتى نزعها من وجنة النبي، حينما نزعها سقطت ثنيته الأولى، ثم نزع الحلقة الأخرى فسقطت ثنيته الثانية.

وما أجمل أن ندع الحديث لسيدينا أبي بكر -رضي الله عنه- يصف لنا هذا المشهد .
 قال: لما كان يوم أحد، ورمي النبي -عليه الصلاة والسلام- حتى دخلت في وجنته حلقتان من المغفر، أقبلت أسعى إلى رسول الله، وإنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيراناً، فقلت: اللهم اجعله طاعة -خاف أن يكون عدواً آخر- حتى إذا توافي إلـى النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا هو أبو عبيدة بن الجراح قد سبقني، فقال: أسلـك بالله يا أبي بكر أن تتركني فأنزعها من وجه النبي، فتركته، فأخذ أبو عبيدة بثيـته إحدى حلقتـي المغفر، فنزـعها، وسقط على الأرض، وسقطت ثيـته معـه، ثم أخذ الحلة الأخرى بثيـته الأخرى فسقطـت، فكان أبو عبيدة في الناس أهـتم؛ أي ساقـت الثيـتين.

في يوم نجران سـأـلـوا النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يبعثـهم من يعلـمـهم القرآن والسنـة والإسلام، وـفـدـ نـجـرـانـ منـ الـيـمـنـ، جاءـ النـبـيـ مـسـلـماـ -عليـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ، وـسـأـلـواـ النـبـيـ أـنـ يـبـعـثـ مـعـهـ مـنـ يـعـلـمـهـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ وـالـإـسـلـامـ، وـقـالـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ: لـأـبـعـثـنـ مـعـكـ رـجـلاـ أـمـيـناـ .ـأـمـيـنـ عـلـىـ شـرـعـ اللهـ، أـمـيـنـ عـلـىـ كـتـابـ اللهـ، أـمـيـنـ عـلـىـ سـنـةـ رـسـوـلـ اللهـ، لـاـ يـقـنـعـ بـالـهـوـىـ بـلـ يـقـنـىـ بـالـحـقـ .ـوـسـمـعـ الصـاحـبةـ هـذـاـ الثـنـاءـ مـنـ النـبـيـ -عليـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ، فـتـمـنـىـ كـلـ مـنـهـ لـوـ يـكـونـ هـوـ الـذـيـ يـقـعـ عـلـيـهـ اـخـتـيـارـ النـبـيـ، فـتـصـيـرـ هـذـهـ الشـهـادـةـ الصـادـقـةـ مـنـ حـظـهـ، النـبـيـ تـلـفـتـ، قـالـ :ـ لـأـبـعـثـنـ مـعـكـ رـجـلاـ أـمـيـناـ حـقـ أـمـيـنـ .

يقول عمر بن الخطـاب -رضـيـ اللهـ عنـهـ: ما أحـبـبتـ الإـمـارـةـ قـطـ حـبـيـ إـيـاهـاـ يـوـمـئـذـ -أـيـ فيـ هـذـهـ الـلحـظـةـ أـحـبـبـتهاـ حـبـاـ لاـ يـوـصـفـ، رـجـاءـ أـنـ أـكـونـ صـاحـبـهاـ- فـرـحـتـ إـلـىـ الـظـهـرـ مـهـجـراـ -أـيـ صـلـىـ الـظـهـرـ مـعـ النـبـيـ - فـلـمـ صـلـىـ بـنـاـ رـسـوـلـ اللهـ -صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- الـظـهـرـ، سـلـمـ، ثـمـ نـظـرـ عـنـ يـمـينـهـ وـعـنـ يـسـارـهـ، فـجـعـلـتـ أـتـطـاـولـ لـيـرـانـيـ -لـعـلـهـ يـخـتـارـهـ- فـلـمـ يـزـلـ يـتـلـمـسـ بـبـصـرـهـ، حـتـىـ رـأـيـ أـبـاـ عـبـيـدـةـ بـنـ الجـرـاحـ فـدـعـاهـ، قـالـ: اـخـرـجـ مـعـهـ فـاقـضـ بـيـنـهـ بـالـحـقـ فـيـمـاـ اـخـتـلـفـوـاـ فـيـهـ، فـذـهـبـ بـهـ أـبـاـ عـبـيـدـةـ .

أـيـ إـنـهـ كـانـتـ مـنـ نـصـيبـهـ:

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[٦١] سـورـةـ الصـافـاتـ الآـيـةـ

هـنـاـ الـعـلـمـ:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَاسِسِ الْمُتَنَاسِسُونَ﴾

[٢٦] سـورـةـ الـمـطـفـينـ الآـيـةـ

هـنـاـ التـنـافـسـ:

﴿فَبِذَلِكَ فَلَيُفْرَحُوا﴾

[سورة يونس الآية: ٥٨]

هنا الفرح، وهنا العمل، وهنا التنافس .

كلكم يعلم: أن سيدنا عمر بن الخطاب حينما تسلم الخلافة، أصدر أمراً بعزل سيدنا خالد، - والمؤرخون يذهبون مذاهب شتى في تفسير هذا العزل، مع أن هناك رواية دقيقة توضح حكمة هذا الخليفة الراشد من عزل هذا القائد الناجح- فلما جاءه سيدنا خالد قال: يا أمير المؤمنين لم عزلتني؟ قال له: والله إني أحبك، - هذا جوابه- أعاد عليه: لم عزلتني؟ قال: والله إني أحبك، قال: لم عزلتني؟ قال: والله ما عزلتك - يا أبا سليمان- إلا مخافة أن يُفتن الناس بك لكثره ما أبليت في سبيل الله.

-عزلتك إنقاذًا للتوحيد، لأن الله هو الناصر، فالناس توهموا أن كل معركة يقودها سيدنا خالد، لا بد من أن ينتصروا، مع أن الله هو الناصر، أرّاهم درساً عملياً، سأعزّله وسيبقى النصر، إذا كان الله معكم فلا بد من أن ينصركم.

الحقيقة: كان سيدنا خالد يقود معركة فاصلةً كبرى، واستهلّ أمير المؤمنين عهده بتولية أبي عبيدة مكان خالد، الآن دقّوا كيف يعامل الصحابة بعضهم بعضاً؟.

سيدنا أبو عبيدة معه أمر تعين، يستطيع في أي ثانية يبرزه لسيدنا خالد، ويقول له: تفضل، تنح جانبًا وهات القيادة، سلمني إياها، هذا موقف، هذه الطاعة، وهذا أمر سيدنا عمر.-

قال: لم يك أبو عبيدة يستقبل مبعوث عمر في هذا الأمر الجديد حتى استكتمه الخبر، -طبعاً أبو عبيدة يحارب مع سيدنا خالد- جاء مبعوث سيدنا عمر معه كتاب تعين سيدنا أبي عبيدة قائداً للجيش وعزل سيدنا خالد -ماذا فعل هذا الصحابي الجليل، هذا الأمين؟-.

استكتمه الخبر، فقال له: إياك أن تنبئ هذا الخبر في الناس، وكتمه هو في نفسه، طرأوا عليه صدر زاهر فطن أمين، حتى أتم القائد خالد فتحه العظيم، حتى انتهت المعركة الحاسمة الكبرى، وانتهت بالنصر، وانتهى كل شيء، وأن إذ نقدم إليه في أدبٍ جليل بكتاب أمير المؤمنين، ويسأله خالد: يرحمك الله أبا عبيدة، ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب؟ -لماذا تأخرت إلى الآن؟- فيجبه أمين الأمة: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، كلنا في الله أخوة.

بالمناسبة: عندما قال ربنا عزّ وجل :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٠]

هذه إنما أداة قصر؛ أي لا تجد أخوةً في أي مجتمع، أخوةً صادقةً، مخلصةً، فيها المودة، والصيحة، والحب، والوفاء إلا بين المؤمنين.

والشيء الثاني: أن أخوة النسب تجمع على أخوة، بينما أخوة الصدقة تجمع على أخوان، الله عزّ وجلّ قال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٠]

أي في أعلى درجة من درجات القرب، هكذا فعل معه.-

ويصبح أبو عبيدة أمير الشام، وتحت إمرته أكثر جيوش الإسلام، طولاً وعرضًا، عتاداً وعدداً، فما كنت تحسبه حين تراه إلا واحداً من المقاتلين، وفرداً عادياً من المسلمين، وحينما ترامى إلى سمعه أحاديث أهل الشام عنه، وانبهارهم بأمير المؤمنين بأمير الأمراء، جمعهم وقام فيهم خطيباً، -اسمعوا ماذا قال -؟ قال:

أيها الناس، إني مسلمٌ من قريش -أنا مسلم عادي- وما منكم من أحدٍ أحمر ولا أسود يكبرني بيتقوى إلا وددت أنني في إيهابه.

-أي إذا واحد سبقني في التقوى، أتمنى أن أكون مكانه، هذا منتهي الورع، منتهي التواضع، منتهي معرفة الذات.-

الآن: سيدنا عمر يزور الشام ويسأل مستقبليه: أين أخي؟.

-سيدنا رسول الله عندما بعث سيدنا عمر للحج، قال له:

((لا تنسنا يا أخي من دعائك))

[أخرجه أبو داود والترمذى فى سننهما]

النبي سأل سيدنا عمر الدعاء - فقال: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، ويأتي أبو عبيدة فيعانقه أمير المؤمنين عمر، ثم يصحبه إلى داره، دار أمير الأمراء في الشام، دار القائد العام للجيوش الإسلامية، يصحبه إلى داره، فلا يجد فيها إلا أثناً بسيطاً؛ جلد غزال، وقدر ماء، ورغيف خبز، وسيفاً معلقاً في الحائط.

ويسأل عمر، وهو يبتسم: ألا اتخذت لنفسك مثل ما يصنع الناس؟ "فيجيبه أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل، هو للدنيا وعلى الدنيا كثير.



حينما جاء الخبر - خبر وفاته- بكى سيدنا عمر، وقال: لو كنت متنبئاً ما تمنيت إلا بيتاً مملوءاً
برجالٍ من أمثال أبي عبيدة.

لاحظوا شيئاً كيف عامل النبي؟ هذا الحب الذي لا يوصف، هذا التقاني، هذه التضحية، حب
رسول الله، اسمعوا ما قال العلماء: "

حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو عين حب الله، وعين حب الله حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم.

لذلك قال الله عزّ وجل:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية: ٤-١]

الله سبحانه وتعالى جعل حب النبي عين حب الله، وجعل حبه عين حب النبي .

النقطة الثانية: هذا الموقف الحكيم، هذا الموقف اللطيف مع سيدنا خالد، كان بإمكانه أن يبلغه قرار
العزل والتعيين في أثناء المعركة، وأن يتسلّم الإمارة منه بشكلٍ يليق بالنظر، ولكن كتم الخبر حتى
انتهت المعركة، لأنّه لا يعمل للدنيا بل ي العمل لله، هذا سر نجاح أصحاب رسول الله عليهم رضوان
الله .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - الحقوق - حق الطريق - الدرس ٤-٢ : غض البصر ٢ (التبرج) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٠٤-

بسم الله الرحمن الرحيم

حق الطريق :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا في موضوع الحقوق، ولا زلنا في موضوع حق الطريق، وقد بيّنت لكم في الدرس الماضي: أن من أول حقوق الطريق غض البصر، أما أحكام غض البصر على وجه تفصيلي، فقد مر ذكرها في سورة النور بتفصيل شديد، ولا داعي لأن تعاد مرة ثانية، ولكن يعنينا من غض البصر: أنه مدرسة يمكن أن تصل ب أصحابها إلى الاتصال بالله عز وجل، كأن الله سبحانه وتعالى جعل غض البصر مناسبة، ليشعر المؤمن في اليوم الواحد عشرات المرات أنه مخلص لله عز وجل، ولعله بهذا الشعور وذاك الإخلاص يقبل على الله عز وجل: ومن غض بصره عن محارم الله، أورثه الله حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه.

من الفتن التي تقع بها المرأة :

١- إظهار محسنها للأجانب :

ماذا يقابل غض البصر؟ إذا كان المؤمنون قد أمروا بغض البصر، فماذا على المؤمنات أن يفعلن؟ هناك أحكام عدّة تتعلق بالمرأة، الله سبحانه وتعالى نهى النساء عامةً عن أن يتبرّجن تبرج الجاهلية.

عرف العلماء تبرج الجاهلية بأنه: إظهار محسن المرأة للأجانب.

مهما بالغت المرأة بإظهار محسنها

لزوجها، فهي في أعلى درجات الطاعة لربها، إذا بالغت المرأة المسلمة بإظهار محسنها لزوجها،



تبلغ المرأة بتجملها لزوجها أعلى درجات الطاعة لله

وكانَتْ معاوِنًا لَهُ عَلَى غَضْبِ بَصَرِهِ، فَهِيَ فِي أَعْلَى درجاتِ الطَّاعَةِ، أَمَا إِذَا جَهَتْ لِتَبَرَّزَ مَحَاسِنَهَا بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأَخْرَى لِغَيْرِ زَوْجِهَا، لِلْأَجَانِبِ، لَمَنْ لَا يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَبَرُّزَ أَمَامَهُمْ، لَمَنْ لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهَا، فَهِيَ فِي أَدْنَى درجاتِ الْمُعْصِيَةِ، فِي أَدْنَاهَا دَرْكًا، لِذَلِكَ عِنْدَمَا قَالَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٣]

لَوْ قَالَ: وَلَا تَبَرَّجْنَ، نَهَىٰ عَنْ مَطْلَقِ الْزِينَةِ، قَالَ:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٣]

المرأةُ الْجَاهِلَةُ هِيَ الَّتِي تَبَرَّزُ مَحَاسِنَهَا لِغَيْرِ زَوْجِهَا .

٤- فتنَةُ اللسان :

فَتَنَةٌ أُخْرَى يُمْكِنُ أَنْ تَقْعُدْ بِهَا الْمَرْأَةُ أَلَا وَهِيَ فَتَنَةُ اللسانِ.
صوتُ الْمَرْأَةِ عُورَةٌ، إِذَا لَيَّنَتْهُ، وَكَسَرَتْهُ، وَرَفَقَتْهُ، وَنَغَمَتْهُ، إِنَّهُ عُورَةٌ، رَبِّمَا شَفَّ عَنْ مَحَاسِنَهَا وَهِيَ مَحْبَبَةٌ عَنِ الْذِي يَسْتَمِعُ إِلَيْهَا، حَتَّى لَوْ أَنْ صَوْتَهَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، إِذَا كَسَرَتْهُ، وَلَيَّنَتْهُ، وَلَوَّنَتْهُ، وَنَغَمَتْهُ، فَإِنَّهُ عُورَةٌ وَأَيْةٌ عُورَةٌ، مِنْ هَنَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿إِنِّي أَتَقِيُّنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٢]

كلمة: شَكْرًا، فَهُنَاكَ كَلْمَاتٌ تُعْبَرُ عَنِ الشَّكْرِ وَالْمَوْدَةِ مِنْ رَجُلٍ لِرَجُلٍ مَعْقُولَةٌ جَدًّا، أَمَّا مِنْ امْرَأَةٍ لِرَجُلٍ أَجْنَبِيٍّ لَا يَحْلُّ لَهَا، إِنَّهَا حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ:

﴿إِنِّي أَتَقِيُّنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٢]

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾

ـ سَيِّدُنَا مُوسَى، قَوْلٌ مَعْرُوفٌ، لَوْ فَتَشْتَ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلَّهَا، لَنْ تَجِدْ كَلْمَةً جَادَّهُ صَارِمَةً مَوْجِزَةً بِلَيْغَةٍ كَهُذِهِ الْكَلْمَةِ: فَأَجَابَتَاـ :

﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾

[سورة القصص الآية: ٢٣]

قد يَسْأَلُ: لَمَّا أَنْتُمَا هَنَا؟ أَيْنَ أَبُوكُمَا؟ أَيْنَ أَخُوكُمَا؟ لِنَقْطُعَ بَابَ الْحَوَارِ :

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شِيْخٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة القصص الآية: ٢٣]

كَلْمَةٌ وَاحِدَةٌ :ـ

﴿فَجَاءُتْهُ إِذَا هُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكُ﴾

[سورة القصص الآية: ٢٥]

لو اكتفت عند هذا القول لسألها: لماذا يدعوني؟ ما المناسبة؟ .

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكُ لِيَجْرِيكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

[سورة القصص الآية: ٢٥]

انتهى الكلام :

﴿وَقُنْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٢]

علموا نساعكم، علموا بناتكم، علموا أخواتكم، علموا من يلوذ بكم من النساء: أن يقلن قوله معروفاً مع الأجانب.

شيء آخر: القصص التي تصف علاقة المرأة بالرجل، هذه القصص سميت فاحشة، لأن الإنسان بطبيعته، بطبيعة ما أودع الله فيه من شهوة، يميل إلى سماع هذه القصة، فإذا فشت هذه القصص بين المؤمنين، فكأنما فشت الفاحشة بينهم، لذلك هذا الأدب الرخيص، الأدب المثير، الأعمال الفنية المثيرة، أي عمل يستهدف إثارة الغرائز هذا حرام؛ ما حرّم فعله حرم استعماله، ما حرم فعله حرم النظر إليه، ما حرف فعله حرم الحديث عنه، لذلك:



﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ﴾

[سورة النور الآية: ١٩]

أنت بداعٍ تربوي قد تصف جريمةً أخلاقيةً، ولكن المؤمن يصفها بطريقةً أدبيةً، بطريقة لا تثير الغرائز، وقد توصف جريمةً أخلاقيةً بطريقةً أدبيةً تثير غرائز الإنسان، فلما أن تصف الرذيلة ولكن بطريقةً نشمئز منها لا بطريقةٍ نحبها.

هؤلاء الكتاب الذي يصفون الرذيلة بطريقةٍ نحبها، هؤلاء كتابٌ يعملون على هدم المجتمع وهم لا يدركون أو يدرؤون، إن جيلاً من الشباب بأسره قد تحطّ أخلاقه، بسبب هذا اللون من الأدب، لذلك الكتاب يجب أن يحسن الإنسان اختياره، ما كل كتابٍ يقرأ، وما كل قصةٍ تقرأ، وما كل أدبٍ يقرأ، وما كل شعرٍ يقرأ، لذلك العلماء قالوا: الشعر كلامٌ حسنٌ وقبيحٌ قبيح.

الشعر كلام، هناك شعر يصف النبي عليه الصلاة والسلام، يصف البطولة، تذوب نفسك بهذه البطولة، وهذا شعر آخر يصف الرذيلة، فالمؤمن يجب أن يدقق فيما يقرأ.

٣- فتنة الحداء :

لو أن هذه المرأة لم تتكلم، هناك فتنة أخرى، قد تسير سيراً بصوت صارخ يلفت النظر إليها، قال تعالى:

﴿وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾

[سورة النور الآية: ٣١]

فهذه الأحذية النسائية التي لها صوت حينما تمشي المرأة، لأن المرأة تقول: ها إنذا انظروا إلي، لو أنها مشت خلف الرجل، تلفت نظره إليها عن طريق هذه المشية غير الإسلامية، فربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾

[سورة النور الآية: ٣١]

٤- فتنة الطيب :

هناك فتنة رابعة: فتنة الطيب، قال عليه الصلاة والسلام :



((الْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ
بِالْمَجْسِسِ، فَهِيَ كَذَا وَكَذَا))
يعني زانية .

طيب المرأة في بيتها وليس خارجه

[أخرج أبو داود والترمذى والنمسائى فى سننهم]

امرأة تسير في الطريق بين الأجانب وقد استعطرت، لماذا استعطرت؟ من أجل أن تلفت النظر إليها.

وفي حديث آخر:

((إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاهُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمْسَ طَبِيًّا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والنمسائى في سننه، وأبي داود في الموطأ]

والنبي - عليه الصلاة والسلام - قال:

((طَيْبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفَى لَوْنُهُ، وَطَيْبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفَى رِيحُهُ))

[أخرجه الترمذى والنمسانى فى سننهما]

الزينة مطلوبة من دون أن يكون لهذه الزينة رائحة تلفت نظر الرجال .

٥- فتنة التعرى :

وفتنة التعرى هذه فتنة كبيرة جداً، جاء في الحديث الشريف:

((إِيَّاكُمْ وَالْتَّعْرِيَ فَإِنَّ مَعْكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ))

[أخرجه الترمذى فى سننه]

والنساء الكاسيات العاريات اللاتي وصفهن النبي -عليه الصلاة والسلام-

((المائلات المميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها))

ترتدي ثياباً شفافة، أو ترتدي ثياباً ضيقة، الثوب الذي يشف عن لون البشرة، أو يشف عن حجم العضو، هذا ثوب هدفه التزيين وليس ستر العورة.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((نِسَاءُ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، مَائِلَاتٍ مَمِيلَاتٍ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنَمَةِ الْبَخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ وَلَا

(يَجِدْنَ رِيحَهَا))

يدنین علیهین من جلابیبہن:

بقي موضوع حساس جداً، سأقرأ لكم ما ورد في بعض التفاسير عنه، حينما قال الله عز وجل :
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفُنَّ فَلَا يُؤْذِنُنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٥٩]

قال العلماء: أن يرخين جانبًا من خمورهن أو ثيابهن على أنفسهن. وهذا هو المفهوم من ضرب الخمار على الوجه، والمقصود به ستر الوجه وإخفاؤه، سواءً بضرب الخمار أو بلبس النقاب، أو بطريقة أخرى غيرها، وال المسلمات إذا خرجن من بيوتهن مستترات على هذا النحو، علم أهل الريبة من الرجال أنهن شريفات، وجميع المفسرين قد ذهبوا هذا المذهب في تفسير هذه الآية. فيروى عن ابن عباس -رضي الله عنه- قوله: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق الجلابيب.

وعن ابن سيرين قال: سألت عبيدة بن سفيان بن الحارث الحضرمي عن قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْعَيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفُ فَلَا يُؤْذِنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٥٩]

قال: فأخذ ثوبه فغطى رأسه ووجهه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه.

ويقول الطبرى أيضاً في تفسير قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٥٩]

لا تتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن ل حاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن، ولكن يُدْعَيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، لثلا يعرض لهن فاسق إذا علم أنهن حرائر بأدئى من قول. ويقول العالمة أبو بكر الجصاص: في هذه الآية دلالة على أن المرأة مأمورة بستر وجهها عن الأجانب، وإظهار الستر والغلاف عند الخروج، لثلا يطمع فيها أهل الريب فيهن .

وقال العالمة النيسابوري في تفسير هذه الآية: كانت النساء في أول الإسلام على عادتهن في الجاهلية متبدلات، يبرزن في درع وخمار من غير فصل بين الحرفة والأمة، فأمرن بلبس الأردية وستر الرأس والوجه، ذلك الإدناه -أدنى- أقرب إلى أن يعرفن أنهن حرائر، فإن التي سترت وجهها أولى بأن تستر كل شيء في جسمها.

وقال الإمام فخر الدين الرازي: وكان في الجاهلية تخرج الحرفة والأمة مكشوفات يتبعهن الزناة وقع التهم، فأمر الله الحرائر بالتجلب، قوله تعالى :

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفُ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٥٩]

أي أنهن حُرّات، لأن من تستر وجهها هو أولى؛ أي هي مظنة أن تستر كل شيء في جسمها هذا المقصود.



الآن شروط الثياب التي يجب أن ترتديها المرأة المسلمة:
أولاً: أن يغطي الثوب جميع الجسم، ألا يشف ويصف ما تحته:
أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام-: إن من أهل النار نساء كاسيات عاريات ... إلخ.

ودخلت نسوةٌ من بنى تميم على عائشة لباس المرأة ففضاض غير محجم أو شاف وأن لا يكون زينة -رضي الله عنها- وعليها ثياب رفقة،

قالت عائشة: إن كنت مؤمناتٍ فليس هذا بثياب المؤمنات.
وأدمنت عليها امرأة عروس -على السيدة عائشة- عليها خمارٌ رقيقٌ شفافٌ، قالت: لم تؤمن بسورة النور امرأةٌ تلبس هذا الثوب.

الآن الشرط الثاني: ألا يحدد الثوب أجزاء الجسم وألا يبرز مفاتنه:
وإن لم يكن رقيقاً شفافاً كذلك الثياب التي جاءتنا عن الغرب، فأي ثوبٍ تلبسه المرأة لو كان سميكاً، إذا كان هذا الثوب يصف حجم أعضائها فكأنه يبرز أعضاءها كما هي .

من صفات ثياب المرأة المسلمة: ألا يكون مما يختص به الرجال كلبس البنطال، وألا يكون الثوب مما اختصت به النساء الفاجرات، أي أحدهن الصرّاعات، هذه الثياب التي ترتديها المرأة الفاجرة لا ينبغي للمرأة المسلمة أن ترتديها.

هذا مجمل ما ينبغي على المرأة المسلمة أن تقطعه إذا خرجت من بيتها، لأن ثياب الإنسان في الإسلام جزءٌ من دينه، ولا سيما المرأة، قضية الثياب، ونوع الثياب، وشكل الثياب هذا متعلق بدين المرأة، أما لها أن ترتدي لزوجها ما تشاء من دون قيدٍ أو شرط، مهما تفنت المرأة في التزيين لزوجها، فهي في أعلى درجات الطاعة، أما إذا تفنت في إظهار مفاتتها لغير زوجها بشكلٍ أو بأخر، فهي في أحط درجات المعصية، هذا ملخص هذا الموضوع.

سعد بن عبادة :

والآن إلى القسم الثاني من الدرس وهو سيرة أصحاب رسول الله عليهم رضوان الله .

الحقيقة: لا بدّ من كلمة أقدم بها الحديث عن قصة سيدنا سعد بن عبادة، هذا الصحابي الجليل له مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موقفٌ صريح، هذا الموقف يعلمنا أشياء كثيرة، ولكن قبل أن نخوض في هذه القصة التي تتعلق بسيدنا سعد بن عبادة، لا بدّ من تمهيد:

لماذا يجب أن نقرأ سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام-؟ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- مشرع؛ أي أن أقواله، وأفعاله، وإقراراته، وأحواله، وصفاته كلها تشريع، فأنت إذا قرأت ما في القرآن الكريم من أوامر ونواه، أنت لا زلت مفتقرًا إلى أن ترى كيف وقف النبي الموقف الكامل في هذا الوضع، وكأن سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام- فيها مواقف متعددة جدًا، بحيث أن هذه المواقف المتعددة تغطي كل الأحوال التي يمكن لمؤمنٍ أن يتعرض لها.

مواقف نبوية:

١- الثبات على المبدأ :

فمثلاً: لو أن شابًا نال شهادة الطب، وعُين طبيباً شرعياً مثلاً، وجاءته حالة وفاة جرمي -قتل- فلو جاءه أهلأشخاص معينون، وعرضوا عليه مبلغًا طائلاً من المال، نظير أن يكتب أن الوفاة جاءت طبيعية، جاءه مبلغٌ كبير، هذا المبلغ يحل به كل مشكلاته.

النبي -عليه الصلاة والسلام- عرض عليه كفار قريش أن يكون أغنامهم، عرضوا عليه أن يعطوه أجمل بناتهم، عرضوا عليه أن يسودوه عليهم، هذا موقف.

فالإنسان له مبادئ، بعمله، بمهنته، بموافقه، يتعرض لإغراءات شديدة جدًا، أو يتعرض لضغوط؛ ضغوط أو إغراءات، فإذا اقتنى بالنبي -عليه الصلاة والسلام- في ثباته على مبدئه، تكون هذه السيرة قد قدمت له نموذجاً كاملاً، عليه أن يقفه عندما يتعرض لضغطٍ أو لإغراء، إذاً: أنت في مثل هذا الموقف تقف ما وقف به النبي عليه الصلاة والسلام.

٢- العطف على البنات :

مثلاً: إنسان ولدت له بنت، العوام يقولون: البنـت لها كـنة، وربـنا عـز وجل :
قال :

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالنِّسْكِي ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِدًا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾

[سورة النحل الآية: ٥٩-٥٨]



النبي - عليه الصلاة والسلام - حينما ولدت له السيدة فاطمة، ضمها وشمها....

هذا موقف، فإذا جاءك بنت قف موقف النبي - عليه الصلاة والسلام -: ريحانة أسمها و على الله رزقها.

لعل الخير كله من هذا البنت، لعل خيرك كله من هذه الفتاة، هذا موقف .

٣- موقف المؤمن إذا اتهم أهل بيته:

إنسان تحدث الناس حديثاً باطلأ عن أهله، حديث من نوع الزنا، هناك من يسكت ولا يتتأثر فهو الديوث، من هو الديوث؟ الذي يرضى الفاحشة في أهله، لا يغـار على عرضه، أو يرضى الفاحشة في أهله، أو إنسان أحـق يذبح هذه المرأة، ويرتكب جـرمـة، ثم يـظـهـرـ أنها بـرـئـةـ. هـذـاـ وـقـعـ. في مسرحية لشكسبير شهـيرـةـ جـداـ، اسمـهـ عـطـيلـ، توـهـمـ أنـ دـيـمـونـ زـوـجـتـهـ قدـ خـانـتـهـ فـذـبـحـهـاـ، فـلـمـ عـلـمـ بـرـاءـنـهاـ اـنـتـحـرـ.

النبي - عليه الصلاة والسلام - تكلمت المدينة كلها عن زوجته السيدة عائشة، وقف الموقف الكامل.

٤- علمك عند الفقر الصبر :

النبي - عليه الصلاة والسلام - أصابـهـ الفقرـ، دـخـلـ عـلـيـهـ أحدـ أـصـحـابـهـ، وـقـدـ رـآـهـ مـصـفـرـ اللـوـنـ، فـقـالـ:
بابـيـ أـنـتـ وـأـمـيـ ماـ لـكـ ياـ رـسـولـ اللهـ؟

ذاق طعم الفقر، فإذا نصح الفقراء بالصبر يكون كلامه مقبولاً، لو أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يذق طعم الفقر، ونصحنا بالصبر، لما صدّقه الفقراء.

يا محمد، أتحب أن تكون نبياً ملكاً أم نبياً عبداً؟ قال:

((لا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبَّعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ))

أي إذا ربنا عزّ وجل قلب الأمور، امتحنك في الغنى فرآك سخياً، الآن سيمتحنك في الفقر، لماذا أنت مضطرب؟ لماذا أنت يائس؟.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْغَيْرُ الْغَفُورُ﴾

[سورة الملك الآية: ٢]

امتحنا هذه السيارة بالنزول فرأيناها جيدة جداً، الآن سنتختها بالصعود، لننظر قوة محركه، هل تحمى أم لا تحمى؟ فالله عزّ وجل هو يمتحن الإنسان .

٥- علمك الحلم :

أعرابي أثناء توزيع الغنائم قال:

((اعدل يا محمد. - فما هذا القول؟ يخاطب من؟ يخاطب سيد الخلق، حبيب الحق، كان بإمكان

النبي أن يسحقه، أن يشير بقتله- فقال: وَيَكَ وَمَنْ يَعْدُ إِنْ لَمْ أَعْدِ؟))

أعرابي آخر جذبه من ثوبه حتى أثر ثوبه في عنقه الشريف، التفت إليه وتنسمّ، وما زاد عن ذلك. -يعلمنا كظم الغيط، وأنت في أعلى درجة من القوة، في أعلى درجة من التمكّن، هذا جاهل. -اطمئن، رأى النبي مصدر أمن له- فلما صلّى قال:

((اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّداً وَلَا تَرْحِمْ مَعَنِّا أَحَدًا - مِنْ هُؤُلَاءِ- قال: لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا))

[أخرجه البخاري في الصحيح، وأبو داود والترمذني والنسائي في سننهم]

علمك الحلم، علمك الصبر .

سبينا عمر كان ماشياً في المسجد ليلاً -فيبدو أنه داس على رجل إنسان خطأ، هذا الإنسان عصبي المزاج-، قال: أعمى أنت؟ قال: لا، فقال له من معه: ماذا قال لك؟ فقال لهم: سألهي فأجبته، وانتهى الأمر.

اقتدوا بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، فلا تغرّك قوتك إذا كنت قوياً، إذا كان بإمكانك أن تسحق هذا الضعيف، اقتد بالنبي -عليه الصلاة والسلام- اقرأ سيرته من أجل أن تقتندي به . موقف الغني بالتسامح، موقف الفقر بالصبر والعفاف والتجمّل .

٦-علمك عند القهر الرحمة :

يا ترى: هل تجذبك رحمتك على التشفى من أعدائك؟.
النبي الكريم بالطائف حينما دعا ربّه، فقال:

((اللهم أشكو إليك قلة حيلتي و هواني على الناس))

قف هذا الموقف الأخلاقي، جاءه جبريل، وبإمكانه أن يسحق هؤلاء المكذبين.

٧-علمك عند النصر والقوة العفو :

ذاق طعم النصر، مكة التي انتمرت على قتله، والتي أخرجته، والتي أهانت أصحابه وعدبتهم، و....، سنوات طويلة، وها هو ذا يفتحها، وتحت إمرته عشرة آلاف سيف تتوجه بالشمس، لو أنه أشار إليهم لأبادوا أهل مكة، قال :

((ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: أقول كما قال أخي

يوسف: لا تشرب عليكم اليوم))

((اذهبوا فإنكم الطلقاء))

علمك العفو، علمك عند القهر الصبر والرحمة، وعلمك عند النصر والقوة العفو .

٨-علمك الترفع عن السباب والترفع عن التشفى :

عمير بن وهب الذي توشح سيفه، وجاء ليقتل النبي عليه الصلاة والسلام، شعر عليه سيدنا عمر، فقيده بحملة السيف، قال: أطلقه يا عمر، أطلقه، قال: اقترب يا عمير - بكل لطف ورقة - عفا عنه، وانقلب هذا الذي جاء ليقتلته إلى أحب الناس إليه، علمك العفو .
سيدنا عكرمة حينما جاء مسلماً، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه
علمك الترفع عن السباب، والترفع عن التشفى .

إنسان آخر جاء ليقتل النبي - عليه الصلاة والسلام - أمسكه عمر وجاء به إلى النبي، فقال سيدنا رسول الله: هل أعددتم له طعاماً؟

سيدنا عمر صُعق، كأنه يتوفع أن يقول: اضرب عنقه يا عمر، قال: هل أعددتم له طعاماً؟ هكذا النبي .

٩-هذا الموقف الكامل إذا فقد الابن :

أذقه الله فقدان الابن بالوفاة، شيء صعب جداً، دمعت عينه، قالوا:

((أتبك؟ قال: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ))

هذا الموقف الكامل إذا قبض الابن.

كان يتقدّم أصحابه، إذا أنت لك أخوان، لك أصحاب، لك زملاء، لك أقارب. في أعقاب معركة أحد، تفقد أصحابه، فلم يجد أحد أصحابه -سالم بن الربيع- تفقده وبحث عنه حتى عرف خبره.

١٠-سوى نفسه بأذني جندي بالجيش :

سوى نفسه بأذني جندي بالجيش.
في معركة بدر قال:

((أكل ثلاثة على راحلة، وأنا وعلى أبي لبابة على راحلة))

ركب النبي على الناقة، جاء دوره في المشي، توسلًا إليه أن يبقى راكباً، قال:

((ما أنتما بأقوى مني على السير، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر))

اقتدى بالنبي الكريم، سوّى نفسك مع أقل إنسان، هذا في الحرب .

١١-هذا موقفه في السلم :

في السلم: عندما كانوا في نزهة، وأرادوا أن يذبحوا شاة، هذا قال:
(علي ذبها، وهذا: علي سلقها، وهذا: علي سلخها، وقال: علي جمع الحطب، فقالوا: نكفيك،
قال: لا، أعلم ذلك، ولكن الله يكره عبده متميزاً على أقرانه))
اقتدى بالنبي الكريم، هذا موقف كامل.

١٢-كان يمشي في الأسواق ويتفقد أصحابه ويحمل حاجته بيده :

كان يمشي في الأسواق، ويحمل حاجته بيده، وقد تستوقفه امرأة ضعيفة، وكان يقول:
(برئ من الكبر من حمل حاجته بيده))

هذا وسام شرف، حامل خضروات وفواكه، والجاجات لبيته، من أنت؟ أنت أعظم من رسول الله؟
هو في أعلى مقامات البشر، كان يمشي في الأسواق، ويتفقد أصحابه، ويحمل حاجته بيده.

١٣- معاملته مع الصبيان ومع أهل بيته :

وكان إذا رأى صبياناً يقول:

((السلام عليكم يا صبيان))

تألفاً لقلوبهم.

وكان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، وكان يقول:

((أكرموا النساء، فو الله ما أكرمنهن إلا كريم))

تسابق مرة مع السيدة عائشة -نبي هذه الأمة، قمة المجتمع، أول خلق الله، سيد الخلق، حبيب الحق- تسابق مع السيدة عائشة فسبقته -كانت صغيرة- قالت:

((فلما ركبني اللحم سبني، قال:

هذه بتلك السبقة))

أصبحنا تعادل.

سألته مرة:

((كيف حبك لي؟ قال: كعقدة الحبل.

-أي عقدة لا تفك، فصارت كشفرة بينهم، فصارت تقول له من حين إلى آخر- : كيف العقدة؟

يقول: على حالها))

أي متينة، فكان في بيته وديعاً، لطيفاً، مؤنساً، متواضعاً، كان يكتس داره، ويرفع ثوبه، ويخصف نعله، وكان في مهنة أهله، هذا موقف.

قراءة السيرة فرض لازم من أجل أن تعرف رسول الله، من أجل أن تقتندي به، من أجل أن تقتنفي أثره، من أجل أن تتبع سنته، لأنه الإنسان الكامل.

٤- معاملته مع الخلق :



كان يركب الحسن والحسين على ظهره، ويقول:

كتاب الحقوق - لفضيلة الدكتور محمد راتب

اقتدي بالنبي في اللعب مع أولادك وأحفادك

(نعم الجمل جملكما، ونعم العدalan أنتما)

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

معه مسوakan؛ واحد مستقيم، والثاني معوج، فقدم المستقيم لأحد أصحابه، انتقى المستقيم وقدمه، أكثر الناس يعطي الجيدة له والردية للآخر، أعطاه السواك المستقيم، هذا الموقف الكامل الذي يجب أن تقفه .

إنسان نزع له ريشة من على ثوبه، رفع يديه وقال:

((جزاك الله عنك كل خير))

ريشة، ماذا فعل؟ ريشة نزعها من على ثوبه.

١٥ - إكرامه للضيف :

عدي بن حاتم استقبله في البيت، ليس عنده إلا وسادة واحدة دفعها إليه، قال:
((جلس عليها، عدي استحيا، قال: بل أنت، قال: بل أنت، قال: فجلست عليها وجلس هو على الأرض))

إكرام الضيف هكذا؛ تعلم إكرام الضيف، تعلم العلاقة مع الزوجة، العلاقة مع الصغار، العلاقة في الأزمات، في المواقف .

١٦ - كان ينوه بفضل أصحابه :

كان ينوه بفضل أصحابه، فعن سيدنا الصديق قال:

((ما ساعني قط))

((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر))

وعن سيدنا عمر قال:

((لو كان بعدينبي لكان عمر بن الخطاب))

سيدنا عثمان وصفه بأنه أحيا أمتي:

((ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟))

وعن سيدنا علي قال:

((أنا مدينة العلم وعلى بابها))

[أخرجه الترمذى في سننه]

وعن سيدنا أبي عبيدة قال:

((أمينٌ هذِهِ الأُمَّةِ))

وَعَنْ سَيِّدِنَا الْزَّبِيرِ قَالَ:

((حَوَارِيٌّ هَذِهِ الأُمَّةِ))

وَعَنْ سَيِّدِنَا سَعْدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ:

((إِرْمَ فَدَاكَ أَبِيهِ وَأُمِّيهِ))

[أَخْرَجَهُ الْبَخْرَى وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيفَةِ]

وَعَنْ سَيِّدِنَا مَعاْدَ بْنِ جَنَاحٍ قَالَ:

((وَاللَّهِ إِنِّي أَحْبَكَ))

فَإِذَا أَنْتَ كُنْتَ تَاجِراً عِنْدَكَ مَحْلٌ، عِنْدَكَ مَعْمَلٌ، مَوْظِفٌ عِنْدَكَ مَوْظِفَيْنِ، عِنْدَكَ مَوْظِفٌ أَخْلَاقَهُ
عَالِيَّة، أَسْمَعَهُ كَلْمَةً ثَنَاءً مِنْ حِينٍ لَا خَرَرَ، يَطْمَئِنُ أَنَّكَ عَارِفٌ قَدْرَهُ، عِنْدَكَ مَوْظِفٌ أَمِينٌ، أَنْثِي عَلَى
أَمَانَتِهِ.

رَجُلٌ دَخَلَ عَلَى الصَّلَاةِ مُسْتَعْجِلًا، فَأَحَدَثَ جَلْبَةً وَضَجْجِيًّا، فَلَمَّا انتَهَىَ الصَّلَاةَ قَالَ:

((زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلَا تَعْدُ))

[أَخْرَجَهُ الْبَخْرَى فِي الصَّحِيفَةِ، وَأَبُو دَاوُدُ وَالنَّسَائِيُّ فِي سَنَنِهِما]

أَنْتَى عَلَى حِرْصِهِ، مَعَ أَنَّهُ أَحَدَثَ جَلْبَةً وَضَجْجِيًّا، قَالَ: زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلَا تَعْدُ لِمَثْلِهِ.
قَبْلَ أَنْ يَوْجِهَهُ وَيَلْوِمَهُ أَنْتَى عَلَى حِرْصِهِ، تَعْلَمُوا. تَدْقِيقٌ بِالْحَدِيثِ .

لَذِكْرٌ يُنْبَغِي أَنْ نَقْرَأَ السِّيرَةَ، لِأَنَّ مَوَافِقَ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هِيَ الْمَوَافِقُ الْكَاملَةُ،
وَأَتَمْنِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا أَنفُسَكُمْ أَحِيَاً: مَاذَا فَعَلْتُ فِي حَيَاةِي الْيَوْمَيَّةِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ؟ فِي بَيْتِكُمْ، فِي عَمَلِكُمْ، مَعَ أَصْحَابِكُمْ، مَعَ أَخْوَانِكُمْ، مَاذَا فَعَلْتُ؟ مَا الْمَوْقِفُ الْذِي وَقَتَتْ
إِقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ؟ مَا التَّصْرِيفُ الَّذِي تَصْرَفْتُ إِقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ؟ هَذَا.

الْحَقْيَقَةُ: نَحْنُ الْآنُ أَمَامَ قَصَّةٍ، قَصَّةٌ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّنَا أَنَّكُمْ تَعْرَفُونَهَا جَمِيعًا، وَلَكِنَّ الْمَقْصُودُ لَيْسُ
أَحَدًا مِنْهَا بَلْ تَحْلِيلَهَا.

فَالنَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حِينَمَا انْتَهَى مِنْ غَزْوَةِ حَنْيَنْ، وَزَعَّ الغَنَائِمَ، وَاهْتَمَ يَوْمَئِذٍ اهْتِمَامًا
خَاصًا بِالْمُؤْلَفَةِ قُلُوبَهُمْ، وَهُمْ أُولَئِكَ الْأَشْرَافُ الَّذِي دَخَلُوا الإِسْلَامَ مِنْ قَرِيبٍ، وَرَأَى النَّبِيُّ -عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لِحْكَمَتِهِ أَنْ يَسْاعِدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهَذَا التَّالِفَ، فَأَعْطَى ذُنُوبَهُمْ حَاجَةً مِنْ
الْمَقَاتِلَيْنِ، أَمَّا أُولُو الإِسْلَامِ الْمَكِينِ، الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ الْأَقْوَيَاءُ، فَقَدْ وَكَلَهُمْ إِلَى إِسْلَامِهِمْ، وَلَمْ يَعْطُهُمْ
مِنْ هَذِهِ الْغَنَائِمِ شَيْئًا، وَكَانَ عَطَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرْفًا يَحْرُصُ عَلَيْهِ النَّاسُ

جميعاً، لذلك تسأله الأنصار في مرارة: لم لم يعطهم النبي -عليه الصلاة والسلام- حظهم من الغنيمة؟ حدثت مشكلة، وجد تساؤل، وحشرجة، وضيق، وحزن، ومشكلة أساسها الحرمان. الحقيقة: الآن سنتعلم شيئاً مفيداً جداً في الحياة: أولاً كان من الممكن ألا تقع هذه الحادثة إطلاقاً؟ الله عزّ وجل على كل شيء قدير، وكل شيءٍ وقع أراده الله، كان من الممكن: ألا تقع هذه الحادثة إطلاقاً؟ ولكن لماذا وقعت؟ وقعت لأنها تكشف حقائق النفوس، الإنسان له حقيقة، فهو لاء الأنصار -رضي الله عنهم- في بأنفسهم تعلق بالغائم، لو لا هذه الحادثة لما ظهر هذا التعلق، فالواحد منا يكون مسلماً مؤمناً مستقيماً، دخله حلال، ضابطاً لجوارحه كلها، يصلى الصلوات بإنقان، ومع ذلك تأتيه مشكلة، فالله عزّ وجل قال:

﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾

[سورة طه الآية: ٧]

أي يعلم سرك وما خفي عنك، قد يكون هناك مرض نفسي خفي عنك، فربنا عزّ وجل بهذا الظرف الصعب، ظهر على السطح هذا المرض، فعالجك الله منه، فارتقيت عنده، هذه قضية مهمة جداً، المؤمن يظن نفسه متوفهاً أنه سليم معافٍ، طاهر، لا، هناك أمراض كامنة، هذه الأمراض الكامنة لا تظهر على السطح إلا بحوادث نادرة، وهذا الحادث أراده الله عزّ وجل، أراده ليظهر على السطح حرص هؤلاء على الغنيمة أكثر من حرصهم على رضا النبي عليه الصلاة والسلام، فكانت هذه الحادثة.

الإنسان بساعة الضيق، أو ساعة الحزن عن الدنيا، قد تغيب عنه عصمة هذا النبي العظيم ، قد تغيب عنه نزاهته المطلقة، قد تغيب عنه حكمته البالغة، حينما وجدوا في أنفسهم على النبي -عليه الصلاة والسلام-، غابت عنهم عصمتها، وغابت عنهم نزاهته، وغابت عنهم حكمته، لذلك من خلال هذه الحادثة: أراد الله عزّ وجل أن يكشف عن حكمة النبي، وعن عصمتها، وعن نزاهته. شيء آخر: إن هذه القصة درسٌ عملي يتعلم به المؤمنون، كيف يقفوا موقف الحكيم الأكمل إذا واجهتهم معارضه؟

النبي واجهته معارضه، هؤلاء الأنصار تلموا، فقد وجدوا عليه في أنفسهم: لماذا فعل هكذا؟ لماذا حرمنا من هذه الغنائم؟ لقد نصرناه؟ هذا التعلق بالغائم طفا على السطح، عدم المعرفة الكاملة بالنبي -عليه الصلاة والسلام- طفا على السطح، النبي ينطوي على كمال شديد ظهر هذا الكمال. أنت مدير مدرسة، مدير معمل، موظف، معلم، نشأت حولك حركة ضدك، ما موقف الأكمل الذي يجب أن تتفقه؟.

النبي -عليه الصلاة والسلام- متى واجه هذا موقف؟ هل في أول الدعوة؟ ليته كان في ذلك الوقت، واجه هذا موقف وهو في أقوى ما يكون، في أقوى حالة يكونها، النبي كلام يعلم ليس نبياً فحسب، هو رئيس هذه الدولة الإسلامية، نبيٌّ، رسولٌ، يوحى إليه، معصوم، سيد الخلق،

حبيب الحق، سيد ولد آدم، سيد الأنبياء والمرسلين، رئيس هذه الدولة، القائد الأعلى للقوات المسلحة عند المسلمين، واجه معارضة.

كان من الممكن: أن يسحقها نهائياً، وكان من الممكن أن يسحقها أديباً، إذا ندد بهم بهؤلاء الذين وجدوا عليه في أنفسهم سحقهم، نبي عظيم يندد بمن ينتقده بهذه الطريقة سحقهم، وكان من الممكن أن يتغافلهم، بإمكانه أن ينهيهم كلياً، وبإمكانه أن يهدى اعتبارهم، وبإمكانه أن يتغافلهم، وبإمكانه أن يعاتبهم، لم يسحقهم، ولم يهدى كرامتهم، ولم يتعاطفهم لمصلحته، فماذا فعل؟.

سيدنا سعد بن عبدة -صاحب الترجمة اليوم- كان سيد الأنصار، سمع قومه يتهمون بعضهم بهذا الأمر، فلم يرضه هذا الموقف، استجاب لطبيعته الواضحة المسفرة الصريحة، وذهب من فوره إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال:

((يا رسول الله سلك الطريق المباشر ، سلك الأسلوب الصريح، لا يوجد لف ودوران- قال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار، قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء -أرأيتم إلى هذه الصراحة؟ أرأيتم إلى هذا الوضوح؟ أرأيتم إلى هذا الطريق المباشر؟.

أذكركم بأن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان في أعلى درجات القوة، وكان بإمكانه أن ينهيهم، بإمكانه أن يهدى كرامتهم، بإمكانه أن يعاتبهم، بإمكانه أن يجمعهم، ويبين لهم فضله عليهم، كل هذا بإمكانه، ولكن ماذا فعل؟-

قال عليه الصلاة والسلام: وأين أنت من ذلك؟ -أي هل أنت معهم؟- فقال: ما أنا إلا من قومي -نعم أنا مثلهم- فقال عليه الصلاة والسلام: إذاً فاجتمع لي قومك.

النبي -عليه الصلاة والسلام- تملّى وجوههم الآسية، ابتسم ابتسامةً متلأللةً -برفان جميلهم، وتقدير صنيعهم- وقال:

يا عشر الأنصار، مقالةً بلغتني عنكم -بلغني أنكم واجدون علي- وجدةً وجدتموها علي في أنفسكم، أما إنكم -الآن دقة الموقف، ماذا يقول لهم؟ أنانبي هذه الأمة، لقد هديتم إلى الله؟ لا، بل قال:-

أما إنكم لو فلتتم فلصدقتم، ولصدقتم به -لو أردتم أن تقولوا هذا الكلام أنتم صادقون- أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخدواً فنصرناك، وعائلاً فأسيناك، وطريداً فآويناك.

-ماذا ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام-؟ ذكر فضلهم عليه، ذوبهم، ألم يكن بإمكانه أن يبدأ بفضله عليهم؟ ذكرهم فضلهم عليه-.

يا عشر الأنصار، -الآن جاء دوره- ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ -ألم تكونوا ضالين فهداكم الله بي؟- ألم آتكم عالةً فأغناكم الله؟ ألم آتكم أعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ -روعه الموقف أنه بدأ

بفضلهم عليه، وثني بفضله عليهم، ذكرهم بعملهم، ذكرهم بنصرتهم، ذكرهم بتأييدهم، ذكرهم بإخلاصهم، ذكرهم بتضحياتهم، ذكرهم بآبوائهم له، فخجلوا.

قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل، قال: أجبوني يا معشر الأنصار، قالوا: بم نجبك يا رسول الله؟ - خجلوا - الله ورسوله المن والفضل، قال: يا معشر الأنصار، أوجدتكم في أنفسكم في لعاعةٍ - أي خشيشة - تألفت بها قوماً ليسلماوا، ووكلتم إلى إسلامكم؟ - أي ألا تعذروني؟ ألسنم واثقين من حكمتي؟ ألسنم واثقين من نزاهتي؟ ألسنم واثقين من عملي الطيب؟ - أوجدتكم علي في لعاعةٍ من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلماوا ووكلتم إلى إسلامكم - اعتماداً على إيمانكم القوي، وعلى إسلامكم، وعلى طول باعكم في الدين، وعلى قدمكم - ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب نزلت من اللهي - وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً

هذا موقف النبي - عليه الصلاة والسلام -، بإمكانه أن يدمرهم، بإمكانه أن يسحقهم، بإمكانه أن يهدى كرامتهم، بإمكانه أن يهملهم، بإمكانه أن يعاتبهم، بإمكانه أن يبين فضله عليهم، ما فعل كل هذا، بل تألف قلوبهم، واسترضاهم، وبين فضلهم عليه، ثم فضله عليهم، وبين أنه معهم ولن يتركهم، لأنه بعد فتح مكة خاف الأنصار أن يستوطن النبي مكة، قال:

((المَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

هذا هو الوفاء .

أي أنك إذا كنت بموقف قوي، واجهتك مشكلة، لا تسلك سبيل القوة، فهو سبيل فاشل، اسلك سبيل تأليف القلوب، اسلك سبيل التعطف، اسلك سبيل الرحمة، اسلك سبيل الاستطاف، لا تنس فضل الناس عليك، هذه نصيحة، إذا فعلت مع الناس شيئاً يجب أن تتتساه، أما إذا فعل اتباع الطريق المباشر بالكلام والابتعاد عن اللف والدوران



الناس معك شيئاً لا ينبغي أن تنساه أبداً الدهر .

هناك شيئاً - : سيدنا سعد كان صريحاً، سلك الطريق المباشر -أسلوب اللف والدوران تركه، مباشرةً - : إن قومي وجدوا عليك في أنفسهم، أين أنت منهم؟ قال: ما أنا إلا من قومي. عُود نفسك الصراحة، لا يكون لك موقفان؛ موقف معلن، موقف خفي، وجهان ولسانان، شيء يرضي وشيء لا يرضي، هذا الأسلوب لا يرضي الله عزّ وجلّ، هكذا كان أصحاب النبي، وهكذا كان النبي .

فلذلك قراءة سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام- حتماً واجب، من أجل أن تهتدي بهديه، وأن تقتفي أثره، وأن تتبع سنته، وأن يكون هذا الإنسان الكامل لك معلماً.

قال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا))

موقف العطف واللين، موقف الحكمة، موقف عدم نسيان الفضل، هذا الموقف هو الذي يبقى مع الإنسان .

والحمد لله رب العالمين

ال التربية الإسلامية - الحقوق - حق الطريق - الدرس ٤-٣ : كف الأذى ، الحياة - سعد بن عبادة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٢-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

حق الطريق :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا في موضوع الحقوق، ولا زلنا في حقوق الطريق، ومن حقوق الطريق -إضافةً إلى غضير البصر- كف الأذى، وكف الأذى ينقلنا إلى موضوع تمهيدي له، إلا وهو الحياة.

النبي -عليه الصلاة والسلام- في أحاديث كثيرة يؤكد: أن الحياة من الإيمان، وبعد قليل سأقني على مسامعكم ببعضًا من هذه الأحاديث الشريفة، ولكن الحديث الأول:

يقول عليه الصلاة والسلام:

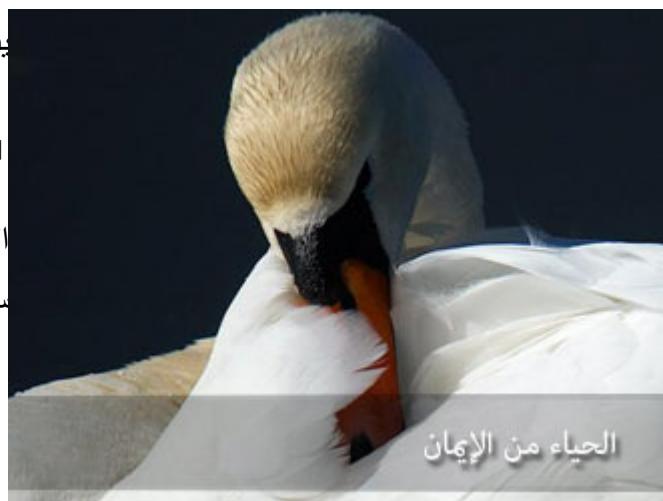
((الإِيمَانُ بِضُّعْ وَسَبْعُونَ شَعْبَةً ...))

[أخرج البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى والنمساني في سننهم]

الإيمان درجات، والدليل: أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمْنُوا﴾

[سورة النساء الآية: ١٣٦]



الحياة من الإيمان

هناك إيمان مقبول، وهناك كمال الإيمان، الإيمان إذاً درجات، والتقوى درجات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٠٢]

الفرق بين الإيمان والتقوى:

والإيمان شيء والتقوى شيء آخر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِلَهُ﴾

[سورة آل عمران الآية: ٢]

وَالإِيمَانْ شَيْءٌ وَالإِسْلَامْ شَيْءٌ أَخْرَى:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٤]

فمعرفة معاني هذه المصطلحات الدقيقة في القرآن الكريم جزء من الإيمان، يجب أن تعرف ما الإيمان؟ ما الإسلام؟ ما التقوى؟ ما المعصية؟ ما الفسق؟ ما الفجور؟ ما الإلحاد؟ ما الكفر؟ الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾

[سورة الحجرات الآية: ١٤]

إِذَا: الإيمان شيء والإسلام شيء آخر.

الحديث الذي بين أيدينا هو قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

﴿(الإِيمَانُ بِضَعْ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).﴾

-أي أن أعلى درجة في الإيمان أن تصل إلى قول لا إله إلا الله، وإذا قال النبي: قول لا إله إلا الله، فيعني بذلك: أن تعلم أنه لا إله إلا الله، وإذا علمت أنه لا إله إلا الله، فمن لوازم العلم، بكلمة التوحيد: أنك تدخل في حصن الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَصْنِي، مَنْ دَخَلَهَا أَمْنٌ مِّنْ عَذَابِي.

وبينبغي أن تعلم أيضاً: أن لا إله إلا الله لا يسبقها عمل، الأعمال الصالحة في ظاهرها قبل أن تؤمن بأنه لا إله إلا الله، مشوبةً بعدم الإخلاص، لأنه لا ينفع عملٌ مع الشرك.-

... أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

بل إن نهاية العلم: أن تؤمن أنه لا إله إلا الله، والإنسان لا يعصي ربّه إلا إذا اعتقد أن هناك جهةً أخرى تتفعه أو تضرّه، فهو يطيعها ويعصي الله، أما إذا أيقن أنه لا إله إلا الله، وأن الله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الأولى والأخيرة، هو الظاهر والباطن، هو الأول والآخر، بيده ملکوت كل شيء، إليه يرجع الأمر كلّه، مالك كل شيء، إذا أيقن هذا اليقين انتهى كل شيء، فالعلم نهايته أن تؤمن بأنه لا إله إلا الله: وما تعلّمت العبيد أفضل من التوحيد.-

وأَوْضَعُهَا إِمَاطَةً الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ.
- أَنْ تَمِيَطَ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ، حَجْرٌ
تَرِيْحِهِ إِلَى جَانِبِ الْطَّرِيقِ.

أَبِيهَا الْأَخْوَةَ دَقَّوَا: مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْنِدَ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ تَمِيَطَ
الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ.-



وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ

هذا الحديث دقيق جداً، معنى ذلك: أن في الإيمان جانباً فكرياً، وأن في الإيمان جانباً نفسياً، وأن في الإيمان جانباً سلوكياً، كلمة إيمان: هذه الكلمة الرنانة التي يطمح كل امرئ أن يتصرف بها، يجب أن نعرفها معرفة صحيحة، من الإيمان أن تقرا في الكون، والآيات التي تحضنا على ذلك لا تعد ولا تحصى، من الإيمان أن تدبّر كتاب الله عزّ وجلّ، من الإيمان أن تنظر في الحوادث، لأن الكون خلقه، ولأن الحوادث أفعاله، ولأن القرآن كلامه، فإذا تقدّرت وتدبّرت ونظرت، وأجريت محاكمـة دقيقة، وتوصّلت بعد البحث والدرس والتدقيق والتأمل إلى الحقائق الأساسية التي أراد الله سبحانه وتعالى أن نؤمن بها، هذا هو الجانب الأول في الإيمان.

لِذَكْرِهِ: الْإِيمَانُ بِضُعْ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً،
أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

أي إنك إذا تأملت في الكون، وإذا
تدبرت القرآن، وإذا نظرت في
الحوادث، وصلت إلى أن هناك خالقاً
عظيماً وربيراً رحيمًا ومسيراً حكيمًا،
لا إله إلا هو، هذه الجولة التفكيرية،
الجولة التأملية، الجولة التبصرية - إن
صحّ التعبير - الجولة التدبرية في



الجانب الفكري للإيمان التفكير في الكون

الكون، وفي القرآن، وفي الحوادث، مع إجراء المحاكمة، والدراسة، والبحث، والتمحص،
والمقديمات، والنواتج، يستطيع هذا الفكر البشري أن يصل إلى نتائج قطعية، وهذا الذي عبر عنه
العلماء باليقين الاستدلالي، هذا جانب في الإيمان.

فهذا الذي لا يفكر، ولا يعمل عقله، ولا يتأمل، ولا يتدبر، ولا ينظر، هذا مُقْدَد، والمُقْدَد ليس من عِدَاد المؤمنين، كما أقرَّ بذلك علماء التوحيد، لا يمكن أن يكون الإيمان تقليداً، لأنك إذا قلَّت في الإيمان قد تقلَّد في الضلال، إذا كان عندك استعداد أن تقلَّد في عقيدتك، فأنت ضالٌ مضلٌ آخر، إذا جمعتَك به الصُّدُف، ولنفك عقیدته الضاللة، يمكن أن تعتقها، إذاً لا يقبل منك أن تقلَّد في العقيدة، فالإيمان شعبٌ كثيرة كما قال عليه الصلاة والسلام: بِضُّعْ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

هذا الجانب الفكري.

الدرس الماضي ليس هنا ولكن في درس العقيدة، قلت: لو جمعنا الإيمان والإسلام معاً، وعدهما وحدة متكاملة، هناك جانبٌ فكري يمثُّل الإيمان الفكري، وهناك جانب سلوكي يمثُّل الإسلام، الإسلام انصياع، وهناك جانبٌ نفسي قلبي يمثُّل الإيمان القلبي .



فأنت قبل أن تستسلم لأمر الله، لا بد من أن تجري محاكمة فكرية صحيحة، تصل بها إلى نتائج قطعية، وأنت بعد أن تستقيم على أمر الله، وتتساق إلى أمر الله، لا بد من أن تقبل على الله عزَّ وجلَّ، فالإقبال على الله يجعلك تصطبغ بصبغة الله عزَّ وجلَّ، من هذه الصبغة الحياء، فترى المؤمن له جانبٌ فكري نشيط، وله جانبٌ نفسيٌّ أخلاقيٌّ، إنه

يتتصف بالصفات الأخلاقية الرفيعة، من عدل وإنصافٍ، إلى رحمةٍ وحنانٍ، إلى لطفٍ، إلى شفقةٍ، إلى طهُرٍ، إلى عفافٍ، إلى تحملٍ، إلى صبرٍ، هذا الجانب النفسي، والجانب الفكري له عقيدة يقينية، سببها: أنه تأملٌ وفكٌّ، وتدبرٌ ونظرٌ.

كأنني أقول لكم: لا بد من فناعة يتبعها سلوك، تتبعها سعادة، تقنع، تسلك، تسعد، وهذا يتطابق تماماً تعريف العبادة:

العبادة: طاعةٌ طوعيةٌ ممزوجةٌ بمحبةٍ قلبيةٍ، أساسها معرفةٌ يقينيةٌ، تقضي إلى سعادةٍ أبديةٍ. ثلاثة أشياء؛ طاعةٌ طوعيةٌ سلوك، الإسلام التزام، الإسلام ضبط الحواس، الإسلام ضبط الدخل، الإسلام ضبط الإنفاق، الإسلام ضبط العلاقات .

وكلت قد أكدت لكم من قبل: أن في الإسلام عباداتٍ شعائرية، منها: الصلاة والصيام والحج، وفي الإسلام عباداتٍ تعاَمِلية، ولعمري إن العبادات التعاَمِلية أخطر بكثير من العبادات الشعائرية، بل إن العبادات الشعائرية لا تصح ولا تؤتي ثمارها يائعةً إلا إذا سبقتها العبادات التعاَمِلية، لذلك: عندما رأى سيدنا عمر بدوياً يرعى غنماً وشياهاً، قال له: بعني هذه الشاه وخذ ثمنها، قال: لم يُبْسِطْ لي، قال: قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب -القصة معروفة-، قال: والله إِنِّي في أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها: ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، فإِنِّي عنده لصادقٍ أمين، ولكن أين الله؟

فمعلومات، تطلعات، طموحات، مشاعر من دون التزام، هذا كلامٌ فارغ، إِيَاكَ أَنْ تضيِّعْ وقتك.
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَائِتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾

[سورة الأنفال الآية: ٧٢]

هؤلاء الذين اعتقدوا، هؤلاء الذين أيقنوا، هؤلاء الذين طمحوا، إن لم يؤكّد عقيدتهم موافق؛ عطاءً ومنعً، صلةً وقطعً، غصبً ورضىً، إن لم تؤكّد عقيدتهم وإيمانهم موافق ماديًّا ، يجب أن ترى الإسلام في بيت المسلم، في علاقته بأهله، في مظهر أهله إذا خرجوا من البيت، في مظهر بناته، في تجارته، في حانوته، في مكتبه، في قاعة تدريسه، في معمله، الإسلام يبدو أكثر ما يبدو في التعامل .

لعلك رأيته يصلني؟ قال: نعم، قال: أنت لا تعرفه، هل حاككته بالدرهم والدينار؟ قال: لا، قال: هل جاورته؟ قال: لا، قال: هل سافرت معه؟ قال: لا، فقال: أنت لا تعرفه.

فحينما فهم الصحابة الكرام الإيمان التزام، وتعامل، وانضباط، وتحري الحلال، بلغوا أعلى درجات الكمال.

قال النجاشي لسيدنا جعفر :

((حدثنا عن نبيكم، قال: كنا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونقطع الرحيم، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف -هذه الجاهليّة- حتى بعث الله علينا رجلاً، نعرف أمانته وصدقه، وعفافه ونسبة، فدعانا إلى الله لنعبد وننوحده، ونخلع ما كان يعبد آباءنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث -المسلم صادق؛ صادق مع نفسه، صادق مع ربِّه، صادق مع الناس، صادق مع من هم أدنى منه، صادق مع من هم أكبر منه- أمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والكف عن المحارم والدماء))

هكذا عرف سيدنا جعفر الإسلام، موافق أخلاقيّة، هذا الذي يجب أن نضع أيدينا عليه، الإسلام فيه جانب فكري عقائدي، بالتعبير الحديث: أيديولوجي، فيه جانب سلوكي، الجانب السلوكي هو الأصل في الإسلام:

وعالمٌ بعلمه لم يعلم معذبٌ من قبل عباد الوثن

تعلّموا ما شئتم، فو اللّه لن تؤجروا حتّى تعملوا بما علّمتم .

الجانب الآخر وهو: الجانب النفسي،
جانب الإقبال على الله عزّ وجلّ.
فلاحظوا في هذا الحديث :

((إِيمَانٌ بِضُعْ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً،
أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ
الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِّنْ
الإِيمَانِ))

الذي أريد أن أقوله: أنه توجد بالإسلام



الجانب النفسي للإيمان يتمثل بالإقبال على الله

صبغة، أنت كإنسان لك فطرة عالية، ما من مخلوق إلا ويتمتع بفطرة عالية، الفطرة أن تحب الكمال، لكن أن تحب الكمال شيء وأن تكون كاملاً شيء آخر، أن تحب الكمال هذا قاسم مشترك بين كل البشر، ولكن أن تكون كاملاً هذا من ثمر الإيمان، هذه هي الصبغة، هذه هي ثمرة الصلاة، هذه هي ثمرة الاتصال بالله عزّ وجل؛ الصبر، الصدق، الأمانة، العفة، الإنفاق، ومنها الحياء، فكف الأذى في الطريق أساسه الحياء.

الحياة :

ما الحياة؟ الإنسان حينما ترقى نفسه، يعظم على صاحبها أن يصدر منه نقص، وكلما ارتفعت النفس، يعظم عليه أن يصدر منه نقص في السلوك، ونقص في الكلام، ونقص في المظاهر، أصبح كاملاً، لماذا هو حبي؟ لأنّه اتصل بالله عزّ وجل.

أم تسمعوا بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

((إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا خَائِبَتِينَ))

إذا اتصلت بالله سبحانه وتعالى، لا بدّ من أن تقتبس أو أن تشتق منه صفة الحياة، الحياة أن تخشى وأن تخاف أن يصدر منك نقص؛ في الطريق، وفي عملك، وفي بيتك، مع أهلك، مع أولادك، مع أخوانك، في المسجد، تصرف قولي، تصرف عملي، مظهر نقص، خلل في موقفك، هذا كلّه من الحياة.



المؤمن سعيد حتى وهو مبتلى

في نقطة دقيقة جداً: اليوم صباحاً سألني عنها أخ: أنه المؤمن مبتلى، لكن لماذا هو سعيد؟ المؤمن سعيد لأنّه يشعر أنه على الصراط المستقيم، وأنّه ضمن المنهج الإلهي، وأن الله سبحانه وتعالى راضٍ عنه، ليس معنى هذا أن حياته ليس فيها متابع، المتابع لا بدّ منها، لأن المتابع تُظهر كماله، تُظهر صبره، لا يرقى إلا بالصبر، تُظهر

حُلْمه، لا يرقى إلا بالحلم ، تُظهر إنصافه، قد يعتدى عليه، فيأخذ حقه من دون أن يزيد عليه، فلا تتوجهوا أن الإنسان إذا عرف الله، واستقام على أمره، أصبح الطريق كلّه ورود ورياحين، لا، لكنك سعيد جداً، لأنك تشعر دائمًا: أن الله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض راضٍ عنك ويرحب بك، هذا الشعور الدقيق، تشعر أنك على الصراط المستقيم، تشعر أنك على هدى من الله، تشعر أن الله معك، تشعر أن الله يحبك، أن الله يؤيدك، لذلك الأنبياء العظام، كانوا كما قال عليه الصلاة والسلام:

((أَشَدَ النَّاسِ بَلَاءُ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْنَى فَالْأَمْنَى))

أصحاب النبي الكرام كانت حياتهم مشحونةً بالمتاعب، لكن هذه متابعة مقدسة في سبيل معرفة الله، في سبيل عقيدتهم، في سبيل موافقهم، في سبيل إرضاء ربهم.

فكيف يمكن لهذا العبد أن يرقى إلى الرب؟ شيءٌ دقيق، ربنا عزّ وجل خلق هذا المخلوق، ويريد من هذا المخلوق أن يرقى إليه، أن يصل إليه، أن يتصل به، ما السبيل؟ لا بدّ من أن يخلفه على طبيعة معينة، ولا بدّ من أن يأمره وينهاه، افعل ولا تفعل، لا بدّ من أن يكون هذا الأمر مخالفًا لطبيعته، ولا بدّ من أن يكون هذا الذي ينهاه عنه موافقًا لطبيعته، أودع فيه حب النساء وقال له: غضّ بصرك، لكن هذه الشهوة التي أودعها الله فيه، جعل لها قناةً نظيفةً وحيدة، وليس على مزاجه.

فهناك شهوة أودعها الله في الإنسان وهناك تكليف، من معاني التكليف: أن فيه كلفة، يجب أن تغض بصرك، ومسموح لك فقط أن تستمتع بما أحلّ الله لك:
 ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَتَهَى النَّفْسُ عَنِ الْهَوَى﴾

[٤٠] سورة النازعات الآية:

أنت بهذا ترقى، المال، أودع فيك حب المال، لك أن تكسبه من طرق شتى، فلنّ لك الطرق التي يمكن أن تكسب بها المال، لا بدّ من أن تكسبه من حلال، وفلنّ لك الطرق التي يمكن أن تنفقه

بها، إذاً: أنت لست حراً. هذا بشر الحافي أحد كبار أولياء الله، كان مسرفاً على نفسه في المعصية، وكان في مجلس خمر، طرق بابه، فإذا رجل يقول لغلامه: قل لسيدك إن كان حراً فليفعل ما يشاء، وإن كان عبداً فما هكذا تصنع العبيد.

كانت هذه الكلمة لها وقعٌ في قلبه خطير، حمله على أن يدع كأس الشراب، وعن أن يتبع هذا الذي قال هذا الكلام، وعن أن يتبعه حافياً.

قل لسيدك إن كان حراً فليفعل ما يشاء، وإن كان عبداً فما هكذا تصنع العبيد؟.

أي أنك في قبضة الله عزّ وجلّ، أنت إذا قلت في أحد الأيام: الحمد لله، الأمور ميسرة، صحتي طيبة، فالآلاف الأجهزة تعمل بانتظام؛ أجهزة عصبية، وأجهزة دорانية، وعضلات، وأعصاب، فأي خلٍ طفيفٍ في جسمك يقلب الحياة إلى جحيم، فأنت في قبضة الله.



دقّوا في قوله تعالى، يقول الله عزّ وجلّ :

﴿وَكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُولِيهَا﴾

-ما معنى هذه الآية؟ أي أنت مخير:-

وَكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُولِيهَا

-هو الإنسان مولتها، أما الشيء الذي يُلفت النظر: لماذا قال الله عزّ وجلّ -:

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ

-لماذا؟ لأن هذا الاختيار موقّت، لا تملكه إلى أبد الدهر، والدليل:-

أَئِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا

[سورة البقرة الآية: ١٤٨]

أنت الآن مخير؛ لك أن تطيع أو أن تعصي، لك أن تفعل الصالحات أو أن تفعل السيئات ، لك أن تصلي أو لا تصلي، لك أن تحضر مجلس العلم أو تحضر مجلس لهو، أنت مخير:

﴿وَكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ

-صاحبها مولتها، يا عبادي:-

فَاسْتِبْقُوا الْخَيْرَاتِ



-لأن هذه الميزة، هذه الخصيصة، هذا الاختيار الذي هو سر سعادتكم، وسر ارتقاءكم عند ربكم، إنما هو موقف، لا بد من أن يُسلّب منكم حينما يأتي ملك الموت.

لذلك:-

فَاسْتِبْقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا

[سورة البقرة الآية: ١٤٨]

إذا جاء ملك الموت انتهى الاختيار، نحن جميعاً ما دام هذا القلب ينبض، نتمتع بفرصة لا تعوض، أنت الآن مخير، تستطيع أن تفعل الصالحات، تستطيع أن تندم، تستطيع أن تستغفر، تستطيع أن تقرب إلى الله عز وجل، تستطيع أن تعوض بصرك، تستطيع أن تعيد الحقوق إلى نصابها:

﴿فَاسْتِبْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

-استبقو، أي أن هذه الفرصة التي متحمّوها فرصة لا تعوض، وهي فرصة مؤقتة، لا بد من أن تنتهي:-

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾

[سورة البقرة الآية: ١٤٨]

إذاً: سر سعادة المؤمن: أنه يشعر أنه على هدى من الله عز وجل:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه الآية: ١٢٣]

الآن الحياة: النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:
(الْحَيَاةُ كُلُّهُ خَيْرٌ)

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

تستحي، حياؤك يمنعك من معصية الله، تستحي أن تمدّ بصرك إلى ما حرم الله، تستحي أن تأخذ ما ليس لك، تستحي أن تسبّ إنساناً، تستحي أن تشتم، تستحي أن تعتدي على أعراض الناس، تستحي أن تأكل أموالهم بالباطل، إذاً **الْحَيَاةُ -كما قال عليه الصلاة والسلام- كُلُّهُ خَيْرٌ**.

لماذا تحدثنا عن الحياة؟ لأن من حقوق الطريق كف الأذى، وكف الأذى لن يكون إلا بالحياة، لأن آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة -كما ورد في البخاري-: إذا لم تستح فاصنع ما تشاء.

لهذا الحديث تقسيمٌ دقيقٌ جداً: إذا لم تستحب فاصنع ما تشاء، أي عملٍ تزمع أن تفعله، زنه بميزان الشرع، فإذا فعلت هذا العمل وأنت لا تستحي من الله عزّ وجل في فعلك إياه، هذا العمل افعله ولا تخش شيئاً، إذا لم تستحب من الله في هذا الفعل فافعل ما تشاء، هذا المعنى الأول.

فالبطولة: أن تملك الجواب الله عزّ وجل، أفعل ما تشاء، لكن بشرط أن كل موقف، كل حركة، كل سكتة: يجب أن تتغطّي بها بجوابٍ صحيحٍ الله عزّ وجل يوم القيمة إذا سألك، فإذا وزنت هذا العمل، ورأيت أنه يرضي الله، ولا تستحي به، فافعله ولا تخف، إذا وزنت هذا العمل بميزان الشرع، ورأيت أنه إذا واجهك الله به لا تستحي، لماذا ضربت هذا



اليتيم؟ يا ربِي أنا ضربته، لأنَّه لو كان ابني مكانه لضربته، هذا ميزان دقيق، إذاً اضربيه، إذاً أديبه، لماذا حرمت زيداً؟ لأنَّه ينفق ماله في شرب الخمر يا رب، فأي عمل تحب أن تفعله، يجب أن تقيسه بالشرع، فإن جاءَ الجواب إيجابياً، فاصنعه ولا تخش شيئاً، هذا المعنى الأول. المعنى الثاني: أنه إذا خلا قلب المؤمن من الإيمان، من لوازم الإيمان الحباء، فإذا لم يستحب الإنسان يفعل أي شيءٍ قبيح، ما الذي يردعه عن فعل القبيح؟ حياؤه، هو لا يستحي، ما دام لا يستحي، إذاً فليفعل كل شيء.

إذا لم تستحب فاصنع ما تشاء .

والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءَ))

[أخرجه ابن ماجة في سنّة]

فربما تعرف المؤمن من غير المؤمن من حياته، من سيره في الطريق، يغضّ بصره، تعامله سنوات طولية لا تستمع منه إلى كلمة تخذش الحياة أبداً، لو أنه مزح فمزاحه شريف، مزاحه أديب لا يجرح الحياة، هناك أشخاص كبار متّقون يحتلون مناصب رفيعة، إذا دخلت إلى مجالسهم الخاصة، استمعت إلى مزاحٍ رخيصٍ يندي له الجبين، هذا الذي لا يستحي ليس مؤمناً الحياة من لوازم الإيمان.

الخلق الصارخ للمؤمن الحياة؛ في تصرفاته، في جلسته، في مشيّه، في ثيابه، في طعامه، في شرابه، في ركوبه، في تعامله مع الناس، في مزاحه، في لهوّه، في مرحه، في جده، في عمله، في بيته، في كل هذه المجالات تراه صاحب حياة.

يبدو أن أحد أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يعظ إنساناً، فقال له النبي الكريم -وأظنه سيدنا الصديق-:

(دَعْةُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ)

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذى والنمسائى فى سننهم، ومالك فى الموطأ]

أي لا تتعب نفسك، لو أنه مؤمن لاستحياء، وما دام لا يستحي فليس مؤمناً.

تروي سيدتنا عائشة: النبي -عليه الصلاة والسلام- كان أشد حياءً من المرأة في خدرها، مرّ جاءته امرأة، فقالت له:

((كيف أطهر يا رسول الله؟ قال: خذِي فرصةً من مسٍكٍ فتطهري بها، قالت: كيف أتطهّر؟ قال: تطهّري بها، قالت: كيف؟ قال: سبحان الله! تطهّري فاجتبّتها إلى، فقلت: تتبعي بها أثر الدم))
النبي كان حبيباً، ما تكلّم كلمة تخدش الحياة إطلاقاً.

يا بنيتي، إن هذه الثياب تصف حجم عظامك.

ماذا يقول مكان عظامك؟ حجم ساقيك، حجم عضدك، أية كلمة أخرى تثير الشهوة.

يا بنيتي إن هذه الثياب تصف حجم عظامك.

ماذا قال الله عزّ وجل؟ قال:

*وَالَّذِينَ هُمْ لَفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِنَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ *
فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

[سورة المؤمنون الآية: ٥-٧]

كلمة لطيفة جداً لا تخدش الحياة.

الحقيقة: الإنسان إذا كانت فطرته صافية، لم تطمس بالشهوات، وكان في حضرة عظيم، وهذا العظيم كامل، وهذا العظيم الكامل بيده كل أمره، وعنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وعنه عذاب أليم، إذا كنت في حضرة عظيم، فإنك تستحي منه قطعاً. فتصور نفسك: لك شخص بالأسرة عظيم الشأن، له مكانة، أخلاقياته عالية، عالم جليل وزارك في البيت، كيف تستقبله؟ هل يمكن أن تستقبله بثياب مبتذلة؟ لا، هل يمكن أن تسبّ ابنك أمامه بسباب مقدح؟ لا، هل يمكن أن تتمطّي أمامه؟ لا، هل يمكن أن تتجشّأ أمامه؟ لا، أنت في حضرة شخص من بني البشر، تشعر أنك منضبط في حضرته، فإذا شعرت أن الله معك دائماً، في خلوتك وفي جلونك، في بيتك وفي عملك، هذا الشعور بمراقبة الله عزّ وجل هو من ثمار الحياة، لذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((ما كان الفحش في شيء إلا شأنه - أذري به - وما كان الحباء في شيء إلا زانه))

[أخرجه الترمذى فى سننه]

الكلام الفاحش، والثياب الفاحشة المتبذلة، والتصرفات الفاحشة، والأفكار الفاحشة، والقصص الفاحشة.

((ما كان الفحش في شيء إلا شأنه - عابه - وما كان الحباء في شيء إلا زانه))

[أخرجه الترمذى فى سننه]

الحديث الخطير: أن الحباء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر، فلان لا يستحي أن فلان ليس مؤمناً، فلان ليس مؤمناً لا يستحي، فهناك علاقة ترابطية، لا يستحي ليس مؤمناً، ليس مؤمناً لا يستحي، انتهى الأمر، فمؤمن لا يستحي مستحيل، لا يجتمع فحش وإيمان: الحباء من لوازمه الإيمان.

لذلك: إذا كان لك صديق، أو جار، أو زميل في العمل، وفيه حباء، توسم فيه الخير، ما دام يستحي فيه إيمان، تعهد هذا الإيمان، إذا أردت عالمة صارخة على إيمان المؤمن؛ إنها الحباء.
النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول:

((الحباء من الإيمان)).

- هذه من للتبعيض؛ أي بعض صفات المؤمن الحباء - .

و والإيمان في الجنة، والبذاء - هذه الكلمات البذيئة، هذه الكلمات الفاحشة، هذا المزاح الرخيص، وصف العورات، هذا الشيء الذي يندى له الجبين، الذي تحرّم منه الخود، الذي يخدش النفوس، هذا الكلام المؤذى - .

والبذاء من الجفاء.

- ما الجفاء هنا؟ بعد عن الله عزّ وجلّ، من لوازمه بعد: هذا الفحش في الكلام -

(والجفاء في النار))

حديث خطير:

((الحباء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار))

[أخرجه الترمذى فى سننه، والإمام أحمد فى مسنده، وابن حبان فى صحيحه]

فلو أن الإنسان التقى بك وعاملك، يجب أن يعرفك مؤمناً لا من كلامك بل من أفعالك، يجب أن يعرفك أنك مؤمن، يقول: مؤمن رب الكعبة، لأنه فقط حبي.

عندنا مقياس دقيق جداً، هذا المقياس: النبي - عليه الصلاة والسلام - أعطانا إياه، قال : ما أحببت أن تسمعه أذناك فأتته، وما كرهت أن تسمعه أذناك فلا تأته.

فاجتبه، أتُحِبُّ أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَى إِنْسَانٍ خَائِنٍ، أَوْ إِنْسَانٍ كَاذِبٍ، أَوْ إِنْسَانٍ لَهُ انْحِرَافٌ؟ إِذَا أَحَبَّتِ هَذَا الَّذِي تَسْتَمِعَ إِلَيْهِ فَأَتَهُ، وَإِذَا كَرِهْتَهُ فَلَا تَأْتَهُ، هَذَا مَقْيَاسٌ دَقِيقٌ مِّنْ مَقَابِيسِ الْحَيَاةِ.

أنواع الحياة :

١- الحياة من الله عز وجل :

الآن: الحياة أنواع ثلاثة، الحديث عن الحياة الحديث عن كف الأذى في الطريق، وكف الأذى أحد حقوق الطريق، هناك حياة من الله عز وجل، إذا أتيت أمره، وتركت نهيه، اجتبته ما نهى الله عنه، فأنت تستحي منه، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاةِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَكَ، وَلَكِنَّ الْاسْتِحْيَاةَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاةِ؛ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى -العينان، الأنفان،
اللسان، الخواطر- وَالْبَطْنُ وَمَا حَوَى -أَنْ تَأْكُلْ طَيْبًا - وَلَتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبَلَى))

إن فعلتم هذا فقد استحببتم من الله حق الحياة، عندنا ميزان دقيق:

من لم يكن له وراغ يصدّه عن معصية الله إذا خلا، لم يعبأ الله بشيء من عمله .

البطولة وأنت وحدك، وأنت في البيت لا أحد يطلع عليك، إذا كانت خلوتك كجلونك، وإذا كانت سريرتك كالعلانيّتك، إذا كنت تخشى الله وأنت منفرداً كما تخشاه وأنت مجتمعاً، فأنت تستحي من الله حق الحياة .

٢- الحياة من الناس :

النوع الثاني من الحياة: الحياة من الناس:

النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((لَا خَيْرٌ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ))

لأن الحياة كل لا يتجزأ، سمة الحياة تظهر في حياتك من الله، وتظهر في حياتك من الناس، وتظهر في حياتك من نفسك.

الآن: لو أنك عملت عملاً فيما بينك وبين نفسك، وقد لا ينطوي على طاعةٍ أو معصية، لكن لا يليق بك أن تفعله و فعلته، إنك الآن لا تستحي من نفسك، والإنسان إذا انهارت مكانته عند نفسه أخل توازنه، شيء كبير جداً أن تنهار مكانتك عند نفسك، أي إذا فعلت شيئاً متعلقاً بالصحة أو بالنظافة فيما بينك وبين ذاته لا يتفق مع الكمال، لا أحد يطلع عليك، ولا أحد يحاسبك، وقد تكون هذه من المباحثات، لكن تشعر أنك صغيرٌ أمام نفسك.

إذاً: الحياة من الله في طاعته واجتناب نواهيه، والحياة من الناس في أن تكفَّ الأذى عنهم، والحياة من نفسك أن تكون في المستوى المطلوب.

النقطة الدقيقة: الحديث الشهير الذي يقول فيه النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن))

لا يمكن، إنك إذا ربطت الطاعة بثوابها، وربطت المعصية بعقابها، لا يمكن أن تفعل المعصية، ولا يمكن إلا أن تأتي الطاعة، ولكن حينما تعزل الطاعة عن نتائجها، والمعصية عن نتائجها، إذاً: أنت في هذه اللحظة لست مؤمناً.

إذاً:

((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن))

كيف يزني وهو يرى أن الله مطلع عليه؟.

إنسان أراد أن يزني بأمرأة، فأغلق كل الأبواب، قالت له: إن هناك باباً لا تستطيع أن تغلقه؛ إنه باب الله، فاستحشاً، أي إذا شعرت أن الله يطلع عليك وأنت متلبسُ في معصية، وكانت الفطرة سليمة والإيمان قوياً، عندئذٍ تكف عن محارم الله.

فأساس كف الأذى في الطريق الحياة؛ في لباسك، في حركاتك، في سكاناتك. فأحياناً الإنسان يريد أن يتتجاوز دوره، هناك شيء له دور، يحس نفسه صغيراً أمام الناس، فهو لاء كلهم من بنى البشر، هو لاء كلهم بشر لهم كرامتهم، فإذا تجاوزت هذا الصدف ونزلت شيئاً ليس من حقك، المؤمن يستحي أن يتميّز على الناس، هذا من الحياة أيضاً، والحياة له أبواباً كثيرة جداً، إذاً: الحياة من حقوق الطريق.

بقي علينا فقرة متعلقةً بسيدنا سعد بن عبادة، ذلك الصحابي الجليل الذي كان صريحاً مع النبي عليه الصلاة والسلام، حينما حدثناكم عنه في الدرس الماضي، وقد نقل للنبي موقف الأنصار،

وكيف أن النبي -عليه الصلاة والسلام- وقف أكمل موقف حينما بين فضلهم عليه، وفضله عليهم، وقال:

أما ترثون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟.

الآن سيدنا سعد بن معاذ قيل: لا يذكر سعد بن معاذ إلا ويذكر معه سعد بن عبادة، فالاثنان زعيمان أهل المدينة، سعد بن معاذ زعيم الأوس، وسعد بن عبادة زعيم الخزرج، كلاهما آمنا بالنبي -عليه الصلاة والسلام- في وقتٍ مبكرٍ، وكلاهما بايعاه بيعة العقبة، ولكن الشيء الذي يتميز به سعد بن عبادة: أنه قد ناله من عذاب قريش الشيء الكثير، وشيء يافت النظر: أنه من أهل المدينة، وأنه زعيم الخزرج، فكيف نالت منه قريش ما نالت؟.

يروي هو هذه القصة فيقول: طبعاً حينما كان في بيعة النبي -عليه الصلاة والسلام في مكة- علم كفار قريش أنه بايع النبي، واتفق معه على أن يكونوا في المدينة من الدعاة لهذا الدين الجديد، لذلك أرسل زعماء قريش من يلتحقهم في الطريق، واستطاعوا أن يقبضوا على سعد بن عبادة، وأن يعيدهم إلى مكة ليعذبوا، الآن نترك له الكلام، يقول:

فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليّ نفرٌ من قريش فيهم رجلٌ وضيءٌ -أبيض اللون- شعشع من الرجال -أي فيه نورانية- فقلت في نفسي: إن يكُ عن أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا الرجل -هو الآن في قبضتهم ويعذبونه- فلما دنا مني -هذا الرجل الوضيء، الأبيض، الشعشع، والذي ظن به سعد بن عبادة خيراً- قال: فلما دنا مني، رفع يده فلكلمي لكتمة شديدة ، فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير.

-أحياناً الإنسان يتسمّ بإنسان الصلاح، يغره شكله، أناقته، وسامته الحسن، ينكشف أنه ذئب، ينكشف أنه شخص حقير، هو توسم به الصلاح، رأه أبيض اللون، وسيم القامة، شعشع ، يظهر أن لونه أبيض.-

فلما دنا مني لكمي لكتمة، قلت: والله ما عندهم بعد هذا من خير، قال: والله إني لفي أيديهم يسحبوني إذا أوى إلى رجلٍ من كان معهم، فقال: ويحك، أما بينك وبين أحدٍ من قريش جوار؟ -هو يعذب- قلت: بلـ، كنت أجير لحبيـ بن مطعم تجارةً وأمنعهم من يزيد ظلمهم ببلادـي، وكانت أجير للحارث بن حربـ بن أمـيةـ، قال الرجلـ: فاهتف باسمـ الرجلـينـ - وهذه الجاهليةـ، هذا قبل الإسلامـ، يكفيـ أن تكونـ لكـ يـدـ، انظرـ هذاـ الموقفـ: يـكـيـ أن تكونـ لكـ يـدـ بيضاءـ علىـ رـجـلـ منـ قـريـشـ، وـأنـ تـهـفـ باـسـمـهـ فقطـ.-

قال لهـ: كنتـ أجـيرـ لـجيـبرـ بنـ مـطـعمـ تـجـارـةـ، وأـمـنـعـهـمـ مـنـ يـرـيدـ ظـلـمـهـ بـبـلـادـيـ، وـكـنـتـ أجـيرـ لـلـحـارـثـ بنـ حـرـبـ بنـ أمـيـةـ، قالـ الرجلـ: فـاهـتـفـ باـسـمـ الرـجـلـيـنـ وـاذـكـرـ ماـ بـيـنـكـ وـبـيـنـهـماـ مـنـ جـوـارـ، فـفـعـلـتـ -الـرـجـلـ نـفـسـهـ- وـخـرـجـ إـلـيـهـماـ، فـأـنـبـأـهـماـ أـنـ رـجـلـاـ مـنـ الـخـزـرجـ يـضـرـبـ بـالـأـبـطـحـ، وـهـوـ يـهـقـفـ بـاسـمـيكـماـ، وـيـذـكـرـ أـنـ بـيـنـهـ وـبـيـنـكـماـ جـوـارـاـ، فـسـأـلـاهـ عـنـ اـسـمـيـ؟ـ فـقـالـ: سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ، فـقـالـاـ: صـدـقـ وـالـلـهـ وـجـاءـ فـخـلـصـاـهـ.

هذه بالجاهلية قبل الإسلام، هؤلاء المشركون، هؤلاء الكفار، هكذا كانت أخلاقهم، يكفي أن تتطق باسمه، إن كانت لك عليه يد، يكفي أن تتطق باسمه، فيأتي هذا لينقذك مما أنت فيه . سيدنا سعد بن عبادة إضافةً إلى هذه المحنة التي تحملها، كانت له صفات، هذه محنة أكّدت طبعه.



وكم قلت لكم دائمًا: سيدنا الشافعي سُئل: أندعوا الله بالتمكين أم بالابتلاء؟ قال -رضي الله عنه-: لن تمكّن قبل أن تبتلى.

أي إن الله عزّ وجل لا بد من أن يمتحن عباده في السراء والضراء، في الضيق والرخاء، في العطاء والمنع، في إقبال الدنيا وإدارتها، في الصحة والمرض، في الغنى والفقير ، في الرفعة والضعف، في كل ألوان الحياة.

سيدنا سعد كان من الأثرياء، سخر أمواله لخدمة المهاجرين، وكان هو جواداً إلى أعلى حدود الجود .

الرواية يروون: أن جفنته -الجفنة: قصعة الطعام الكبيرة؛ أي حلة كبيرة، هذا الخوان الكبير- كانت جفنة سعدٍ تدور مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيته جميماً حيثما دار، وكان الرجل من الأنصار ينطلق إلى داره بالواحد من المهاجرين، أو بالاثنين، أو بالثلاثة، وكان سعد بن عبادة ينطلق بالثمانين.

الأنصار -رضي الله عنهم- وقفوا موقفاً أخلاقياً من المهاجرين، طبعاً هذا الموقف تاريفي، لكن أتمنى أن يكون كل مؤمن كذلك .

الحقيقة: السيرة لها مقصود بعيد جداً، ماذا يفيدك أن تعلم أن الأنصار تقاسموا مع أخوانهم المهاجرين أموالهم؟ هذه فكرة تاريخية وقعت وانتهت وانتهى أمرها، وأصحابها تحت أطباق الشرى، ولكن الذي يفيينا من السيرة -من سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام-، ومن سيرة أصحابه الكرام- أن تكون هذه المواقف قدوة لنا، أخ ضعيف يجب أن ينهض له أخوه الكرام بالمعونة، والمساعدة، والتضحية، والإيثار، هذا هو الحد الأدنى في الإيمان.

فكان الرجل من الأنصار ينطلق إلى داره بالواحد، أو بالاثنين، أو بالثلاثة، وكان سعد بن عبادة ينطلق بالثمانين. هذا الصحابي الجليل له دعاء يقول فيه: اللهم إِنَّمَا لَا يَصْلَحُنِي الْقَلِيلُ، وَلَا أَصْلِحُ عَلَيْهِ.

هناك إنسان كريم، يحب أن يعطي، يحب أن يكرم، يحب أن يطعم الفقراء، يعين المحتاجين، يغيث

المستغيثين، مثل هذا الإنسان يحتاج لدخل كبير، قال: يا رب، إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن ربه يقول: إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فإذا أفرغته أفسدت عليه دينه.

كريم جداً، سخي، لا يقر له قرار إلا إذا أعطى، وهناك إنسان على الغنى يفسق:
﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة الشورى الآية: ٢٧]

إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، فإذا أغنته أفسدت عليه دينه.
هناك حكمة بالغة.

النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما رأى سيدنا سعد بهذا الكرم، وهذا السخاء، وهذه النجدة، وهذه المروءة، وهذا العطاء، وهذه التضحية، وهذا الفداء، ماذا كان يفعل؟.

كان عليه الصلاة والسلام يرفع يديه إلى السماء ويقول:
((اللَّهُمَّ اجْعِلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ عَلَى آلِ سَعْدٍ بْنِ عَبَادَةَ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

دعاء النبي مستجاب.

وسيدنا ابن عباس يقول: كان للنبي -عليه الصلاة والسلام- في المواطن كلها رaitan؛ مع علي بن أبي طالب راية المهاجرين، ومع سعد بن عبادة راية الأنصار.



قصص الصحابة نبراس لنا في طريق الإيمان

والصفة الأخيرة التي تحدثنا عنها في الدرس الماضي: صراحته البالغة حين قال للنبي -عليه الصلاة والسلام-: إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم.

هذه بعض اللمحات عن هذا الصحابي الجليل، والذي أتمناه دائماً: أن تكون هذه القصص نبراساً لنا في طريق الإيمان، نبراساً، مشعلاً وضاءً، مثلاً أعلى، قدوة، فنحن مؤمنون والحمد لله رب العالمين، والإنسان إذا كان مؤمناً يجب أن يقول: مؤمن -والقضية بحثها العلماء- مؤمن والحمد لله، فنحن مؤمنون والحمد لله، وهؤلاء أصحاب النبي -عليهم رضوان الله- هكذا كانوا، وهذه أخلاقهم، فإذا كنا مؤمنين ينبغي أن نقتدي بهم.

سیدنا سعد تحمل الأدی، سیدنا سعد كان معواناً لأخوانه، سیدنا سعد كان شجاعاً، سیدنا سعد كان
كريماً، سیدنا سعد كان مؤثراً .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - الحقوق - حق الطريق - الدرس ٤-٤ : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- قيس بن سعد بن عبادة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٢-١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حق الطريق:

أيها الأخوة الأكارم، لا زلنا في موضوع حقوق، ولا زلنا في موضوع حقوق الطريق، ومن آخر حقوق الطريق: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قد يتوهم المسلمون توهماً خطأ: أن العبادات الشعائرية هي كل الإسلام، وأعني بالعبادات الشعائرية، الصوم، والصلوة، والحج، والزكاة، فمن صام وصلى وحج وزكي، فقد أدى كل شيء، مع أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه العبادات الشعائرية، جعلها مناسبة لعروج النفس إلى ربها، على أساس أنها في العبادات التعاملية قائمة بها خير قائم، فمن توهם أن أمر الله عزّ وجل يقتصر على الصلاة والصوم والحج والزكاة، فقد ضل ضلالاً كبيراً.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الله سبحانه وتعالى حينما يقول:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ٤٠]

هذه اللام لام الأمر، الفعل المضارع إذا سبقه لام الأمر، يصبح فعل أمر قولاً واحداً، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، إذاً: الأمة بمجموعها مأمورة بنص القرآن الكريم، وبآلية ذات دلالة قطعية: أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر.

السؤال الدقيق: ما المعروف؟ المعروف: ما تعارف الناس على أنه يرضي الله عزّ وجل، والمنكر: ما أنكره الناس، وأنكره الشرع، وأنكره الحق.
الإنسان خلق الله له فطرة سليمة، الحال بين الحلال والحرام بين:
استنقذ قلبك وإن أفتاك المفتون وأفتوك.

كل واحد منا مفتى، الذي يرضي الله أنت تعرفه تماماً؛ يرضيه أن تكون صادقاً، يرضيه أن تكون مخلصاً، يرضيه أن تكون وفيّاً، يرضيه أن تكون مستقيماً، يرضيه أن تكون أميناً، يرضيه أن تزكي نفسك، يرضيه أن تجتنب المنكرات، هذا الذي يرضيه.

الإنسان فطرته السليمة هي التي تتحاسبه، بل إذا حوسب الإنسان، إنما يحاسب على فطرته.

الحديث الشريف الذي تعرفونه جميعاً، لو طبقه الناس لأغلقت المحاكم أبوابها: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك. عامل هذه الزوجة كما تحب أن تعامل ابنته المتزوجة، عامل هذا الشريك كما تحب أن يعاملك، عامل هذا الصانع كما

تحب أن يعامل رجل ابنك إذا كان عنده صانعاً، الحلال بين، الحرام بين، الفطرة سليمة، فمن نعم الله الكبرى، أكبر معوان لنا: أن الله سبحانه وتعالى فطرنا فطرة عالية، فإذا انحرف الإنسان عن طريق الحق؛ إذا اعتدى، إذا أخذ ما ليس له، إذا تجاوز، إذا استعلى، إذا فعل شيئاً لا يرضي الله، تذكره الفطرة، ينكره ما يسميه اليوم الناس الضمير، الضمير هو الفطر، في الإنسان إحساس سليم، إذا كنت صافياً أنت المفتى، أنت المقياس.

طبعاً: إذا اختلفت الأمور، إذا انطمست الفطرة، إذا علا هذه الفطرة الرّآن، إذا الشهوات طمست معالم هذه الفطرة، يأتي الشرع، الشرع ينطبق على الفطرة، والفطرة تتطبق على الشرع، فما هو المعروف؟ الذي جاء به الشرع، والذي تقره الفطرة، ما هو المنكر؟ الذي أنكره الشرع وأنكرته الفطرة.

فدائماً أجعل حساباً فيما بينك وبين نفسك، لماذا تكلمت هذه الكلمة؟ لماذا وقفت هذا الموقف؟ لماذا منعت؟ لماذا أعطيت؟ لماذا وصلت؟ لماذا قطعت؟ الفطرة السليمة مقياس دقيق، لكن لئلا يدعى كل إنسان أن فطرته أمرته بهذا، إذا كانت الفطرة ميزاناً، فميزان هذا الشرع



الميزان هو الشرع، بماذا أمر الله عزّ وجل؟ عن مَا نهى؟ لذلك:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾

[سورة آل عمران الآية: ٤]

المشكلة: أن المجتمع بحاجة إلى تنوير، بحاجة إلى توجيهه، وهؤلاء الذين سمح الله لهم أن يوجهوا الناس، إما لصدق فيهم، أو لإخلاصٍ عندهم، أو لطلعٍ إلى مرضاه الله عزّ وجل، هذا شرفٌ كبير، هذه صنعة الأنبياء، لذلك ربنا سبحانه وتعالى يفتح هذا الباب لكل خلقه، قال:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾

[سورة آل عمران الآية: ٤]

الباب مفتوح، وفي غير هذا المجال الأبواب مغلقة، أريد أن أذهب بعثةً، نقول: ليس هناك شواغر، الشواغر ملئت، هذا يقال عند الناس، هذا الكلام ينطبق على أنظمة الناس، لكن عند الله سبحانه وتعالى الأبواب كلها مفتوحة، الشواغر كلها ميسورة، فإذا أردت أن تأمر بالمعروف وأن تنهي عن المنكر، فهذه أعلى مرتبة من العمل الصالح.

وأضرب على هذا مثلاً:

أبٌ غني الحال، رفيع المقام، له ابنٌ شارد، أعظم عملٍ تقدّمه لهذا الأب: أن تأخذ ابنه وتعيده إليه طائعاً باراً، قد يقول هذا الأب: إنك بهذا العمل أسرتني حتى الموت، إن هذا الإحسان لا أنساه لك حتى الموت، إذا كانت رحمة الأب بابنه هكذا، فكيف رحمة رب العبد؟ فإذا سمح الله لك أن تدلّ الناس على الخير:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ٤]

لاحظ هذه الكلمة خير: كلمة جامدة، كلمة شاملة؛ خير الدنيا، خير الآخرة، الخير النفسي، الخير الاجتماعي، الخير الصحي، الخير في الدين، الخير في الآخرة، السعادة البيئية ، السعادة في العمل:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ٤]

الخير كله في معرفة الله، الخير كله في السير على منهجه، الخير كله في مرضاته، الخير كله في الإقبال عليه، الخير كله في التقرّب منه، الخير كله في خدمة خلقه:.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ٤]

فالمؤمن الصادق إذا امتلأت نفسه بالحق، هذه النفس ملئت بالحق، يجد نفسه أنه مدفوع إلى أن ينقل هذا الحق إلى الآخرين، هكذا الإيمان، لذلك هذا الذي يقول: أنا ما شأني وما شأن الناس، ما لي ولهم؟ إنهم ضالون فاسقون، فاجرون، كافرون، أنا قد هداني الله عزّ وجل، لا زلت في أول الطريق، ما دمت قد انسحبت من المجتمع، ولم تشعر بمشاعر هؤلاء، لم تعطف عليهم، فأنت في أول الطريق، هؤلاء جميعاً عباد الله، هؤلاء جميعاً عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، لذلك هذه الآية الكريمة:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أَمَّةً﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٠٤]

لكن كلمة: منكم؛ هذه من للتبعيض، أي أن هناك بشر قادر على نشر الحق، قادرون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأسباب كثيرة، لأنهم تعلموا، وأنهم عملوا بما علموا، وأنهم أخلصوا، فإذا كنت لا تعلم، وجمعت هذا الشخص الذي ترجو له الخير مع من يعلم، فلما أنت أجر الوسيط، لأن الدعوة إلى الله تحتاج إلى علم متين، وإلى عمل بهذا العلم، وإلى إخلاص شديد، وإلى الشعور بالمسؤولية، وإلى تواضع، وإلى التحلّي بخلق الأمانة، هذه الصفات -إن شاء الله- نمر عليها بدوروس قادمة. إذاً:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أَمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٠٤]

لا يتحقق الفلاح في الأمة إلا إذا دعت إلى الخير، فإذا سمح الله لك أن تدعوا إلى الخير، فهذه صنعة الأنبياء.

والله عزّ وجل ف قال :

﴿وَاصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾

[سورة طه الآية: ٤١]

يخاطب في هذه الآية سيدنا موسى، أي إنه لشيء عظيم أن يعدك الله لخدمة عباده، أن يعدك لنشر الحق والباب مفتوح، فإذا أردت أعلى أنواع العمل الصالح، إذا أردت أن تكون عند الله مرضياً، إذا أردت أن تكون عنده في مقعد صدق، إذا أردت أن تكون مقرّباً من الله عزّ وجل، إذ أردت أن تكون من السابقين السابقين، من هؤلاء الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله، فأمر بالمعروف وانه



لا تكن منسحاً من المجتمع ومسؤولياته

عن المنكر، فالإنسان له جيران، له زملاء في العمل، له أقارب، له أصهار، له أبناء، له بنات، له أعمام، له أخوال، له جيران، له أشخاص، تعرف إليهم في ظروف معينة، هؤلاء جميعاً مادتك إلى الله عزّ وجلّ.

إذاً الآية الكريمة تأمرنا:

﴿وَلَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٠٤]

ولا تنس أيها الأخ الكريم أنك تتبع إلى أمة النبي عليه الصلاة والسلام، وأمة النبي -عليه الصلاة والسلام- جعلها الله أمة وسطاً.



لتأمر بالمعروف من تعرف ومن يقربك

من معاني هذه الآية: أن هذه الأمة جعلها الله وسيطة بين الخلق وبين الحق، بمجرد أنك تتبع إلى أمة النبي -عليه الصلاة والسلام- كأن الله سبحانه وتعالى علم فيك الخير، فلا تكن إلا في هذا المستوى الذي أنت فيه، لقول الله عزّ وجل:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١١٠]

هذه الآية يفهمها الناس فهماً مغلظاً، لماذا كنتم خير أمة؟ لأنكم تأمرتون بالمعروف وتنهون عن المنكر، فما علة الخيرية في هذه الآية؟ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا اطبقت هذه الآية على مجتمع، أو على أمة، كذلك تتطبق على فرد، أي إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، أصبحت بهذه المهمة من خير الناس، ألا يجب أحذنا أن يكون خير الناس؟ هذه هي العلة.

والعلماء يقولون في تقسير هذه الآية: إنكم يا أمة محمد، لأن الله سبحانه وتعالى خصكم بهذه الرسالة، أصبحتم بهذه الدعوة خير أمة، لكن ليس المقصود أمة التبليغ، بل أمة الاستجابة، لأنكم دعيتم إلى الهدى، فأنتم مظنة صلاح من قبل الله عزّ وجل، فإذا دعيتم ثم استجبتم، أصبحتم بهذه الدعوة وبذلك الاستجابة خير أمة أخرجت للناس، وما ينطبق على المجموع ينطبق على المفرد، أي إن الله عزّ وجل عادل، فإذا استجبت أنت الله عزّ وجل، ودعوت إلى الخير، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، كنت بهذه الاستجابة من خير الناس.

والإنسان عليه أن يكون طموحاً، وعلو
الهمة من الإيمان، وهذه الحياة فانية،
والعمر محدود، والوقت ثمين،
والأعمال كلها بأثمانها، هناك أعمال لا
جذوى منها، وهناك أعمال تافهة:

**﴿وَقَدِمْتَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾**

[سورة الفرقان الآية: ٢٣]



علو الهمة من الإيمان

هناك أعمال سخيفة:

إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ودنيتها .

فأسأل نفسك هذا السؤال: ما الذي يعنيك وأنت في هذه الدنيا؟ أيعنيك هدف كبير؟ أتسعى إلى عمل عظيم؟ أتسعى إلى مرضاه رب العالمين؟ أتسعى إلى أن تكون من المقربين؟ أشعر أن الله يحبك؟ أن الله ينظر إليك بعين الرحمة؟ القضية باستقامتك على أمره وبعملك الصالح:

**﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُنَ الزَّكَاةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّدُهُمُ الْلَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**

[سورة التوبة الآية: ٧١]

الإنسان أحياناً يجد صعوبة في الحديث عن الله عز وجل، أو في الأمر بالمعروف، أو في النهي عن المنكر، لا تصدق أنك بقدرتك وحدك تستطيع أن تحدث أثراً إيجابياً في هذا الإنسان، لا، لك أن تعزم على هذا العمل، لك أن تتجه إليه، لك أن تتخذ بعض الوسائل، وانتهى الأمر، لكن الله سبحانه وتعالى بكرمه العظيم يحدث هذا الأثر الإيجابي في نفس السامع:
فإذا أراد ربك إظهار فضله عليه، خلق الفضل ونسبة إليك.



لذة الدنيا قمر ولذة هداية الناس لا تنسى

أيها الأخوة الكرام، هناك من ذاق طعم الدنيا، هناك من ذاق الطعام والشراب، وتناول أطيب الأكلات، هناك من ذاق ما في الدنيا من مباح حلال، لكن الذي يذوق طعم هداية الناس، هذا الطعم لا ينسى؛ أن تشعر أن الله سبحانه وتعالى وظفتك عنده، أن تشعر أن الله جعلك

مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، أن تشعر أن الله خصك بهذا الفضل العظيم، هذا شعور لا يساويه شعور آخر، والباب مفتوح، وأنا أدفعكم إلى ذلك، فالإنسان يدخل بقائمته: أن فلان صديقي فيه خير، هذا الجار عنده حباء فيه خير، هذا فلان يحتاج إلى نصيحة، هذا يحتاج إلى معاونة، هذا يحتاج إلى توجيه، هذا يحتاج إلى إكرام، إذا استيقظت على هموم خدمة الخلق، تولى الله مصالحك.

((اعمل لوجه واحد يكفيك الوجوه كلها))

((منْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمّاً وَاحِدًا هَمْ أخْرِيَهُ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمْ دُنْيَاهُ))

[أخرجه ابن ماجة في سننه]

فذلك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه فريضة بعد الفرض، بل إن بعض الفقهاء عدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفريضة السادسة، كيف أنك تحج ولحج فرض؟ كيف أنك تزكي والزكاة فرض؟ كيف أنك تصوم والصيام فرض؟ كيف أنك تصلّي والصلاّة فرض؟ يجب أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر، ولكن قبل أن تأمر بالمعروف وقبل أن تنهى عن المنكر: يجب أن تكون عالماً بالمعروف والمنكر، يجب أن تكون عالماً بالله، يجب أن تكون عالماً بشرعه، يجب أن تكون عالماً بالطريقة المثلثة للأمر بالمعروف، الطريقة التربوية، يجب أن تعرف الله أولاً، لأنك إذا أمرت بالمعروف تدعوا إليه، تقول: هذا أمر الله، والله كذا وكذا، خلق الكون، صاحب الأسماء الحسنى، يجب أن تعرف الله ، وأن تعرف أمره، وأن تعرف الطريقة الناجحة، الطريقة التي سنّها النبي -عليه الصلاة والسلام- للدعوة إلى الخير، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((منْ أَمْرَ بِمَعْرُوفٍ، فَلَيْكَنْ أَمْرُهُ بِمَعْرُوفٍ))

((لَمْ يَدْخُلِ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

الهدف النبيل له وسيلة نبيلة، الهدف الشريف له طريقة شريفة، الهدف العظيم له أسلوب رفيع، القضية بالتأدة، وباللطف، وبالإحسان، وباللحظة، وبالذوق:

منْ أَمْرَ بِمَعْرُوفٍ، فَلَيْكَنْ أَمْرُهُ بِمَعْرُوفٍ.



أول بندٍ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن تكون أنت ممثلاً لهذا الأمر وذاك النهي، حتى تقنع الناس بأنك صادق، إذا كنت أنت في واد وأمرك في واد، هذه ليست دعوة إلى الله، هذه حرفٌ، هذه مصلحة، هذا تجمّع ليس على حق، لن تستطيع أن تأمر بالمعروف إلا إذا أمرت نفسك، لن تستطيع أن تنهي عن المنكر إلا إذا نهيت نفسك.

إذا كنت في الطريق، لك جار رأيته يأكل مالاً حراماً، رأيته يتعامل مع الناس تعاملًا محراً، رأيته يبيع بضاعةً محراماً، رأيته يقسّو في أسعاره على الناس، رأيته يستغل حاجتهم لهذه السلعة، إذا رأيت جاراً لك، يجب أن يرى منك الالتزام بأوامر الدين، إذا رأك في موضعٍ كريم، إذا رأك في موضعٍ منزهٍ عن الانحراف، إذا تكلّمت بكلمة لهذا الإنسان فإنه يستجيب لك، فليس من الكمال أن يجعل نفسك كل همك، اجعل الناس كل همك، هذا من الفريضة السادسة.

الآية الأخيرة :

﴿وَلَيُنْصَرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه﴾

[سورة الحج الآية: ٤٠]

أنت إذا أمرت بالمعروف ونهيتك عن المنكر فكأنك تتصرّدِين الله، إذا فعلت الفاحشة وسكّتها، الانحراف سكتّنا عنه، هذا سكتّنا عنه، ماذا يكون؟ يستشرى الشر، فلذلك:

﴿وَلَيُنْصَرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَانَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاءَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

[سورة الحج الآية: ٤١-٤٠]

على نطاق البيت :

﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

[سورة طه الآية: ١٣٢]

ففي بيتك مأمور أن تأمر، في عملك مأمور أن تأمر، في نزهتك مأمور أن تأمر، في حلقك وترحالك مأمور أن تأمر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفرائض الواجبة في نص القرآن الكريم.

ما مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ :

الآن: ما الوسيلة أو ما مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
الآية الكريمة توضح هذه الوسيلة، يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

ما هي الحكمة؟ وردت الحكمة في بعض الآيات الكريمة :

﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٦٤]

الكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة، أما هنا الحكمة لها معنى آخر، الحكمة: العلم الذي تعمل به، إذا تعلمت ولم تعمل فلست حكيمًا، وإذا عملت ولم تعلم فلست حكيمًا، من هو الحكيم؟ الذي يعمل بما يعلم، الذي يعلم بما يعمل، الذي يطبق علمه، يعتقد شيئاً ويفعله، هذا الذي يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

هذا الشيخ الذي زار أحد تلاميذه، لهذا التلميذ عبد عنده، هذا العبد قال مخاطباً شيخ سيده: يا سيدني، لو تأمر سيدتي أن يعتقني، فقال هذا الشيخ: أفعل إن شاء الله، مضى الأسبوع تلو الأسبوع، والشهر تلو الشهر، ولم يستجب هذا السيد، ويعتق عبد، لأن الشيخ لم يأمره بذلك، حدث أن زار الشيخ هذا السيد مرة ثانية، قال له العبد: يا سيدني لو تأمر سيدتي أن يعتقني، قال: أفعل إن شاء الله، أيضاً مضى الأسبوع والأسبوعان والشهر والشهران ولم يعتقه سيده، لأن الشيخ لم يكلمه بذلك، المرة الثالثة لفت نظره، وبعد أيام جاء سيده وأعتقه.

بقي سؤال عند هذا العبد: ما دام الأمر لا يكفي الشيف إلا كلمة واحدة، فلماذا لم يقل له من وقت طويل؟ التقى به رابعة وعاتبه، فقال له: يا ولدي لقد أتعنتي، لقد أرهقتني، إبني وفرت من مصروف يومي ما أعتق به عبداً، بعد أن أعتقت عبداً، أمرت سيدك أن يعتق عبداً، فكانت الاستجابة .

إذا أردت أن تدعوا إلى الله عز وجل، فعاهد نفسك ألا تقول كلمة إلا إذا طبقتها، ألا توجه توجهاً إلا إذا كنت في مستوى، ألا تتهي عن شيء إلا إذا كنت أسرع الناس في تركه، إذا فعلت ذلك، فأنت مؤهل عند الله عز وجل أن تأمر بالمعروف وأن تنهي عن المنكر.

يجب أن تبقى هذه الآية في أذهانكم مائة:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

هذه الباء للاستعانة :

﴿بِالْحِكْمَةِ﴾

[١٢٥]

أنا آكل بالملعقة، أنا أكتب بالقلم، الباء للاستعانة :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

بماذا؟:

﴿بِالْحِكْمَةِ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

ما الحكمة؟ أن تتعلم العلم وأن تعمل به.

الآن: أنت مؤهل أن تتعلم العلم وأن تعمل به، إذاً طلب العلم فريضة، طلب العلم حتم واجب على كل مسلم، لأنك إذا أمرت بالمعروف، قلت له: هذه حرام، لماذا هي حرام؟ لا أعرف، افعل كذا، لماذا؟ ما الدليل؟ لا تعرف الدليل.

قالوا: وضع المبلغ في مصرف أجنبي، يمكن أن تأخذ عليه فائدة.

هناك فتوى، فهل أنت عندك علم بهذا الموضوع؟ عندك ملابسات الموضوع، هذا لا يؤدي إلى إضعاف الكفار، بل يؤدي إلى تقويتهم، أنت إذا نقلت مالك إلى بلد أجنبي، وأخذت عليه ربا، أنت قويت هذا البلد، فإذا أردت أن تدعوا إلى الله عز وجل، يجب أن تعرف بالضبط ما أمر الله عز وجل وما نهيه، وأن تعرف الدليل.

إذاً إذا قال الله لك:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

أي استعن أنت بهذه الدعوة بالحكمة، الحكمة أن تكون عالماً عملاً، تعلم واعمل، تفهم وطبق، ادرس ونفذ، فالناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، لو بقيت ساكتاً و كنت مثلاً أعلى لدعوت إلى الله، قد تستطيع أن تدعوا إلى الله وأنت ساكت، إذا كنت ممثلاً بأخلاق الإسلام، بمبادئ الإسلام، فأنت من الدعاة، بل إن بلاداً كبيرةً تعداد مئات الملايين في شرق آسيا، بل في جنوبي شرق آسيا أسلمت عن طريق التجار، عن طريق الصدق والأمانة.



وأنا أقول لكم دائماً: أنت في عملك تستطيع أن تكون داعية صامتاً، إذا كنت صادقاً مع الناس، إذا كنت مخلصاً، إذا كنت أميناً، إذا كنت ورعاً، إذا كنت عفيفاً، الناس لهم عيون، الناس لا يتعلمون بآذانهم، يتعلمون بعيونهم، يرونك، يرون وررك، يرون عفتاك، يرون صدفك ، يرون أمانتك، هذا هو الدين.

أقول لكم دائمًا: المبادئ النظرية وحدها لا تكفي، مهما كان في الإسلام مبادئ نظرية عميقة، وعليها ألف دليل ودليل، مبادئ منطقية تطابق الواقع، تطابق القيم، تطابق المنطق حبر على ورق، ما لم يأت إنسان ويتمثل هذه المبادئ، إذا تمثل الإنسان هذه المبادئ، أصبح داعيةً قبل أن يدعوه، قبل أن يقول شيئاً، فاللأب إذا كان في بيته مثاليًا، صار داعيةً وهو لا يدري، الموظف إذا كان مثاليًا في عمله، كان مخلصاً صادقاً يخدم الناس، وإذا ذهب ليصلّي أمام زملائه، قالوا: هذه الصلاة تناسب مع هذه الأخلاق، هذه الأخلاق من هذه الصلاة، أما إذا كان مؤذياً للناس، يعرقل مصالحهم، فإذا أذن الصبح، ذهب ليصلّي ويستريح ساعة، توقع الناس أنت في إشكال، كيف يصلّي ويفعل هذا؟ كيف يصلّي ويأكل المال الحرام؟

﴿فَذِلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمِ﴾

[سورة الماعون الآية: ٢]

هو نفسه، فانت عندما تخلق للناس مشكلة فكرية، أنت مسلم؛ تصلي، تصوم، تحج، تزكي، ولك أعمال لا ترضي الله عزّ وجل، أنت بهذا توقعهم في حيرة، أنت تهزّهم، تبلّفهم، تشکّكهم في الدين، من هؤلاء القلة الفليلة التي تقول: هذا ليس من الدين؟ الدين أرقى من ذلك، هؤلاء قلة، أما الكثرة يقولون: إذا كان هذا هو الدين، فنحن كافرون بهذا الدين، هنا المشكلة.

الآن بالمقابل: إذا كان الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر، متى يفعل الإنسان فعلاً مضاداً لهذا؟ الفعل الطيب أن تتعلم العلم، وأن تعمل به، وأن تتخذ الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله، فهل هناك أنسٌ يفعلون عكس ذلك؟ المؤمن يقرب الناس من الله عزّ وجل بمنطقة، بأخلاقه، بإحسانه، لكن هل هناك أنسٌ يبعدون الناس عن الله عزّ وجل؟ من هم؟ هؤلاء الذين لهم مظهرٌ ديني وأعمالهم سيئة، هنا يكمن الخطير.

إنسان مظنة صلاح، محسوبٌ على المسلمين، معروفٌ بين أهله؛ أنه يصلّي وأنه قد حج ثلاث مرات، واعتبر سبع مرات، ويرتاد المساجد، فإذا أكل هذا الإنسان مالاً حراماً، هنا تقع المشكلة، أستثنى بعض الناس، هؤلاء المتبرّرون، هؤلاء العميقون، هؤلاء الذين لا يأخذون الدين من الأشخاص، الدين عندهم في السماء، والأشخاص إن طبقو لهم، وإن لم يطبقوا فعليهم، لكنني أريد عامة الناس، تجار السوق، رأوا أحدهم يصلّي، يرتاد المساجد، فإذا أكل مالاً حراماً، فإذا كذب، فإذا انحرف، فإذا غش، هذا الإنسان يقف في موقعٍ مضادٍ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هنا الخطير.

إذا أردت أن تكون من أفضل الناس، فتعلم العلم واعمل به وادع إليه، المقابل: وإذا أراد الإنسان أن يكون أسوأ الناس، فليتزري بالدين ول يكن عمله سيئاً، إنه يدعو الناس إلى أن يكفروا بالدين، بالطبع عامة الناس، لذلك سيدنا علي ماذا قال؟

قال: قوام الدين والدنيا أربعة رجال - من هؤلاء الرجال؟ - عالمٌ مستعملٌ علمه، فإذا ضيغ العالم علمه، استتكف الجاهل أن يتعلم.

الكلمة التي تدور على لسان الناس دائمًا: هذا يصلي ويكتب، يصلى ويُعْشَن، هذا ليس دين، أنا لا أريد هذا الدين، هذا كلام عامة الناس.

لذلك: هؤلاء الذين أسلموا عن طريق الفكر خارج هذه البلاد الإسلامية، ثم جاؤوا إليها ، أنا إذا التقى بأحد هم أقول له: هنيئاً لك إسلامك قبل أن تعرف المسلمين، فإذا عرفت المسلمين، أغلب الظن أنك لم تسلم، تجد كذباً، وغيبة، ونميمة، وغشاً، واحتيالاً، أساليب مقيته، وهو يصلون، ويستمعون إلى المذاهب النبوية، ويقرؤون القرآن، هذا السلوك لا قيمة له عند الله أبداً، يجب أن تعرف أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى عنك إلا إذا كنت كما يريد، أما إذا كنت كما تريد وتوهم الناس أنك تحب الله عزّ وجلّ، قد تستطيع أن تخدع الناس جميعاً لأمدٍ قصير ، وقد تستطيع أن تخدع واحداً لأمدٍ طويل، أما أن تخدع الله وأما أن تخدع نفسك، فهذا من المستحيل:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾

[سورة النساء الآية: ١٤٢]

هذه الآية دقيقة :

﴿إِذْ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

استعن لهذه الدعوة بالحكمة، الحكمة أن تكون عالماً عالماً، عالماً عالماً، أن تعرف وأن تطبق. الآن عندنا أسلوب، الآن دخلنا في التربية، التربية هي الطريقة المثلثة لنقل المعرفة: أنت الآن أمام إنسان متلبس بألف معصية، فإذا قلت له: هذه معصية، وهذه معصية، وهذه حرام، كبر عليه الأمر، وترك هذه الدعوة، ليس من الحكمة أن تنفر الناس، ليس من الحكمة أن تشدد عليهم في بادئ الأمر، ليس من الحكمة أن تزدرى بهم، ليس من الحكمة أن تستعلي عليهم، ليس من الحكمة والموعظة الحسنة أن تجعلهم يشعرون بالصغرى أمامك، لا، الموعظة الحسنة أن تؤثر فيهم بالحسنى لا عن طريق آخر.

إذاً ومن طلب هداية الناس بصدق،
ألهمه الله الطريقة المثلثة.

الطريقة الآن شيء آخر غير العلم، أن تكون عالماً عالماً شيء، وأن تملك الطريقة المثلثة في الدعوة إلى الله شيء آخر.



ليس من الحكمة أن تزدرى الآخر

أحياناً: النبي - عليه الصلاة والسلام - قال:

(بعثت بمداراة الناس))

هذه الباء للاستعانة أيضاً، لو قال النبي - عليه الصلاة والسلام -:

(بعثت بمداراة الناس))

أصبحت المداراة هدفاً، لا، المداراة وسيلة، أنا أستعين على هدايتهم بمدارتهم، ما هي المداراة؟
بذل الدنيا من أجل الدين، أما المداهنة: بذل الدين من أجل الدنيا، إذًا: هذا حديث: .

من أمر معروف فليكن أمره معروف :

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَبْلِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَأْوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

جِبْداً إذا قرأ أحدكم القرآن، أو اطلع على السنة النبوية: أن يكتشف الأحاديث التي تبين لك كيف تدعوا إلى الله؟ أي ما يتعلق منها بالنواحي التربوية، هذه الأحاديث قيمة جداً، إذًا: المداراة أحد الأساليب، هذا الذي تدعوه إلى الله له مشكلة دنيوية، يجب أن تحطها له، يجب أن تعينه عليها، يجب أن يشعر أنك معه، يجب أن يشعر أن دنياه غالبة عليك، يجب أن تطعمه أولاً، أن تشبعه، أن تحل قضيته، هذا الشيء الذي يخيفه يجب أن تزيله عنه، حتى يرتاح إليك ، حتى يطمئن لك، حتى يحبك، فإذا أحبك، كانت كلماتك كالبلسم الشافي، فلذلك: الشيء الذي يفتح إليك القلوب، الشيء الذي يفتح لك الأذان، الشيء الذي يقرب الناس إليك: أن تكون محسناً.



عامل صانعك باحترام يفتح قلبك

عندك صانع، وتطمح أن يكون معك في المسجد -شيء جميل-، هذا الصانع إذا أردت أن يكون معك في المسجد، وأن تهديه إلى الله عزّ وجلّ، يجب أن تكون محسناً إليه، إذا عاملته كأب، لك أن تقوده إلى المسجد، رأى الرحمة، رأى الإنصاف، رأى العطف، إذا عاملته كابن، لم تحمله ما لا يطيق، لم تهن كرامته أمام الناس، لم تعنّته، إذا

رأى منك العطف والحنان مال إليك، فإذا مال إليك مال إلى مسجدك، إذا دعوته إلى بيت الله لك، أما إذا قسوت عليه نفر منك.

هذا ينطبق على من معك في العمل، ينطبق على من معك في البيت، من معك في السفر ، لن تستطيع أن تهدي الناس إلا إذا كنت محسناً، لن تستطيع أن تهدي الناس إلا إذا كنت منصفاً، لن تستطيع أن تهدي الناس إلا إذا كنت متواضعاً، لن تستطيع أن تهدي الناس إلا إذا كان لك قلب كقلب الأم، يجب أن تمتلك أخطاءهم، أن تمتلك انحرافاتهم، أن تعفو عنهم، أن تستغفرون لهم، هكذا قال:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَعْفِرْ لَهُمْ وَشَارِهِمْ فِي الْأُمْرِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

إذا أخطأ فأغفر له، الله عزّ وجل يغفر، من أنت حتى لا تعفر؟ أساء، تكلم بكلمة قاسية، لم يسلم عليك، فعل كذا وكذا، من أنت؟ خالق الكون يغفو، من أنت إن لم تعف؟ لذلك :

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٩٩]

يجب أن تعفو، وأن تعرض، أن تعفو عن أساء إليك، وأن ت تعرض عن السفيه، حتى تكون مؤهلاً لأن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر.

لذلك: هذا الدرس موضوعه: كيف تكون أمراً بالمعروف ونهاياً عن المنكر؟ كيف ترقى إلى أعلى عمل يرضي الله عزّ وجل؟ أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر، بل أن تدعوا إلى الخير، والخير كلّه عند الله، الخير كلّه بمعرفة الله، بطاعته، بخدمة خلقه، بالقرب إليه، بمداومة ذكره، هكذا، إذا:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوَعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

الأسلوب التربوي الناجح:

﴿وَجَادِلُهُمْ بِالِّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

في بعض الآيات: ربنا عزّ وجل علمنا كيف تكون بهذا المستوى المطلوب؟ قال :

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة سباء الآية: ٢٤]

فأنت كداعية أو كامر المعروف: لا ينبغي أن تضع نفسك في موقع عالٍ، أنت جاهل وأنا سأعلمك، لا، النبي -عليه الصلاة والسلام- ماذا قال لقومه؟ قال :

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة سباء الآية: ٢٤]

أي أن أحدهنا على حق، والآخر على باطل، لم يقل: أنا على حق، قال: أحدهنا، فقد وضع نفسه في مستوى خصميه تماماً، حتى يكون متواضعاً، وضع نفسه في نفس الموضوع: .

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة سباء الآية: ٢٥]

إذا كنتم تظنو أنني بهذا العمل مجرم:

لا تسألون عما أجرمنا، ولا نسأل -ليس عما تجرمون بل- عما تعملون.

ما هذا التلطُّف؟ أعمال الكفار جريمة ما بعدها جريمة، والله عزّ وجل أمره أن يقول لهم:

﴿وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة سباء الآية: ٢٥]

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾

[سورة سباء الآية: ٢٥]

هذا توجيه قرآنی، لن تستطيع أن تدعوا
إلى الله إلا إذا كنت مع خصمك على
قدر المساواة، بل قل له: أنا على خطأ
وأنت على صواب والمناقشة بيننا،
والدليل بيننا، لن تستطيع أن تهدي
الإنسان إلا إذا توافضت له، لن
تستطيع أن تهديه إلا إذا أحسنت إليه،
إلا إذا أكرمته، إلا إذا أحبك من كل
قلبك، لذلك يجب أن تتعلم كيف تكسب



تعلم كيف تكسب ود خصمك

ود الناس؟.

النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يصلي مع أصحابه، دخل رجل لحق بهم، فأحدث جلةً
وضجيجاً في المسجد، وظن أصحاب النبي أن النبي -عليه الصلاة والسلام- سيعنّفه، لكن عندما
انتهت الصلاة قال:

((زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلَا تَعْدُ))

[أخرجه النسائي في سننه]

فقد عَدَ هذا العمل حرصاً منه:

((زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلَا تَعْدُ))

[أخرجه النسائي في سننه]

فأقول لكم: من ذاق عرف.

من ذاق طعم هداية الخلق، وذاق طعم خدمة الخلق حباً بالحق، عرف معنى ما أقول، فإذا أردت أن تفعل هذا فالطريق مفتوح، والشواعر مفتوحة، وفضل الله يتسع لكل عباده، والحديث الشريف، هذا كلام النبي.

سيدنا سعد كان يقول: ثلاثة أنا فيهن رجل، وما سوى ذلك فأنا واحد من الناس؛ ما سمعت حديثاً من رسول الله إلا علمت أنه حقٌّ من الله تعالى.

يقول عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الإمام أحمد من حديث معاذ، وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد، أنه قال لعلي:

((يا علي، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم))

الرواية الثانية:

((خير لك مما طلعت عليه الشمس))

الرواية الثالثة:

((خير لك من الدنيا وما فيها))

هذا كلام النبي، أي أن أعظم عملٍ تفعله في الدنيا، لو أنك ملكت الدنيا من كل أطرافها .

تكلمنا مرة بالدرس: واحد يملك محلًا في شارع مهم جداً المتر بخمسة ألف، إذا كانوا محليين، إذا كانوا خمسة محلات، إذا كان الصف بكمله له، أرضي وعلوي، إذا الصفان، إذا شارعان ضخمان، إذا كل شوارع المدينة محلاته له، وكل الأبنية الفخمة وكل الشركات الضخمة في العلم، -هناك شركات لها ميزانيات وأرباح أضخم من ميزانيات دول، شركات الأدوية والسيارات والطائرات ونقلات النفط مثلاً، إذا كانت كل هذه المحلات في كل عواصم الدنيا لك، وإذا كانت كل الأبنية الفخمة والقصور في كل أنحاء الدنيا لك، وإذا كانت كل الشركات الضخمة في كل أنحاء الدنيا لك، ثم جاء الموت ماذًا ينفعك هذا؟.

هذا الذي ترك أضخم ثروة في العالم -وهو يهودي اسمه روتشيلد-، دخل إلى بعض صناديقه الحديدية، عنده غرف بكمليها، أحد الأبواب أغلى خطأً، صاح صاح، فلم يسمعه أحد ، فجرح يده وكتب على الحائط: أغنى رجلاً في العالم يموت جوعاً.

إذا آمنت بكلام النبي : لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من الدنيا وما فيها. لكن الهدایة صعبة، فولاً يجب أن تهدي نفسك، أن تتعلم العلم، وأن تعمل به، وأن تبحث عن الطريقة المجدية، الطريقة الناجحة، الطريقة التربوية.

لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.
علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف:

﴿وَجَادُّهُمْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٥]

﴿وَإِنَا أَوْ إِيمَكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة سباء الآية: ٢٤]

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة سباء الآية: ٢٥]

هذه بالتالي هي أحسن، إذا نقشت الإنسان، كن لطيفاً معه، كن متواضعاً، كن منطقياً، لا تستعمل عليه، لا تتبرم منه، إذا أحبك، دخلت أفكارك إلى قلبك، وإذا فتح قلبك فقد اهتدى.

الآن طلب العلم في طريق الدعوة إلى الله، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام، فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة))

[أخرجه الدارمي في سنته]

فهذا أعلى عمل: أن تتعلم العلم لتعلم الناس، أن تتعلم العلم لتأخذ بيد الناس إلى الله عزّ وجلّ، أن تتعلم العلم وتعمل به وتختر الطريقة المُلَى فتشعر هذا العلم بين الناس، أن تكون أمّةً:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾

[سورة النحل الآية: ١٢٠]

قيس بن سعد :

والآن إلى قصة صاحبِي جليل من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هذا الصاحبِي هو ابن الصاحبِي السابق: سيدنا قيس بن سعد بن عبادة.

قال: الأنصار كانوا يعاملونه على حداثة سنّه كزعيم، وكانوا يقولون: والله لو استطعنا أن نشتري لقيس لحيةً بأموالنا لفعلنا.

-لم يكن له لحية، لماذا؟ كان صغيراً شاباً، لشدة رجاحة عقله وشجاعته وكرمه، يبدو أكبر من سنه. لذلك: في علم النفس هناك عمر زمني، وهناك عمر عقلي، هناك عمر اجتماعي، هناك عمر انفعالي، هناك عمر تحصيلي تربوي، أتفه أعمار الإنسان عمره الزمني، وهذا ابن سيدنا سعد قيس، لرجاحة عقله، وأخلاقه الكريمة، وكرمه الشديد، بدا وكأنه زعيم وهو غلام، فقال أصحاب النبي: لو استطعنا أن نشتري لقيس لحيةً بأموالنا لفعلنا.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((إن الجود شيمة أهل هذا البيت))

في هذا الحديث إشارة إلى قيمة التربية الأسرية.

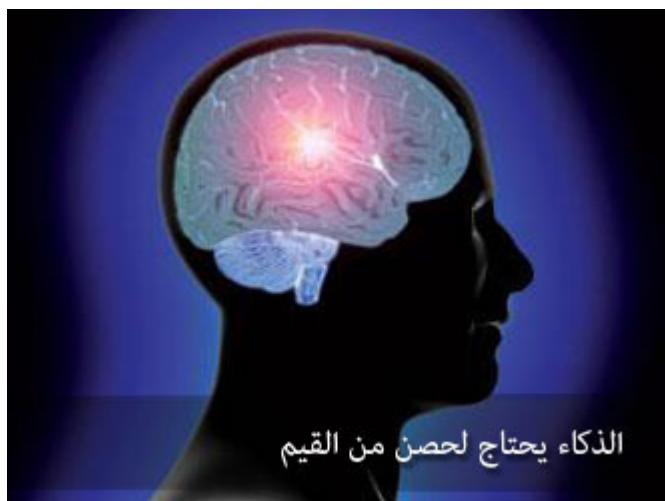
أحياناً ترى إنساناً من أسرة راقية، أسرة عرفت بالصلاح والتقوى والعلم والعمل، فأولاد هذه الأسرة لو فصرّوا، لو تأخروا في معرفة الله عزّ وجلّ، لهم خلفية طيبة، لهم خامة طيبة، لهم بُنية طيبة، من هنا جاء النسب، النسب له أثر.

وما زلت أنقلب في أرحام الطاهرات وأصلاب الطاهرين، حتى ولدتي أمي ولم يمسني من سفاح الجاهلية شيء .

فهذا الحديث منه إشارة، فالإنسان إذا تزوج، يبحث عن أسرة راقية عريقة في تربيتها لأولادها، عريقة في أخلاقها، في تدينيها، وإلا يكن شأنه كمن قال عنه النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إياكم وحضراء الدمن، فقيل: وما حضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء))

الآن هناك لقطة ثانية:- هذا الصحابي كان على درجة عالية جداً من الذكاء.-والذكاء قوة بالإنسان، بل إن الذكاء أفضل نعمة يمنحها الله لعباده، لكن الشيء اللطيف: أن المؤمن الذي مقيّد، مقيّد بالشرع، أحياناً يوجد ذكي يخرب بلداً بкамلها، أحياناً امرأة ذكية ترمي عداوة بين أسرة تدفعهم إلى القتل، هناك موافق ذكية جداً ولكن ذكاء شيطاني، ذكاء أساسه الشيطان، لذلك الذكاء وحده لا يكفي، لا بدّ له من حصن من قيم.



النبي ماذا قال؟ قال:

((المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِ الْضَّعِيفِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

الذكاء قوة، إذا كان هذا الذكاء مع المؤمن وظّفه في الحق، بهذه اللقطة-.

يقول هذا الصحابي الجليل: إنه لداهية، كان يتقدّر حيلةً ومهارةً وذكاءً.

الذكاء يحتاج لحصن من القيم

وقال عن نفسه وهو صادق: لو لا الإسلام، لمكرت مكرًا لا تطيقه العرب.

فقد كان عنده طاقات في فكره، في ذكائه، لو لا أن الإسلام قيده بالحق، وقيده بالإحسان، وقيده بالمعروف، لفعل شيئاً لم يفعله أحد من قبله. لذلك المؤمن مقيد يا أخوان:

الإيمان قيد الفتاك ولا يفتاك مؤمن.

إذا كنت حراً فافعل ما تشاء، وإذا كنت عبداً فما هكذا تفعل العبيد؟ المؤمن مقيد، عنده أمر إلهي.

أقول لكم هذه الكلمة، هي كلمة أساسها كلمة قانونية: أن تنتهي حرمتكم حينما تبدأ حرية الآخرين، أنا أقول لك: تنتهي حرمتكم حينما تعرف الله عزّ وجل، فهل تستطيع أن تكذب؟ أحياناً كذبة محكمة تماماً تحل فيها مشكلة، فهل يمكنك أن تكذب؟ لا تقدر، هل يمكنك أن تغش؟ لا تقدر، هل يمكنك أن تحتم على الناس؟ لا تقدر، هل يمكنك أن تظلم؟ لا تقدر، هل يمكنك أن تأخذ مال ليس لك؟ لا تقدر، فأنت مقيد بالشرع.

قال: لو لا الإسلام لمكرت مكرًا لا تطيقه العرب.

يبدو أن هذا الصحابي قرأ قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾

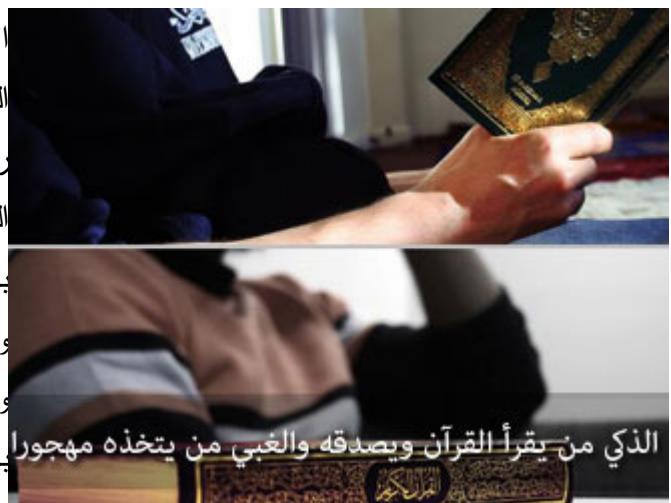
[سورة فاطر الآية: ٤٣]

هذا كلام ربنا عزّ وجل، قرأت قرآنًا وقلت: صدق الله العظيم، هذه الآية إذا قرأتها فعلاً، وصدقت الله فيها، لن تستطيع أن تمكر، لأنك إذا مكرت يعود مكرك عليك.:

﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾

[سورة فاطر الآية: ٤٣]

الأيام تدور وتدور وتدور، فإذا بهذا المكر الذي فعلته بغيرك، انصب على رأسك، فمن هو الذكي؟ هو الذي يقرأ القرآن ويصدقه قبل أن يدفع الثمن يلاحظ، من هو الغبي؟ يجعل هذه الآية وراء ظهره، يتخذ هذا القرآن مهجوراً ويفعل ما يحلو له، فإذا دفع الثمن الذي من يقرأ القرآن ويصدقه والغبي من يتخذ منه جوراً يلاحظ، وعاد مكره عليه، قال: والله صدق الله العظيم، الآن عرفتها بعد فوات الأوان، إذا كنت بطلًا فاعرف الحقائق قبل فوات الأوان، -.



هذا الصحابي قرأ القرآن فصدقه، عندما قال:

﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾

[سورة فاطر الآية: ٤٣]

قال: والله لو لا الإسلام، لمكرت مكرًا لا تطيقه العرب.

يبدو أنه قد وقف مع سيدنا علي هذا الصحابي في خلافه مع معاوية، فقال: والله ولئن قدر لمعاوية أن يغلبنا، فلن يغلبنا بذكائه بل بورعنا وتقوانا.

-أيضاً هذه الكلمة دقيقة، أي أنك ليس معك أسلحة غير محدودة، لا يوجد معك غير سلاح الحق، لعله أن يكون خصمك لا يوجد فيه دين إطلاقاً، له أن يفعل بك ما يشاء، فهو مطلق، وأنت مقيد، هذه مشكلة، لكن هذه المشكلة وسام شرف لك.

أحياناً أنت بمركز قوي، ولك خصم بمركز قوي، لكن خصمك متفلت من الدين، لا يوجد عنده قيم، وأنت الإيمان يحرزك عن أن تفعل شيئاً لا يرضي الله عزّ وجلّ.-

قال: والله ولئن قدر لمعاوية أن يغلبنا، فلن يغلبنا بذكائه بل بورعنا وتقوانا.

سيدنا سعد والده حينما أسلم، أخذ بيده قيس، وقدمه إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال: يا رسول الله هذا خادمك.

- كذلك هذه إشارة ثانية، الذي عنده ابن وتمكن أن يلحقه بمسجد، يجعله في طريق الإيمان، هنيئاً له، لأن:-

أفضل كسب الرجل ولده.

هكذا كانوا الصحابة الكرام.-

يا رسول الله هذا خادمك.

سيدنا الصديق تحدث عنه مرة، وقال: والله لو تركنا هذا الفتى لسخائه، لأهلك مال أبيه.

فسيدنا سعد بلغته هذه المقالة، فقال: من يعذرني من أبي بكر وابن الخطاب، يدخلان علي ابني؟

-أي أنه ما رضي أن يسمع ابنه هذا اللوم لشدة سخائه، يبدو أن السخي يكون ابن السخي عادةً.-

قال: أقرض قيس أحداً من أخوانه المعسرين يوماً قرضاً كبيراً، وفي الموعد المضروب للوفاء،

ذهب الرجل يردد إلى قيس قرضه، فأبى أن يقبله، وقال: إنما لا نعود في شيءٍ أعطيناك .

-كان سخياً.-

وآخر كلمة قالها: والله لو لا أبني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: المكر والخدعة في النار، لكنك من أمكر هذه الأمة.

أردت من هذا الصحابي الجليل شيئاً واحداً جديداً: هو أن الإنسان إذا تمنع بذكاء حاد، هذا الذكاء

الحاد يجب أن يوظفه في الحق، أما أن يت忤ذه قوة طائشة، أو قوة عمياء، عندئذٍ هذا الذكاء يعود

وباله عليه، لذلك: الإنسان الذي متحن بذكائه، هل وظفه في الحق وضبطه أم وظفه في الباطل

وجلب به الثروات الطائلة؟ تستطيع أن تكون ذكياً، وتخلق لإنسان مشكلة، وأنت صاحب مركز

حساس، لك وظيفة فيها قدرة على الأذى، خلقت لإنسان مشكلة خوفته، فقبضت منه ما تريده، هذا موقف تمثيلي يحتاج إلى ذكاء، وإلى تمثيل جيد، وأن تثبت في روعه أنه انتهى، وهذه البضاعة كلها صودرت، وتندفع مئات المئات، ألف الآلاف، عشرات الملايين، وأنا أستطيع أن أفقنك، وبالطبع بموقف تمثيلي ذكي؛ مع أدلة، مع براهين، مع قصص، فهو انهارت أعصابه فأعطيك ما تريده، هذا ذكاء، ولكن هذا المال الذي أخذته بهذه الطريقة، هذا المال لن ينفعك، لذلك: الذكي عند الله لا قيمة له من دون أن يكون مؤمناً، والدليل:

((ولا ينفعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدَّ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هذا الذكي قد يصاب بعطب، يدفع هذا المال كلهم، فالقضية أن تعرف أنه يوجد إله، من هو الأحمق؟ هذا الذي يتتجاهل الحقيقة العظمى في الكون، ويتجاهل وأن الله بيده كل شيء، وأن الله فعل لما يريد، وأن الذكي لا يفعل شيئاً.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الباب الأول : حق الزوج على الزوجة

الدرس ١٠١ - علاقة الرجل بزوجته وعدم الاختلاط ٢
الدرس ١٠٢ - قوامة الرجل وحقوقه على زوجته ١٢

الباب الثاني : حق الزوجة على الزوج

الدرس ١٠١ - حق الإنفاق عليها وحقها بعدم الإساءة لها وحسن المعاشرة ... ٢٨
الدرس ١٠٢ - حقها في هدايتها ورعاية دينها وأخلاقها ٤٧

الباب الثالث : حقوق الآباء على الأبناء

الدرس ١٠١ - أهمية وحكم بر الوالدين ٦٥
الدرس ١٠٢ - أمثلة عن العقوق ٨٣

الباب الرابع : حقوق الأبناء على الآباء

الدرس ١٠١ - حسن اختيار أمه - حسن اختيار اسمه - تربيته صغيراً ... ١٠١
الدرس ١٠٢ - تأديبه بالأدب الإسلامي - وصايا لقمان لابنه ١١٧
الدرس ١٠٣ - تعليمه للقرآن والرمادية والسباحة وإطعامه حلالاً ١٣٨
الدرس ١٠٤ - العدل في العطاء والوصية ١٥٤

الباب الخامس : حق المسلم على المسلم

الدرس ١٠١ - حق النصيحة١ ١٧٣
الدرس ١٠٢ - حق النصيحة٢ ١٨٧
الدرس ١٠٣ - حق إجابة الدعوة ٢٠٧
الدرس ١٠٤ - حق عيادة المريض ٢٢٢

الدرس ٠٥ - حق عبادة المريض - شرعية التداوي من الأمراض	٢٣٨
الدرس ٠٦ - حق السلام	٢٥٢
الدرس ٠٧ - الإنصاف من نفسك	٢٧٤
الدرس ٠٨ - رد السلام	٢٩٢

الباب السادس : حق الطريق

الدرس ٠١ - غض البصر ١ (غض البصر مدرسة لتهذيب النفس) ...	٣١٢
الدرس ٠٢ - غض البصر ٢ (التبرج)	٣٣١
الدرس ٠٣ - كف الأذى ، الحياة - سعد بن عبادة	٣٥٠
الدرس ٠٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٦٨
الفهرس	٣٨٩